منبر الإسلام

العدد ٨ – السنة ٢٢ – شعبان ١٣٨٤ – ٥ ديسمبر ١٩٦٤

الشكر لله

بسم الله الرحمن الرحيم

من محتويات العدد

* خطاب السيد الرئيس جمال عبد الناصر فى مجلس الأمة
* موديبوكيتا فى القاهرة
* التعريف بالأجهزة الشعبية - السيد الأستاذ حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية
* الرمزية فى عالم الرؤيا والأحلام - كما نراها فى سورة يوسف عليه السلام - فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى
* الحديث الثانى - فضيلة الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد
* من حضارة الاسلام - الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل
* أول عبرة فى الأرض - فضيلة الشيخ عبداللطيف السبكى
* الاسلام والقومية العربية - الدكتور أحمد الحوفى
* الوحدانية فى بعض الديانات القديمة - الأستاذ محمود كمال
* الاه اليهود - الدكتور على عبد الواحد وافى
* خواطر مستشار - المستشار على على منصور
* العلم ومشكلة السكان - الدكتور عبدالحليم منتصر
* الطريقة الحديثة فى النطق بالاعلام - فضيلة الشيخ محمد على النجار
* باب العلم - الفن - الشعر - تعقيبات - الافتاء - التحقيقات - المرأة المسلمة - لماذا أسلمت - مع القراء - بريد التعارف .

الاشتراكات عن سنة

٥٠ قرشا فى الجمهورية العربية المتحدة
٤٠ قرشا للعمال والطلبة
يضاف الى هذا قيمة البريد
خارج الجمهورية العربية المتحدة
وما يساوى
هذه العملة فى البلاد الاخرى

•

الاشتراكات تدفع مقدما

تقبل كوبونات البريد الدولى
ذات القرشين

العنوان
٢ شارع الأمير قدادار المتفرع
من شارع التحرير بالقاهرة
ت ٣٣٩٥٦

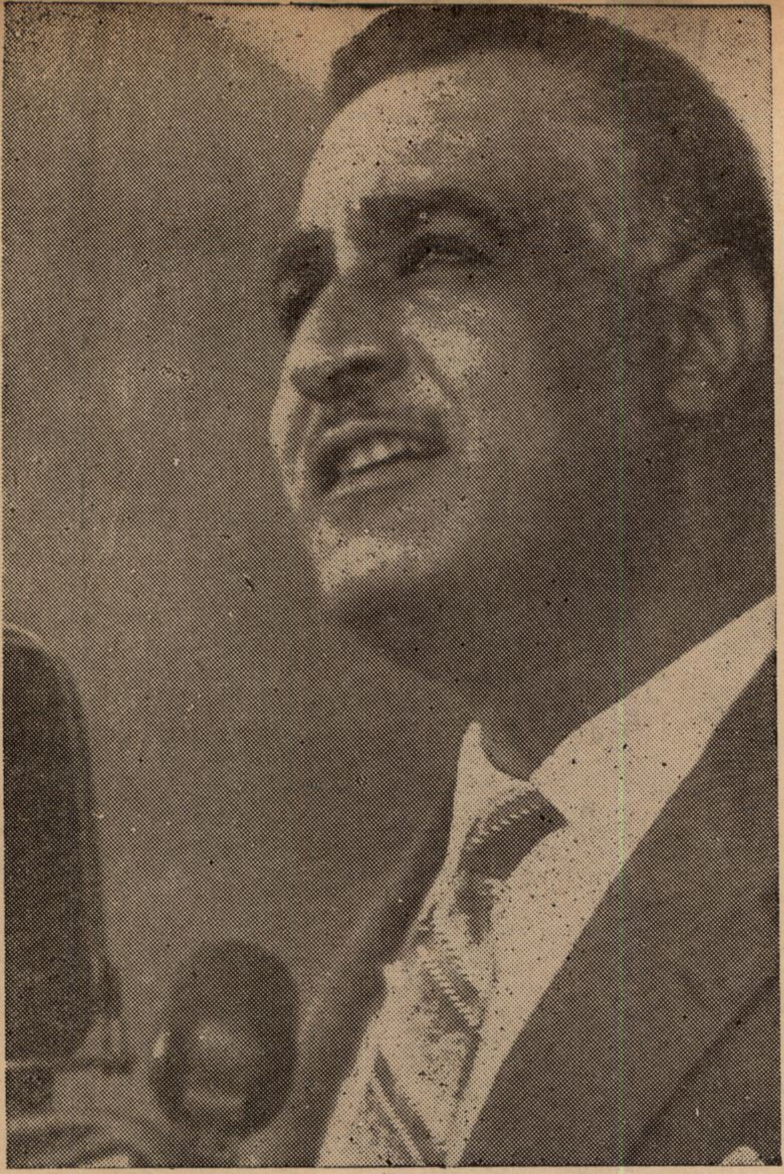

معالم الطريق

نص الخطاب السياسي

للرئيس جمال عبد الناصر

فى الجلسة الافتتاحية لدور الانعقاد الثانى لمجلس الأمة

١٢ نوفمبر ١٩٦٤

ألقى الرئيس جمـال عبد الناصر خطابا سياسيا فى الجلسة الافتتاحية لدور الانعقاد الثانى لمجلس الأمة « نوفمبر ١٩٦٤ » ٠

وفيما يلى نص خطاب السيد الرئيس :

ايها الاخوان أريد أن أستأذنكم اليوم فى أن أخرج على التقاليد ولا ألقى خطابا مكتـوبا وأتكلم معكم بدون أن أحبس تفـكيرى فى عبارات معدة من قبـل ٠٠٠ لذلك أرجو أن تسمحوا لى بالبقاء هنا٠٠حيث أنه لكى أتحدث معكم ومع جماهير شعبنا المنتظرة وراء هـذه القاعة حديثا قد يطـول وان كنت أرجو ألا يطول أكثر من الحـدود المعقولة ، فى نفس الوقت كما أن الوقوف على المنبر يعطى طابعـا خاصـا هو طابع الخطابة وأنا مش عايز كلام النهاردة يكون كالتقاليد المرعية ٠

طابع خطابى قبـل أن أتكلم عايز أقول نقطتين أول نقطة عايز أهنئكم ببـدء الدورة الجديدة فى أعمال مجلسـكم وأنا أعتقد أن الدورة الأولى كانت دورة ناجحة ، ان التجربة ناجحة لأن مجلسكم هو أول مجلس يقيم تحالف قوى الشعب العاملـة وضمن عملية التفاعل الثورى الواسـعة النطاق اجتماعيا وسياسيا واللى شاهدتها بلادنا منذ ثورة ١٩٥٢ بأبعادها الاجتماعية بعد حرب السويس وانطـلاقة الجماهير الثورية المؤمنة تحت ظروف المعركة أو بسبب المعركة ٠

والنقطة الثانية اللى عايز أقولها لكم ليـه فضلت أننى ما اتكلمش خطاب رسمى مكتوب قد يكون جامد فى الواقع عنـدى كلام كثير عايز أقوله وعايز أعبر عنه زى مابحس بيه ، وسيكون هذاالكلام زى ماقلت متجاوب معكم ومع جماهير شعبنا العظيم ٠

اننا نشعر أن احنا بنواجه مرحلـة هـامة ونواجه ظروف متشـابكة ، وأحس أن مـن واجبى أن أتكلم اليكم ٠٠ ممثـلى الشعب والى الشعب لأن أنا السنة اللى فاتت أو من مـدة طويلة ما اتكلمتش ٠

وفى ٢٣ ديسمبر من العام الماضى اتكلمت فى بورسعيد واتكلمت فى افتتاح مجلس الأمة عن مرحلة التحول العظيم وعن الانطلاق العظيم ٢٢ فبراير اتكلمت فى الجامعـة ، وان كان مقرر ان أنا أتكلم فى ٢٣ يوليو ولكن كان فيه ضيوف كبار افريقيين اعزاءعلينا اشتركوا معنـا فى احتفالاتنا ، سبقونى الى الـكلام ومكنش عندى الفرصة الكافية انى أتكلم فى يوم ٢٣ يوليو ٠

يوم ٢٦ يوليو كان مفروض ان أنا أتكلم فى اسـكندرية وقلت يوم ٢٣ يوليو انى أنا هاأكمل كلامى فى يوم ٢٦ يوليو ٠

ولما جه ٢٦ يوليـو كان عندنا لا زال بعض الضيوف ، فكنا بنأجل احتفالات الاسكندرية ونؤجل الكلام ، أجلت الاحتفالات فعلا وأعلنا وبعد كده بعـدما سافر الضيوف وقـررت سفرى الى الاسكندرية كنت أشـعر بحالة من الارهاق شديدة جدا والواحد ماكنش عنـده نفس أبدا ، يحضر احتفالات وكان يشعر أنه مايقدرش يتـكلم بعد سـنة طبعا مرهقة من العمل ٠

• تمثيل العمال فى مجالس الإدارات

• ارتفع عدد القوى العاملة فى بلادنا

فى الحقيقة احنا بنيجى فى يوليو وبعـد احتفالات يوليو والواحد بيشعر بنتيجة العمل المستمر ، والعمل ماهواش أبدا عمل سهل٠٠ يشعر بالارهاق طبعا السنة اللى فاتت كان فيه عمل خاص كان فيه الدستور كان فيها المؤتمر العربى الأول كان فيه طبعا انتخابات مجلس الأمة وقرارات مارس الكبيرة وبعد كده المؤتمر الافريقى ، وعلى هذا الأساس ماحصلش كلام فى ٢٦ يوليـو ولـكن كنت أعتقـد هايتقال كلام كتيـر عن سبب عدم الـكلام فى ٢٦ يوليو كنت أعتقد ان أعداءنا سيستغلوا هذا واحنا والحمـد لله أعداءنا كتير ولكن كنا باستمرار قادرين ان احنا ننتصر عليهم ٠

سمعتواطبعا الكلام اللى اتقال ، والاشاعات اللى اتقالت والاذاعات اللى اتقالت من بره ٠٠ ان يوم ٢٦ يوليو أجل الخطاب لأن كان فيه مؤامرة لنسف منصة الخطابة واننا قبضـنا على ٢٢ ضابط وقالوا جنرالات وعدمناهم فى السر كده مالهمش أهل وماحدش بيعرف عنهم

حاجة كأن البلد مفيش حد فيها يعنيه .. والكلام ده رددته اذاعة اسرائيل وكتبت فيه احدى صحف انجلترا وحاولت اسرائيل بكل الوسائل أنها تنشره .

سنة القمة دوليا

ويمكن بعض الناس صدقت هذا الكلام طبعا الكلام ده كلام كله هراء واللى نشره أول من يعرف أنه كلام هراء ، ولكنهم طبعا أرادوا أنهم يشوهوا اعمال السنة المجيدة اللى فاتت بالنسبة لينا كانت السنة اللى فاتت تعتبر سنة القمة دوليا بالنسبة لجهود هذا الشعب . الشعب المصرى من أجل الحرية ومن أجل السلام .

زى ما قلت لكم ، السبب الوحيد هو الجهد يمكن كان من الواجب أن الواحد يتحمل على نفسه ويأخذ يوم أو يومين زيادة ولكن الجهد والاجهاد هما اللى اتسببوا فى هذا .

عمل لابد أن ينجح ويشتهر .....

إلى ٧ ملايين و ٨٥ ألف عامل ...

طبعا كنا فى انتظار مؤتمر القمة العربى الثانى ، كنا فى انتظار مؤتمر دول عدم الانحياز هذه المؤتمرات اللى عقدت فى بلدنا السنة اللى فاتت ، عقد المؤتمر الافريقى .. مؤتمر القمة العربى الأول .. مؤتمر القمة العربى الثانى . ثم مؤتمر دول عدم الانحياز ..

المؤتمرات فى بلادنا تعزل اسرائيل

هذه المؤتمرات لم تكن بأى حال بعيدة عن عملنا الوطنى الداخلى بدليل أن أعداءنا حاولوا بكل وسيلة من الوسائل أنهم يبثون سمومهم ضدها ويشوهونها .

طبعا على سبيل المثال كنا نسمع راديو اسرائيل يقول ان الأموال التى تصرف على هذه المؤتمرات هى خسارة على الشعب المصرى ، طبعا ما حدش فينا يتصور ان اسرائيل بتبكى على أموالنا أو يهمها أموالنا تنصرف فين ، طبعا ماحدش يتصور ان اسرائيل خايفه على فلوسنا الى هذا الحد .

أى مؤتمر من هذه المؤتمرات هايتكلف قد ايه ٥٠ ألف جنيه أو ١٠٠ الف جنيه .. وأنا بدى أسأل اللى أذاعوا هذا الكلام اسرائيل مستعدة تدفع كام علشان تعقد مؤتمر من هذه المؤتمرات فى بلدها .. ايه فوايد هذه المؤتمرات .. اسرائيل تشعر ان هذه المؤتمرات حاصلها عربيا وتعدادها افريقيا وتقيم عليها شبه حجر صحى فى المجتمع الجديد والقوى الجديدة الصاعدة المتحركة للتقدم والسلام .

ولكن طبعا دعاية اسرائيلية هى سموم دعاية الذى يعرف الحقيقة ويحاول تشويهها حتى تخفف من ضررها بالنسبة اليه .

أنا بدى أقول حاجة وسمعت هنا بيقولوا ان احنا مهتمين بالسياسة الخارجية أكثر من اهتمامنا بالسياسة الداخلية ويمكن فيه ناس كثير منكم سمعوا هذا الكلام .

بيقولوا بنتلفت كتير قوى للسياسة الخارجية وبس لو نفرغ جزء من وقتنا للسياسة الداخلية بدى أقول ان سياستنا الخارجية هى فى خدمة سياستنا الداخلية وبدون سياستنا الخارجية لا يمكن ان احنا نستطيع نبنى البناء الداخلى .

وقارنوا بيننا وبين البلاد الأخرى فيه بلاد داخلة فى تحالفات بتخضع وبتقبل الشروط وبتعيش زى احنا ماكنا عايشين قبل سنة ٥٢ وناخد شوية معونات ولا يكون لها أى كلمة فى الشئون العالمية وليس لها الا أن تسمع أوامر وتنفذ هذه الأوامر .

البلاد اللى اتبعت سياسة سلبية طبعا داخليا لم تستطع أبدا أن تطور نفسها العالم اللى احنا عايشين فيه لا يستيطع انسان ، ولا تستطيع دولة أن تعيش داخل حدودها وتعزل نفسها عن الثانية قيمتنا فى العالم على قد عملنا الداخلى وعملنا فى الداخل يكبر بقدر تأثيرنا فى الشئون الدولية وفى الشئون العالمية ..

هذا العالم اللى بنعيش فيه كل شعب وضع كل شعب يتحدد فى اسهام هذا الشعب فى قضايا العالم المعاصر . بدون اتصالاتنا الخارجية بدون عملنا الخارجى ماكناش نقدر ننفذ خطة التنمية ، ماكناش

البقية ص ١٩٤

زعماء العالم الاسلامى ...

الرئيس موديبوكيتا

رئيس جمهورية مالى

فى ١٤ نوفمبر سنة ١٩٦٤ - وصل الى القاهرة الرئيس موديبوكيتا رئيس جمهورية مالى فى زيارة رسمية استغرقت أربعة أيام . وذلك تلبية للدعوة التى وجهها اليه الرئيس جمال عبد الناصر أثناء انعقاد مؤتمر القمة للدول غير المنحازة .

فقد دعاه الرئيس لتبادل الرأى فى التطورات الخطيرة والمتلاحقة فى روديسيا الجنوبية والكونغو والمستعمرات البرتغالية ، وجنوب افريقيا .

وتعتبر المباحثات التى تمت فى هذه الزيارة بين الرئيسين جمال عبد الناصر وموديبوكيتا من أهم وحدات التفاعل الافريقى الذى ظهرت مقدماته منذ كان مؤتمر باندونج ثم ظهرت آثاره فى مؤتمر القمة الافريقى الأول فى أديس أبابا ثم أصبحت هذه الآثار قوة دافعة فى المجالات الدولية فى مؤتمر القمة الافريقى الثانى الذى عقد فى القاهرة .

نتائج المحادثات :

بدأت المباحثات الرسمية بين الرئيسين جمال عبد الناصر وموديبو كيتا رئيس جمهورية مالى فى مساء ١٦ نوفمبر ١٩٦٤ - بالقصر الجمهورى بالقبة . وحضرها من الجانب العربى : زكريا محيى الدين نائب رئيس الجمهورية وعلى صبرى رئيس الوزراء والدكتور مصطفى خليل نائب رئيس الوزراء ومحمود رياض وزير الخارجية ومحمد أبو نصير وزير الاسكان والمرافق ورئيس بعثة الشرف المرافقة للرئيس المالى ومحمد فايق مدير الشئون الافريقية برياسة الجمهورية .

الرئيس يستقبل موديبوكيتا

فى القاهرة

ومن الجانب المالى « باريما بوكوم » وزير الداخلية ـ و « سيتانى كيتا » وزير التخطيط و « أطاهير ميجر » وزير الاقتصاد والتجارة ، و « موديبو ديااللو » سفير مالى فى القاهرة و « يابارکو » مستشار السفارة بالقاهرة ٠

وقد صرح السيد/محمد فايق بأن المحادثات بين الرئيسين تمت فى جو من الصداقة والمودة وتبودلت خلالها الآراء حول تطورات الأحداث العالمية والقضايا الافريقية الهامة وتدعيم الصداقة والتعاون بين جمهورية مالى والجمهورية العربية المتحدة ٠

وقد تأكد خلال هذه المحادثات التلاقى التام فى وجهات النظر وأعرب الرئيسان عن ارتياحهما للنتائج التى أسفر عنها مؤتمر القاهرة لرؤساء دول وحكومات البلاد غير المنحازة وأكدا عزمهما على المضى فى تنفيذ جميع مقررات هذا المؤتمر ٠

واستعرض الرئيسان النتائج التى حققتها منظمة الوحدة الأفريقية منذ نشأتها وأبديا ارتياحهما لهذه النتائج كما أكدا ثقتهما فى منظمة الوحدة الافريقية باعتبارها الوسيلة الفعالة لايجاد التعاون الحقيقى وتحقيق التضامن الكامل بين شعوب افريقيا ٠

وقد استعرض الرئيسان ما وصلت اليه علاقات التعاون بين الدولتين فى ضوء الاتفاقيات الاقتصادية والثقافية والمعونة الفنية المعقودة بين البلدين وأبديا ارتياحهما للنتائج التى حققها هذا التعاون ٠ كما اتفق الرئيسان على أسس جديدة لزيادة تنمية هذه العلاقات فى جميع المجالات ٠

واتفق الرئيسان على ايجاد الاتصال المستمر وتبادل وجهات النظر باستمرار بين الاتحاد السودانى فى مالى والاتحاد الاشتراكى العربى فى الجمهورية العربية المتحدة وتدعيم الصلات الأخوية وتوثيق الروابط بين شعبى مالى والجمهورية العربية المتحدة ٠

الرئيس موديبو كيتا

- ولد فى ٤ مايو ١٩١٥
- تلقى تعليمه العالى فى مدرسة وليام بونتى فى دكار ٠
- عمل مدرسا حتى سنة ١٩٤٦ ـ كما انضم الى حزب التجمع الديموقراطى الافريقى ٠
- سنة ١٩٤٧ سافر الى باريس لجمع أبناء وطنه تحت لواء حزب التجمع الديمقراطى
- سنة ١٩٤٩ سافر الى أوروبا للدعوة الى استقلال بلاده وبمجرد وصوله ألقى القبض عليه ثم أفرج عنه ٠
- سنة ١٩٥٦ أنتخب عضوا فى الجمعية الوطنية فى السودان الفرنسى ٠
- ١٩٥٦ عين عمدة لمدينة باماكو ٠
- فى نوفمبر ١٩٥٨ عين نائبا فى المجلس التشريعى بالسودان الفرنسى ٠
- فى يناير سنة ١٩٥٩ عين رئيسا للمجلس الاتحادى ٠
- فى ابريل سنة ١٩٥٩ عين رئيسا لحكومة اتحاد مالى ٠
- فى يناير سنة ١٩٦١ أعيد انتخابه رئيسا لجمهورية مالى بالاجماع ٠

المنظمات الشعبية قبل الثورة

السيد/ حسين الشافعى
نائب رئيس الجمهورية

يقول الميثاق « ان حق التصويت فقد قيمته حين فقد اتصاله المؤكد بالحق فى لقمة العيش »

ويقول ايضا « ان حرية التصويت من غير حرية لقمة العيش وضماناتها فقدت كل قيمة وأصبحت خديعة مضللة للشعب ..

ويقول .. « وتحت هذه الظروف أصبح حق التصويت امام احتمالات هى انالتصويت كان اجباريا للفلاح :

« وفى الريف وفى المدينة كان شراء الأصوات يمكن رأس المال المستغل من يأتى بأعوانه . وفى الريف وفى المدينة لم تتورع المصالح الحاكمة فى عديد من الظروف ان تلجأ الى التزوير المكشوف .

« وان حرية التنظيم الشعبى التى تسند حرية التمثيل فقدت هى الأخرى بتأثير هذه الظروف فاعليتها ، وعجزت عن التأثير ايجابيا على الأوضاع المفروضة داخل الوطن

« وان ملايين الفلاحين طحنتهم الاقطاعيات ولم يتمكنوا على الاطلاق من تنظيم انفسهم واسماع صوتهم للاجهزة المحلية ، فضلا عن تصور الحكم فى العاصمة .

« وحرية النقد ضاعت بضياع حرية الصحافة ،وسلطة الدولة فى التشريع استعملت فى اخضاع الصحافة للمصالح الحاكمة

« وان تحالف الاقطاع والرجعية الحاكمة باشر ضغطه على جماعات كثيرة من المثقفين فكسر مقاومتها ، وفرض عليها أن تستسلم »

واذا كنا نحن اليوم فى هذه المرحلة من بناء التنظيمات الشعبية نعمل بعد ان ازيلت العقبات . فقد أزيلت عقبة الاستعمار ، وازيلت عقبة الاقطاع ، وازيلت عقبة سيطرة راس المال على الحكم كنوع من التحكم .

وبعد ان زالت آثار هذه العقبات قامت العدالة الاجتماعية التى عبرت عنها قوانين يوليو الاشتراكية سنة ١٩٦١ وكذلك شعر كل شخص أن له حقا فى العمل حين وفرت له الدولة هذا العمل .. وشعر ايضا ان له حقا

• لم يكن لنا ذنب فى رواسب الماضى ... غير أن الدين علينا كبير إذا لم نعمل على إزالته

• كانت حرية التصويت من غير حرية لقمة العيش قبل الثورة خديعة مضللة للشعب .

كانت هذه هى صورة الافراد والتنظيمات الشعبية كما رسمها الميثاق .

والواقع اننى حينما استخرجت هذه النقط من الميثاق أردت أن اضعها فى تصوير التنظيمات أو الأجهزة الشعبية قبل الثورة.. قصدت ان نشترك جميعا فى تصوير الرواسب التى ورثناها ، وليس لنا ذنب فى هذه الرواسب .. غير أن ديننا سيكون كبيرا جدا اذا لم نعمل على ازالة هذه الرواسب فى اجراءاتنا نحو اقامة الديمقراطية السليمة .

فى الرزق وحقا فى المستقبل حين أمنته الدولة فى شيخوخته ومرضه وفى كل الظروف التى يمر بها .

بعد كل هذا .. حان الوقت المناسب لتقوم منه الديمقراطية السليمة التى يشعر فيها كل مواطن بالفعل ان ظروفه التى مر بها فى الماضى لم تكن تعطيه الفرصة ليعبر عن رأيه بصراحة ، بينما أصبحت ظروفه اليوم مواتية لاقامة الديمقراطية السليمة .

حديث

مع سفير اليمن بالقاهرة

السيد محمد بن أحمد المطاع

اليمن بعد عامين من انتصار اليمن

*** اليمن بعد عامين من انتصار الثورة**

قامت الجمهورية العادلة فى اليمن لتواجه تخلفا عمره أكثر من ألف عام ، فاليمن هى الدولة الوحيدة فى العالم التى لم تستطع المدنية ان تدخلها قبل الثورة .. كل شىء كان محرما على الشعب اليمنى . العلم . العلاج . العدالة . حق الحياة .. كان اليمن مغلقا على نفسه فى عهد الامام .. وجاءت الثورة .. وأخرجت شعب اليمن من عزلته وحطمت قيوده وتغير تفكير الشعب وبدأ يتطلع الى المعرفة والتعاون وأصبح الآن يمد يده للعالم الخارجى ويتعاون معه .

الرئيس جمال عبد الناصر يصافح السفير اليمنى بالقاهرة

اليمن .. يشهد ثورة ناهضة فى مجال التعمير والبناء ...

دخلت الآلات الزراعية الحديثة الميدان الزراعى بفضل ما قدمته الجمهورية العربية المتحدة فى هذا المجال

وفى سفارة اليمن بالقاهرة .. التقيت بالسفير اليمنى الجديد . وسألت سيادته عما انجزته الثورة اليمنية فى عامين .

قال سيادة السفير :

قبل الثورة كان اليمن منكمشا خلف حدوده يعيش البلد فى ركود ولا يعرف أبناؤه ما يجرى حولهم .. أما الآن فقد بدأ يشعر ببلده ويشعر بارتباطه بها وبضرورة مساهمته فى تطويرها .

فى اليمن الآن حركة بناء وتعمير .. وخلال العامين الماضيين تغيرت صورة اليمن بشكل ملحوظ ـ ففى كل مكان تشيد العمارات والمبانى الحديثة . واول عمارة حديثة بنيت فى اليمن تم انشاؤها يوم ٢٦ سبتمبر ١٩٦٣ أى منذ عام واحد فقط . وانشىء فى الحديدة « ٦٠٠ ستمائة مسكن شعبى » والحكومة الآن تخطط لبناء مساكن أخرى فى صنعاء ان الظاهرة الواضحة هى العمل والبناء فى كل مكان .. فعمال يرصفون طرقا جديدة . وآخرون ينشئون بيوتا حديثة وغيرهم يركبون أعمدة اضاءة جديدة .. ومن أهم المشروعات التى تم تنفيذها الانتهاء من تمهيد طريقين جديدين أحدهما بصنعاء ويربطها بمطار الرحب وطريق آخر بالحديدة ليصلها بتعز . واكبر الشوارع اتساعا اطلق عليه اسم (شارع جمال عبد الناصر) ـ وقداصبح باليمن اكثر من مطار مجهز بأحدث الوسائل وفى ميدان الزراعة ، دخلت الآلات الزراعية الحديثة الميدان الزراعى بفضل ما قدمته الجمهورية العربية المتحدة من آلات حديثة وقام المهندسون المصريون بتركيبها وتدريب اليمنيين على تشغيلها . ذلك لأن الجمهورية العربية المتحدة تفهمت الاوضاع فى اليمن ودرست الظروف الزراعية والأرض والتربة لذلك نجح مشروع الزراعة نجاحا باهرا فى اليمن لأن أرضه خصبة بطبيعتها وبهاامكانيات كثيرة الا انها كانت مهملة فى العهد البائد وكانت المياه تترك لتتسرب الى البحر دون الاستفادة منها فى توزيع الرى وتنظيمه

كذلك قدمت لها (الهند) الآلات الزراعية الحديثة .. والآن انتهى العمل من انشاء ثلاث مزارع نموذجية جديدةبالاضافة الى معمل لصناعة الالبان .

كذلك قدمت « دولة الكويت الشقيقة » مساعدات سخية . فساهمت فى بناء مستشفيات عدة فى صنعاء والحديدة وتعز .. وسوف تزود هذه المستشفيات بالاسرة والأجهزة الطبية اللازمة . كذلك انشأت عدة

مدارس .. وشيدت الجمهورية العربية المتحدة مدرستين ثانويتين حديثتين .

كما تم انشاء مصنع للغزل والنسيج فى منطقة سقوب .

ولم يكن لليمن قبل الثورة جيش بالمفهوم الحديث ، فكان بناء جيش قوى من أهم اهداف الثورة فأنشئت المدارس العسكرية لمختلف الاسلحة وكلية حربية وكلية للشرطة .

اما فى ميدان الصحافة : فلم تكن تصدر فى اليمن فى عهد الامام صحف سوى صحيفة (الايمان) ولم تكن منتظمة . فقامت الثورة بتركيب آلات الطبع واستقدمت الخبراء العرب لتشغيلها وتدريب اخوانهم اليمنيين على الطباعة وتفكر حكومة الثورة فى احضار مطابع أتوماتيكية وقد تدرب فى الجمهورية العربية المتحدة زمرة من الشباب اليمنى الصالح لانشاء صحافة . وتصدر الآن فى صنعاء نشرة يومية هى اخبار اليمن) ومجلة اسبوعية اسمها (الثورة) وجريدة (الجمهورية) أسبوعية .. واليمن متعطش للقراءة وصحف القاهرة تصل اليمن فيقرأها اليمنيون كلها فالصحيفة لليمنى نافذة جديدة على العالم الذى يريد ان يعرفه .

وقبل الثورة لم يكن يوجد مدارس ثانوية. وكانت المدارس الاعدادية ثلاثة وأغلقت فى عهد الامام . والمدارس الابتدائية عشرة فقط .. والآن .. وخلال عامين انشأت (١٧٠ مدرسة) ابتدائية واعدادية وثانوية . ومنها اول مدرسة اعدادية للبنات .. فقد انتشر تعليم البنات بعد ان كان محرما عليها التعليم ومن المشروعات المستقبلة مشروع انشاء معلبات و٦ زوارق صيد ومصايد للأسماك وثلاجة تتسع لعشرة أطنان من السمك لحفظه وتعليبه فى الحديدة ، فمن المعروف ان البحر الاحمر يشتهر بكثرة اسماكه .

لقد اجتازت الثورة اليمنية مرحلة الدفاع عن بقائها ، وأصبحت على ابواب مرحلة البناء الداخلى . فكل ما فى اليمن الآن له ملامح جديدة .. ويبدو عليها مظاهر الاستقرار والاطمئنان الى مستقبلها .

التعاون بين اليمن والجمهورية العربية المتحدة :

وقال سيادة السفير : ان اليمن والجمهورية العربية المتحدة وطن واحد وشعب واحد .. كتب وحدته بالدم لا بالاقلام وشعب اليمن من أصغر فرد فيه حتى رئيسه يكنون للجمهورية العربية المتحدة ورئيسها جمال عبد الناصر أعظم تقدير وأكبر ولاء لأنهم أحسوا وتيقنوا من التعاون الصادق الذى لاتشوبه شائبة ولا يهدف الا الى نصرة العرب ورفع كلمة العرب

اللجنة التحضيرية اليمنية فى ((أركويت)) بالسودان :

وسألت سيادة السفير عن اجتماع اللجنة التحضيرية اليمنية الذى تم فى ((أركويت)) بالسودان والظروف التى ادت الى انعقاد هذا الاجتماع .. ونتائجه .. فقال سيادته :

ـ شهدت اليمن فى الايام الاخيرة تطورات هامة وحاسمة من أجل استقرار النظام الجمهورى بها وتدعيمه بقوى الشعب اليمنى من اجل حقن الدماء وبداية العمل فى سبيل اعادة البناء وبدون عوائق . وقد عقد هذا الاجتماع نتيجة لاتفاق عقد بين الرئيس جمال عبد الناصر والملك فيصل ملك السعودية عند حضوره للجمهورية العربية المتحدة للمشاركة فى مؤتمر القمة العربى الثانى بالاسكندرية ومؤتمر عدم الانحياز فى القاهرة . وقد تم الاتفاق فى روح عربية اقتضت تنقية الجو العربى كله وتسوية المنازعات العربية . وفيما يلى النص الرسمى للبيان الذى صدر عن اجتماع اللجنة التحضيرية فى أركويت وهو البيان الذى أذيع فى القاهرة وجدة وصنعاء فى وقت واحد ... البيان ..

((تجاوبا مع الاتصالات التى قامت بها كل من الجمهورية العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية لتهيئة جو من التفاهم للوصول الى حل الخلافات القائمة فى اليمن بالطرق السلمية فقد تم اجتماع مشترك على صورة لجنة تحضيرية فى أركويت بالسودان فى الفترة من ٢٣ جمادى الآخرة عام ١٣٨٤ هجرية الموافق ٢٩ أكتوبر عام ١٩٦٤ ميلادية الى ٢٧ جمادى الاخرة الموافق ٢ نوفمبر عام ١٩٦٤ ميلادية وتوصل المجتمعون الى مايلى :

بسم الله الرحمن الرحيم :

من أجل اليمن العزيزة وفى سبيل سعادة شعبها العظيم ورغبته فى أن يسود السلام والاستقرار فى ربوعها واذعانا لقداسة الشريعة الاسلامية الغراء التى تدعو الى حقن دماء المسلمين على أساس الحق والعدل وتجاوبا مع روح الاخوة والتفاهم واستنادا الى الاتفاق الذى تم بين سيادة الرئيس جمال عبد الناصر وجلالة الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود فى الاسكندرية يوم ٨ جمادى الاولى عام ١٣٨٤ هجرية الموافق ١٤ من سبتمبر عام ١٩٦٤ ميلادية وتقديرا لما تأكد من حرصهما على سلامة كيان اليمن ورقى الشعب اليمنى وحريته ووحدته وأمنه وحقن دماء بنيه ٠

تكونت لجنة تحضيرية تمثل الفئات اليمنية المختلفة واجتمعت فى أركويت بجمهورية السودان من يوم الخميس ٢٣ من جمادى الآخرة **عام ١٣٨٤ هجرية الموافق ٢٩ من اكتوبر عام ١٩٦٤ ميلادية حتى يوم الاثنين ٢٧ جمادى الاخرة عام ١٣٨٤ هجرية الموافق ٢ نوفمبر** عام ١٩٦٤ ميلادية وتدارست فيما بينها الأحوال العامة فى اليمن وانتهت الى القرارات الآتية :

اولا : ايقاف اطلاق النار وأعمال العنف ابتداء من الساعة السابعة مساء يوم الاحد ٤ رجب ١٣٨٤ هجرية الموافق ٨ نوفمبر ١٩٦٤ ميلادية للساعة الواحدة مساء ٠

ثانيا : عقد مؤتمر وطنى يمنى فى مدينة يمنية فى يوم الاثنين التاسع عشر من رجب عام ١٣٨٤ هجرية الموافق الثالث والعشرين من نوفمبر عام ١٩٦٤ ميلادية لوضع الأسس الكفيلة بحل الخلافات القائمة بالطرق السلمية واستقرار الأمور فى اليمن ٠

ثالثا : يحضر المؤتمر اليمنى ١٦٩ شخصا من العلماء والمشايخ والقادة العسكريين وأهل الرأى والخبرة من أهل الحل والعقد بحسب النسب التالية :

ثلاثة اثمان من العلماء ـ ثلاثة اثمان من المشايخ ٠٠ ثمنان من القادة العسكريين وأهل الرأى والخبرة ٠ على ان ينضم الى هؤلاء اعضاء اللجنة التحضيرية انفسهم وعددهم ١٨ شخصا

رابعا : يلتزم المجتمعون بتنفيذ هذه القرارات كما يطالبون الجمهورية العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية مجتمعتين أو كلا منهما من جانبها أن تساعد على تنفيذ هذا الاتفاق ٠

خامسا : ولقد تم الاتفاق على هذه القرارات بحضور الاشقاء الاكارم من القطرين الشقيقين الجمهورية العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية : وهم السادة : السفير أحمد شكرى العميد أركان حرب محمد محمود قاسم ـ محمد عبد الواحد ـ السفير الدكتور رشاد فرعون ـ الزعيم محمود عبد الهادى ـ التوقيع : اللجنة التحضيرية :

محمد محمود الزبيرى ـ محمد احمد نعمان ـ على بن ناجى القوسى ـ محمد ابن احمد المطاع ـ على ناصر عارينى ـ احمد محمد حادى ـ محمد عبد الواسع حميد ـ محمد بن محمد القوصى ـ العقيد عبده كامل ـ العقيد على الربيعى ـ احمد محمد الشامى ـ محمد ابن على بن ابراهيم ـ حسين موفق ـ احمد الحكمى ـ حسن بن اسماعيل ـ يحيى مكى الكسيل ـ عبد الرحمن عبد الواسع ـ صلاح المصرى ٠

المراقبون :

السفير أحمد شكرى ـ العميد أركان حرب محمد محمود قاسم ـ محمد عبد الواحد ـ السفير الدكتور رشاد فرعون ـ الزعيم محمود عبد الهادى »

وبعد :

بقى أن نعرف أن سفير اليمن كان من قبل **ناظرا للأوقاف فى أيام الملكية فى صنعاء ٠٠** ولما قامت الثورة فى ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ عين محافظا للواء الحديدة لمدة عام ٠٠ ثم عين محافظا للواء صنعاء لمدة ٥ أشهر ٠

ثم عين سفيرا لليمن فى الجمهورية العربية المتحدة فى ١٣ مارس ١٩٦٤ وهو أديب وكاتب وله عدة مقالات فى جريدة (الايمان) ومقالاته علمية أدبية ٠٠ وقد وعد بامداد مجلة منبر الاسلام بمقالاته القيمة ٠

الرمزية

فى عالم الرؤى والأحلام

كما نراها فى سورة "يوسف" عليه السلام

فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى

أن ((الرؤى والأحلام)) شأن طبيعى من شئون الانسان، يشغل شطرا كبيرا من تفكيره، ويؤدى دورا هاما فى حياته ، فما منا الا من يرى رؤيا أو حلما فى الحين بعد الحين يصبح فيقصه على من حوله ، ويحاول جاهدا ويحاولون معه أن يفسروه ويؤولوه ويحلوا لغة رموزه ، كأنه رسالة غيبية أو روحية لها شفرة خاصة ذات مصطلحات اذا عرفت عرف مضمونها ، وفهم غرضها .

وقد تضمنت سورة يوسف عليه السلام عدة رؤى قصها علينا القرآن الكريم .

احداها : رؤيا يوسف وهو صبى ((اذ قال يوسف لأبيه : يأبت انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين، قال يابنى لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين)) .

وقد قامت السورة على هذه الرؤيا ، ودارت حوادثها على الجملة فى اطارها ، حتى تحققت بدخول أبويه عليه وهو فى منصبه العظيم بمصر بعد أن ظفر باخوته ، وخر الجميع بين يديه سجدا ، وذلك ما قصه علينا القرآن الكريم بقوله تعالى : ((فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين ، ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا ، وقد أحسن بى اذ أخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى أن ربى لطيف لما يشاء ، انه هو العليم الحكيم)) .

والرمز فى هذه الرؤيا واضح : فالأحد عشر كوكبا هم اخوته والشمس والقمر هما أبواه ، والسجود اشارة الى الخضوع والطمأنينة فى نهاية الأمر .

وفى قصة هذه الرؤيا توجيهات الى أمور نفسية :

منها : أن يوسف عليه السلام اهتم بهذه الرؤيا التى رآها وأثرت فى نفسه تأثيرا خاصا ، حيث كانت واضحة له ، مؤذنة بشىء خطير فى مستقبل حياته ، فحدث بها أباه دون اخوته منبعثا بحاسة فطرية صادقة جعلته يتجه بها الى أبيه الذى يغمره دائما بعاطفة الحب والرعاية ، ويشفق عليه أيما اشفاق ، وفى ذلك توجيه الى أن يختار المرء لأحاديثه وآماله فى منامه - ومن باب أولى : فى يقظته - من هو أهل لحفظ أمانته ، والفرح بفرحه ، والأسف بأسفه ، فان الحديث عن حوادث المرء انما هو شكوى أو تشاور ، وكلاهما لا ينبغى أن يكون الا لمن هو جدير به من أهل الاخلاص والمحبة والرأى الراشد :

وفى الشكوى الى المحب المخلص يقول بشار ابن برد :

ولا بد من شكوى الى ذى مروءة
يواسيك ، أو يسليك ، أو يتوجع !

أما الشكوى الى غير محب مخلص ، فهى كما يقول شاعر آخر :

ولا تشك الى نذل فتشمته
شكوى الجريح الى العقبان والرخم!

فهل ترى الجريح الذى أثخنت جراحته فى واد سحيق يشكو الى الطيور الجارحة من « عقبان ورخم » وهى التى يلذ لها أن ترى منظر جراحه ودمائه ، وتود لو استطاعت أن تجهز عليه وتفترسه ؟.

وفى استشارة من هو أهل للاستشارة يقول بشار أيضا :

اذا بلغ الرأى المشورة فاستعن
برأى نصيح ، أو نصيحة حازم

ومنها أن يعقوب عليه السلام كان أبا واعيا ناصحا ، يعرف من مراقبته لأبنائه ، وملابسته لأحوالهم : أنهم يكرهون أخاهم يوسف كراهة حسد لما هو عليه من نجابة وذكاء ومخائل رجولة ونباهة ، وذلك ضعف طبيعى فى بعض الاخوة منذ أول الخليقة يوم قتل ابن آدم أخاه : ((اذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر ، قال لأقتلنك ، قال انما يتقبل الله من المتقين .. فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فاصبح من الخاسرين)) .

وفى ذلك درس للآباء أن يتفطنوا لحال أولادهم ، ويدرسوا أخلاقهم ونفوسهم ، ليعالجوا مشاكلهم على ضوء من هذا التفطن ، ومن هذه الدراسة ، فهم مسئولون عنهم ، وانا لنرى كثيرا من الآباء يغيب عنهم أمر أولادهم ، ويغفلون عن مراقبتهم حتى تضطرب أحوالهم وربما ساروا فى طريق الغواية ، فيندم الآباء ولات ساعة مندم .

ومنها : أن يعقوب عليه السلام استباح لنفسه أن يحذر ابنه يوسف من كيد اخوته ، وذلك من حقه ، ولا يعد ايقاعا بينه وبين الاخوة ، فهو يعلم من حال يوسف ومن كريم خلقه ، وعالى أدبه ، ما جعله آمنا من أن تفسد بذلك نفسه على اخوته ، ولم يكن له بد من هذا التحذير ، حيث رأى خطرا يكاد يحيق به ، فليس من الرأى أن يتركه يرتطم فيه دون تنبيه وتوعية .

والآباء ينبغى لهم أن يقدروا ظروف أبنائهم فى مثل ذلك ، وأن يتخذوا لها العلاج فى ضوء العدل والمصلحة حسبما يتراءى لهم بعد تقليب الأمور والتدبر فيها .

* * *

ولقد كانت هذه الرؤية التى رآها يوسف بشرى له ، وبشرى لأبيه ، عليهما السلام ،ما زال وميضا يتلألأ أمامهما فى أحلك أوقات حياتهما ، فيربط قلوبهما بشعاع من الأمل والثقة بعدل الله ورحمته ، فلعل يوسف ، ولعل أباه ، كانا يتمثلانها صابرين محتسبين أحدهما فى سجنة الرهيب ، والآخر فى حزنه الكئيب .

وهذا يشعر بأن الرؤى الصالحة - كما وصفها رسول الله صلى الله عليه وسلم - هى لون من ألوان التبشير الالهى للمؤمن ، حيث قرر : أن الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له ، من المبشرات .

وهنا نجد فلسفة الاسلام فى الرؤيا تختلف عن فلسفة علماء ذلك الشأن فى الشرق او الغرب ، فانهم يجعلون الأحلام نوعين لا غير : اما حديث نفسى عما يشغل الانسان فى واقع حياته ، واما تفريج منامى خيالى عن أمور مكبوتة فى نفس صاحبها ، حيث يتخذ العقل الباطن من الأحلام متنفسا لهذا الكبت الذى يقع فى اليقظة ، فنقول لهم : هذا نوع ثالث دل عليه القرآن الكريم ، والسنة الصحيحة ، ليس حديثا للنفس عن واقع يشغل النفس ، وليس تفريجا عن كبت يحس به الرائى ، وانما هو بشرى يبشر الله بها صاحبها ، وتفصح رموزها فى مستقبل أمره عن واقع غيبى يتحقق ، فان يوسف لم يكن يدور بخلده حين راى رؤياه ان مستقبلا كهذا ينتظره ، ولم يكن يكبت فى نفسه آمالا عن هذا المستقبل ، فذلك لا يكون عادة فى مثل سنه .

والخلاصة أن فلاسفة الأحلام يخرجونها تخريجا ماديا بحتا ، وذلك صحيح فى بعضها ، ولكنهم ينسون أن لبعضها أيضا اشارات عن واقع غيبى كثيرا ما يتحقق تحققا جزئيا أو كليا ، فزعمهم أن الأمر مادى فحسب ، نقص فى التتبع ، أو هروب من الاعتراف بعالم الروح ، اما الاسلام فيعترف بهذا وذاك ، ويعرف منه أن الروح قد تستشف أمرا من أمور الغيب على سبيل الرؤيا الصالحة التى جعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم من « المبشرات » وقرر أن بينها وبين النبوة نسبة ، حيث قال : « انها جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة » .

وقد يقول قائل : أن الرؤيا الصادقة تكون أحيانا مشيرة الى شر يصيب صاحبها فى مستقبل أمره ، كما تكون أحيانا دالة على خير ، فكيف تسمى فى الحالة الأولى مبشرة ، وانما هى منذرة أو محذرة ؟.

فالجواب : أن الانذار والتحذير عن مستقبل مجهول أمره تمام الجهل ، فيه لطف بالرائى ورحمة من الله ، حيث يهيئه نوعا من التهيئة لتلقى ما يكون ، بعد شعور به على نحو ما فيتدبر امره ولا يأتيه ما يأتيه فجأة وهو عنه غافل ، وهذا ان لم يكن تبشيرا فيما تجرى به عادة المتكلمين ، فهو فى معنى التبشير ، وقديما قيل :

لقد بشرنى من حذرنى .

* * *

ومن الرؤى التى قصتها علينا سورة يوسف ما رآه صاحباه فى السجن : « ودخل معه السجن فتيان ، قال أحدهما : انى أرانى أعصر خمرا ، وقال الآخر انى أرانى أحمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه ، نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين ، قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ، ذلكما مما علمنى ربى ، انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون ، واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحق ويعقوب ، ما كان لنا أن نشرك بالله من شىء ، ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ، ياصاحبى السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ؟ ما تعبدون من دونه الا أسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما أنزل الله بهامن سلطان ، ان الحكم الا لله ، أمر الا تعبدوا الا اياه ، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، يا صاحبى السجن أما أحدكما فيسقى ربه خمرا ، وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه ، قضى الأمر الذى فيه تستفتيان » .

وفى قصة هاتين الرؤيين كثير من الفوائد والتوجيهات :

فمن ذلك ما يدل عليه الكلام من أن يوسف عليه السلام كان فى سجنة محترما محبوبا بين النزلاء ، لما رأوه عليه من أخلاق حسان ، ولما عرفوه فيه من علم وقوة ايمان .

يدل على ذلك قول صاحبيه فى السجن : « انا نراك من المحسنين » وهما لا يقولان ذلك الا وقد رايا منه احسانا فى المعاملة والسلوك وفيما يصدر عنه من حديث ، وفى بعض ما يروى فى كتب التفسير : أنه عليه السلام كان يواسى المسجونين المظلومين الذين انقطع رجاؤهم واشتد بلاؤهم فيقول لهم :

اصبرو ، وابشروا تؤجـروا ، فقالوا له : يا فتى ما أحسن حديثك ، لقد بورك لنا فى جوارك ، وكان يعبد الله فى سجنه ، ويصلى لله ، واستأنس به اهل السجن وأحبـه السجان حتى وسع عليه فى سجنـه وكان يقول له : يا يوسف لقد أحببتك حبا لم أحبه أحدا مثلك .

وفى بعض ما يروى أيضـا أن هذين الصاحبين فى السجن لما رأيا حاله فى عبادته واستقامة خلقه ، ورحمته بمن معه فى سجنه، سألاه عن علمه ، فعرفا منه أنه يعرف فيما يعرف تأويل الأحلام ، فلما رأى كل منهما بعد ذلك رؤياه التمسا منه تأويلها قائلين : انا نراك من المحسنين ، أى من العالمين الذين احسنوا العلم وأحسنوا الخلق والتعامل مع الناس .

ومن ذلك : أن يوسف عليه السلام انتهز فرصة السجن فكان فيـه داعيا الى الله بالقدوة الحسنة فى عبادته وسلوكه ، وبالقول البليغ الـذى يحث به على اتبـاع ملة الحق ، فلم يلهه ما هو فيه من الكرب عن أن يدعو لربه ، وينادى الى اتباع دينه ، ولما التمس منه الفتيان أن يؤول لهما ما رأيا ، دخل الى دعوتهمـا دخولا حسنا مشيرا لانتباههما ، حيث أجابهما بقوله : « لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبـل أن يأتيكما ، ذلكما مما علمنى ربى » .

والمفسرون فى هذا الموضع يرجعون الضمير فى قوله « بتأويله » الى الطعام ، أى لايأتيكما طعام الا نبأتكما بأمر هـذا الطعام قبـل أن يأتيكما ، وهم يريدون بذلك معرفة يوسف بأمر الغيب على وجه من الاعجاز ، كما ذكر الله عن عيسى ابن مريم عليه السلام اذيقول : وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم » .

وهذا التفسير فى رأيى غير جيد ، وانمـا الضمير فى قوله «بتأويله» لما رأيا من الرؤيا، وذلك أنهما قالا له حين أصبح الصباح : لقد رأينا كذا وكذا ، فنبئنا « بتأويله » أى بتأويل هذا الذى رأيناه ، فقال لهما ما معنـاه : سوف لا يأتيكما طعام الصباح حتى أكون قد نبأتكما « بتأويله » أى تأويل ما رأيتما ، فان لى علما بذلك ، وهو مما علمنى ربى .

فتقدير الكلام على هذا التفسير : لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله ـ أى بتأويل ما رأيتما ـ قبل أن يأتيكما ذلك الطعام ، وهو بهذا يريد أن يثبت لهمـا علمه بالتأويل ، وسرعته فى الافادة والافتاء ، ليؤثر عليهمـا بذلك تأثيرا حسـنا ، فيعتقدان فيه العلم والصدق وسرعة الافادة التى تدل على رسوخ القدم ، فاذا اعتقدا فيه ذلك ، سهل عليـه بعد هذا الاعتقاد أن يدعوهما الى دينـه ، وكان ذلك أدعى الى استجابتهما ، ولذلك قال لهما بعد هذا التمهيد : « ذلكما مما علمنى ربى ، انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله » الى آخر الكلام ، ولا بد انهما استمعا اليه وهما مأخوذان به ، مشدودان الى ما يقول ، لأنه أحسن المدخل الى مايريد ، وكذلك يجب أن يكون الدعاة ، وأن يسلكوا المسالك التى من شـأنها أن تجذب الاسـماع والقلوب اليهم ، فتلك ـ وأيم الحق ـ دراسـة قرآنية الهية يوسفية عن الوسائل الملائمـة للنفوس حين تدعى الى الحق ، فليعرفها اخواننا الفضـلاء من أئمة وواعظين .

ومن ذلك أن يوسف عليه السلام قد أفاض فى بيان دعوته وأقامها على الاسس الاصلية التى تقوم عليها الأديان كلها :

فذكر ان له ربا هو الذى علمه : « ذلكما مما علمنى ربى » .

وذكر أنه وازن بين ملتين احداهما باطلة ، والاخرى صحيحة ، فترك المـلة الباطلة ، واتبع الملة الصحيحة : « انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كـافرون ، واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحق ويعقوب ما كان لنا ان نشرك بالله من شىء » .

وتضمن ذلك اشادته بآبائه ولفت صاحبيه الى أن ملتهم تقوم على أساس توحيـد الله وعدم الاشراك به ، كما تضمن اشارة منه الى الى نبوتهم حيث ذكر فضـل الله عليهم ، وفضله على الناس بهم ، والى الايمان بالآخرة ويوم الحساب .

ثم دعاهما الى الموازنة بين أرباب متفرقين ورب واحد قهار ، أيهما خير : « أأرباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار » .

ثم أعلنهما ان ما يعبدون من دون الله هما وقومهما ، انما هم شركاء بالتسمية فقط لا بالواقع : « ما تعبدون من دونه الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان .

ثم انتهى الى تقرير الواقع والحقيقة فى شأن الألوهية والدين القيم : « ان الحكم الا لله ، أمر ألا تعبدوا الا اياه ، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

وبذلك استوفت دعوته أركان الايمان بالله ربا واحدا قهارا لا شريك له ، وباليوم الآخر ، وبالنبوات ، وبالدين القيم .

* * *

ويأتى بعد ذلك تأويله عليه السلام لما رأى الفتيان :

يذكر المفسرون أن أحد هذين الفتيين كان لخباز الملك ، وأن الآخر كان صاحب الشراب عنده ، وأنهما أغريا من أعداء الملك على دس السم للملك فقبل الخباز أن يفعل ، وأبى صاحب الشراب ، وافتضح الأمر قبل أن تتم المؤامرة ، فحبسهما الملك احتياطيا حتى يتبين أمرهما .

وليس فى القرآن حديث عن ذلك ، وهو لا يبعد أن يكون ، ولعل يوسف عليه السلام استعان بمعرفته صناعة كل منهما ، - مضموما ذلك الى ما ترمز به رؤياه - على التأويل الصحيح الذى سدده الله به ، ووفقه الى استنباطه .

ورمزية الخبز المحمول فوق الرأس ، الى القتل صلبا ، ترجع الى ما جرت به العادة من أن المصلوب يربط الى جذع من الاشجار ، وأن مصيره بعد قتله الى الطير تأكل من رأسه ، وتنقره بمناقيرها - وهذه الرمزية معتمدة على الواقع المشاهد .

وحمل الخبز من صاحب الخبز واقعة من شأنها أن تدور فى مخيلته ، فهو يؤمل أن يخرج من السجن ، ويعود الى الخبز والى أن يحمله فوق رأسه كما كان يفعل .

ولكن هذا الذى دار فى مخيلته لم يقع فيما بعد ، لأنه مجرد حديث نفسى أثاره فى النوم شغل صاحبه به فى اليقظة على ما يقوله علماء الرؤى ، وانما جعل ذلك رمزا الى معنى آخر بضميمة أكل الطير من هذا الخبز ، فأوله يوسف عليه السلام بأكل الطير من الرأس ، وذلك لا يكون الا عند القتل صلبا .

أما رؤيا الصاحب الآخر انه يعصر خمرا ، فهى وان كانت حديث نفس ، واشتهاء أمل ، ولكنها لم تقترن بما اقترنت به رؤيا الأول من الرمزية بأكل الطير من الخبز ، فكأن يوسف عليه السلام استشف من خلوص الرؤيا وخلوها عن رمز ، انه سينجو ويعود سيرته الأولى مع الملك ، فيصبح مرة أخرى ساقيه وصاحب شرابه .

وقد قلت : لعل يوسف عليه السلام قد استعان على تأويل ما رأى الفتيان بمعرفته صناعتهما ، وأقول لعلهما أيضا حدثاه حديث ما اتهما به ، فكان ذلك مما اعانه على التأويل .

وانما أقول ذلك ، لأن مؤول الرؤيا ينبغى له أن يعرف حال الرائى ليدخله فى اعتباره ، وقد روى عن بعض العلماء - ولعله ابن سيرين - أن رجلا جاءه ، فقص عليه أنه رأى فى منامه أن مؤذنا يؤذن ، فأولها له بانه سيحج ، وبعد مدة جاء رجل آخر فقص عليه مثل هذه الرؤيا تماما : أنه رأى مؤذنا يؤذن ، فأولها له بانه سارق ، فعجب بعض تلاميذه لاختلاف التأويل والرؤيا واحدة ، فقال له : انى آخذ تأويل الرؤيا من اشارات القرآن الكريم مع دراستى لحال الرائى ، فان الأول رجل صالح عابد مستقيم ، فأولت رؤياه بانه سيحج أخذا من قوله تعالى : « وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا .. » . أما الثانى فانى أعلم أنه رجل مرتكب غير مستقيم ، فأولت رؤياه أخذا من قوله تعالى : « ثم أذن مؤذن : أيتها العير أنكم لسارقون » .

والأمر – الى حد بعيد – امر فراسة ، وفراسة المؤمن العالم قلما تخيب .

***

والرؤيا الثالثة التى قصها علينا القرآن الكريم فى سورة يوسف عليه السلام ، هى ما ذكره الله بقوله :

« وقال الملك انى ارى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات ، يأيها الملأ أفتونى فى رؤياى أن كنتم للرؤيا تعبرون ، قالوا : أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين ، وقال الذى نجا منهما وادكر بعد امة أ أنا انبئكم بتأويله فأرسلون ، يوسف أيها الصديق أفتنا فى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف ، وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات ، لعلى أرجع الى الناس لعلهم يعلمون ، قال : تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه فى سنبله الا قليلا مما تأكلون ، ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون ، ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون » .

والرمزية فى هذه الرؤيا ترجع الى أمرين: أولهما : ايحاء بما سيكون فى السنوات الأربع عشرة المقبلة ، فهمه يوسف عليه السلام من السبع السمان والسبع العجاف التى تأكلها ، فأوله بسبع سنين من الخصب ، وسبع شداد يأتين بعدهن .

وثانيهما : ايحاء بالعلاج الذى ينبغى أن يتبع للتخلص من هذه الأزمة ، فهمه يوسف عليه السلام من وجود سبع سنبلات خضر وسبع سنبلات أخرى يابسات ، فأدرك أنه يجب الابقاء على بعض محصول السنين الخصبة ، بتدبير سياسة اقتصادية من شأنها أن تجمع فى وقت واحد متتابع بين المحصولات الجديدة ، المرموز اليها بسبع سنبلات خضر ، والمحصولات المدخرة المرموز اليها بسبع سنبلات يابسات ، وذلك لأن الملك رأى النوعين مجتمعين ، ولذلك بادر يوسف بذكر العلاج فقال على سبيل الأمر : « تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه فى سنبله الا قليلا مما تأكلون » . فأمرهم بالدأب على الزرع فى السنين السبع لكيلا يفتروا بالخصب فى عام أو أعوام متوالية فلا ينشطوا الى الزراعة ، كما جرت عادة الزراع بأن يتهاونوا فى زرع صنف اذا ترادف نجاحهم الزراعى فيه ، وكثر محصوله وفاض عن المعتاد ، وأمرهم كذلك بأن يحتفظوا بما حصدوه فى السنوات السبع يابسا فى سنابله الا قليلا مما يأكلون ، أى بأن يحتفظوا بالأكثر ولا يأكلوا الا الأقل ، وبذلك يترادف محصول السنوات السبع الأولى ، وينضم بعضه الى بعض فيجتمع الاخضر ، كل عام مع اليابس ويزداد المخزون عاما بعد عام حتى يتكون قدر احتياطى صالح للاعتماد عليه فى السبع الشداد .

اما العام التالى للسبع الشداد فليس مشارا اليه فى رؤيا الملك ، ولا مرموزا له برمز ، لكنه يفهم من أن السبع الشداد سيأكلن المدخرات من سنوات الرخاء « الا قليلا مما تحصنون » أى أنهم مطالبون أيضا بأن « يحصنوا » قليلا من مدخر السنوات السبع ، فلا يتركوا السبع الشداد تأتى على هذه المدخرات كلها ، بل يحصنون القليل منها لعام يأتى بعد ذلك ، يكون الناس فيه قد خرجوا من السنوات السبع الشداد ، وهم يترقبون ثمرات العام الجديد ، ولا بد لهم فى أثناء فترة الترقب من جزء يعيشون عليه ، فهذا الجزء هو ما اشير اليه بقوله : « الا قليلا مما تحصنون » .

وقد أدرك يوسف عليه السلام هذا المعنى ، وأشار فى شأنه بهذا العلاج فيما أشار به ، أخذا مما يحكم به النظر والتأمل من أنه مادامت سنوات سبع عجاف قادمة بعد السبع الخصبة ، فلا بد أن يكون بعد ذلك فترة ترقب للعام الجديد ومحصوله ، ولا بد من ادخال هذه الفترة فى حساب الاستعداد .

واذن فقوله تعالى : ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون ، معناه عام آخر من الشدة العظمى ، التى يكون من لوازمها أن «يغاث الناس» أى يدركوا

بالميرة وهم فى أشد الحاجة اليهـا ، فان « الفوث » انما يكون حين يصـل الامر فى الاحتمال والصبر الى آخر المدى ، كما يكون من لوازمها أن الناس «يعصرون» أى يلجأون الى دفع غائلة الحاجة الى الطعـام بعصر أى شىء من النبات والحشائش والأشجار كمـا يقع أيام المجاعات ، وللمفسرين هنـا تفسير لا نرضاه ولا نعرض له .

* * *

ومن حواشى الـكلام فى هذه الرؤيا : أن الملأ من أصحاب الملك ، لم يستطيعوا تأويلها ، فجعلوا يحولونه عن التمسك بمعرفة ما تؤول به ، بتقريرهم الامر على أنه حلم من الاحلام ، وليس رؤيا صـادقة ، وقد عبروا فى ذلك ، أو عبر القرآن عن المعنى الذى يقصـدونه بعبارة تشبه ما يعبر به علماء العصر فى شأن الاحلام وهى قولهم : « أضغاث أحـلام » والضغث فى اللغة : قبضـة من العيدان أو الحشائش ، وجمعه أضغاث ، وبها شبهـوا الاحلام المختلطة التى لا تتبين حقائقهـا ، فقولهم « أضغاث أحلام » أى حزم اخلاط من الاحلام ، وكذلك يقول أهل التعبـير الحديث : انالنائم تتراكم عليه تأملاتهوأفكاره ومخاوفه فى اليقظة ، فيحتفظ بها وعيـه الباطن ، فيراها فى النوم متراكمة متزاحمـة بعضهامن هنا وبعضهـا من هناك ، وذلك باصطلاح بعضهم هو « الهلوسة المنامية » .

ولكن الملأ من قوم الملك قد أخطأوا ، فـان الرؤيا كانت تمتاز بالوضوح والدقة ، وتشير بوضوحها ودقتها الى أنها ليست من قبيل « أضغاث الاحلام » أو « الهلوسة المنامية » ولكنهم جهلوا فهربوا بهذا الزعم ، على العكس مما فعل يوسف : « وفوق كل ذى علم عليم »

* * *

ذلك ما اردناه من حـديث عن الرمزية فى عالم الرؤى والاحلام ، كما تراها فى سـورة يوسف عليه السلام ، ونرجو أن يكون القراء قد افادوا من ذلك بعض الفـوائد ، وبالله التوفيق .

باب الحديث

فضيلة الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد

الحديث الثاني

عن ام المؤمنين عائشه - رضى الله عنها - قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » ..

الشرح

هذا الحديث رواه الامام محمد بن اسماعيل البخارى فى صحيحه فى اثناء كتاب الصلح ٢٢١/٥ بهامش فتح البارى ط بولاق ، ورواه الامام مسلم بن الحجاج فى صحيحه فى باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور ١٣٢/٥ ط استامبول - ٤٢/٢ ط بولاق .

ولا شك أن هذا الحديث أصل عظيم من أصول هذه الشريعة ، وقد بالغ جماعة من العلماء فجعلوه نصف علم الدين ، وهؤلاء ذهبوا فى بيان كونه نصف علم الدين مذهبين، فمنهم قوم أضافوا الى هذا الحديث حديث « **انما الأعمال بالنيات** » الذى سبق شرحه ، وقالوا : كل واحد من هذين الحديثين نصف علم الدين ، وذلك لأن حديث « انما الأعمال بالنيات » يتضمن المعيار الذى به تقاس الأعمال الباطنة وأن ماقصد به وجه الله تعالى فهو مقبول مثاب عليه ، وما لم يقصد به وجه الله تعالى فهو مردود على صاحبه وقد يعاقب عليه ، وهذا الحديث الذى نحن بصدده يتضمن المعيار الذى تقاس به الأعمال الظاهرة وأن ما وافق ما شرعه الله تعالى ورسوله فهو مقبول، وما لم يوافق ما شرعه الله تعالى ورسوله فهو مردود ، والأعمال لا تخرج عن هذين النوعين، فيكون كل واحد من الحديثين نصف علم الدين بهذا الاعتبار . ومنهم من ذهب فى بيان كونه نصف الدين مذهبا نظريا فقال : ان كل عمل من أعمال المكلفين يستدل على قبوله أورده بدليل مؤلف من دعويين تقول أحداهما : هذا عمل يوافق ماشرعه الله تعالى ورسوله وتقول الأخرى : وكل عمل يوافق الذى شرعه الله ورسوله فهو مقبول ، أو تقول الأولى : هذا عمل لا يوافق ما شرعه الله ورسوله ، وتقول الأخرى : وكل عمل لا يوافق ما شرعه الله ورسوله فهو مردود على صاحبه غير مقبول منه ، والدعوى الأولى من الدعويين فى الحالتين يستدل عليها بدليل يختلف باختلاف العمل ، والدعوى الثانية من الدعويين فى الحالتين يستدل عليها بهذا الحديث الذى نحن بصدده ، فهو دليل الدعوى الثانية فى كل عمل يستدل على قبوله أو على رفضه ، فهو نصف علم الدين بهذا الاعتبار ، ومن العلماء من ذهب الى أن هذا الحديث ثلث علم الدين - ومن هؤلاء الامام أحمد بن محمد بن حنبل - فأضاف اليه حديث « **انما الأعمال بالنيات** » وحديثا آخر رواه الامامان البخارى ومسلم عن النعمان بن بشير - رضى الله عنه - قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم يقول « **الحلال بين ، والحرام بين ، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس - الحديث** » وسنشرحه فيما بعد ان شاء الله تعالى ، ومن العلماء من جعل مدار هذا الدين على أربعة أحاديث كل واحد منها يكون ربع علم الدين ، وأكثر من ذهب الى هذا يذكر هذه الثلاثة ثم يضيف اليها حديث « **من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه** » وبعضهم يضيف الى الثلاثة غيره ، وهذا أمر يطول لو أننا حاولنا استقصاءه وتفصيله ، والغرض الدلالة

على أن هذا الحديث من الأصول الهامة فى هذه الشريعة وأنه مما تجب العناية بحفظه وفهمه على وجهه واعتبار الأمور التى يطلب حكمها بالمعيار الذى جعله الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - أساسا للقبول أو للرد ٠

وقوله - صلى الله عليه وسلم - « **أحدث** » معناه أوجد شيئا لم يكن موجودا ، وذلك بالاستقراء يكون على ثلاثة أوجه ، الوجه الأول: أن يخترع عملا ويعتبره طاعة ويعطيه الأحكام التى شرعها الله تعالى ورسوله للطاعات ، والوجه الثانى : أن يزيد فى الطاعة التى شرعها الله تعالى ورسوله أو ينقص منها شيئا لم يأذن الله ولا رسوله بزيادته أو نقصه ، والوجه الثالث : أن ينقل شيئا ما من طاعة الى طاعة أخرى ظنا منه أنه ما دام المنقول جزءا من طاعة والمنقول اليه طاعة أخرى فلا ضرر فى ذلك ، وغفل عن أنه ربما كان الشىء يقبل على صورة ولا يقبل على صورة أخرى ٠ ويستوى فى ذلك كله مسائل الاعتقاد ومسائل الأقوال ومسائل الأعمال الظاهرة والباطنة ٠

فأما الوجه الأول فنستطيع أن نقرر بوجه عام أن كل من أحدث شيئا ونسبه الى الدين من غير أن يكون له أصل فى الدين يرجع اليه ، فهذا الشىء ضلالة يبرأ منها الدين ، وهذا الذى أحدث هذا العمل ونسبه الى الدين ضال يجب على كل مسلم أن يتبرأ منه ، ومن أمثلته التقرب الى الله تعالى بسماع آلات اللهو والطرب ، فأما ان كان له أصل فى الدين فانه لا يحكم عليه بذلك ولا يسمى مبتدعا ولا محدثا ولا بدعة على المعنى الممنوع شرعا ، فان وقع فى لسان بعض السلف تسميته بدعة وجب أن يحمل على المعنى اللغوى - وهو ما لم يكن على هذا الوجه قبل الآن - ومن أمثلة ذلك ان عمر بن الخطاب جمع الناس فى عهده على صلاة قيام رمضان جماعة بامام واحد فى المسجد ، ثم لما رآهم يصلون كذلك قال : نعمت البدعة هذه ، ويروى أنه قال : ان كانت هذه بدعة فنعمت البدعة ، ووجه ما نذهب اليه من أنه لا يقصد بهذا الكلام أن هذا العمل يعتبر من البدع المحرمة شرعا أن له أصلا فى هذه الشريعة ، فقد كان النبى - صلى الله عليه وسلم - يحض على قيام رمضان ويكثر من الحث عليه ويرغب فيه ، وكان الصحابة فى زمانه - صلى الله عليه وسلم - يقومون رمضان ويؤدون صلاة القيام وحدانا وجماعات متفرقة فى المسجد ، وكان ابراهيم على هذه الحال فلا ينكر عليهم ، وقد ثبت أنه - صلى الله عليه وسلم - صلى بأصحابه فى رمضان غير ليلة ثم امتنع عن الصلاة بهم ، وعلل هذا بأنه خشى ان استمر على الصلاة بهم كل ليلة أن يفترض عليهم قيام رمضان ، فالذى حدث من عمر - رضى الله عنه - أنه جعل الامام واحدا وجعل الناس جميعا يصلون خلف هذا الامام الواحد ، أما صلاة القيام نفسها فقد كانت مشروعة مرغوبا فيها على عهد رسول الله ، وأما صلاة القيام فى جماعة فقد كانت مشروعة مرغوبا فيها فى عهده - صلى الله عليه وسلم - بدليل أنه فعلها معهم كذلك ، وأما جعل الامام واحدا والاستمرار على ذلك فلم يكن على عهد الرسول ، وكان له سبب ذكره لهم رسول الله حين سألوه عن عدم خروجه اليهم ، وهو أنه خشى أن يفرض عليهم ذلك فلا يطيقوه ، فلما انتقل الى الرفيق الأعلى وأصبح افتراضه عليهم غير جائز الوقوع لأنه لا تشريع بعده ، وأمن عمر - رضى الله عنه - ذلك ، ساغ له أن يفعله ، لأن أصله ثابت فى الدين ، فلو أن انسانا زعم أن قيام رمضان على هذا الوجه فريضة كان مبتدعا ضالا ، لأن رسول الله قد بين فرائض الله تعالى ولم يجعل منها قيام رمضان ، ولأنه - صلى الله عليه وسلم فعله وتركه ، ولو كان فرضا لما تركه

ومن أمثلة ذلك جمع الصحابة فى عهد أبى بكر - رضى الله عنه - القرآن فى صحف مرتبة ، فان هذا شىء لم يكن فى عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى أن عمر لما عرض على أبى بكر هذا الأمر توقف فيه ، ولما عرض عمر وأبو بكر هذا الأمر على زيد بن ثابت قال : كيف تفعلان شيئا لم يفعله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فما زالا به حتى شرح الله صدره لما شرح له صدر أبى بكر وعمر فوافق على ما ذهب اليه لعلمه بأن له أصلا فى الدين ، وذلك أن رسول الله - صلى

الله عليه وسلم – كان يأمر بكتابة الوحى وهو القرآن ، وليس هناك فرق بين كتابته مجتمعا وكتابته متفرقا ، وفى ضم بعضه الى بعض من المصلحة ماليس يخفى • فهذان المثالان ونحوهما من كل شيء له أصل فى الدين يرجع اليه لا يسمى شيء منه بدعة ولا حدثا ، ولا يسمى فاعله مبتدعا ولا محدثا ، وبالتالى لا يقال انه مردود على صاحبه أو غير مقبول منه وان على المسلمين أن يغيروه ويرشدوا فاعله ويعيدوه الى هجرانه وتركه ، فان ابى أعادوه بالقهر والغلبة •

وأما الوجه الثانى – وهو أن يزيد المكلف فى العمل الشرعى شيئا أو ينقص منه شيئا ، فنستطيع أن نقول : أما فى العبادات فمن زاد فيها شيئا فان زيادته مردودة عليه على معني أنها لا تكون قربة ولا مثابا عليها ، وتارة يبطل بها العمل وتارة لايبطل بها العمل ، ومن أمثلة الزيادة التى يبطل بها العمل أن يصلي الظهر خمس ركعات ويقوم الى الخامسة عامدا عالما بأنها خامسة ، فان صلاته باطلة ، ومثال الزيادة التي لاتبطل العمل أن يتوضأ فيغسل وجهه أربع مرات ويغسل يديه اربع مرات ، وهكذا •

وأما فى المعاملات فان من زاد فيها شيئا ينظر فيما زاده ، فان كان ما زاده من مصلحة العقد ولا مصلحة فيه لأحد المتعاقدين بخصوصه فان هذه الزيادة مقبولة ، ومن أمثلتها أن يزيد المتعاقدان على الصيغة التى تثبت العقد شرعا توثيقه أمام موظف مختص بالتوثيق ، وان رأى ولى الأمر أن مصلحة المتعاقدين تقتضى اشتراط التوثيق جاز له أن يأمر بذلك، وان كان ما زاده ليس من مصلحة العقد أو كان فيه مصلحة لأحد المتعاقدين أو لثالث بخصوصه فان هذه الزيادة غير مقبولة شرعا ، وعلماء الشريعة مختلفون فى هذا النوع من الزيادة هل تعود على أصل العقد بالبطلان فيصير العقد كأنه لم يكن أو لاتعود على أصله بالبطلان ويكتفى بالغاء الزيادة ، وليس مما يعنينا فى هذا الموضع أن نبين مذاهب العلماء في مثل هذا أو نرجح أحدها ، فان موضع ذلك مباحث الفقه الاسلامى • وأما النقص من العمل المشروع ، فان كان عبادة ينظر فى هذا الناقص منها ، فان كان مما اعتبره الشارع ركنا من أركان العبادة ، أو شرطا من شروطها بطلت العبادة بنقصانه ، وان لم يكن كذلك لم تبطل العبادة بنقصه ، ولكنها تكون فى فضيلتها واستتباعها للثواب أنقص من العبادة المشتملة على مانقصه هذا المكلف •

ومن أمثلة ما اعتبره الشارع ركنا من أركان العبادة : القيام فى صلاة الفريضة الا لعذر ، والركوع والسجود ، والطمأنينة ، فمن ترك القيام في صلاة الفريضة وهو قادر على القيام ، أو ترك ركوعا من صلاة ما أو سجودا وهو عامد الى ذلك فان صلاته باطلة، ومن أمثلة ما اعتبره الشارع شرطا للعبادة : الطهارة للصلاة ، وللطواف ، وستر العورة ، فمن صلى أو طاف بالبيت غير طاهر أو مكشوف العورة فصلاته أو طوافه غير معتد بهما ، وهما باطلان ، ومن أمثلة ما لم يعتبره الشارع ركنا ولا شرطا للعبادة : الطهارة للصوم ، والجماعة فى الصلوات الخمس عند بعض الأئمة المجتهدين – رضوان الله عليهم أجمعين ، فمن بيت الصوم بليل ثم أصبح جنبا فان صومه لا يبطل بذلك ، ومن صلى الظهر فى داره فى غير جماعة ، فصلاته صحيحة مجزئة مسقطة لما فرضه الله عليه ، ولكن الأفضل له أن يبيت ليلة الصوم طاهرا وأن يصلى الفريضة فى جماعة ، ونستطيع أن نقرر مثل ذلك فى المعاملات أيضا بأن نقول : ان من نقص من العقد شيئا اعتبره الشارع ركنا فيه أو شرطا لصحته كان العقد الذى أجراه على هذا الوجه باطلا غير نافذ ، وان من نقص من العقد شيئا لا يعتبره الشارع ركنا فيه ولا شرطا فى صحته فعقده ماض نافذ ، ومن أمثلة ما اعتبره الشارع ركنا فى العقد رضا المتعاقدين ، فمن باع شيئا لآخر ولم يوافق المشترى على هذا ، ومن اشترى شيئا من آخر ولم يوافق البائع عليه ، فان هذا لا يعتبر شرعا بل لا يسمى عقدا ، لأن العقد مايتطابق عليه الطرفان ، ولم يوجد فى هذين المثالين طرفان •

ومن أمثلة ما اعتبره الشارع شرطا لصحة العقد : ان يكون المبيع مما ينتفع به ، وأن يكون مقدورا على تسليمه ، فان باع أحد شيئا غير منتفع به، أو شيئا غير مقدور على تسليمه فان بيعه غير صحيح ، ومن أمثلة ما لم يعتبره الشارع ركنا ولا شرطا فى صحة العقد تسليم ثمن المبيع فى وقت عقد البيع ، فمن باع أو اشترى شيئا ما ، وأوجب البائع البيع وقبله المشترى ، وقد اتفقا على تأجيل الثمن زمنا معلوما لهما طويلا أو قصيرا صح البيع وصار نافذا وترتبت عليه آثاره .

وأما الوجه الثالث – وهو أن ينقل شيئا من عبادة الى عبادة أخرى – فانا نقرر أن من فعل ذلك لم يقبل منه ، وقد يعاقب عليه أشد العقاب ، ولذلك أمثلة كثيرة . نجتزىء منها بما يلى :

١ – الطواف بالبيت الحرام عباده ، وهو ركن من أركان الحج والعمرة ، وزيارة الموتى للاتعاظ او للدعاء لهم من أنواع القربات ، فلو أن زائرا زار واحدا من الصالحين فطاف بقبره عامدا ظانا أن الطواف فى ذاته عبادة وأنه لا فرق بين الطواف بالبيت والطواف بقبور الصالحين ، فهو آثم أشد الاثم وأفظعه .

٢ – القيام عبادة فى الصلاة ، وفى الدعاء بعرفه ، وفى الأذان للصلوات المكتوبة ، والبروز للشمس قربة يتقرب بها الى الله فى حال الاحرام بالحج ، فلو أن انسانا نذر أن يصوم يوما ما ويقف على قدميه عامة النهار بارزا للشمس ، فهذا الذى اشترطه على نفسه غير مقبول منه ولا يلزمه الوفاء به ، فضلا عن أن يكون عبادة مثابا عليها ، وظنه الذى ظنه وهو قياس الصوم على الصلاة وما معها وعلى الحج ظن خاطىء ، لأنه لا يلزم من ان يكون الشيء عبادة فى موضع أو فى زمان أن يكون عبادة فى موضع آخر أو فى زمان آخر ، ولا يلزم من أن يكون شيء ما قربة فى عبادة ما أن يكون قربة فى عبادة أخرى ، وقد ثبت أن النبى – صلى الله عليه اسلم – رأى رجلا قائما فى الشمس ، فسأل عنه ، فقيل : انه نذر أن يقوم ولا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ، وأن يصوم ، فأمره النبى – صلى الله عليه وسلم – بأن يقعد ، وبأن يستظل ، وبأن يتكلم ويتم صومه ، فانظر كيف حكم النبى – صلى الله عليه وسلم بالغاء القيام والبروز للشمس والصمت ، وبقاء الصيام مجردا عما اضافه اليه هذا المكلف ؟ فدل مجموع ذلك على صحة ما قررناه من قبل ، من أن ما كان له أصل ثابت فى الشرع عن الله تعالى أو رسوله – صلى الله عليه وسلم – فهو مقبول ، وما لم يكن له أصل فى الشرع – سواء أكان عدم ثبوته راجعا الى أصله أو الى الحاقه بغير ما ألحقه به الشرع – فهو مردود على عامله وغير مقبول منه .

ومما يدل دلالة واضحة على أن الشيء يكون عبادة فى موضع ولا يكون عبادة فى موضع آخر ، بل قد يكون معصية ما رواه أبو داود عن ثابت بن الضحاك قال :

« نذر رجل على عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن ينحر ابلا ببوانة ، فاتى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال : انى نذرت أن أنحر ابلا ببوانة ، فقال له النبى : هل كان فيها من وثن يعبد من دون الله من أوثان الجاهلية ؟ قال : لا ، قال : فهل كان فيها عيد من أعيادهم ؟ قال : لا ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : أوف بنذرك ، فانه لا وفاء لنذر فى معصية الله ، ولا فيما لا يملك ابن آدم ، فأنت ترى أن النبى – صلوات الله عليه – لم يأذن لهذا الرجل الذى أتاه مستفتيا فى نذر اخذه على نفسه – مع أن الوفاء بالنذر أصله أن يكون واجبا ، وقد مدح الله تعالى الذين يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا – حتى استفسر منه عما اذا كان فى هذا المكان وثن من أوثان الجاهلية أو عيد من أعياد الجاهلية ، فلما أخبره أنه لم يكن به وثن ولا عيد أمره أن يوفى بنذره ، ولو أخبره انه قد كان بهذا المكان وثن أو قد كان أهل الجاهلية يقيمون فيه عيدا ، لمنعه من الوفاء بنذره لأنه حينئذ يكون معصية لما فيه من التشبه بما قد كان أهل الجاهلية يفعلونه ولا وفاء لنذر فى معصية الله .

٣ – الطواف بالبيت الحرام عبادة ، وصلاة ركعتين بعد الطواف عبادة ، والسعى بين الصفا والمروة عبادة ، ولم يرد عن النبى

ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه صلىّ بعد السعى ركعتين كاللتين صلاهما بعد الطواف ، فلو أن انسانا صلى ركعتين بعد السعى بين الصفا والمروة وجعلهما عبادة فى هذا الموضع قياسا على ركعتى الطواف لم يقبل ذلك منه ، لأن الله تعالى لا يقبل أن يعبده العابدون الا بالذى يشرعه لهم أو يشرعه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

وقد رأى بعض علماء الشافعية أنه يستحب صلاة ركعتين بعد السعى بين الصفا والمروة قياسا على الركعتين بعد الطواف ، وقد أنكر جمهور العلماء من الشافعية وغيرهم على من رأى ذلك ، وحكموا بأن هذه بدعة ظاهرة القبح ، من قبل أن سنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد مضت بأنه طاف وصلى ركعتين عقب الطواف وسعى ولم يصل ركعتين بعد السعى ، ومضت سنة أصحابه ـ رضى الله عنهم بمثل ذلك ، وأنهم فعلوا مثل ما فعل وتركوا مثل ما ترك ، فالذهاب الى استحباب فعل ما تركوه أو استحباب ترك ما فعلوه مما لا يجوز أن يذهب اليه أحد من العلماء .

٤ ـ الصلاة المفروضة عبادة واجبة الأداء ، والأذان لها عبادة أيضا ، وصلاة العيدين عبادة أيضا ، فلو ان انسانا رأى أن يؤذن لصلاة العيدين كما يؤذن للصلاة المكتوبة لكان رأيه هذا مردودا عليه غير مقبول .

وبالجملة يجب على كل مسلم أن يعلم أن كل عمل لا يوافق ما أمر الله ورسوله به فهو مردود على من يعمله ، وأن كل من أحدث فى دين الله ما لم يأذن به الله ورسوله فهو مثل من قال الله تعالى فى حقهم من الآية ٢١ من سورة الشورى : « أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله » .

وقد ورد فى معنى هذا الحديث أحاديث كثيرة ، منها ما رواه أبو داود فى سننه ، ورواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح ، من حديث أبى نجيح العرباض بن سارية قال : وعظنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون ، فقلنا : يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا ، قال : أوصيكم بتقوى الله عز وجل ، والسمع والطاعة وان تأمر عليكم عبد ، فانه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى ، عضوا عليها بالنواجذ ، واياكم ومحدثات الأمور ، فان كل بدعه ضلالة » .

ومنها ما روى مسلم عن جابر أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يقول فى خطبته « ان أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد ، وشر الأمور محدثاتها » .

ومنها ما رواه الطبرانى وابن حبان والحاكم من حديث عائشة ـ رضى الله عنها أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم قال : « ستة لعنتهم ولعنهم الله ، وكل نبى مجاب : الزائد فى كتاب الله عز وجل ، والمكذب بقدر الله ، والمتسلط على أمتى بالجبروت ليذل من أعز الله عز وجل ، ويعز من أذل الله ، والمستحل حرمة الله ، والمستحل من عترتى ما حرم الله ، والتارك السنة » .

ومنها ما رواه الطبرانى من حديث أنس بن مالك ورواه ابن ماجه من حديث ابن عباس بألفاظ متقاربة ، أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم قال « ان الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته » .

ومنها ما رواه الترمذى وابن ماجه من حديث عمرو بن عوف ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم قال لبلال بن الحارث يوما : اعلم يا بلال ، قال : ما أعلم يا رسول الله ؟ قال : اعلم أن من أحيا سنة من سنتى أميتت بعدى كان له من الأجر مثل من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئا ، ومن ابتدع بدعة ضلالة لا يرضاها الله ورسوله كان عليه مثل آثام من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزار الناس شيئا » .

نسأل الله أن يجعلنا واياك ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وألا يجعل فى صدورنا غلا للذين آمنوا ، وأن يوفقنا للعمل بكتابه وسنة رسوله ، وأن يجنبنا الزيغ واتباع الهوى ، انه ـ سبحانه ـ السميع المجيب ، آمين .

من حضارة الإسلام

(١)

حركة المال

الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل

تنبيه موجز - الجهود والنقود - الكسب والصرف - حقيقة التملك - طرح الزوائد - طبع الادخار - تحريم الربا - بيوت الأموال.

تنبيه موجز :

فى كل ما أكتبه من حضارة الاسلام فى هذا البحث انما أود أن أنبه الى حضارة الفكر الاسلامى الأولى والتى كان من شأنها أن فتحت طريق التطور لما ترتب عليها وتبعها من أطوار ، اذ لولا ما جاءت به أولا من الكليات والأصول وما منحته للباحثين والأزمنة والأحوال من الحريات لما أمكن الوصول من حضارة الاسلام الى حضارة المسلمين ، فعلى الأولى كان الأساس وبالثانية شيد البناء .

والحرية التى منحها الاسلام للجهود والآراء - فى غير الفروض التى جاءت بصور العبادة النهائية فيه للتطور التعبدى - كانت الباعث الجدى الذى ساق الجهود والأفكار فنتج عنها اجتهاد متواصل وتطلع الى ما هو أسمى وأنفع وكان الاسلام دائما صديق الاجتهاد وعدو الانخماد

وهنا وفى كل باب سبق أو يأتى من هذا البحث لم أتكىء الا على الفكر الأول للحضارة الاسلامية ، ولما كان البحث كله ذا فروع وشعب فان الدلائل فى كل فرع أو شعبة منه تكاد تكون اشارة الى أنها كانت النواة لما حدث بعد - الا ما جاء لا يقبل التطور ولا يقبل الرأى ، وهو كل ما جاء على الصورة النهائية التى لا تتبدل عند المسلمين كصور الأقوال والأفعال التى لا بد أن تؤدى عليها الفرائض ، وكترتيب القرآن كلمات وآيات وسورا . أما ما عدا ذلك فقد وقع فيه الاجتهاد فاتفق الرأى واختلف ولم يكن ذلك الا لصالح الحضارة ذاتها لئلا تقف عند حد لا يقبل الزمن وأحوال الناس أن تقف عنده وتنتهى اليه .

ودعوى الاسلام أنه صالح لكل زمان ومكان هى التى وهبت الحرية للحضارة الاسلامية أن تتطور وتتخذ الأشكال التى اتخذتها فى البلدان والأزمنة والأفكار فتكونت منها حضارة عامة للمسلمين . ولن يلقى أحد باله لمن تلتبس عليهم الأمور أو يدأبون على اصطناع الكيد فيقولون ان الاسلام فى البلاد المفتوحة والأزمنة التالية صار غيره فى بلاد العرب والعصور الأولى .

وحين اعتمدت حضارات المسلمين على الاسلام من ناحية واجتذبت اليها من الحضارات الأخرى ما يشاكل روح الاسلام ومجمل حضارته من ناحية أخرى ، ثم انبثق من هذا التأليف خير كثير لبنى الانسان كان الفضل فى ذلك للاسلام مرتين :

مرة باستعداد أصوله للخير المطلق والفضل المجمل الذى ينفصل عنها كل خير ويتفرع منها كل فضل . ومرة أخرى لأنه وهب الحرية للعقول والجهود أن تنطلق فى دائرة ما رسمه

للخير والفضل ثم تظل منطلقة على الدوام •

ان مفخرة الاسلام أنه كان أصولا وقواعد ذات مرونة تتشعب منها الفروع وتعلــو الأبنية وتتسع استمدادا من ينابيع قريبــة ترسل مياهها هذه الأصول أو ينابيع بعيدة تستدعيها هذه القواعد نفسها من سفوح أخرى ولكنها ما تكاد تصعد فروعا وشــعبا حتى تتراءى كالأصل الذى انبثقت منه ، كالبراعم من أشجار مختلفة تتصل بالتطعيم بشجرة ولن يكون لها تفرع ونمو وأثمار الا اذا كان بين الأصل والفروع نسب وصلات •

الجهود والنقود :

وكل ما سبق فى هذا التنبيه ينطبق على حركة المال فى هذا المقال ، فان حركته اتخذت نفس الشكل الذى كان له على يد من أسلموا من مكة وهاجروا الى المدينة وهاجرت معهم مواهبهــم وتجــاربهم فى رحلتى الشتاء والصيف ، وصيروا المدينة مركز التجارة بعد مكة وبعد مرحلة طويلة من الخسائر والمتاعب التى منيت بها مكة والمدينة والبــادية فى الحروب التى نشبت بين المدينتين ، ثم تولت المدينة مركز الرياسة فى التجارة الداخليــة والتجارة الخارجية ووفد عليها غنى لا عهــد لها به من قبل ، قام فى حقيقته على جهــود المسلمين الأوائل أو على بعض جهودهم حين شطروها شطرين شطرا للتجــارة والكسب وشطرا لدعوة الاسلام •

وقد نظم الاسلام جهود التجارة وأساليبها، وكانت بداية هذا التنظيم فى مكة حيث ألقى الاسلام بتعاليمه فى الوسط التجارى المعقــد عالما بصيرا ، ثم تابع القاء هذه التعاليم فى المدينة فاثمرت فى انتظام التجــارة والزراعة والصناعة والتقاط الأموال المباحة من البــر والبحر فى سلك من الاجتهاد والأخلاق أغنى المدينة وأسعدها حينا ، فلما انزلق بها الغنى فيما بعد الى المتارف والمناعم مما صب فيهــا صبا من الهدايا والمنح التى عطلت الجهــود وجارت على الأخلاق أصيبت بالكروب العظام والبلايا الجسام •

وكانت مبادلات السلع عينا بعين أو عينــا بمنفعة هى النظام القائم فى داخل الجزيرة العربية أو بينها وبين البلاد الأخرى ، ومعظم التعاليم التى جاء بها الاسلام فى المعاملات كانت لتنظيم هذه المبادلات • ولم تكن النقود أهم شيء فى التجارة الا أحيانا وبالنقد الأجنبى من الذهب والفضة ثم صــارت الأهمية للنقدين فيما بعد حين اتسعت رقعة الدولة وقامت بيوت الأموال وضرب المسلمون النقود • وحيث لم يكن يعترض على النقدين الا لصــحتهما ووزنهما فقد كان لابد من الصفات التى تتوفر فى السلع ، وهو الأمر الذى لم يزل باقيــا الى اليوم فى كل المبادلات الكبرى والصــغرى فى العالم كله • وقد حدثت محاولات من المسلمين حين ضربوا النقود أن يضربوا العملة الصغيرة من جلود الابل ومن الزجاج أحيــانا لضرورة السوق الداخلية وأجزاء البيوع الصغيرة بين الأفراد ، وهى محاولات فتحت الطريق فيما بعد لضربها من معادن رديئــة لا تقبل فى المبادلات الخارجية بين الدول والبلدان •

الكسب والصرف :

وافترض الاسلام للكسب الحلال طريقين : ايجابيا وسلبيا ، أما طريق الايجــاب فكان بالعمل الذاتى الذى يبذله الفــرد من جهده البدنى أو الفكرى أو هما معا « وان أطيب ما أكل الرجل من عمل يده» وقد أوجبه الاسلام على كل مستطيع حتى لو انقطع للقــراءة والعبادة مع فقره كأحد أهل الصفة ، وفى أهل الصفة الحجة فقد كانوا فقراء يقعــدون فى المسجد لايحرثون ولا يتجرون ليس لهم كسب ولا مال ، انما هم أضياف الاسلام عند ضيق البلدان ، ومع ذلك فانهم كانــوا يحتطبــون بالنهار ويسوقون الماء الى بيت رســول الله ويقرأون بالليل ويصلون • وهكذا وصفهم البخارى وغيره ، فكانوا يتسببون ».

وأما الطريق السلبى فكان من الميراث أو الوصية أو الهبة ما لم يكن هناك تصرف شاذ. ويلحــق بالايجابى الاقتراض بنية الاداء اذ الشريعة تلزم المدين أن يقضى دينــه ولو من مجموع أمواله بل ان شخصية المسلم لا تنتهى بوفاته اذ لا تركة الا بعد سداد الديون ولعله رأى كثير من فقهاء القــانون فى العصر الحديث • ويلحق بالثانى طريق الصدقات للذين افترضت لهم الزكاة •

ويدخل فى الأول كسب البيع والشراء وأجور الصناعة والتعليم والعمل وأنصبة المحاربين من الغنائم • وكل ما يصل الى يد الانسان من هذين الطريقين احاطه الاسلام بشروط دقيقة مفصلة أوردتها أبواب الفقه ايرادا لا تكاد تسقط منه مسألة الا ولها حكم أو عدة أحكام •وقد أحكمت السنة عند فقهاء الظاهر العمل بالأسباب الدنيوية من الحرث وغرس الثمار والتجارة فى الأسواق والعمارة للأموال التى هى أهم الروابط الظاهرة فى علاقات الأفراد فى مجتمعهم الصغير أو الواسع الكبير •

واشترط فى العمل أن يكتسب صفة الشرف التى لا ترجع الى نوع العمل ، فليس الشرف أن يكون فى المعدن دونه فى التراب مثلا ، وانما الشرف فيه أن لا تدخله شبهة من حرام فلا يكون من سرقة أو نهب واغتصاب أو احتيال وتغرير أو غبن فاحش ، كما لوحظ فى الكسب الذى يكون من غير عمل أن تكون هناك وشائج طبيعية أو أسباب صالحة تدعو الى صحة انتقال الأموال الى من انتقلت اليه •

وقد ترك للموصى والواهب - اذا كان مدركا سليم العقل - أن يكون حرا • ومن كانت هذه صفاته فانه يدرك لامحالة سبب ما أوصى به وما وهبه ، غير أنه لا يوصى بأكثر من ثلث ماله لغير ورثته لئلا تقع المظلمة على الورثة اذا أوصى لواحد منهم بالثلث ثم أخذ نصيبه فى الميراث من بعد وترك غيره لنصيبه من الميراث ليس غير •

ومن ثبت عليه سوء التصرف فى ماله أو كان هو قاصرا لا يستطيع أن يتصرف فيه منعه الاسلام من هذا التصرف بالحجر أو الولاية عليه ، ثم أنفق عليه من ماله ما يسد حاجته وزينته وكما يقول الكتاب « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا » وذلك حتى يؤذن للسفيه بأن يعقل - ان أذن له - وللقاصر أن يرشد ، لئلا يقع هو الآخر فريسة ظلم أو خداع .

حقيقة التملك :

وكل ما يكسبه الفرد لا يعد فى نظر الاسلام تملكا على الحقيقية بحيث يتلازم المالك والمملوك على الدوام ، ولكنها صورة من تقابل مؤقت يرتبطان فيه ويتلازمان الى أجل ، وبعده يزول المالك ويبقى الشىء المملوك وكأنه يتمثل فى المالك بصورة الاجزاء التى تتغير ويتمثل فى المملوك بصورة الكليات التى لا تتغير • وقد خلقت الكائنات مهادا لخلق الانسان الذى نزل ضيفا عليها ، ورقعة ضيافته فى هذا الوجود تتسع وتضيق بقدر سعيه وحظه :

أما السعى فواجب أن يكون هو منفقه وباذله ، وأما الحظ فهو ما تتيحه له الظروف الخارجة عنه ، وسواء أكانت مكشوفة لديه أو مستورة عنه لا يراها ، ولا سبيل الى نكران السعى والحظ اللذين قرن وجوبهما الفقهاء والمتصوفة وأهل الظاهر والباطن ، ومهما نال الانسان بسعيه أو بحظه فانه سيدعه - لا محالة - يوما ما حين تنتهى الضيافة بحلول الأجل •

هذه هى الحقيقة عينها ، أما ما يدعى من حق التملك فى شتى الأحكام - ومنها أحكام الاسلام نفسه - فانما هو ارساء للأمن بين الناس حتى لا يتخاصموا وينتهبوا من حقوق الضيافة غير ماقدر لهم وسقط عليهم • وكان من الحق أن يسمى ذلك ضيافة يجب أن يلتزم الضيوف آدابها ، أو استخلافا يجب أن يلتزم الخلفاء آدابه ، أما تسميته بالتملك فهو مجاز •

والى مثل هذا الذى حققه الصوفية تشير القوانين الحديثة فان الحقوق المالية يمكن التصرف فيها أو التنازل عنها كما أنها تنتقل للورثة مثلا وذلك دون الحقوق العامة اللاصقة بشخصية الانسان والتى لا تنفصم عنه كحقه فى الحياة وسلامة الجسم وحرية التنقل .

وان صوفية المسلمين الذين هم أرباب هذا الباب قد اشبعوه أقوالا صادقة وأوصافا معجبة وأمثالا ذات دلائل قاطعة وتوصلوا من صدقهم فى وصفه وترسيخ آرائهم فى القلوب الى الآداب التى ترتبت على هذا التملك المجازى الزائل حتى فضلوا من يخرج عما يملك قبل أن يأتى أجل الافتراق عمن يتشبث به حتى يؤخذ منه أو يطرد عنه .

ولما كانت الحاجات المخلوقة والمصنوعة أكثر من ضرورات بنى آدم جميعا بل ومن كل

الأحياء مع بنى آدم ، وكل فرد مهما قل كسبه وضاق رزقه ينال من هذه الحاجات أكثر مما هو مضطر اليه - وجب أن يطرح كل فرد عنه الزوائد ، سيرا مع منهج الطبيعة الذى تسير عليه فى جميع مظاهر الزوائد المخلوقة والمصنوعة التى توفرت بها .

طرح الزوائد :

ومن الممكن أن يتخذ القول بطرح الزوائد شكل نظرية من النظريات الكونية الثابتة ، ودليلها فى كل زائد عن الاحتمال من مخلوق ومصنوع ، وبحسب ما تكون الزيادة يكون الحط والطرح : فالسحب التى تحمل من الماء أكثر مما تطيق تحط عن كواهلها جبالا من الثلج على رءوس الجبال وسفوحها ، والأنهار التى تفيض أكثرمما تتسع لهأحواضها تحتال فى طرح الزائد من السيل فى كل مكان يتسنى لها أن تطرحه فيه ، والشجرة التى تحمل ما يثقل أعناق العناقيد تطرح الزائد وترميه ، والأجساد الحية تفرز كل ما زاد فى جوفها من زوائد الطعام والشراب ، والأثواب التى تقد على قدر الأجسام تطرح بقاياها التىتزيد عنها . وهكذا كل زائد مطروح . ولا تبقى فى انائها الا المقادير المساوية للحاجات ، بل ربما كان الأقل من الحاجة أكثر تحيزا واستقرارا ونفعا وصلاحا .

والشرائع التى فرضت طرح الفضول والزوائد ، ومنها الشريعة الاسلامية ، كانت تساير الفطرة والطبيعة لتمكن للمكلف ان يهنأ بضيافته - على لغة الحقيقة - حتى أقصى أجله، أو ينتفع بما يتملكه - على لغة المجاز - حتى نهاية العمر .

فالقوى المدخرة فى الانسان بحيثيستطيع أن يفجر منها أقوالا وأعمالا لا نهاية لكثرتها يجب أن يحبس منها ما لا يفيد ، ويطرحه ولو الى داخل نفسه من غير تفجير لئلا تكسر اناءه وتحطم نفسه لو لم يحبسه ، كالغضب فانه زائد عن الحاجة. ومظهر الغضب ملوم لأنه لم يطرحه من قلبه حين فاض به .

ونوم القيلولة مع نوم الليل يستغرق أزيد من الحاجة الى النوم ، فأوجبت الشرائع - لسدادها وميلها الى تحقيق مبدأ الفطرة - أن يسرح هذا الزائد بقيام الليل ، وحيث كان النوم هجرا لكل فكرة وبعدا عن كل جهد وقد يتمادى فيكون غفلة وحيوانية أوجبت الشرائع أن يطرح عنه الزائد فيضيفه الى أوقات العبادة ، فكما كان النوم هجرا للفكر والجهد حسن أن يصرف هذا الزائد فى تبتل وخشوع .

والأموال التى تقع فى ملك الانسان - من منقول وغير منقول وهى زائدة عن حاجته لكثرتها كثرة طاغية فى الكائنات المخلوقة والمصنوعة - قد أوجب الاسلام على المالك المسلم أن يطرح منها ما زاد عن حاجته لئلا تتخمه فتخمد جسمه وفكره ، بل عليه أن يدفعها الى المسارب التى تحتاج اليها ، وكلما زاد امتلاؤه وجب أن يطرح عن كاهله أكثر مما يطرحه لو لم يكن متمتلئا . وفى أمثلة زكاة الأنعام مايبهر ويروع .

وما لم يطرح المسلم هذا الزائدفقد قانون الفطرة الذىمن أجلهحرمت الشريعةالاسلامية كنز الأموال من ذهب وفضة بغير أن تؤدى منها الحقوق ، وكنز الأطعمة والأسقية حتى ينهبها السوس والدود ، وكنز الثياب والأمتعة حتى تأكلها العثة والعفن . وهكذا أوجب الاسلام أن يطرح الزائد منها حال جودته حتى يستفاد به ويستمتع بخيره ، فاذا بقى حتى يفسد ثم طرحكان سفهاواثما .. « ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه .

على أن طرح الزائد عنك الى غيرك الذى هو محتاج اليه يزيد فى الانتاج العام الذى يعود على المجتمع بالخير .

والأسعار الحرارية التى يحتاجها المرء لحفظ حياته ولانتاجه لو زادت عند انسان لانقلبت كسلا ولحما كثيفا يكون وباله على الانتاج العام ، وتكون الزيادة حينئذ كالنقص تماما وهو ما عنى به الدين من التنبيه على الاقلال من الاستمتاع بالحلال لئلا يعود على المجتمع بشر ووبيل .

طبع الادخار :

والمنهبةالأولى منالأموال المكسوبة والمملوكة لصاحبها يقضى منها حاجاته وزينته - بلا اسراف - ثم يقتصد منها ما يسد خلته وخلة

من تجب عليه نفقاتهم « ولا عال من اقتصد » كما يقول الرسول الحكيم ، ثم عليه أن يطرح ما زاد الى من لم يزل محتاجا من الأقرباء من حيث لا يهمل حق الناس العام فى هذا الزائد الذى تمثل قديما فى حق بيت المال والصدقات ويتمثل حديثا فى حق الدولة ولم يزل قائما فى الزكاة والصدقات .

وابن عباس فقيه الأمة يقول : رحم الله أبا بكر ما أفقهه ! وكان أبو بكر قد قال – وهو يبعث بجيوشه لحرب المرتدين عن الزكاة – : لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال !

وقد اختلفوا فى تقدير الزيادات : فرآها الفقهاء فيما زاد عن حاجة الطعام والملبس والمسكن والمركب على ألا تحرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ،وفى تقييد هذه الزينة بما فرضته الشريعة من الآداب وطلب الباقيات الصالحات ، لا يخرج بها الرجل الى تنوق ولا تخرج بها المرأة الى تبذل وتبرج .

ورآها المتصوفة فى الرضا بالقليل دون الكثير وطرح الباقى وهو الأكثر لمنافع الناس . ورآها الصوفية والعارفون – وهم فى أعلى درجات الزهد – فى الاكتفاء بما يقيم الأود والصلب ويردد الأنفاس ويعين على العبادة ، ولا يزيد عن لقم جافة من الخبز بلا ملح ، ورأوا طرح الكل بحسبانه زائدا كله ، بل وجوب رده قبل أن يقبل ويملك ، لأنهم رأوا فى قبول النعمة الوارفة والاستمتاع بكل الحلال ايثارا للدنيا واغترارا بها . فالاجماع فى الاسلام على طرح الزائد وان كانوا قد اختلفوا فيه على ان صوفية المسلمين لم يطرحوا الكل ولم يحثوا احدا من غيرهم على طرحه الا لأنهم يتفقون مع المتزهدين والفقهاء على أن عمران الدنيا انما هو بأن يحصل معظم الناس على ما هو أكثر من الكفاف ليقدروا على سد الحاجة والحصول على الزينة أيضا . أما هم . فلقلتهم وندرتهم – بالضرورة – فليس من اكتفائهم بأقل من القليل مايحدث لعامة الناس أى أذى .

وليس يتعارض هذا كله مع وجوب الادخار، الذى هو أمر حتم فى الطبائع خشية الزمن وشدائده الطارئة ، وبعض الأحياء – من غير ان يكون لها تفكير الانسان – موهوبة خلق الادخار كالنحل والنمل ، وكذلك كان من طبع الانسان أن يدخر ، وكان من فرائض الشرائع تنظيم هذا الادخار عند الفرد والجماعة لئلا تقع الحاجة وليس ما يسدها ، وقد أوحى القرآن والحديث وعمل النبى بهذا التنظيم .

ومن الادخار ما هو ممقوت ، وذلك ما يقع عليه اسم الكنز والخزن والاحتكار ، وهو أشد مقتا حين يقع من الأغنياء والتجار ولا سيما عند الضرورات التى توجب انفاقه فى صالح الأمة **« والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم »** فالكنز والحبس عن الانفاق فى سبيل الله هو المحرم الممقوت ، أما اذا كان ادخارا لصالح النفس المعتدلة ولصالح المسلمين فهو أوجب من الانفاق .

وقد رأى بعض خلفاء المسلمين أن يكون فى بيوت الأموال مدخرات عامة ورأى بعضهم أن لا وجوب لهذه المدخرات ، ولكنهم اتفقوا جميعا على أن يكون القسم بين الناس بالعدل والقسطاس وأن يكون المال فى صالح جماعات الناس بالانشاء والاعمار ومحاربة الكوارث والأمراض .

تحريم الربا :

وكسب الربا – فى صوره المحددة الممنوعة والتى تطلق مطامع الفرد فى استغلال غيره والتى وقع عليها اتفاق فقهاء المسلمين – حرام لا جبر له برأى ولا اجتهاد ، وقد أنشأ الاسلام معادلتين حسابيتين غاية فى رعاية العمل والخلق بالنسبة لحسبة رياضية جافة:

أولاهما جاءت فى قوله تعالى « وأحل الله البيع وحرم الربا » أى أنه لم يرض أن تكون المائة الزائدة على المال بسبب الربا كالمائة الزائدة على المال بسبب التجارة . والمائة تساوى المائة فى الحساب الجاف ، ولكنها عند الاسلام – بل عند اليهودية الأولى والمسيحية – معادلة خاطئة ، اذ تلك ذات الربا آتية للمرابى بلا عمل وان كان هناك عمل فهو من غيره . وهذه ذات التجارة آتية للتاجر من عمل وعمله هو فيها قبل عمل غيره . فأصاب تلك التحريم من حيث فازت هذه بالتحليل ، فكأن القيمة فى نظر الاسلام بالعمل المبذول

لا بذات المال ، وهو تحطيم لصنمه لئلا يكون معبودا .

واتكال الرجل على أنه يستطيع أن يقترض بالربا اذا أعسر قاتل لروح نشاطه مبدد لماله باعث له على الا يأخذ نفسه بالدقة فى حسابه وحساب حياته ، وفى الحياة الواقعية يكاد لا يشذ مثل لمصائب الربا فى الآخذين والمعطين، وهذا فى الأفراد ، أما فى الدول فمصائب الدول ونكبات العالم كله - وعلى الأقل فى القرنين الماضيين - كانت فيه .

وسر آخر دقيق ، حتم على العقل الرشيد المفكر أن يتفهمه ، ذلك أن المال غاية من كل الأعمال ، ونحن انما نعمل لنحصل على الأموال التى تخضع لها كل الحاجات ، فاذا رابينا بالأموال نكون قد اتجرنا بالغايات ، والاتجار بها باطل عقلا لأنها لا تأتى بغايات فوقها ، وهو كتحصيل الحاصل - فى نظر المتكلمين - ولا يطعن فى هذا المنطق الصادق أن يتحول المال بالزيادة فى يد والنقص فى يد اذ هو تحول فى المظهر أما الجوهر فهو باق كما هو .

ولكنا اذا رابينا بالأعمال وذلك فى مثل التجارة فاننا نكون قد اتجرنا بالأعمال التى هى قبل الغايات وهى - عقلا - ميدان السباق .. وبعد الغاية من السباق لا يكون لأى مدى من السبق قيمة ، مهما اشتطت الخيول فى الجرى والسبق . فنتج عن ذلك صحة معادلة الاسلام - والأديان معه - وخطأ المعادلة الحسابية ، اذ يجب أن تكون قيمة الأموال فى المجتمع بأعمالها لا فى الأموال ذاتها .

والمعادلة الاسلامية الثانية أكثر غرابة وأدق فكرة وهى فى قوله تعالى « **يمحق الله الربا ويربى الصدقات** » وفى قوله « **وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون** » .

وهذه معادلة أرقى من المعادلة الأولى رقيا لا يحسد بمقدار ، ومعناها أن المائة التى تأتى بسبب الربا تساوى صفرا أو أقل من الصفر بالنسبة للمائة التى تذهب نقصا بسبب الصدقة .

ومن الغريب أن يكون النقص أفضل من الزيادة ، وفى الحساب الجاف أن بين المائة الناقصة والمائة الزائدة مسافة مائتين ، ولكن الاسلام يفضل نقص المائتين عن زيادتهما ، ويتوعد الزيادة بالمحق ، والنقص بالبركة والزيادة ، ويصف أهل الانقاص بأنهم المضعفون . ويقول صلى الله عليه وسلم « **اذا تصدق العبد بصدقة فان الله يربيها كما يربى أحدكم فلوه حتى تكون فى ميزانه كأحد** » .

ولا ريب فى صدق معادلة القرآن وتأييد الحديث لها اذ النتيجة معلقة بالتوفيق الذى هو من صنع الله وحسابه ، ولا يمكن أن يكون ذلك باطلا فى العقل ولا فى الواقع المحسوس، حتى لو ذهب المال ، لأن النقص يشترى به رضا الجماعة ، والزيادة يشترى بها غضبها . والزيادة بالرضا مكفولة التعويض ورأس المال مع الغضب غير آمن ، وقد تجمد مالك وتربيه ثم ينقصك الله من أطرافك ، وقد تبذله وتزكيه ويزيدك الله من كل الأطراف .

وهو - عقلا - رد على المعادلة الأولى التى تقدر الأموال بالأعمال لا بذواتها ، ولكن هنا فى هذه المعادلة فضلا آخر : فالمعادلة الأولى كانت القيمة فيها للعمل المنتج ولكنها فى هذه المعادلة للخلق الدافع . فالضن والأثرة فى خلق المرابين خليق أن يمحق المال ، والبذل والايثار عند المزكين خليق أن يربيه ، وهو ارتقاء فى تقدير القيم الاجتماعية والخلقية عند المسلمين لا تسمو اليه غوارب المذاهب ولا رقاب الحساب .

بيوت الأموال :

فى مقال فريضة الجهاد السابق عرف أن من حق بيت المال أنصبته من الخراج والجزية وغنائم الحرب والكسب ، على الأفراد أو على الجماعات والشركات والجيوش ، وكان على بيت المال جمع الضرائب واحصاء دافعيها وما أدوا لبيت المال ثم انفاق الأموال على مستحقيها وعلى المصالح العامة وما يأمر به الخلفاء ما زالوا احياء ، فان كان احدهم قد أمر أمرا ومات دون أن ينفذه بيت المال وجب أن يرد الأمر للخليفة الجديد .

وتولى بيت المال تقدير النقود دراهمها ودنانيرها وابدال ما أفقده التداول شكله القوى ورسومه الظاهرة لئلا تجد سوق

البيع والشراء عنتا ويضار الناس ، كما تولى الانفاق على الاستعداد والتسلح والتخطيط للمشروعات العامة من الأبنية والمساجد والجسور والطرق والخانات لأبناء السبيل حتى تتيسر الهجرة والأمن للتجار والطلاب والمسافرين ، وتولى دفع آثار الكوارث العامة من الغرق بالسيول أو تدمير الزلازل أو الجدب والقحط وتفشى الأوبئة فان ذلك لا يستطاع دفعه بالأموال الخاصة بل لا بد من الأموال العامة بمقادير مسعفة كبيرة • ثم التقى بيت المال مع الصدقات الخاصة فى رفع مستوى حياة الناس فزوج الفقراء وسدد ديون الغارمين وأخدم الضعفاء •

وعمر بن عبد العزيز لم ير ضرورة فى أن يخزن ببيت المال شىء اذا كانت حاجات الرعية تستنفد المال كله • وقد أقلقه عماله وأصحاب بيوت أمواله وأقلقهم : كانوا يرون أنه لا بد من مال يخزن لينفق فى الشدة والحاجة وهو يرى ألا يخزن منه شىء وكتبوا اليه يحثونه وهو يأبى ، ثم اجترأ عليه أحد العمال فكتب اليه يقول : انك أضررت ببيت المال • فكتب اليه عمر : أعط ما فيه فاذا لم يبق شىء فاملأه وحلا !

ولم يكن عمر بذلك يدعو الناس الى الاسراف فالاسراف أمر غير قضاء حاجات ذوى الحقوق، أما العمال فكانوا هم المسرفين ولا يدرون : فكانوا يفرقون ما يجمع فى التافه والرخيص : على الأوراق والاضاءة والفرش والمراكب والزخارف •

ولم يكن لأحد من حق فى بيت المال الا بحقه حتى القائم على حسبته وحراسته ، فاذا نقص من المال شىء ـ من غير خيانة ـ كان على القائم أن يعوضه من خاصة ماله ، ولم يجعل عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز حقوقا لهما فى بيت المال الا بقدر طعامهما ، ولم يكن ذلك مانعا احدا من الخلفاء بينهما أو بعدهما ـ ما عدا ابن أبى طالب ـ من أن يأخذ حقه ، الا أنهم منعوا جميعا أن يصيب منه مواليهم أو أولادهم بغير حق •

وانفق بيت المال على دور الضيافة ثم تولى الفرض للمواليد وهو ما اتخذته القوانين الجديدة فى المواريث من أن الجنين صالح لاكتساب الحق •

وقد كان على بيت المال ـ تتمة لعملية الاحصاء ـ أن يراقب أرباح التجار مخافة أن يستغلوا الناس أو يستغلوا بيت المال وابطال حيلهم فى الحصول على أكثر من حقوقهم ، وقد هم عمر بن عبد العزيز ألا يكون من حظ تاجر واحد ما يغنى عشرات من بيوت المسلمين ولكن الأجل عاجله فلم يتم ما أراد •

وقد كان على بيت المال ـ تتمة لعملية الاحصاء الأموال فى مختلف بلاد المسلمين بيتا واحدا، فلو استغنى بلد وافتقر آخر سد البلد الغنى حاجة البلد الفقير حتى او لم يبق له شىء ، فكان كنظام القروض الدولية الحاضر ولكن بلا ربا حتى يستطيع البلد المتعثر أن ينهض فيسدد دينه او كنظام المعونات للبلاد المتخلفة • وقد أمر عمر أن تسد الشام حاجة العراق فى رد المظالم حين لم يكف مال العراق فى ردها • وبذلك صار العالم الاسلامى فى مدته وحدة اقتصادية ذات قوة وتماسك يسد بعضه حاجات بعض •

فلم تكن وظيفة بيت المال بذلك كله الا مساهمة أقوى فى نفع الناس من جهتين : جهة مصالحهم الفردية وجهة منافعهم العامة • كما لم تكن بيوت الأموال الا معابر تعمر وتخلو حسبما اتفق لمصالح المسلمين وأهل ذمتهم أن تكون • وهكذا دار المال دورته فى الاسلام مرتبطا بالأخلاق والفرائض فى مجموعة من القواعد التى نظمت سلوك الأفراد فى مجتمعهم وألزمتهم باتباعها ، فلم يحرمه الاسلام مطلقا ولم يحله مطلقا بل أحل منه وحرم ، وأعد لمن يتعدى الحدود عقابه • وكأنما جمع الاسلام القانونين الحاليين : المدنى والمالى فى اطار واحد ، وكان بيت المال مظهرا من تدخل الدولة فى كافة الشئون الاقتصادية وغرها شأن بعض النظم الاشتراكية فى عصرنا الحديث •

أول عبرة فى الأرض

فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى

أ ـ واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق ، اذ قربا قربانا .

ب ـ فتقبل من أحدهما ، ولم يتقبل من الآخر .. قال لأقتلنك .

ج ـ قال انما يتقبل الله من المتقين .. لئن بسطت الى يدك . لتقتلنى ما أنا بباسط يدى اليك لأقتلك ، انى أخاف الله رب العالمين .

ـ أ ـ

١ ـ كان من بوادر الحكمة فى شئون العباد أن تقع منهم أحداث لا يفطنون الى عواقبها ولا يحيطون بجوانبها .. فاذا ما صارت أمورا واقعة ـ بين الله تعالى ما وراءها من أقدار ، وما كان فى طياتها من أسرار ، وتصبح عبرا شاخصة لنا ، يتوارثها الخلف عن السلف . غير أن تلك الأمور التى يأتيها الناس ، ويأبه لها الدين : لا تكون على غرة منهم . بل هى مسبوقة بتوجيهات علوية .. يدركون منها أنها تصرفات مرغوبة منهم .. أومحظورة عليهم .. فيكون تعرضهم لها طاعة مأجورة . .أو معصية مأزورة ، ويكون الحديث عنها بعد ـ قصصا علويا ، يراد منه أن يظل فينا نماذج تربوية ، ويراد منا أن نلتزمها على ما شرع الله من الأخذ بها .. أو الانتهاء عنها **« لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب »** .

٢ ـ فمن تلك الأمور ـ على سبيل المثال ـ قصة آدم وحواء ، فى أكلهما من الشجرة ، وكان هذا الأكل مسبوقا بنهيهما عن قربان الشجرة : فأن فعلا ، كانا من الظالمين لنفسهما بالمخالفة .

ثم ينسى آدم ، ويغفل هو وزوجه عن هذا النهى ، ويخدعهما ابليس بالاغواء ، والتضليل حتى يقربا الشجرة ، ويأكلا منها ، ويكون عصيانهما سببا فى الهبوط من الجنة الى الأرض ، ليستقرا فيها حتى يرث الله الأرض ومن عليها . وقد بسطنا الكلام فى هذا الصدد بالجزء الأول : من نفحات القرآن .

٣ ـ ومن تلك الأمور التى وقعت فى فجر التاريخ ، وصارت لنا نماذج تربوية مسألة : ابنى آدم ـ **قابيل ـ وهابيل :**

كانت سنة الله فى حواء ان تحمل فى البطن الواحد بتوأمين ـ فتلد ذكرا ، وانثى .

وكان ابنه الأول ـ قابيل وله توأمة جميلة تسمى اقليمياء .. وكان لابنه الثانى ـ هابيل ـ توأمة دون الأولى جمالا ، وتسمى ـ ليوذا .. كما يذكر السلف من العلماء .

٤ – وكان من تشريـــع الله لآدم أن يزوج الولد لتوامة الآخر .

فلما اراد آدم أن يبدأ بتنفيذ سنة الله : بين قابيل ، والتوامة الثانية – ليوذا – تطلع قابيل الى توامته هو .. فزجـره أبوه عن المخالفة .. فتمادى فى تشبثه ، ولم يزدجر .

فكان ذلك العناد أول مثار للشر بين الناس ... بل بين الأخوين فى الأرض .

وكان أول قفزة قفزها ابليس . فى شؤمه ، وفى فتنته لبنى آدم : كما توعدهم بذلك فى تبجحه أمام الله .. بقوله : **«فبعزتك لاغوينهم اجمعين»** .

وظل ابليس يكشف عن نواجذ الشر فى وجه قابيل .. واستمر قابيل يزداد حنقـا على اخيه هابيل .. لأنـه سيتزوج الحسنى من البنتين .

٥ – وهنا نستطرد ونقول : ومن أين تعلم قابيل هذه الجفوة ، وهو لم يخالط آخـريـن فى دنياه الخالية » .

ومن أين تعلم الأنانية وهو لم يعش فى بيئة تضطرب فيها النزعات ، والأخلاق »

وهل هى وساوس الشيطان وحدها جعلت من قابيل ولدا عصيا .

نعم !! هى وساوس الشيطان .. ولكنها لا تفرخ الا فى نفس مستعدة بفطرتها .

٦ – ففى كل امرىء ارادة وميول : تمتزج بطبيعته منذ خلق ، وهى من مميزات الانسان على غيره من الخلق ، لتكون مدار اختياره لما يختار ، ومناط حسابه على مايريد ويعمل من شـئونه الاختيارية « **كل امرىء بما كسب رهين** » .

تكون هذه الارادة عالقة بما يستطيعه المرء ، ويجنح اليه كنوع ما ياكله ، أو يلبسه ، وما يقوله ، وكيف يجلس ، أو يضطجع .. وهكذا مما يريد ، أو لا يريد .

دون مالا يستطيعه ، ولا اختيار له فيه : كسعادته فى الحياة ، أو شقائه .. وصحتـه أو مرضه .. وانجابه للأولاد الذكـور ، او الاناث ، وانتصاره على الغير ، أو هزيمته .. الخ ...

٧ – فبقدر ما للمرء من حرية الاختيار فى تصرفه يكون مسئولا عن عمله « **فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره** » « **ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره** » .

ونعود من هذا الاستطراد فنقول : اذا كان المرء فى اختياره متعقلا ، جانحا الى الهدى ، فهو على نور من ربه ، ولا يغلبه شيطانه .

لأن ابليس يئس من المهتدين ، واستثناهم من تهديده ، حينما قال : « **لأغوينهم أجمعين** » اذ قرر عجزه عن فتنته المخبتين الى ربهـم بقوله : « **الا عبادك منهم المخلصين** » – بفتح اللام فى المخلصين – اى المهتدين وقد تكفل الله بهؤلاء ، فقال فى رده على ابليس « **قال هذا صراط على مستقيم ان عبـادى ليس لك عليهم سلطان : الا من اتبعك من الغـاوين** » « **ان عبادى ليس لك عليهم سـلطان وكفى بربك وكيلا** » .

٨ – أما اذا كان المرء فى اختياره جانحا الى هواه ومسيئا فى توجيه ارادته وميوله ، فهو ظالم لنفسه ومستجيب لشيطانه ، وسادر فى فى غروره « **ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا ، فهو له قرين ، وانهم ليصدونهم عن السبيل ، ويحسبون أنهم مهتدون** » .

– ب –

وكذلك كان قابيل فى عصيانه لأبيه .

حتى اهتدى آدم بتوجيـــه الله الى فكرة يحسم بها الخلاف .. وهى : أن يتقدم كل واحد من ولديه بقربان – صدقة – فمن تقبل الله قربانه فهو الأحق باقليمياء : زوجا له .

وعندئذ تقدم قابيل بحزمة من سنابل غلاله لأنه كان صاحب زرع .. وتقدم هابيل بكبش من غنمه .

٩ – وهنا جرت سنة الله فى قبـــول الصدقات حينـــذاك .. اذ نزلت نار من السماء ، وارتفعت بالكبش الى حيث يشاء الله فى الجنة على ما يثبته العلماء .. وتلك أمارة القبول .. وظلت سنابل قابيل راسية فى الأرض فثارت موجدة الحقد فى نفسـه أكثر مما كان . ولم تفده العبرة ، بل تأجج الحسد فى صدره ، ونفث بتهديده لأخيـه « **لأقتلنك !!** » .

- ج -

١٠ – فماذا كان من هابيل ازاء عنف أخيه الأكبر ، وان كان هو اشد منه قوة لحداثة سنه» كان هابيل سمحا ، تقيا ،طيب النزعات فرد على قابيل فى حنان الأخاء ، ووداعة .. الأتقياء قائلا له فى أسلوب التوجيه الى الخير « **انما يتقبل الله من المتقين .. لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ، ما أنا بباسط يدى اليك لأقتلك** » يريد : انما رد الله صدقتك لأنك غير تقى فى عملك .. ولئن تماديت فى عنفك ، وبسطت يدك لقتلى .. فما أنا بفاعل على مثل فعلك .. لاضعفا عنك ، ولكن ترفعا عن الجريمة ، ورهبة من الله « **انى أخاف الله رب العالمين** » .

ثم أخذ هابيل يثير الخشية عند أخيه ، ويذكره انه لن يفلت من عذاب ربه ، فيقول له : انى اريد الا اكون جانيا معك .. لتبوء من عملك هذا بالاثم كله : عن عصيانك لأبيك ، وعن مخالفتك لشريعة الله ، وعن قتلى ظلما ، فتكون لهذا كله من أصحاب النار .

وذلك العذاب جزاء الظالمين لأنفسهم بالمخالفة له .

١١ – لم يكن هذا الزجر مجديا فى نفس قابيل .

بل استهان بجرمه ، وسارع فشدخ راس اخيه بحجر ، وقضى عليه لساعته .. وتلبس بالجريمة .. **وهى الجريمة الأولى فى الارض** .. وحقت عليه غضبة الله ، وغضبة أبويه .. وأصبح خاسرا لأمور كثيرة ، ويحدق به الندم ويساوره الأسى : توبة من خطيئته .. ولكن لشعوره بالحرمان من الانس بأخيه ، وكان الخير له أن يستبقيه فى الحياة ، ليشد أزره ، ويسد معه فراغا شاغرا بعده وأصبح يشعر بين هذا كله بغضب من والديه لا يطمع فى تذليله ، ولا فى النجاة من عقباه .

وأصبح فوق هذا مرتبكا فى شأن الجثة ، وما يصنع بها » .

وكأن الله أعمى بصيرته عن التصرف فيها، فظل يحملها على عاتقه زمنا طويلا ، حتى عفنت ، وخبث ريحها ، وهو ضائق بها فى ذهابه وايابه ، وفى ليله ونهاره ، حتى ذاق وبال أمره ، ومرارة جرمه ...

١٢ – ثم اذن الله بتكريم جثة هابيل ، وصيانتها عن هذا الابتذال ، وعن طرحها للوحوش والطير .

فبعث الله غرابا يحمل جثة غراب آخر ، وأخذ يحفر فى الأرض بمنقاره ، أو مخالبه ، ثم وارى جيفة الغراب فى الحفرة .

وكان قابيل على مشهد من الغراب فى صنعه هذا .

وتأسى به فى دفن اخيه .

ثم أخذ يعنف نفسه على سوء ما فعل بنفسه ، وعرف أن حيرته كانت غباء .. وأن حمله للجثة كان بلاء .. وان الله أذاقه الهوان ما أذاقه ، وانه – تعالى – كرم هابيل بدفنه أخيرا فى التراب .

وكان من بؤسه وتأسيفه لنفسه ان يقول : « **ياويلتى .. !! أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب : فأوارى سوأة أخى ! فأصبح – بعد عتوه – من النادمين » على ما تعرض له من ويلات ، ومتاعب** .

١٣ – فان يكن ابليس اول مخلوق عصى الله فى الجنة بعدم سجوده لآدم ، وعدم الاعتراف بتكريم الله له بالعلم .

ثم عصى الله كذلك باغوائه لآدم وحواء ، حتى نسيا أمر ربهما ، وأكلا من الشجرة المحظورة عليهما .

فان قابيل اول انسان عصى ربه فى الأرض بابتداع جريمة القتل للانسان ، بل بأخيه الأخص .

١٤ – ومن السابق فى تقدير الله ، وعدالته أن يأخذ الله ابليس بجريمته ، وجريمة ، كل انسان يتابعه نزغاته .

ليكون الشيطان وجنوده من الناس سواء فى العذاب ، كما كانا سواء فى العصيان « **ان الشيطان لكم عدو ، فاتخذوه عدوا ، انما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ..** » « **لأ ملأن جهنم منك ، وممن تبعك منهم أجمعين** »

١٥ – وكذلك كان من السابق فى تقدير الله ، وعدالته ان من ابتدع جريمة من الجرائم ، أو نقيصه من النقائص ،أو حرض

غيره على عمل سوء ، يكون مأخوذا بذنبه ، وبذنب تابعه الذى قلده فى المأثم .

لأن ابتداع الشر ، أو التحريض على فعله جعل الداعى ، والمقلد شريكين فى المحاربة لله .

وقد نهانا الله أن نتعاون على الأثم والعدوان فى أى شكل من المشاركة .

وعلى هذا الأصل كان قابيل حاملا وزره ووزر من يحاكيه فى قتل نفس بريئة .

وفى ذلك يقول النبى - صلى الله عليه وسلم **« لا تقتل نفس ظلما : الا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها ، لأنه كان أول من سن القتل »** أى : يحمله نصيبا من تبعة القتل فى كل حادثة وقد امتد هذا الأصل فى شريعة محمد - صلى الله عليه وسلم -

وفيه يقول النبى - صلى الله عليه وسلم - **« من سن فى الاسلام سنة حسنة كان له اجرها ، وأجر من عمل بها الى يوم القيامة .. ومن سن فى الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة » وهذا من توجيهات الله الى صراطه المستقيم**

١٦ - ورب سائل عن هذا الحديث وما يفيده : كيف يكسب الانسان ثوابا عن حسنات غيره مع ان القرآن يقول **« وأن ليس للانسان الا ما سعى »** يعنى . أن ثواب المرء بعمله هو ، لا بعمل غيره .

والجواب المأثور عن الأئمة : أن للمرء بجانب عمله الأصيل ثوابا اضافيا بما تسبب فيه من أعمال الغير .

ففى التحقيق ان هذا الثواب ثمرة اضافية من عند الله لمجرد التسبب .. دون أن ينقص هذا من ثواب غيره شيئا .. وهذا فضل من الله ، والله ذو فضل عظيم .

١٧ - ورب سائل كذلك عن هذا الحديث .. كيف يتحمل المرء وزرا عن عمل غيره ، مع أن الله يقول : **« ولا تزر وازرة ، وزر أخرى »** يعنى لا يحمل المرء وزر غيره .

والجواب المأثور كذلك أن مبتدع السوء ، أو المحرض عليه له بجانب عمله لأثمه الشخصى اثم آخر بما تسبب فيه من أعمال الغير ..

ففى التحقيق كذلك ان جزاءه هذا نتيجة كسبه فى توجيه الناس الى ناحية الشر .. دون أن يخفف عن غيره جزاءه .

وذلك قول الله - سبحانه - **« كل نفس بما كسبت رهينة »** . **« لكل امرىء منهم ما اكتسب من الاثم والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم »** .

وكل ذلك : ما لم تكن توبة ، مبكرة ، مقبولة . **« وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ، ويعفوا عن السيئات ويعلم ما تفعلون »** .

فاللهم لا تحرمنا من هديك ، ولا تصرفنا لحظة عن التوبة المقبولة لديك .

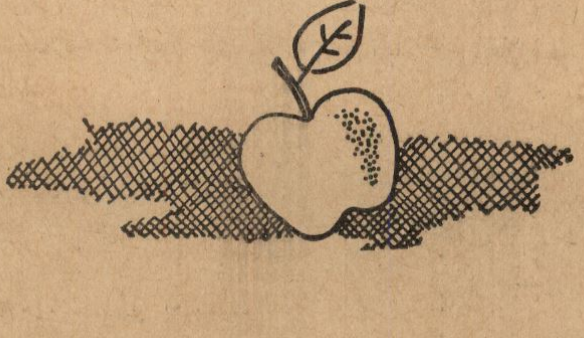

عرضت فى المقال السابق رأى الذين ينحون الاسلام عن دعائم القومية العربية ، وذكرت أدلتهم التى يستندون اليها ، ثم عقبت عليها ببعض الردود .

وهذا رد آخر على ما ذهبوا اليه .

الاسلام و القومية العربية (٢)

الدكتور أحمد الحوفى

الاسلام دين الكثرة

المسلمون هم الكثرة العظيمة الغالبة فى الوطن العربى ، يمثلون أكثر من ٩٥٪ من سكانه ، فلا غضاضة على غيرهم فى اعتبار الاسلام أحد الروابط القومية ، وليس فى هذا الاعتبار شائبة من التعصب الدينى .

ذلك بأن القومية العربية يقوم صرحها على الدعائم المتفق عليها من اللغة والثقافة والتاريخ وغيرها ، وهى دعائم يشترك فيها العرب جميعا على اختلاف أديانهم ، وتربطهم برباط وثيق لا ينفصم .

وليس من حرج فى أن نضم الى هذه الدعائم دعامة أخرى باعتبارين ان كان لابد من التغاضى عن الكثرة والقلة .

أما الاعتبار الأول فهو بالنسبة الى المسلمين ، اذ ان الدين يصل معتنقية بصلات من الود والتراحم والتعاطف والتآخى وان اختلف الجنس ، وتباينت اللهجة ، وتناءت الديار . وأما الاعتبار الثانى فهو أن المسيحيين مرتبطون باللغة العربية ، وبالثقافة العربية ، وبالتراث العربى المشترك ، وبالحضارة العربية ، وهذه كلها موصولة بالاسلام أيما اتصال ، متأثرة به أعظم التأثر .

فالمسلمون فى الوطن العربى أكثر من خمسة وتسعين مليونا ، والنصارى فيه نحو مليونين ونصف مليون ، فى مصر منهم نحو النصف ، والباقون فى الشام والعراق والمغرب . وهم الى اشتراكهم مع المسلمين فى اللغة والثقافة والتاريخ يجرى الدم العربى فى عروق كثير منهم ، وبخاصة فى سورية ولبنان والاردن وفلسطين ، وليس بينهم وبين المسلمين عزلة أو جفوة ، لانهم أمة واحدة ومصالحهم مشتركة ، وهم سواسية فى الحقوق والواجبات ، ولأن الدين الاسلامى يعترف برسالة المسيح عليه السلام ، ويكفل للمسيحيين حريتهم الدينية ، ويقيم علائق المسلمين بهم على الأخوة والسماحة والتعاون والاتحاد ، على حين أن المسيحية نفسها تدعو الى المحبة والسلام ، ولهذا عاش المسلمون والنصارى فى وطنهم العربى اخوة ، يتبادلون المحبة والمودة والتعاطف فى أحقاب التاريخ كلها .

ولم تحدث بينهم جفوة الا كانت وراءها مكيدة استعمارية خبيثة ، كالفتنة الطائفية الدامية التى حدثت بسورية ولبنان سنة ١٨٦٠ ووصفها عبد الرحمن الكواكبى بأنها ليست ناشئة عن تعصب دينى أو جنسى ، بل عن انخداع جماعة من الدروز بدسائس الانجليز ، وخديعة جماعة من المسيحيين بوساوس نابليون الثالث ، فهى اذن صورة من الصراع الاستعمارى بين انجلترا وفرنسا .

وكذلك الجفوة التى وقعت فى مصر بين المسلمين والاقباط سنة ١٩١١ ، كان الانجليز مثيريها ومشعلى نارها .

ولكن العرب من مسلمين ونصارى قد استناروا ، واستبان لهم ما يتشهاه المستعمر من تفريق شملهم ، واشعال الخصومة بينهم ،

فاقبل بعضهم على بعض يتصافون ويتآخون، ففوتوا على الأعداء غرضهم ، وظهر فى قادة الوطنية وزعماء القومية رجالات من المسلمين ومن المسيحيين ، وارتوى الثرى العربى بدماء المجاهدين من هؤلاء وهؤلاء ، وترددت صيحات الأدباء محذرة من دسائس الاستعمار، ومذكرة بما يربط القوم من صلات تتعالى على الوشايات والسعايات ، كقول شوقى :

يا بنى مصر لم أقل أمة القبط
فهذا تشبث بمحال
انما نحن مسلمين وقبطا
أمة وحدت على الأجيال
سبق النيل بالأبوة فينا
فهو أصل وآدم الجد تال
نحن من طينة الكريم على الله
ومن مائه القراح الزلال
مر ما مر من قرون علينا
رسفا فى القيود والأغلال
والى الله من مشى بصليب
فى يديه ومن مشى بهلال

وقول احمد محرم :

كذب الوشاة واخطأ اللوام
أنتم أولو عهد ونحن كرام
الدين لله العلى وانما
دين الحياة تودد ووئام
ان كان للواشى المفرق مأرب
فلنا كذلك مأرب ومرام

وقول الجارم :

بنى العروبة ان الله يجمعنا
فلا يفرقنا فى الأرض انسان
لنا بها وطن حر نلوذ به
اذا تناءت مسافات وأوطان
غدا الصليب هلالا فى توحدنا
وجمع القوم انجيل وقرآن
ولم نبال قرونا شتتت أمما
عدنان غسان أو غسان عدنان
أواصر الدم والتاريخ تجمعنا
وكلنا فى رحاب الشرق اخوان

وقول الرصافى :

اذا جمعتنا وحدة وطنية
فماذا علينا أن تعدد أديان
فمن قام باسم الدين يدعو مفرقا
فدعواه فى أصل الديانة بهتان
أجب أيها الندب المسيحى مسلما
صفا لك منه اليوم سر واعلان
فلا تحرما الأوطان أن تتحالفا
يدا بيد حتى تؤكد أيمان
الا فانهضا نحو العدا وكلاكما
لصاحبه فى المأزق الضنك معوان

وتعالى بمثل هذه الدعوة صوت الأدباء المسيحيين ، كقول أمين الريحانى :

انى – وان كان لبنان وطنى الصغير وسورية وطنى الكبير – أنتسب الى البلاد العربية وطنى الأكبر .

وانى – وان كانت المسيحية دينى ودين أجدادى – أدين بدين كل من أقام حقا ، وأزهق باطلا . بل أدين بدين فلاسفة العرب وشعرائها الكبار ، كالغزالى وابن الفارض والمعرى ، بل أدين بدين كل من قال بالوحدة العربية ، وتجديد مجد العرب ، وسعى فى هذا السبيل سعيا شريفا خالصا لوجه الله .

وقال : ان الطائفية لفظ آخر لحب الذات ، وانها نوع من الخيانة الوطنية .

وانه ليسترعى النظر قول الشاعر القروى رشيد الخورى فى مقدمة ديوانه :

أمتى أنا مكثرا ، ووطنى أنا مكبرا ، اذا اقتطع ذئاب الاستعمار منه قطعة فكأنما أكلوا جارحة من جوارحى ، واذا اهدروا عربيا فى لبنان أو فى تطوان فكأنما شربوا نغبة من دمى .

كأن كل بلد قوى من بلادى ساعدى مفتولا ، وكل شعب خامل فيها زندى مشلولا .

بل ما أعد ذاتى الا خلية فى جسد أمتى .

انا واحد من سبعين مليونا من العرب (هم الآن مائة مليون) كل واحد منهم أنا ، فينبغى أن أحبهم سبعين مليون ضعف حبى لنفسى .

للبحث بقية

الوحدانية
في بعض الديانات القديمة
زرادشت الحكيم

اذ محمود كمال

لقد تكلمت من قبل فى مقالسين نشرا فى « مجلة منبر الاسلام » الغراء عن الوحدانية فى بعض الديانات القديمة .. ولست أقصد من متابعة الكلام عنها فى مقالات متوالية سوى تأكيد شىء واحد هو أن واقع الكون بنظامه السرمدى الدقيق الذى يجل عن الوصف وواقع المخلوقات .. وماديات الحياة .. انما يوحى الى العقل السليم والمنطق القويم .. والادراك الصائب .. أن صانع ذلك الكون ومبدعه هو واحد لا يقبل التعدد بحال من الأحوال .. وأن الأمر فى هذا الصدد يتأتى فى كثير من الأحيان دون ارشاد .. اذا ما توفرت أسبابه لدى هؤلاء الناس الذين يلهمهم الله الحكمة والسداد .

وقد أتيت بالأدلة على صحة هذا القول من نشأة بعض الديانات القديمة فى الشرق الأقصى .. وفى مصر .. فقد اهتدى بوذا فى الهند من تلقاء نفسه وبمحض تفكيره تفكيرا عميقا فى ذلك الكون .. وفيما يضمه من خلق .. وفيما يشتمل عليه من حيات وماديات .. الى أن وراءه ـ صانعا واحدا وخالقا واحدا .. وأن الأصنام الجاثمة من غير حراك باطلة وعبادتها باطلة .. واذ نشر بوذا تعاليمه نشأت عنها ديانة ما تزال قائمة الى اليوم فى الهند وما جاورها من البلاد ..

كذلك اهتدى أخناتون أحد فراعنة مصر فى عهد الأسرة الثامنة عشرة الى الحقيقة نفسها بنفس الأسلوب الذى انتهجه بوذا .. وكما أنكر بوذا عبادة الأصنام والأوثان أنكرها أخناتون أيضا ومحاها من بلاده محوا .. وجعل العبادة لاله واحد لا شريك له واتخذ الشمس الساطعة رمزا لذلك الاله المعبود دالا على فائق قدرته .. واقام المعابد والهياكل فى طول البلاد وعرضها .

ويأتى الآن دور « زرادشت » والكلام على ديانته التى انتشرت فى ربوع ايران منذ القدم .. فقد اهتدى .. كما اهتدى غيره الى وحدانية الله .. واسبغ على الله من صفات القداسة والاجلال والتمجيد والتعظم الشىء الكثير .. واتخذ من النار المشتعلة التى لا تنطفىء رمزا على قدرته .. جل شأنه .. واقام لتلك النار الهياكل والمعابد فى بلاده وفى البلاد التى اعتنقت ديانته .

على أن الأمر بالنسبة لزرادشت مختلف عنه بالنسبة لبوذا واخناتون اختلافا جوهريا .. ذلك أن أيا من بوذا واخناتون لم يدع انه تلقى وحيا من لدن قوة روحية ظاهرة او خفية .. ولكنه اهتدى الى وحدانيته بمحض نظرته الى الحياة كما هى .. ومن محض تفكيره فى الكون ظواهره وخوافيه .. اما زرادشت فقد ادعى انه انما اوحى اليه من لدن السماء .. وأنه صاحب رسالة اوجبت عليه أن يحمل أعباء الدعوة اليها فى أمته .. بل وعند الناس كافة .. كما تدعى الزرادشتيه أيضا وعلى حد قول الشهرستانى فى كتابه « الملل والنحل » .. انه قد أتى بمعجزات دالة على نبوته ، منها ، أنه عالج فرس الملك كشتاسب عندما دخلت قوائمه فى بطنه فاعجزته عن النهوض بان أخرج تلك القوائم وأعادها الى حالتها الطبيعية فعادت الى الفرس قوته كما كانت قبلا ، ومنها انه « مر على أعمى (بالدنتور) فقال خذوا حشيشة وصنعها لهم واعصروا ماءها فى عينه فانه يبصر ففعلوا فأبصر الأعمى » .

فاذا كان زرادشت نبيا رسولا أوحى اليه .. كما اوحى للنبيين من قبله كابراهيم الخليل .. أو للنبيين من بعده وهم كثير .. فلا مجال

للكلام على وحدانيته فى هذا المقام .. لأن امره يكون خارجا عن نطاق مفهوم الوحدانيه على الأساس الذى نشرحه فى مقالاتنا المتعاقبه .. واما اذا لم يكن نبيا ولم يكن رسولا فواحدانيته تكون مستمدة من حقائق الكون .. ويكون شأنه فيها شأن غيره من الحكماء الأفذاذ الذين انشأوا ديانات قدر لها أن تدوم أزمانا طويلة .

فهل كان زرادشت نبيا رسولا أم لم يكن ... ؟؟؟ ..

ان الأمر فى ذلك مختلف فيه .. فمن قائل بأنه ليس نبيا ومن قائل بانه لا يجد مانعا من القول بصدق رسالته وان كان لا يقطع فى ذلك برأى حاسم .

ويبدو أن الشهرستانى لا يؤمن برسالة زرادشت ولا يسلكه مع النبيين والمرسلين .. لأنه عبر عن اعتقاد اتباعه فى معجزاته بأنهم انما يدعون ان له معجزات معينه .. كما قدمنا القول .. والتعبير بان اتباع زرادشت يدعون وجود هذه المعجزات يفيد أنه لا يؤمن بها ولا يرى صدق الرواية عنها .. ولو كان الشهر ستانى مؤمنا بأن زرادشت نبى أو رسول لما استبعد أن تكون له معجزات مهما يكن شأنها من الغرابة فى ذاتها .. لأن المعجزات ليست سوى خوارق تأتى على يد نبى أو رسول للدلالة على صدق الرسالة وقدرة الخالق .

ويقول المرحوم الأستاذ عباس محمود العقاد ان زرادشت كان يتخيل « أنه يناجي هرمز ويسمع جوابه ويسأله سؤال المتعلم المسترشد لمرشده وهاديه .. فيناديه .. رب هب لى عونك كما يعين الصديق أخلص صديق .. أو يسأله : من اقر الأرض فاستقرت ورفع السماء فلا تسقط .. ؟؟ومن خلق الماء والزرع ؟.. ومن ألجم الرياح سحب الفضاء وهى أسرع الأشياء ..؟ » .. ثم يسترسل الأستاذ منوها بانه .. « لا يبعد انه كان من اصحاب الطبائع التى تغيب عن الوعى او تسمع فى حالة وعيها اصواتا خفية من هاتف ظاهر أو محجوب كما روى عن سقراط وأمثاله من الموهوبين والملهمين »
فالمرحوم العقاد صريح فى اعتقاده بأن زرادشت لم يكن رسولا ولكنه كان ملهما موهوبا .

ويروى الأستاذ سليمان مظهر فى مؤلفه .. « قصة العقائد بين السماء والأرض » ان زرادشت قد استقر رأيه على أن يعيش ناسكا فترة من الوقت يفكر خلالها فى الخير والشر. فربما تبين مصدر العناء فى العالم » وعزم الا يعود قبل ان يكتسب الحكمة التى ينشدها ويصل الى الهدف الذى يريد .. وفى ذات يوم .. وقد اخذت الشمس تغيب فى الأفق ونشر الظلام جناحيه على الوادى .. هتف زرادشت بأنه قد وقف على سر الحكمة التى يبحث عنها اذ وجد ان اليوم ينقسم الى قسمين النهار والليل .. والنور والظلام ... وأدرك حينئذ أنه .. كما أن اليوم يتألف من النور والظلام فالعالم يتألف من الخير والشر ولا يمكن أن يصبح الخير شرا .. ولا الشر خيرا .. فالخير خير دائما .. والشر شر دائما .

ويستطرد الأستاذ سليمان فى روايته قائلا انه .. قيل أنه حدث ذات يوم بينما هو واقف على الجبل اذ أحس بنشوة روحانية تغمره وتنتشر فى جميع جنبات نفسه ... ثم رأى كائنا نورانيا قد حلق فوق رأسه وانبأه بأنه جاء ليقوده الى السماء ليحظى بشرف المثول بين يدى رب السماء ...وقيل أنه أفاق من نشوته وعاد الى انسانيته بعد أن تكررت التجربة ثلاث مرات .. ثم نزل مستعدا للمناضلة فى سبيل دعوته الى ربه « أهورا مزدا » .

ورواية القصة على هذا المنوال الاحتمالى . واسناد الكلام عنها لا الى المؤلف نفسه .. ولكن الى هؤلاء الذين نقلت عنهم مجرد نقل .. انما يدل على انها تحتمل الصدق والكذب .. مما يفيد أن الأستاذ سليمان يلقى التبعة على أصحاب الرواية .. ولا يقطع براى فى صحتها أو عدم صحتها ، فهو متردد بين تصديق نبوة زرادشت وتكذيبها .. أو حملها على محمل الالهام .. كما أبدى المرحوم الأستاذ العقاد .

أما الأستاذ حامد عبد القادر فقد أجاب على التساؤل ان كان زرادشت نبيا رسولا ..

ام لم يكن بأنه يقرر أنه قد تحقق فيه الشرطان اللازمان للرسالة ، وهما أنه أوحى اليه بشريعة الخير والنور .. وأنه أمر أن يبلغ الناس هذه الشريعة .

وحينئذ « فليس .. لدينا مانع من الاعتراف ان زرادشت كان صادقا فى دعواه فقد ظهرت على يده معجزة واحدة على الأقل نقلها الخلف عن السلف ووصل الينا ثبوتها بطريق التواتر الذى ليس لدينا ما يدعو الى الشك فيه » .

ومن هذا الذى قدمناه عن آراء المذكورين نرى ان الشهرستانى والمرحوم العقاد ينكران نبوة زرادشت .

أما الأستاذ سليمان مظهر فهو أقرب الى الانكار منه الى الاقرار .

واما الأستاذ حامد عبد القادر فلا يرى ما يمنع من الاعتراف بزرادشت نبيا ، ولكنه لا يقطع فى الأمر برأى حتمى .. وابسط القرائن على أن الشك يساوره فى نبوته .. هو انه قد سمى كتابه .. « زرادشت الحكيم نبى قدامى الايرانيين » .. ولا معنى لاطلاق صفة « الحكيم » على رزادشت فى عنوان المؤلف الصادر عنه .. اذا كان المؤلف نفسه يقطع فى اعتباره نبيا رسولا .. اذ لم يقل أحد على ما نعلم عن محمد النبى الكريم انه محمد « الحكيم » نبى العرب أو نبى قريش .. وكذلك فان أحدا لم يطلق على عيسى وموسى عليهما السلام مثل هذه الصفة كعنوان لرسالتهما .

وأغلب الظن أن زرادشت لم يكن نبيا ولا رسولا .. وانما كان من هؤلاء الحكماء الملهمين الذى سماهم العقاد .. ذلك لأن سيرة زرادشت فى البحث عن الحقيقة عظيمة الشبه بسيرة بوذا واخناتون وغيرهما .. فهم جميعا قد تلقوا علما أو لاهوتا يغريهم بالتفكير فى المخلوقات والكونيات وينفرهم من عبادة الأصنام التى وجدوا عليها آباءهم .

وهم قد أسسوا ديانات سداها ولحمتها الوحدانية للخالق الواحد الذى لا شريك له .. وكانت تعاليم تلك الديانات مبنية على أن الخير خير .. والشر شر .. وهما قوتان تتنازعان الحياة ما دامت الحياة .

وهم قد اتخذوا رموزا للاله المعبود تقريبا لأذهان عامة الناس خاصة .. وتنويرا لمعنى العقيدة التى دانوا لها .. سواء كانت تلك الرموز هى الشمس المضيئة التى تبعث الحياة والدفء فى الكائنات .. او كانت النار الطاهرة المقدسة التى لا تنطفىء شعلاتها فى المعابد والهياكل الى الأبد .

واذا كان زرادشت قد ألف (الابستاق) وهو كتابه المقدس .. واذا كانت أسفاره قد تضمنت مبادئه وتعاليمه الدينية والدنيوية معا .. فان اخناتون من قبله قد وضع انشودتيه المشهورتين اللتين بلغ بهما ذروة الفصاحة وغاية البيان فى تدوين أسباب وحدانيته وتعظيم الاله الواحد وتمجيد الخير والواقعية ومكارم الأخلاق .. واذن فليس (الابستاق) هو العمل المفرد الذى لا نظير له فى تاريخ تلك الديانات السحيقة وهو من وحى زرادشت نفسه وكلماته ، كما يقول الأستاذ حامد عبد القادر .. وليس من وحى الله أو كلماته .

واخيرا فقد ذكر الأستاذ حامد فى سياق الكلام على استنكار زرادشت للأصنام (ص٨٠) انه .. « كان بعيد النظر عميق التفكير **ماهرا فى التنجيم** .

ولعلنا ننكر المهارة فى التنجيم ــ بالمعنى الظاهر لهذه الكلمة ــ على الأنبياء والرسل .. فقد كذب المنجمون ولو صدقوا .. ولو كانت صفة التنجيم قد لصقت بزرادشت حقيقة .. فانها تكون حينئذ فى نظرنا معولا يهدم نبوته .. وسببا مؤكدا فى نفيها عنه .

اما اعتباره مجرد انسان « بعيد النظر عميق التفكير » هداه تفكيره السليم الى الوحدانية وانكار الشرك والانتحاء نحو الخير والخلق الكريم .. وكان الهامه باعثا له على الاعتقاد بأنه صاحب رسالة يجب عليه أن يسعى لنشرها فى العالمين .. فهذا أمر مقبول ومستساغ .. وهو ما يعتقده العقاد ، كما تقدم .

واذ انتهينا الى هذه النتيجة .. فقد وصلنا فى الوقت نفسه الى ادخال زرادشت فى زمرة هؤلاء الحكماء الذين دانوا لله بمحض تفكيرهم فى الطبيعة والمخلوقات دون ارشاد أو توجيه من أحد .. أو من قوة روحانية ظاهرة أو خفية ..

ما لا يجوز الخلاف فيه بين المسلمين

بقية الفصل السابع

بيان بعض الخلافات التي تستلفت النظر

فضيلة الشيخ

عبد الجليل عيسى

٦ – ومن أسباب الخلاف ايضا ان يكون العمل الذى حصل من النبى صلى الله عليه وسلم حضره جمع من أصحابه ، ولما تفرقوا فى البلاد روى كل واحد جانبا مما حصل ، واغفل غيره ، أو نسيه ، ولم ينتبه له ، فيكون كل واحد منهم روى ما اغفله غيره ، واغفل ما رواه .

فمن لم يتحروا الدقة فى مثل ذلك بجمع جميع الروايات لتظهر الحقيقة كاملة تفرقت بهم السبل ويختلفون ، وينكر كل منهم على صاحبه ما هو حق فى الواقع لا يصح انكاره .

وأوضح مثال لذلك ما جاء فى البخارى فى « باب سؤال جبريل النبى صلى الله عليه وسلم عن الايمان . والاسلام . والاحسان» ففى بعض الروايات قال جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم : وما الاسلام ..؟ فقال صلى الله عليه وسلم « الاسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا ،وتقيم الصلاه ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان » قال : . ما الاحسان ؟. قال « أن تعبد الله كأنك تراه الخ » .

قال الحافظ بن حجر : فان قيل انه لم يذكر الحج مع أنه من أهم اركان الاسلام ، اجيب بأنه ذكره لكن بعض الرواة اما ذهل عنه او نسيه ، والدليل على ذلك الروايات الأخرى لهذا الحديث ، ففى رواية أنس بزيادة « وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا » .

وفى رواية عطاء الخراسانى ذكر الحج ولم يذكر الصوم ، وابن عباس لم يذكر فى روايته لهذا الحديث غير الشهادتين ، وذكر التيمى فى روايه لهذا الحديث جميع ما ذكر متفرقا فى الروايات الاخرى ، وزاد بعد قوله والحج « وان تعتمر ، وتغتسل من الجنابة ، وتتم الوضوء » .

قال ابن حجر : فتبين مما ذكرناه ان بعض الرواة ضبط ما لم يضبط غيره .

ومن ذلك ما رواه البخارى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه ، سئل كم اعتمر النبى صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : اربع عمرات ، احداهن فى رجب ، فسئلت عائشة رضى الله

عنها عما قاله ابن عمر فقالت : يرحم الله ابا عبد الرحمن (١) . ما اعتمر النبى صلى الله عليه وسلم الا وهو حاضرمعه ، وما اعتمر صلى الله عليه وسلم فى رجب قط ، اى ان محل خطئه هو قوله احداهن فى رجب ، ولم تنكر ان عمراته كانت اربعا .

وفى رواية مسلم لهذا الحديث زاد « وابن عمر كان يسمع كلام عائشة فما قال شيئا ، بل سكت » . قال النووى سكوت ابن عمر على انكار عائشة يدل على انه اشتبه عليه الأمر ، أو نسى ، أو شك .

وقال القرطبى : عدم مراجعة ابن عمر لعائشة يدل على انه كان على وهم ، وانه رجع لقولها .

قال الحافظ بن حجر :يدل هذا الحديث على ان الصحابى الجليل الشديد الملازمة للنبى صلى الله عليه وسلم قد يخفى عليه بعض احواله صلى الله عليه وسلم ، وقد يعتريه الوهم والنسيان ، لكونه غير معصوم .

وفى الحديث حسن الأدب فى رد بعض العلماء على بعض ، وحسن التلطف فى استكشاف الصواب اذا ظن السامع خطأ الحديث .

ومن قبيل أن الصحابى الجليل كثير الملازمة للنبى صلى الله عليه وسلم قد يخفى عليه ما لم يخف على غيره من تصرفاته صلوات الله عليه ما جاء فى حديث الطاعون ، بل هذا فيه أن كثيرا من الصحابة الملازمين النبى صلى الله عليه وسلم فى اغلب احواله خفى عليهم ما لم يخف على غيرهم .

وحاصل ذلك أنه فى سنة ١٧ من الهجرة خرج عمر بن الخطاب من المدينة قاصدا الشام ، وخرج معه عدد كبير من المهاجرين والانصار ، وساروا حتى وصلوا آخر الحجاز ، واول الشام ، فلقيه هناك بعض امراء جنود المسلمين ، واخبروه بأن بالشام وباء الطاعون .

فجمع عمر المهاجرين الأولين واستشارهم فى الاقدام او الرجوع ، فاختلفوا ، منهم من يقول : خرجت لوجه الله فلا يصدنك عنه بلاء . ومنهم من قال : انه لبلاء وفناء لا يصح ان نقدم عليه .. فقال : انصرفوا عنى .

ثم جمع الأنصار واستشارهم ، فاختلفوا كالمهاجرين الأولين .. فقال : انصرفوا عنى .

ثم طلب مهاجرة الفتح من قريش واستشارهم ، فاتفقوا جميعا على الرجوع ، لأنه بلاء وفناء .

فأعلن عمر فى الناس انه راجع ، وأمرهم بالرجوع معه ، فقال ابو عبيدة بن الجراح : افرارا من قدر الله ؟ فقال عمر : نعم فرارا من قدر الله الى قدر الله ، لو غيرك قال هذا يا ابا عبيدة .

وبينما هم على اهبة الرجوع اذ بعبد الرحمن ابن عوف يقبل عليهم ، وكان بمكان بعيد لم يشهد الاستشارات ، فلما اخبروه بما حصل قال : عندى فى هذا علم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال عمر : فأنت عندنا الأمين المصدق فماذا عندك ؟ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اذا سمعتم بهذا الوباء فى بلد فلا تقدموا عليه ، واذا وقع وأنتم به فلا تخرجوا فرارا منه ، فقال عمر : الحمد لله الذى وفقنا لسنة رسوله .

ورجعوا جميعا ، وبقى أبوعبيدة بن الجراح لأنه كان امير الجيش بالشام ، ولما اشتد الوباء مات منه صحابة كثيرون . منهم أبو عبيدة نفسه رحمه الله .

علق الحافظ بن حجر على هذا الحديث بقوله : « ان السنة قد تخفى على كبار أصحاب رسول الله الكثيرى المصاحبة له ، وتكون عند غيرهم » .

واليك مثلا آخر لهذا النوع ، وستلمح من ثناياه وميضا يضىء لك طريق الخلاص من هذه الخلافات التى اوهنت الكثير من روابط المسلمين .

ذلك ما رواه البخارى فى حجة الوداع التى قام بها النبى صلى الله عليه وسلم سنة ١٠ هجرية .

وكان معه عند خروجه من المدينة عدد من المسلمين يزيد على اربعين الفا .

قال : عن انس بن مالك رضى الله عنه قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه

---

(١) هو عبد الله بن عمر . قال الحافظ : ذكرته عائشة بكيته تعظيما له . ورمت له اشارة الى انه نسى

وسلم — ونحن لا زلنا بالمدينة — الظهر اربع ركعات . ثم ركب وسرنا معه حتى وصل ذا الحليفة فصلى بنا العصر ركعتين ، وبات بها ، ومكث حتى صلى الظهر بمسجد ذى الحليفة ركعتين ، ثم ركب ناقته وسارت به حتى استوت به على البيداء (١) فحمد الله وسبح وكبر ، ثم أهل (٢) بحج وعمرة ، وأهل الناس معه بهما .

وفى روايةاخرى للبخارى انه صلىالله عليه وسلم اهل عند مسجد ذى الحليفة قبل وصوله للبيداء .

وفى مسلم عن موسى بن عقبة كان ابن عمر اذا قيل له : احرم صلى الله عليه وسلم من البيداء يقول : البيداء التى يكذبون فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم .. والله ما أهل الا عند مسجد ذى الحليفة .

وجاء في بعض الروايات أنه أهل عقب صلاة الظهر قبل ان يركب .. فتفرق العلماء لأجل هذه الروايات الى ثلاث طوائف :

طائفة تقول : أهل عقب الصلاة قبل أن يركب .

واخرى تقول : أهل بعد ان ركب راحلته بعد الصلاة ، وقد قامت به .

وثالثة تقول : اهل حين وصلت به راحلته الى البيداء .

قال الحافظ بن حجر : وقد ازال الاشكال عن هذه الخلافات ما رواه ابو داود والحاكم من طريق سعيد بن جبير .

قال : قلت لابن عباس : عجبت لاختلاف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اهلاله ، ثم ذكر سعيد الحديث كما سبق عن انس ، ثم قال : فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد ذى الحليفة الظهر ركعتين ، اهل بالحج حين فرغ منهما ، فسمع منه قوم ذلك فحفظوه .

ثم ركب ناقته . فلما نهضت به واقفة اهل ثانيا ، وادرك ذلك منه قوم لم يشهدوا المرة الأولى فسمعوه حينذاك فقالوا : انما أهل حين استقلت به راحلته .

ثم سار حتى صعد فوق البيداء ، عند ذلك أهل ثالثا ، وأدرك ذلك قوم لم يشهدوه فى غيرها فقالوا : انما اهل بالبيداء .. فنقل كل واحد ما سمع .

والحقيقة انه صلى الله عليه وسلم اهل وايم الله فى مصلاه ، ثم اهل ثانيا حين ركب ونهضت به ، ثم أهل ثالثا عندما صعد على البيداء .

وبذلك صحت كل تلك الروايات ، ولم تتناقض كما يرى لبعض قصار النظر (١) .

ومن هذا القبيل ماقاله ابن تيمية فى كتابه « مجموعة الرسائل الكبرى » لما سئل كيف يترك أهل الكوفة رفع اليدين عند الركوع والرفع منه ، مع انه ثابت عن النبى صلى الله عليه وسلم من طرق كثيرة صحيحة ..» قال : سبب تركهم ذلك أن عبد الله بن مسعود هو الفقيه الذى بعثه عمر بن الخطاب ليعلم اهل الكوفة السنة ، ولم يكن بلغ ابن مسعود تلك الأحاديث التى تفيد سنية الرفع ، لكنها بلغت خلقا كثيرا غيره من كبار الصحابة .. وهذا هو عذر اهل الكوفة حينئذ . « انظر ما تقدم فى البند ٣ » .

ومن أسباب هذه الخلافات ايضا انه قد يخفى على العالم المجتهد حال راوى الحديث ، فيروى عنه مع أنه ليس أهلا للرواية عنه ، وبذلك يكون الحكم الذى اخذ من الحديث غير صحيح .. فيخالفه فيه غيره ممن يعلم حقيقة حال الراوى . قال أبو على النيسابورى قلت لابن خزيمة : لو اخذت الحديث عن ابن حميد فان أحمد بن حنبل قد أحس الثناء عليه .

قال : انه لم يعرفه ، ولو عرفه كما عرفته لما اثنى عليه اصلا .

اى ولما روى عنه حديثا ، لانه مطعون فى صحة روايته .

---

(١) والبيداء صحراء بوادى ذى الحليفة

(٢) اهل اى قال لبيك اللهم لبيك الخ ناويا حجا وعمرة

تعقيبات

عملا بحرية الرأى التى نادت بها مجلة (منبر الاسلام) نواصل نشر ما يرد اليها من تعقيبات السادة القراء التى تحمل فى طياتها الصالح العام ..

وفى هذا الشهر وصلتنا رسالتان الاولى من فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى ردا على تعقيب السيد عبد اللطيف بدوى عن مقال مالا يجوز الخلاف فيه بين المسلمين والثانية من الاستاذ على الجندى ردا على تعقيب الاستاذ محمد ابراهيم شلتوت اللذين نشرا بعدد رجب ١٣٨٤ .

وهاتان هما الرسالتان :

الأخ السيد عبد اللطيف بدوى

السلام عليكم ورحمة الله ، وبعد

فانى لست بحاجة لأن اعلم أن كثيرا من الناس يقرون بعلمك وينتفعون بكتبك العديدة التى نفدت طبعاتها .

ونظرا لأنك من المعجبين بمجلة منبر الاسلام المواظبين على قراءتها أرجو أن أقول لسيادتكم ، أولا : انى لم أفهم قولكم . فى التعقيب على ما نشر بها مما لا يجوز فيه الخلاف ، (ورجحت ان الأستاذ يعرض رءوس مسائل يذكر فيها رأيا راجحا ويهمل الآراء الأخرى) فماذا تقصد بهذا التعبير مع العلم بأنى لم اكتب هذا البحث كمؤلف فى الفقه بل أردت معنى اسمى وأعمق من هذا . أولا . اذا كنت سيادتكم قد تتبعت قراءة سلسلة المقالات من مبدئها لعلمت السر فى أن يكون البحث على هذا الوجه الذى تتحدث عنه ، وذلك أنى رايت ان بقاء هذا الخلاف الذى حصل بين المسلمين فى أمور اجتهادية لم يرد فيهما نص قاطع بوجه معين ، وتعصب كل طرف لرايه كانت له تلك الآثار السيئة التى ستراها ان شاء الله فى الفصل الثامن « بعدد رمضان ، نقول اذا كنت تتبعت كل ذلك تعلم أن لا محل لقولكم . ثانيا : أنى قصدت ايضا أن أنزه الاسلام وصفحته البيضاء عن هذه الخلافات القائمة التى ما عصفت ريحها الا بعد القرن الخامس ، وان أجعل قلوب المسلمين مفتوحة بعضها لبعض لا تتحرج

من الصلاة خلف امام لمجرد انه يخالفه فى مذهب من المذاهب الفقهية ، وبهذا اقطع السبيل على خصوم الاسلام ، واسد فى وجوههم منافذ اللمز التى اخذوا يتلمسونها من عهد بعيد ، فيتجلى بذلك أن العيب ليس فى الاسلام وانما هو فى بعض اتباعه ممن جهلوا مقاصده وانحرفوا عن تعاليمه ، وبهذا تعلم أن لا محل لقولكم (وتصور تأثير هذه الصورة عند المستشرقين الذين يتعقبون او يتلمسون مواضع النقد فى الفقه الاسلامى) على أنى احب أن اقول لسيادتكم فى هذا المقام : ان المستشرقين ، وكثير منهم يستتر بثوب المستشرق ويخفى تحته روح المبشر ليسوا فى حاجة الى هذه المقالات لتقدم اليهم طعم ما يريدون بل أقل مستشرق منهم يعلم عن الكتب الاسلامية ، المطبوع منها والمخطوط ، والشهير منها والنادر ، ما لا يعلمه مئات من علماء المسلمين ، فالساكت عن كشف الحقائق كالنعامة التى تخفى راسها خوف ان يراها الصائد .

وبهذا تعلم أن لا محل لقولك (ولا اعرف ما هو الغرض من عرض هذه الخلافات الشديدة) وأما قولكم (ان المجلة ليست كتابا متخصصا يغوص فى أعماق الكتب .. الخ) فأرى انه ينبغى ان تعلم أن هذه المجلة دينية ، علمية ، خلقية ، ثقافية ، والواجب فى المجلات العلمية أن تكون مجالا لكل فن من فنون العلم ، الغزير منه واليسير ، حتى تكون صالحة لكل قارىء سواء منهم المبتدىء والمنتهى ، وأن تعرض للجديد الذى لا يعرفه الكثير من الناس ، والا كانت صدى مملا لا روح فيه .

وقد سرنى ماجاء فى ختام تعقيبكم من قولكم (وأنا واثق لو ان ائمة الفقه بعثوا الآن لكونوا مؤتمرا ناقشوا فيه المسائل الفقهية مناقشة تختلف كثيرا عن آرائهم السابقة) .

فهذا بعينه هو ما ستراه فى آخر الفصل الثانى عشر من البحث ونصه (ولهذا طالما الح طلاب الاصلاح للأمة الاسلامية فى اقتراح تأليف جمعية من علماء المذاهب تضع للأمة كتابا فى العبادات والمعاملات يعول فيه على اخذ الأحكام من الكتاب والسنة ومن اجتهاد جميع المجتهدين يراعى فيه اليسر ، ورفع الحرج ، ودرء المفاسد ، ومراعاة المصالح ، وملاحظة العرف الصالح وغير ذلك من القواعد العامة .

وهذا بعينه أيضا ما جاء فى أول مقال من هذا البحث فى عدد أول صفر وأرجو أن ترجع اليه ثانيا لتقرأ منه (فاذا لاحظنا على من ألفوا فى الفقه من المتأخرين بعض الجمود على ما تناقلوه بدون أن يتحروا وجه الصواب فيه أو توسعهم فى فروض لا تقع ، ولا يسيغها العقل ، فانا لا نسمح لأنفسنا بالقسوة على كثير منهم اذا راعينا العوامل التى أثرت فى تفكيرهم ، والبيئات التى نشأوا فيها ، وكونوا معارفهم فى ظلالها . لأنا لو راعينا كل ذلك لالتمسنا لهم بعض العذر ، لأن كثيرا منهم فعل ما فعل عن حسن قصد . ومن كان غير ذلك فقلة يمكن تدارك ضررها لو صلحت النيات اليوم . ومع ذلك فلا يصح أن نعذر اليوم أحدا فى السير وراء المتأخرين والجمود على آراء الغير ، واعتبارها كأنها تنزيل من حكيم عليم ، خصوصا اذا قارن ذلك هجر كتب السلف الأول . اقول لا يصح هذا الآن .. بعد أن قرع الأسماع ناقوس **خطر الجمود والتعصب** لرأى الغير بدون البحث والتحرى عن دليل صحته ، حتى **استغل ذلك بعض سيىء القصد** فى الطعن واللمز فى أصل الشريعة نفسها . والله الموفق للصواب .

عبد الجليل عيسى

الرسالة الثانية

هل ابليس من الملائكة أم من الجن ؟

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ الفاضل محمد ابراهيم شلتوت تعقيبا على مقالى الأول « الزار خرافة » وانا أشكر للزميل الكريم عنايته بقراءة ما اكتب ، كما أكرر له الشكر على ما تفضل به من ثناء اشتقه من خلقه الرضى وهو أولى به .

وأعمد الى المقصود فاقول : أننى فيما كتبته عن حقيقة « ابليس » حكيت الخلاف مختصرا بين اسلافنا فى ذلك ، ولم اشأ بسط الموضوع ، لأن المقام لا يتسع له ، وسيكون مكانه فى كتابى الذى ارجو ان اوفق لنشره ،

« الجن بين الحقائق والأساطير » وهو فصل جامع مانع اطول من عمر ابليس !!

وأصرح بأنني فيما أوردته لم أقل كلمة من عندى ، وانما هى قبس من ثمانية كتب فى تفسير القرآن الكريم ، وأعتقد أن الخطب أيسر - كما يقولون - اذا فهمنا كلمة الجن بمعناها الواسع الدقيق :

فالجن يجوز اطلاقهم دينا ولغة على الملائكة قال تعالى - : « وجعلوا لله شركاء الجن .. » وقال - سبحانه - : « وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا » .

والمراد بالجن هنا فى أحد قولين : الملائكة ، لأنهم كانوا يعتقدون ويقولون : الملائكة بنات الله !! وانما سموهم جنا لاجنانهم : اى استتارهم عن العيون .

وفى اللغة قال الجاحظ : ان الجن والملائكة جنس واحد ، فمن طهر منهم فهو ملك ، ومن خبث فهو شيطان ، ومن كان بين بين فهو جن .

وقال الفيروزابادى : الجن بالكسر - الملائكة . انظر مادة « جنن » فى القاموس المحيط . ومن قبل ذلك قال صناجة العرب : اعشى قيس :

وسخر من جن الملائك تسعة قياما لديه يعملون بلا اجر .

يعنى سيدنا سليمان بن داود - عليهما السلام - !!

وبذلك التقت اللغة والدين فى صعيد واحد .

وعلى هذا فلا حرج على من فسر الجن فى قوله - تعالى - : « الا ابليس كان من الجن » بأنهم الملائكة وان ابليس من الملائكة ، لأن الجن والملائكة - كما تقدم - يجوز اطلاق احدهما على الآخر ، واذن فلا منافاة أن يكون ابليس جنا او ملكا ، لان مفهومهما واحد . انظر الألوسى فى تفسير الآية .

وقد بنوا على هذا ان الاستثناء متصل ، لأن المستثنى - وهو ابليس - من جنس المستثنى منه وهو الملائكة .

ويكون الاستثناء متصلا كذلك اذا فسر « كان من الجن » بمعنى : صار من الجن ، كقوله - تعالى - فكان من المغرقين : اى صار والمعنى : ان ابليس كان ملكا فلما أبى واستكبر مسخه الله شيطانا وطرده من رحمته !

والراى الذى يقول : بانه من الملائكة هو راى الجمهور وعلى راسهم امام الأئمة ووارث علوم النبوة على بن ابى طالب - عليه السلام - والصحابى الراوية : عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - وحبر الامة عبد الله بن عباس - رضى الله عنهما - وسيد التابعين : سعيد بن المسيب ، وناظورة المفسرين : ابن جرير الطبرى ، وعلم المحدثين : قتادة وشيخا اللغويين والنحاة : الزجاج وابن الأنبارى وغيرهم من الحجج الثقات .

والرأى الثانى الذى يذهب الى انه من الجن : أى السفليين ، الذين هم أحد الثقلين وقسيم الأنس ، ولم يكن من الملائكة اصلا ، ينسب الى سعيد بن جبير ، والحسن البصرى وعلى بن عيسى ، والبلخى ، والامامية من الشيعة ، أخذا بظاهر الآية .

ويقول أصحاب هذا الرأى : ان الاستثناء منقطع ، لأن الجن بهذا المعنى غير الملائكة قطعا ، فالمستثنى غير المستثنى منه .

ولكل من الطرفين حججه الشهب ، وبراهينه الساطعة ، ومن أرادها تفصيلا فعليه بتفسير القرطبى والطبرسى والألوسى ففيها غنية ومقنع .

بقى القول فى ان ابليس ابو الجن كما ان آدم ابو الانس ، او انه جنس من الجن ، والخلاف واقع بين العلماء فى ذلك .

ومختار الجمهور انه ابو الجن ، وهو مذهب الحسن البصرى ، وذكرت : ان القول بأن الجن من ذريته يرجح رأى من يقول بانه من الجن لا من الملائكة ، لأن الملائكة لا يتناسلون ، وهو رأى بعضهم ايضا .

هذا تفسير مكبر لما قلته بالنص .

وعلى هذا فلا « نقص ولا هدم » كما توهم الأستاذ الفاضل ، فمن شاء ان يعتقد ان ابليس كان من الملائكة العلويين ، وانه عبر عن الملائكة بالجن جاز له ذلك .

ومن شاء أن يعتقد أنه كان من الملائكة ثم صار من الجن بطريق المسخ بعد أن غضب الله عليه ، حسن اعتقاده .

ومن شاء أن يعتقد انه لم يكن من الملائكة ، وأنه كان من الجن أصالة اخذا بظاهر الآية كان مصيبا .

ومن شاء ان يعتقد انه ابو الجن لأنه هو نفسه جنى فى الاصل ، أو انه أبو الجن - وان كان ملكا فى البدء لأنه تحول شيطانا والشيطان له ذرية فليعتقد .

ومن شاء ان يعتقد انه جنس مستقل عن الجن كما يقول بعضهم ، وأنه ليس ابا للجن ، فله رأيه .

كل ذلك جائز ولا حرج فيه وقد قال به العلماء .

وقد رجح الأستاذ الفاضل ان ابليس كان من الجن وألح فى ذلك ، وهذا من حقه لأن هذا الرأى رأى طائفة جليلة من السلف كما بينا تستوجب احترامنا .

ثم ختم مقاله بخلاصته لرأيه فى حقيقة ابليس نوردها فيما يلى مع الرد عليها نيابة عن الطرف الأول الذى يرى أنه كان من الملائكة .

١-٢ -ان ابليس ليس من الملائكة ، لأن الملائكة خلقوا من نور . وهو من الجن لأنه خلق من نار . ويرد على ذلك : بقول الحسن البصرى : النور والنار سواء « مجمع البيان للطبرسى ج - ١ - ١٦٣ »

ولا يصح أن يقال : ان الملائكة خلقت من نور ، وخلق الجن من نار ، فان المراد الجوهر المضىء والنار اذا صفت صارت محض نور « البيضاوى - ج - ١ - ١٤١ » .

وكونه مخلوقا من نار وهم مخلوقون من نور غير ضار ولا قادح فى ملكيته ، لأن النار والنور متحدان فى المادة بالجنس ، مختلفان بالعوارض . « انتهى مختصرا من الألوسى » « ج - ١ - ٢١١ » .

٣ - ٤ - ابليس ليس هو الأب للجن ، وأن أبا الجن هو الجان - كما جاء فى الصحاح .

لقد أوردت أنا هذا القول فى الحديث عن الجن ، ولكن هذا لا يفيدنا الا افادة لغوية ، وهى ان لفظة الجان صحيحة من حيث انها من وضع العرب الذين يحتج لهم فى ذلك ، لأنه لا يحتج بالألفاظ اللغوية فى المسائل الاعتقادية الا اذا ايدها النص الدينى ، فنحن نؤمن بأن العرب نطقوا بلفظة « الجان » ، ولكن لا يفيد ذلك أن الجان ابو الجن لأنه لم يأت فى الكتاب والسنة والاجماع ولا قال به عالم من العلماء ، وانما هو من مزاعم العرب كاعتقادهم فى القنفذ مثلا أنه من مطايا الجن ، فكلمة القنفذ صحيحة لغويا ، ولكنها خرافة اعتقاديا ! وأعتبر ذلك فى أمثالها ، ولو كانت كل لفظة عربية تحتم علينا الاعتقاد بما تفيده لوجب أن نؤمن باللات والعزى ومناة .

٥ - ابلس امر بالسجود لآدم بالنيابة عن بنى جنسه الجن بوصفه رئيسا لهم .

هذا الرأى هو بعض الأقوال الكثيرة المحكية فى ذلك ، ولعله أضعف الآراء ، ومع ذلك ففيه الخلاف الطويل العريض الذى أشرنا اليه ، فالقطع به ترجيح بلا مرجح ، وفيه - الى ذلك - نوع من الاستعلاء على الطرف الأول الذى يمثله كبار الصحابة وفقهاء التابعين .

٦ - ان الجن كانوا موجودين مع الملائكة قبل آدم .

لا اعتراض لنا على ذلك ، وليس هو مما نحن فيه ، ونزيد عليه : ان الملائكة أفنوا هؤلاء جميعا - وقد قيل : ان ابليس كان معهم ، كما جاء فى السير فما المانع أن يكون ابليس حينما طرد من السماء . كما أخرج آدم من الجنة وصار شيطانا رجيما عمر الأرض بذريته ، وهم الجن الجدد بعد الجن الأوائل - فيكون ابليس أبا للجن المسلطين علينا الآن ، وهو وذريته شر خلف لشر سلف !!

هذا ما اردت أن أسوقه مختصرا لتوضيح ما رآه الزميل الكريم ملتبسا أو متناقضا ، وأحب أن أقول له : ان هذه المسألة من المسائل الخلافية الممتدة الأطراف ، ولكل من الأئمة نهجه وحجته ، ولذا كان جلهم يختم قوله بهذه الكلمة المأثورة الدالة على التواضع ونكران الذات : « والله أعلم » .

ونحن نقول معهم : والله أعلم بغيبه وأحكم .

وللأخ الكريم مودتى وتحيتى واكبارى ، والسلام الله عليه ورحمة الله وبركاته .

على الجندى

إله اليهود

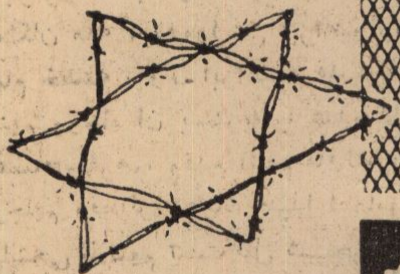

بحسب ما تصوره أسفار توراتهم وتلمودهم

الدكتور علي عبد الواحد وافي

يظهر من التأمل فى أسفار توراتهم المزعومة أن فكرة الألوهية لديهم كانت قد انتكست فى عصر تدوينهم لهذه الأسفار ، فتصوروا الله تعالى فى صور مجسمة ، ووصفوه بكثير من صفات النقص والضعف والكذب والغفلة والجهل ، وظهر تصورهم هذا فى كثير من قصص هذه الأسفار .

فمن ذلك مثلا ما يرويه سفر التكوين فى قصة آدم وحواء واخراجهما من الجنة ، اذ يذكر أن الله تعالى قد نهاهما عن الأكل من شجرة المعرفة ، وخوفهما مضللا بهما ومخفيا عنهما حقيقة هذه الشجرة، فذكرلهما أن الأكل منها يفضى الى الموت مع أن الأكل منها يفضى الى رقى التفكير وانحسار أغطية الجهل ، وانبثاق نور المعرفة . ولكن الاله كان يريد ابقاءهما جاهلين حتى لا يشاركاه فى صفة من أخص صفاته . ولما أغرى الشيطان حواء بالأكل من هذه الشجرة وانساق معها زوجها ، أدركا ما كانا يجهلانه من قبل ، فعرفا أنهما مكشوفا السوءتين وانه لا يليق أن يقابلا ربهما على هذه الصورة ولما قدم الاله نحوهما مخترقا طرق الجنة ، وسمعا صوته وحركته فى أثناء سيره ، اختبآ حتى لا يراهما عريانين ، وأخذا يخصفان على عورتيهما من ورق الجنة ، فناداهما ربهما وأخذ يستجوبهما ، واستنتج من فعلتهما ومن استجوابهما أنه لا بد أن يكونا قد أكلا من شجرة المعرفة ، وأن ذلك قد جعلهما يعرفان حقيقة أمرهما ، وأن الانسان قد أصبح بذلك « أحد الآلهة لتمييزه بين الحسن والقبيح » ، وأنه قد أصبح لزاما أن يطرد الانسان من الجنة ، حتى « لا تمتد يده الى شجرة أخرى هى « شجرة الخلد » فيكفل لنفسه أرقى صفات الاله وهو البقاء » .

(الاصحاح الثالث من سفر التكوين) .

وقد عرض القرآن الكريم فى أكثر من سورة لعدة مواقف من قصة آدم وحواء وأكلهما من الشجرة وخروجهما من الجنة

بدون ان يبدو فى اى موقف من هذه المواقف ما يتعارض مع كمال علم الله وقدرته ومخالفته للحوادث .

ومن ذلك أيضا ما يرويه سفر التكوين فى قصة اهلاك قوم لوط وتدمير قريتى سودوم وجوموره اذ يذكر ان ثلاثة رجال ، وهم الله وملكان معه ، قدموا على ابراهيم وهو جالس أمام خيمته ، وان ابراهيم قد عرف الله من بينهم ورجاه أن يستريحوا عنده قليلا من وعساء سفرهم، وقدم اليهم ماء لشربهم وغسل أرجلهم وفطائر وعجلا حنيذا لطعامهم ، فانتحى ثلاثتهم تحت ظل شجرة ، واخذوا ياكلون مما قدمه اليهم ، وابراهيم جالس على مقربة منهم .

ثم تفقد الالاه زوجه سارة وساله عنها وأخذ يبشرها ويبشر ابراهيم بانه سيمر بهما فى هذا الموعد نفسه من السنة القادمة فيجدهما قد رزقا غلاما زكيا . ثم اشتبك معه ابراهيم فى نقاش وجدال ومساومة حول القريتين اللتين يريد اهلاكهما بغية أن يثنيه عن ذلك لان بعض أهلهما أتقياء ، ولا يصح أن يؤخذ المحسن بذنب المسىء .

(الاصحاح الثامن عشر من سفرالتكوين) .

وقد ذكر القرآن هذه القصة على حقيقتها فبين ان الذين وفدوا على ابراهيم كانوا ملائكة مشكلين فى صورة آدميين ، فظنهم بشرا ، فقدم اليهم طعاما ، فلم تصل أيديهم اليه ، لأن الملائكة لا ياكلون . وفى هذا يقول القرآن الكريم : « ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما ، قال سلام ، فما لبث ان جاء بعجل حنيذ . فلما رأى أيديهم لاتصل اليهنكرهم واوجس منهم خيفة ، قالوالاتخف ، انا ارسلنا الى قوم لوط .. »

(آيات ٦٩ ـ ٧٦ من سورة هود) .

ومن ذلك أيضا ما يقرره سفر التكوين من أن الله بعد ان خلق السماوات والارض فى ستة ايام استراح فى اليوم السابع ، وكان يوم سبت ، وان الله قد بارك هذا اليوم من أجل ذلك فحرم فيه العمل ، أى أنه كالبشر فى حاجة الى الراحة بعد بذل المجهود فى عمل ما .

وعلى زعمهم هذا يرد الله تعالى فى القرآن الكريم اذ يقول :

« ولقد خلقنا السموات والأرض ومابينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب » .

(آية ٣٨ من سورة ق) .

ومن ذلك أيضا ما يذكره سفر التكوين عن يعقوب وأنه لقى الله تعالى ذا تليلة واخذ يصارعه حتى بزغ الفجر بدون ان يستطيع الله سبيلا الى التغلب عليه . وحينئذ ضرب حق فخذ يعقوب فانخلع . ولما بلغ الوهن من الله مبلغه طلب الى يعقوب أن يخلى سبيله لأنه قد طلع الفجر ، ولكن يعقوب اشترط فى مقابل اطلاقه له أن يباركه ، فباركه فانطلق. وقبل أن يغادره سأله عن اسمه فقال يعقوب: فقال له الله لن تسمى بعد الآن يعقوب ، بل تسمى اسرائيل لأنك كنت قويا على الله .. (وهذه ترجمة كلمتى اسرائيل فى العبرية انظر سفر التكوين فقرات ٢٤-٣٢ الاصحاح ٣٢) .

ومن ذلك ايضا ما يذكره سفر اللاويين فى أكثر من موضع أن الضحايا المحرقة » (وهى التى تحرق أجزاؤها فى المذبح تحت اشراف احد اللاويين) يرتاح لها الالاه ويفيد منها وينتعش منرائحة الدخان المتصاعد منحرقها، وأنه يغضب كل الغضب اذا لم تقدم اليه ، أو اذا قدمت اليه فى صورة غير الصورة المقررة فى شريعتهم ، وأنه قد يصب حينئذ سوط عذابه على المقصرين فيرسل عليهم نارا تحرقهم كما فعل ذلك مع ولدين من أبناء هارون .. (الاصحاح العاشر من سفر اللاويين) .

وعلى مزاعمهم هذه يرد الله تعالى فى القرآن الكريم اذ يقول فى صدد الضحايا من الأنعام :

« لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم ، كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين » .

وإذ يقول فى هدى الحج : « فكلوا منهـا وأطعموا البائس الفقير » .

(آيتى ٢٧ ، ٣٧ من سورة الحج) .

* * *

وقد زادت فكرة الألوهية لديهم انتكاسا على انتكاس فى عصور تدوينهم لأسفار التلمود (القرون الستة الأولى بعد ميلاد المسيح) . فأسفار التلمود تظهر الاله اسرائيل متصفا بكثير من الحوادث وصفات النقص . ويبدو هذا على الأخص فى وصف هذه الأسفار لأعضاء الاههم وفيما تذكره عن نشاطه وأعماله فى الليل والنهار ، وعن حالته بعد هدم الهيكل وتشريد بنى اسرائيل . ففى كتاب لهم يسمى سفر توما من أسفار التلمود (والتلمود هو معولهم وعمدتهم فى فقههم وأحكامهم ودينهم وشريعتهم) أن طول جبهة خالقهم من أعلاها الى أنفه خمسة آلاف ذراع. وفى سفر آخر من أسفار التلمود يسمى سادرنا شيم . أن فى رأس خالقهم تاجا فيه الف قنطار من ذهب ، وفى اصبعه خاتم تضىء منه الشمس والكواكب .

وتقرر بعض أسفارهم هذه أن الله يقضى الساعات الثلاث الأول من النهار فى مذاكرة الشريعة ، والساعات الثلاث الثانية فى شئون الحكم بين الناس ، والساعات الثلاث الثالثة فى تدبير العيش للخلق ، وأما الساعات الثلاث الأخيرة فيقضيها فى اللعب مع الحوت ملك الأسماك ، وهو حيوان كبير جدا يتسع حلقه لسمكة طولها ثلثمائة فرسخ بدون أن تضايقه . وقد رأى الله أن يحرمه من أنثاه حتى لا يتناسلا فيملأ الدنيا وحوشا تهلك من فيها وتأتى على الحرث والنسل . ولهذا حبس الذكر بقوته الالاهية وقتل الانثى وملحها وحفظها لطعام المؤمنين فى الفردوس . وأما ساعات الليل فيقضيها الاله فى مذاكرة التلمود مع الملائكة ومع ملك الشياطين الذى يصعد الى السماء كل ليلة ثم يهبط منها الى الأرض بعد انتهاء هذه الندوة العلمية . وقد تغير هذا النظام بعد أن قدر الله هدم الهيكل وتشريد بنى اسرائيل . فقد اعترف الاله بخطئه فى هذا الصدد وندم على ما فعله ؛ وخصص ثلاثة أرباع الليل للبكاء والندم ؛ وكان اذا بكى سقطت من عينيه دمعتان فى البحر فيسمع دويهما من فى الآفاق، وتضطرب المياه وترتجف الأرض فتنجم عن ذلك الزلازل، ويزعم التلمود أن الله يردد فى أثناء بكائه ونحيبه عبارات تدل على ندمه مما فعل ؛ فيقول : تبا لى أمرت بخراب بيتى واحراق الهيكل وتشريد أولادى ، ويقول حينما يسمع الناس يمجدونه طوبى لمن يمجده الناس وهو مستحق لذلك، وويل للأب الذى يمجده أبناؤه مع عدم استحقاقه لذلك لأنه قد قضى عليهم بالتشريد والشقاء .

وينقلون عن أحبارهم المتقدمين الذين أخذوا عنهم دينهم أن رجلا اسمه اسماعيل سمع الله تعالى بعد خراب بيت المقدس يئن كما تئن الحمامة ويبكى وهو يقول : الويل لمن اخرب بيته وضعضع ركنه وهدم قصره وموضع سكينته . ويلى على ما اخربت من بيتى ، ويلى على ما فرقت من بنى وبناتى ، قامتى منكسة حتى أبنى بيتى وأرد اليه بنى وبناتى ، وأن الله تعالى بعد أن فرغ من نحيبه هذا لمح اسماعيل وهو يسترق السمع فامسك بثيابه وقال أسمعتنى يا اسماعيل ؟ فقال لا يا رب . فقال يا ابنى يا اسماعيل . بارك على . قال اسماعيل فباركت عليه ومضيت ..

ولله در العلامة ابن حزم اذ يعلق ساخرا على هذه القصة الغريبة فى مؤلفه الخالد « الفصل فى الملل والأهواء والنحل » فيقول : « والله ما فى الموجودات أرذل ولا أنتن ممن احتاج الى بركة هذا الكلب الوضر . فاعجبوا لعظيم ما اشتملت عليه هذه القصة من وجوه الكفر الشنيع . فمنها اخباره عن الله تعالى أنه يدعو على نفسه بالويل مرة بعد مرة .. ومنها وصفه الله تعالى بالندامة على ما فعل ، وما الذى دعاه الى الندامة ؟! أتراه كان عاجزا ؟! واذ كان نادما على ذلك فلم تمادى على تبديدهم والقاء النجس عليهم حتى يبلغ

ذلك الى القاء الحكة فى أدبارهم كما نص على ذلك فى آخر توراتهم . ومنها وصفه الله تعالى بالبكاء والأنين . ومنها وصفه لربه تعالى بأنه لم يدر هل سمعه أم لا حتى سأله عن ذلك . ثم أطرف شيء اخباره عن نفسه بأنه أجاب بالكذب وان الله تعالى قنع بكذبه وجاز ذلك عنده ولم يدر أنه كاذب . ومنها وصفه الله تعالى بتنكيس القامة . ومنها طلبه البركة من ذلك المنتن ابن المنتن والمنتنة » .

ومن شعائر اليهود أنهم يقومون فى كنائسهم أربعين ليلة متصلة من أيلول وتشرين الأول وهما سبتمبر واكتوبر ، فيصيحون ويولولون ويعاتبون ربهم قائلين : لأى شيء تسلمنا يا الله ولنا الدين القيم والأثر الأول ؟! لم يا الله تتصمم عنا وأنت تسمع ، وتعمى وأنت مبصر ؟ أهذا جزاء من تقدم الى عبوديتك وبدر الى الاقرار بك ؟ لم يا الله لا تجازى بالاحسان فتبخسنا حقنا وتسلمنا لكل معتد وتزعم أن أحكامك عادلة ؟!

وقد علق العلامة ابن حزم فى كتابه السابق ذكره على دعائهم هذا فقال : فاعجبوا لوغادة هؤلاء الأوباش ، ولرذالة هؤلاء الأنذال المتنين على ربهم عز وجل ، المستخفين به وبملائكته ورسله ، وتالله ما بخسهم ربهم حقهم ، وما حظهم الا الخزى فى الدنيا والخلود فى النار فى الآخرة » .

مقارنات بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية

حقوق العاملين وواجباتهم فى الشريعة الإسلامية

مقارنة بالقوانين الاشتراكية .

المستشار على على منصور

تحدثنا فى الأعداد الثلاثة السابقة عن مفهوم كلمة العامل والعمل فى الاسـلام مقارنا بما ذهبت اليه اللوائح والقوانين الاخيرة ، وعن كيف يحض الاسلام على العمل ويعتبره شرفا مهما كان نوعه كما يعتبره واجبا على كل قادر عليه ، وهو حق له أيضا يجب أن توفره الدولة له . ثم تكلمنا عن واجبات العاملين ، وبعض حقوقهم ، وها نحن فى هذا المقال ناتى على بقية حقوق العاملين ونتم البحث بالاشارة الى قوانين العمل الأخيرة ، وموقف الاسـلام والقوانين الوضعية من المرأة والعمل .

حقوق العاملين على رب العمل

٣ ـ يجب على رب العمل أن يحسن معاملة العاملين لديه ، وان وجد فى اعمالهم مآخذا فيقومهم ويرشدهم بالحسنى ، ويشعرهم بشعور الأخوة التى فرضها الله سبحانه وتعالى على جميع المؤمنين بقوله « انما المؤمنون اخوة » ووكدها الرسول صلوات الله وسلامه عليه فى عديد من أحاديثه منها قوله : « أيها الناس ان ربكم واحد وان أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب » . وقوله : « الراحمون يرحمهم الله » . وقوله : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر » . وقوله : « أحب لاخيك ما تحب لنفسك » . وقوله : « أقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا » .

حتى العبيد ملك اليمين يأبى الرسول أن يوجه اليهم أولياؤهم ما يجرح كرامتهم أو يحط من آدميتهم فيقول : « لا تقل عبدى ولا أمتى وقل فتاى وفتاتى » . ويقول صلوات الله عليه : « اخوانكم خولكم ملككم الله اياهم ولو شاء الملكهم اياكم فاطعموهم مما تطعمون واكسوهم مما تكتسون ولا تكلفوهم ما لا يطيقون فان كلفتموهم ما يغلبهم فاعينوهم عليه » . وسمع الرسول ابا ذر الغفارى يقول لعامل لديه : « يابن السوداء » فغضب الرسول صلى الله عليه وسلم وقال له : « يا أبا ذر انك رجل فيك جاهلية ، ليس لابن البيضاء فضل على ابن السوداء الا بالحق » كما أثر عن أحد من خدموا الرسول عليه الصلاة والسلام أنه خدمه عشر سنوات فما

عاف طعاما قط ولا عاب على احد منهم شيئا وكان سمحا يشارك بيده فى أعمال بيته .

وليس معنى ذلك أن نترك أمر العاملين فوضى بلا حساب ولا عقاب والحزم خير الامور وخير الامور أوسطها .

فوضع الندى فى موضع السيف بالعلا

مضر كوضع السيف فى موضع الندى

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول لولاته على الامصار : « لاتضربوا عمالكم فتذلوهم ولا تجهدوهم فتفتنوهم ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفرون ولا تنزلوهم الغياض فتضيعوهم .

٤ – ومن حقوق العاملين على رب العمل ان يعجلوا لهم أجورهم ما استطاعوا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه » . وفى حديث آخر : « ثلاثة أنا خصيمهم يوم القيامة وعدوهم ومنهم رجل استوفى من الأجير عمله ولم يوفه أجره »

ومن أجر العامل فى الشركات نصيب فى الارباح . ولقد نص فقهاء الشريعة الاسلامية على أن من شروط صحة شركات المضاربة – وهى التى يكون فيها المال من جانب والعمل من جانب آخر – بيان نصيب العامل فى الربح لأنه يستحقه بالشرط فلم يقدر الابه وذهب الامام أحمد بن حنبل الى أنه اذا قال صاحب المال لآخر خذ هذا المال مضاربة ولم يسم له شيئا فى الربح كان الربح كله لصاحب المال والوضيعة اى الخسارة عليه ، وليس للعامل الا أجر المثل . وان هذا الرأى موافق لرأى الشافعى – وذهب بعض الفقهاء الى أن الربح فى هذه الحالة يكون مناصفة بين رب المال والعامل لانه سكت عن تحديد نصيب العامل وكانه قال الربح بيننا ولو فعل ذلك لكان مناصفة .

وعلى ذلك نجد فى الفقه الاسلامى ما يبين منه أن الأصل فى الشركات المضاربه أن يكون للعاملين فيها نصيب من الربح عدا الأجر . وخرجوا ذلك على ان الربح لم يكن ثمرة المال وحده بل هو ثمرة المال والعمل معا واشترطوا لصحة عقد المضاربة أن يسمى نصيب العامل فى الربح خلاف أجره فان سكت العقد عن ذلك انصرف السكوت الى أن الربح مناصفة بين العامل وصاحب المال . وهو ما كانت تأباه الشركات المساهمة فى بلادنا . وكان البعض يتفضل على العاملين فى بعض السنين بزيادة الأجر بأجر شهر أو شهرين منحة دون أن تكون حقا ودرجت الشركات على تسميته « بالبونص » الى أن كان عام ١٩٦١ م حيث صدرت القوانين الاشتراكية ونص فى أحدها وهو القانون رقم ١١٢ سنة ١٩٦١ على تخصيص ٢٥ ٪ من أرباح الشركات للعمال والموظفين فرد بذلك الأمر الى نصابه وجدد حكم الشرع والدين فكان عملا موفقا .

ولعله من المفيد أن نشير فى هذه العدد الى المكاسب التى كسبها العمال فى بلادنا منذ ان قامت ثورة يوليه سنة ١٩٥٢ اذ انها خلال الخمسة أشهر الاولى اصدرت القانون رقم ٣١٧ سنة ١٩٥٢ عن عقد العمل الفردى وكذا القانون رقم ٣١٨ لسنة ١٩٥٢ بشأن التوفيق والتحكيم فى منازعات العمل . وقانون نقابات العمال رقم ٣١٩ لسنة ١٩٥٢ واجاز هذا القانون تكوين نقابات لعمال الزراعة والممرضين وعمال المستشفيات .

أما قانون التوفيق والتحكيم فقد جعل النقابة الجهة المختصة بتقديم طلب التوفيق والتحكيم الى مكتب العمل . أما قانون عقد العمل الفردى فقد أمن النقابيين من الفصل بسبب تأدية واجباتهم النقابية واعطاء محكمة الموضوع سلطة القضاء باعادة العامل المفصول الى عمله .

ولقد شمل قانون العمل الموحد رقم ٩١ لسنة ١٩٥٩ الذى حل محل القوانين السابقة فضلا عن هذه المزايا أن عمد الى تنظيم البناء النقابى على أساس النقابة العامة الصناعية او المهنية .

هذا ولا يفوتنى أن أحمد للقائمين بالأمر موقفهم من ادخال معظم العاملين فى المؤسسات والشركات فى نظام المعاش وكل ذلك يتمشى مع ما أمر به الاسلام من عدالة اجتماعيه

وضمان للعيش الكريم . ولقد أخذت الثورة هذا الامر بالتدرج وكانت الخطوة الاولى نظام التأمين والادخار الذى نظم احكامه القانون رقم ٤١٩ لسنة ١٩٥٥ وقانون التأمينات الاجتماعية الصادر بالقانون رقم ٩٢ لسنة ١٩٥٩ . أما الخطوة الثانية فكانت فى عام ١٩٦١ حيث تم تطوير نظام الادخار والتأمين الى نظام معاشات فى حالات الشيخوخة والعجز والوفاة . وصدر بذلك القانون رقم ١٤٣ لسنة ١٩٦١ .

هذا وقد صدرت قرارات وزارية كثيرة محددة لأدنى الأجور واظن أن الحد الأدنى لاجر أى عامل بلغ الآن ٢٥ قرشا يوميا لعمال الصناعة و١٨ قرشا لعمال الزراعة .

ورب سائل يتساءل عن حق ولى الأمر فى سن القوانين سالفة الذكر واشباهها ولو لم تنطق به الشريعة نطقا صريحا ما دامت لا تخالف حكما من أحكامها وفى صدد الرد على ذلك ننقل عن الامام ابن القيم الجوزية ماجاء فى كتابه « الطرق الحكيمة فى السياسة الشرعية » حيث قال :

« السياسة ما كان فعلا يكون الناس معه اقرب الى الصلاح وابعد عن الفساد وان لم يصنعه الرسول ولا نزل به وحى » . ثم يقول فى صدد الرد على من قال لا سياسة الا ما وافق الشرع : « ان اردت بقولك ما وافق عليه الشرع أى لم يخالف ما نطق به الشرع فصحيح وان أردت لا سياسة الا ما نطق به الشرع فقط فغلط وتغليط للصحابة » وبعد ان ضرب ابن القيم أمثلة من عمل الصحابة واجتهاداتهم قال « وهناك طائفة جعلوا الشريعة قاصرة لاتقوم بمصالح العباد محتاجة الى غيرها من الشرائع » . الى أن قال : **« وذلك تقصير فى معرفة الشريعة وتقصير فى معرفة الواقع وتنزيل احدهما على الآخر .. وان الله سبحانه وتعالى ارسل رسله وانزل كتبه ليقوم الناس بالقسط وهو العدل الذى قامت به السموات والارض، فاذا ظهرت امارات العدل وأسفر وجهه باى طريق كان فثم شرع الله ودينه ، والله سبحانه وتعالى احكم وأعلم وأعدل أن يخص طرق العدل وأماراته بشىء ثم ينفى ما هو أظهر منها وأقوى دلالة وأبين امارة : فلا يجعله منها ولا يحكم عند وجودها وقيامها بموجبها . بل انه سبحانه يبين بما شرعه من الطرق ان مقصوده اقامة العدل بين عباده وقيام الناس بالقسط : فأى طريق استخرج بها العدل والقسط فهى من الدين وليست مخالفة له ، فلا يقال عن السياسة العادلة انها مخالفة لما نطق به الشرع بل هى موافقة لما جاء به وهى جزء من اجزائه وهى عدل الله ورسوله ظهر بهذه الامارات »**

المرأة والعمل

يقول الله تعالى : « من عمل صالحا من ذكر أو انثى فلنحيينه حياة طيبة » . ويقول : « ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون » . وقال : « وما تجزون الا ما كنتم تعملون » :

وعن الربيع بنت معوذ انها قالت : « كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نسقى القوم ونخدمهم ونرد الجرحى والقتلى الى المدينة » . وفى رواية لأم عطية الانصارية قالت : « غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات اخلفهم فى رحالهم وأصنع لهم طعامهم وأداوى الجرحى وأقوم على الزمنى . ولقد أكبر الرسول بلاء أمية بنت قيس الغفارية فى غزوة خيبر . وهذه أم حكيم بنت الحارث خاضت معركة بين الروم والمسلمين وهى عروس لم تفارق رائحة العرس . اما نسيبة بنت كعب المازنية فقد حاربت بيدها فى غزوة أحد . اذ لما خالف المسلمون أمر رسول الله حيث كان قد أمرهم ان لايبرح الرماة مكانهم الا بأمر منه فلما انهزم المشركون غرتهم الغنائم فتركو مكانهم واسرعوا الى جمعها ففاجاتهم خيالة قريش من الخلف وشد عليهم الراجلون من الامام فانهزم المسلمون واقتربت ثلة منهم من رسول الله ولم يكن حوله سوى نفر من المسلمين دافعوا عنه حتى سقطوا الواحد تلو الآخر وهنالك تقدمت نسيبة بنت كعب وأخذت تناول الرسول السهام فيقذفها بقوسه

« البقية ص ٥٨ »

هل صحيح أن الوطن العربى قد ضاق بقطانه ، ام انه ما زال فى حاجة الى مزيد من عقول وسواعد ابنائه ؟ وهل صحيح أن أبناء الوطن العربى قد استنفدوا جهودهم العلمية فى استنباط موارد الثروة من ارضه . واستغلال مصادر الطاقة فى ارضه ومائه وهوائه . وماذا عسى يستطيع العلم أن يقدم من دراسات وتوجيهات ، حتى تقابل زيادة السكان زيادة فى الموارد والطاقات .

وللاجابة على هذه الاسئلة ينبغى أن نلم المامة سريعة بامكانيات البلاد العربية وموارد الثروة والطاقة فيها . تلك التى يتعين على المشتغلين بالعلم ان يبذلوا غاية جهدهم فى العمل على استغلالها الى أبعد الحدود ، حتى يسهموا بأوفى نصيب فى رفع مستوى الحياة بين ابناء الوطن العربى .

يشغل الوطن العربى مساحة تربو على أحد عشر مليونا من الكيلومترات المربعة تمتد فيما بين الخليج العربى شرقا ، والمحيط الاطلسى غربا ، وبين البحر المتوسط شمالا ، وأواسط افريقيا جنوبا . وتشمل عددا من الدول الاسيوية هى العراق وسوريا والاردن ولبنان وفلسطين والمملكة العربية السعودية واليمن والكويت وقطر والبحرين وعدن وعمان كما تشمل عددا من الدول الافريقية هى مصر والسودان وليبيا وتونس والجزائر والمغرب . ولعلها اذ تتحد على نحو من الاتحاد، ان تكون وحدة سياسية ضخمة ، تحتل رقعة هائلة من سطح الارض تزيد على مساحة قارة افريقيا كلها . وقد ربطت المواصلات السريعة بين جهاته البعيدة واجزائه القريبة . وغدا الاتصال بين أقطاره سهلا ميسورا ، خاصة وقد جمعت قطانه قومية واحدة وتاريخ مشترك ولغة واحدة .

وتحد الوطن العربى حدود طبيعية يمثلها البحر المتوسط الذى يفصل البلاد العربية عن اوربا ، والخليج العربى وخليج عمان اللذين يفصلانه عن ايران ، وتحده من الجنوب الشرقى مياه المحيط الهندى وثمة حدود جبلية فيما بين العراق وايران ممثلة فى جبال زاجروس ، وبين اثيوبيا والسودان ممثلة فى هضبة الحبشة ، وجبال تبستى وجادو والأدوار ودارفور التى تفصل كلا من ليبيا

والجزائر والسودان عن بقية جهات افريقيا ، وكذلك الحدود الشمالية للوطن العربى الاسيوى ممثلة فى جبال طوروس وهضبة الاناضول وجبال كردستان . وتمتد عبر البلاد العربية صحارى شاسعة فى الجزائر وليبيا ومصر وشبه جزيرة العرب وغيرها .

وتتمثل الموارد البشرية للبلاد العربية فى نحو مائة مليون من الانفس تجمعهم قومية واحدة ولغة واحدة الا أنهم موزعون توزيعا خاصا ، فتتباين كثافتهم فى الاقطار المختلفة ، وان كان متوسط التوزيع حوالى تسعة فى كل كيلو متر مربع ، ولكن التوزيع يتركز حول ضفاف الانهار فى الاراضى المنزرعة ، على حين يكاد ينعدم فى الصحارى فيما عدا الواحات والمحيطات المتناثرة هنا وهنك ونصيب الفرد من الارض الزراعية حوالى ربع الفدان فى مصر على حين يرتفع فى العراق الى نحو خمسة أو ستة من الافدنة ، وفى سوريا نحو اربعة ، وقد يصل فى السودان الى نحو عشرة افدنة . وفى الوطن العربى مساحات شاسعة تبلغ ملايين الافدنة قابلة للزراعة ، ولكنها تحتاج الى يد العلم لتصلحها ولتوفر لها حاجتها من الماء باقامة السدود والخزانات أو حفر الترع والمصارف ، او دق الآبار الارتوازية أو اقامة الطواحين الهوائية ، التى تمتح الماء من الاعماق المختلفة أو استغلال الطاقة الذرية فى تحويل ماء البحر الملح الى ماء عذب يستغل فى رى مساحات شاسعة من الاراضى الصحراوية .. وعلى ذلك فالوطن العربى من هذه الناحية فى حاجة الى مزيد من عقول وسواعد ابنائه ، الذين يعمرون الاراضى الجديدة التى اذا توافر لها ماء الرى ، اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج .

اما الموارد العلمية فى البلاد العربية فما زال يعتورها قصور شديد ، وما زال معظم هذه البلاد يرزح تحت امية قاسية تتمثل فى نحو تسعين فى المائة من قطانه وقد تصل فى معظمها الى ستين او سبعين فى المائة. ولا مراء فى ان هذه الامية انما هى عائق منيع ضد التقدم وحائط مصمت ضد الاستفادة من التقدم العلمى الذى تنعم بهالدول المتقدمة فى العصر الحاضر . وما من شك فى أن على الدول العربية أن تعمل جاهدة على محو عار الأمية عن ابنائها وعليها ان ترسم سياسة علمية بعيدة المدى لتعليم ابناء الامة العربية جميعا تعليما فنيا وزراعيا وصناعيا ، وتعليما جامعيامتخصصا ، حتى يتخرجمن أبناء البلاد العربية من يقود نهضتها ويستخرج كنوز ثروتها ، فضلا عن الاسهام فى الاضافة الى المعرفة البشرية .

اما موارد الثروة المعدنية فى الوطنالعربى ، فانها تتمثل فيما يزخر به جوف الارض من بترول وفحم وحديد ومنجنيز وفوسفات ومعادن مختلفة ، بدأ استنباطها فىبعض البلاد العربية ، منذ عهد قريب ، وما زال اغلب هذا الاستنباط انما تقوم به شركات أجنبية ورءوس أموال أجنبية ، وبذلك يعود اغلب الربح الى هؤلاء الأجانب ، ولا مراء أن ابناء البلاد أولى بهذا الاستنباط والاستغلال حتى تؤول ثروة البلاد الى ابنائها . وما من شك فى أن هذه الموارد كفيلة باثراء الوطن العربى ، ويكفى أن نعلم ان آبار البترول فى الكويت والسعودية والعراق وليبيا لم يكد يبدأ استغلالها الا منذ عهد قريب . والمعتقد ان احتياطى البترول فى البلاد العربية ، يفوق احتياطيه فى بقية بلاد العالم مجتمعة ، بما فيها الاتحاد السوفيتى ، والولايات المتحدة الامريكية . ومن المحتمل ان يظهر البترول وغيره من المعادن فى كثير من البلاد العربية مما يزيد فى دخلها ورخائها ، خاصة أن تستنبط بأيدى ابنائها فهم ولا شك اكثر حفاظا على ثروات بلادهم .

وهناك معين آخر لزيادة الموارد فى البلاد العربية ، ويتمثل فى المياه الاقليمية للبحار الشاسعة التى تحد أراضيه فى البحر المتوسط والخليج العربى وخليج عمان والمحيط الهندى والمحيط الاطلسى ، هذه البحار تحوى من الثروات النباتية والحيوانية والسمكية والمعدنية ، ما لو أحسن استغلاله لاضاف الى موارد هذه البلاد ما يكفى ملايين عديدة من قطان الوطن العربى .

والرأى عندى انه لا خوف من زيادة السكان فى الوطن العربى فى المستقبل القريب بشرط ان ينهض أولو العزم من ابنائه بتخطيط علمى سليم وعلى اسس علمية قويمة لزيادة مساحات الرقعة المنزرعة ، واضافة ملايين من الافدنة من الاراضى الزراعية تطعم غلتها للملايين من ابناء امة العرب ، ولتطبيق الاساليب العلمية فى استنباط السلالات والاصناف التى تعطى اوفر غلة ، او فى علاج الآفات والامراض التى تصيب المحاصيل الزراعية ، وبذلك تزيد فى غلة الارض وترفع من انتاجها ، وكذلك يعمل العلماء العرب على استغلال الموارد والامكانيات الى أقصى حد ، مما يكفى لمواجهة الزيادة فى اعداد السكان .

وعلى ذلك تتلخص الاجابة على الاسئلة التى سقناها فى مطلع هذا الحديث ، فى أن الوطن العربى لم يضق بعد بقطانه ، وأنه مازال فى حاجة الى مزيد من عقول وسواعد أبنائه ، وأن أبناء الوطن العربى لم يستنفدوا بعد مواردهم العلمية فى استنباط موارد الثروة ومصادر الطاقة فى الوطن العربى ، وأن جهود العلماء العرب كفيلة باستنباط مزيد من الموارد والطاقات ما يكفى الأعداد المتزايدة من السكان ، كما ان انتشار التعليم وارتفاع الوعى الثقافى ، سيكفل عملية تنظيم النسل فى الوقت المناسب ، فليس ثمة خطر من تزايد السكان فى الوقت الحاضر ، فلنعمل جاهدين على تطبيق الاساليب العلمية واستغلال الموارد والامكانيات فى ارجاء الوطن العربى ، فذلك خير وابقى ، والله ولى التوفيق .

بقية خواطر مستشار

ثم رمت أيضا السهام بقوس أحد القتلى » .

وفى فتوى للامام الاكبر الشيخ حسن مأمون شيخ الجامع الازهر منشورة بمجلة منبر الاسلام فى عدد ربيع الأول سنة ١٣٨٤ اغسطس سنة ١٩٦٤ أشار الى حكمة الشرع فى عمل المرأة فقال : « ان الدين لا يمانع فى ان تعمل الزوجة باذن زوجها مدرسة أو أى عمل آخر من الأعمال الشريفة التى تساهم فيها المرأة فى نهضة البلاد والتى تحتاج الى جميع القوى العاملة وقد أباح الفقهاء للزوجة ان تشترط على زوجها حين العقد أى شرط فيه مصلحتها ، ومتى قبل الرجل الزواج على هذا الشرط وجب عليه احترامه فاذا أخل به جاز لها أن تطلب من القاضى فسخ العقد وهذا يدل على ان الفقهاء لا يمانعون فى اشتغال المرأة المتزوجة باى عمل من الأعمال الشريفة التى تحسنها ولا تتعارض مع قيامها بواجباتها كزوجة .

الطريقة الحديثة في النطق بالأعلام

فضيلة الشيخ محمد على النجار

الطريقة العربية القديمة فى النطق بالأعلام أن يقال : محمد بن على بن حسن بالاعراب وذكر كلمة « ابن » وقد بقى ذكر « ابن » فى بعض البلاد العربية ، وسقط فى بعضها كما فى مصر وأصبح هذا فاشيا فى الاستعمال ، فيقال : محمد على حسن ، وعبد العزيز فاضل عامر .

وقد يعرض للكاتب أن يقع فى كلامه ماجاء على الطريقة الحديثة من الأعلام ، فيقع فى حرج . فهو ان جرى على ما تقتضيه صناعة العربية من ذكر (ابن) كان ذلك تغييرا فى العلم ، وان أبقاه على ما ينطق الناس فقد نبذ الواجب فى العربية . **ومن ثم جرت محاولات فى هذا الأسلوب .**

١ ــ فيرى بعض الباحثين اضافة كل اسم الى ما بعده . فيقال : جاء محمد على حسن والاضافة هنا صحيحة معناها نسبة الأول الى الثانى . ولكن هذا الوجه لا يطرد ، فلا يجرى فى العباس على ، فان ما فيه ال لا يضاف الى المجرد منها كما هو معروف . وكذلك تمتنع الاضافة فى نحو عبد الحميد على .

٢ ــ ويرى بعضهم أن تعامل هذه الأسماء معاملة المركب المزجى ، اذ أصبحت مدلول

شخص واحد . فيجرى الاعراب على الجزء الأخير منها ، ومقتضى هذا ان يحرك ما سوى الجزء الأخير بفتح آخره ، الا ما كان مختوما بالياء فانه يسكن ، كما يجرى ذلك فى معديكرب . وهذا انما جاء فى الياء الساكنة كهذا المثال فأما الياء المشددة نحو على فلم يأت فى هذا التركيب . والقياس يقضى بفتحه فيقال : جاء محمد على عامر . بفتح دال محمد ، وياء على ، وضم الراء فى عامر .

على أن الأعلام التى نحن فى صدد الحديث عنها قد يكون فيها المركب الاضافى كعبد الحميد ، والمركب الاسنادى نحو جاد الله ، وما عهدنا هذه المركبات تدخل فى المركب المزجى .

ويلاحظ ان هذا الأسلوب قد يكون فيه أربعة أسماء نحو سعد عبد الحميد على عمر ويقول الصبان فى حاشيته على الأشمونى فى مبحث لا النافية للجنس حين عرض لقولهم : الا ماء ماء باردا ببناء ماء الثانى : « ولا بد من تنوين (باردا) لأن العرب لا تركب اربعة اشياء »

على انه جاء فى قولهم : الثالث عشر الثالث عشرة وجه بالتركيب والبناء على الفتح ، ويقول الخضرى فى كتابته على ابن عقيل : « وهذا الوجه قليل حتى قيل بمنعه »

ويمكن أن يقال بوجه عام : ان التركيب المزجى فى غير العدد نادر فى العربية والامثلة التى تورد هى فى الأغلب غير عربية كبعلبك ودار بجرد ورامهرمز ، وقيل انها فى لغتها الأصلية من الاضافة المقلوبة ، فبعلبك معناها مدينة بعل ، وبك هى المدينة وبعل صنم لهم .

والخلاصة انه لا ينبغى اعتماد هذا التخريج

٣ – وأراد بعض الباحثين تخريج الاسكان على الحكاية لوضع هذه الأسماء فى السنة العامة ساكنة الأواخر على عادتهم فى ترك الاعراب . واراد هذا القائل قياس ما نحن فيه على الحروف الهجائية التى وردت فى أوائل بعض السور ، نحو الم ، وحم ، وطسم .

وهذا القياس لا يستقيم ، فان الحروف الهجائية بنيت على الوقف والسكون وتجنب حركات الاعراب اذ كانت تعلم سردا ، فيقال: ألف باتاثا ، ولا يسبقها عامل اعرابى ، فاذا أدخل عليها عامل اعرابى ولم تجر على نسق الحكاية أعربت فتقول : كتبت ألفا ولا تقول : كتبت ألف على الحكاية لأنه لا يقال فى التعليم : ألف فقط ، وانما يقال ألف باتا ... وهذا ما جاء فى أسماء السور فصح أن يحكى سكونها اذا دخل عليها عامل اعرابى كأن تقول : قرأت ألم . واذا قلت قرأت حم فالأكثر ان يقال : قرأت حاميم بالاعراب والمنع من الصرف كما قال الشاعر :

يذكرنى حاميم والرمح شاجر
فهلا تلا حاميم قبل التقدم

والحكاية بالسكون سائغة . وهذا فيما دخل عليه من هذه الحروف عامل صريح .

فاما الحروف التى وردت فى أوائل بعض السور فمن النحاة من يرى أنها لا تزال حروفا على الوقف ، وأن الغرض من ايرادها تنبيه العرب على أن القرآن المعجز مادته هذه الحروف الميسورة لكم ، وليس من طبيعة نائية عنكم فأتوا بمثله . ومنهم من يرى أنها أسماء للسور وأنها خاضعة لعوامل الاعراب ، ولكن حكى فيها سكون الوقف قبل دخول عوامل الاعراب . والحكاية هنا صحيحة بخلاف حكاية سكون الأعلام فانه حكاية لعمل العامة مجانب لقواعد العربية .

ولو كانت الحكاية فى الأعلام سائغة لكان أولى بذلك الأعلام الأعجمية التى وضعت على السكون لغتها الاصلية كابراهيم واسماعيل

ولا نظر لما جاء من الحكاية فى ابن ماجه وابن جنى فان هذا من النادر ، وهو بعد هذا من عمل المولدين

٤ – ومن الباحثين من يرى سندا لتسكين هذه الأعلام فى قراءة ، ابى عمرو بن العلاء . فهو يقرأ فى الآية ٥٤ من سورة البقرة « **فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ، ذلكم خير لكم عند بارئكم** » بتسكين الهمزة فى

« بارئكم » فى الموضعين ، وقد ثبت هذا الاسكان عن أبى عمرو ، ولا عبرة بانكار من تكره من النحاة .

والتسكين فى قراءة ابى عمرو لا يجرى على غير منهج مرسوم ، وانما يتبع لغة لبعض العرب فى تسكين الحركة الثقيلة التى تتوسط حركتين ، وذلك كما يقال : فخذ بتسكين الخاء وعنق فى عنق ورسل فى رسل ، واصل هذا الأصل اللغوى فى حركات البنية كما فى الأمثلة السابقة .

وقد جاء فى الحركات الاعرابية كما فى قول امرىء القيس :

فاليوم اشرب غير مستحقب
اثما من الله ولا واغلْ

وقول الشاعر :

سيروا بنى العم فالأهواز منزلكم
ونهر تيرى ولا تعرفكم العرب

وقد جرى على هذا تسكين ابى عمرو فى الحركات الاعرابية الثقيلة .

ويقول صاحب الاتحاف فى القراءات : « واختلف فى همز « بارئكم » معا ، وراء « يأمركم » المتصل بضمير جمع المخاطب ، و «تأمرهم» مخاطب او غائب متصل بضمير غائب ، «وينصركم» مطلقا حيث وقع ذلك مرفوعا . فأبو عمرو ــ من اكثر الطرق ــ باسكان الهمزة والراء ، كما ورد عنه وعن أصحابه منصوصا ، وعليه اكثر المؤلفين ،وهى لغة بنى اسد وتميم وبعض نجد طلبا للتخفيف عند اجتماع ثلاث حركات ثقال من نوع واحد كيأمركم ، أو نوعين كبارئكم ... والحكم منوط بالمتحرك فى نوعيه . فخرج نحو « ان ينصركم » المجزوم ، وبالحركات الثقال نحو « تأمرنا » لخفة الفتحة »

وقد خرج على هذا الوجه قوله تعالى : « **ومكر السيىء ولا** » فى الآية ٤٣ من سورة فاطر فى قراءة حمزه حيث سكن « السيىء » لاجتماع حركات ثقال .

٥ ــ ويخرج بعض الباحثين التسكين فيه على اجراء الوصل مجرى الوقف . وهذا قليل فى النثر كما قال ابن مالك :

وربما اجرى لفظ الوصل ما
للوقف نثرا وفشا منتظما

وهذه الوجوه كلها تتفق فى ترك الاعراب ، والاعراب روح العربية ، وهو الفارق بينها وبين العامية فلا ينبغى التساهل فيه ، ولو فى بعض الأساليب فان هذا مدرجة الى العامية .

والذى اراه فى هذا الأسلوب ان يتسامح فى ترك «ابن » اذ أصبح معروفا أنه مراد مقدر ولا يتسامح فى ترك الاعراب ، فينبغى المحافظة عليه .

فالاسم الأول يعرب بحسب العوامل . والثانى ان كان من تتمة العلم الأول او لقباله فانه يجر بالاضافة أو يتبع اذا تعذرت الاضافة وان كان ابا للاول تبعه فى اعرابه اذ قام مقام « ابن » المحذوف فى الاعراب ، وبذلك يفرق فى معظم الحالات بين اللقب والأب . والثالث ان أتى بعد لقب كان تابعا للاول فى اعرابه ، والا جر لقيامه مقام ابن المحذوف ، وكذا ما بعده .

فيقال : جاء محمد كامل على عامر اذا كان « كامل » لقبا .

وجاء محمد كامل عامر اذا كان « كامل » ابا للاول .

الغيب

أو معدن حقائق الكون ؟

الأستاذ البهى الخولى

ماهو الغيب ؟

ان الله تعالى يدعونا الى الايمان بالغيب فى مفتتح أول سورة من سور القرآن الكريم بقوله: « ذلك الكتاب لا ريب فيه ، هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون » • فما هو هذا الغيب الذى يريد الله تعالى أن يؤمن به الناس ؟ ••• هل هو فراغ معتم لا تتمثل فيه الأذهان الا العدم المحض والسلبية المطلقة ؟ أو هو أفق حافل بالحقائق ذات الايجاب والفاعلية ؟ ••

ويدعونا للكتابة عن ذلك أمور ، منها :

أولا : أن المؤمنين بالغيب أنفسهم نسوه ، أو كادوا ينسونه ، فهم لا يعولون عليه كثيرا فى فهم حقيقة الحياة كما يعولون على الفهم الذى يلقيه فى أذهانهم تفاعلهم مع الواقع الحسى ، فنريد أن نجدد الصلة به ، ونؤكد العهد له ••

ثانيا : أن بعض الأقلام المعروفة بنزعات خاصة تعمد من آن لآخر الى غمز « الغيب » غمزات لا توهن الايمان به فحسب ، بل تجعله أحد مصادر التخلف التى أصابتنا فى الماضى بالجمود والتبلد عن مقاومة الفساد والمطالبة بالحقوق المغتصبة ، واذا ، فيجب علينا أن نبنى حاضرنا ومستقبلنا على « التفاعل مع الواقع » وننبذ (الغيبيات) التى لا ايجابية لها فى نهضة ، ولا أثر لها الا تبديد الطاقات فى غموض ووهم لا حقيقة له ••• ذلك قولهم ، وواجبنا أن نضع الحق أمام أرباب تلك الأقلام ، فان فاءوا الى الحق فذلك ما نريد ، وان أبوا فحسبنا أن جلونا الحقيقة أمام الشباب الذى قد ينخدع بظاهر أقوالهم المريبة •

ثالثا : ان من كمال المرء ــ بصرف النظر عن أى اعتبار آخر ــ أن يدرس ويعرف حقيقة الكون الذى يحيا فيه ــ غيبه ومشهوده ــ فضلا عن أن ذلك هو سبيل انتظام مصالحه فيه ، وادراكه حظه من منافعه •

• • •

والاسلام الحنيف حين يدعونا الى الايمان بالغيب ، انما يدعونا الى واقع عتيد لا يقل أصالة وواقعية عن الكائنات التى نراها بأعيننا ونباشرها بحواسنا فى آفاق السموات والأرض ، بل هو فى واقعيته أصل من تلك

الكائنات ، أو من الكون الحسى كله ... وهو اذ يدعونا الى الايمان به لايسوقنا اليه عنتا ، أو يلقيه الينا قسرا ، بل يجعل سبيلنا اليه هو : (التفاعل مع الواقع) .. الواقع الحسى لا الغيبى .. المادى لا الروحى ..ومما تطيب له نفس المنصف أن الاسلام يأمر بالتفاعل مع الواقع المحس الى ابعد مما ينادى به حملة تلك الدعوة ، فلا يقبل الا أن نبذل فيه كل طاقة حسية ، وفكرية ، وروحية ، « هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا ، فامشوا فى مناكبها ، وكلوا من رزقه واليه النشور » « أو لم يتفكروا فى أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى » « أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها ، أو آذان يسمعون بها ، فانها لا تعمى الأبصار ، ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » ، والقلوب التى فى الصدور هى وسيلة التفاعل الروحى الذى أوردنا ذكره .. ويبلغ من حرص الاسلام على التفاعل التام مع هذا الواقع الحسى أن يرى من يفرط فيه انسانا أحمق يسيىء الى نفسه حسيا وروحيا حتى يلقى الله لا بصيرة له فى الحق - أعمى - على ما كان عليه فى الدنيا (ومن كان فى هذه أعمى - أى لا يتأمل ولا يتفكر - فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا) .

• • •

ولا يتعلق بمرادنا فى هذا المقام ان نتحدث عن مزايا دعوة الاسلام الى التفاعل الحسى مع الواقع ، اذ يدعونا أن نجوب مناكب الارض بحثا عن ثرواتها ، وتحصيلا لما أودعها الله من رزق ، فانما نحن بصدد ما يسفر عنه تفاعل الفكر من دلالات على الغيب ينطق بها الواقع الحسى نفسه ، فقد جعل القرآن دلالة المادة المحسة هى الفيصل الذى لا مناص من قبول أحكامه ، لأنها دلالة تقوم على المشاهدة الحسية العادية .

وفى القرآن الكريم منهاج كامل للاستدلال على وجود الله - وهو رأس حقائق الغيب - يدعوك فى كل آية من آياته أن تمعن فكرك فى الكائنات ، وتسجل بنفسك دلالتها على القدرة التى ابدعتها ، فاذا بها تقرر لك اثبات الغيب بأصدق وسائل الاثبات العلمى ...

وحين يلقى القرآن - مثلا - بسؤاله : « أم من خلق السموات والأرض ، وأنزل لكم من السماء ماء ، فأنبتنا به حدائق ذات بهجة » أو سؤاله : « أم من جعل الأرض قرارا ، وجعل خلالها أنهارا ، وجعل لها رواسى ، وجعل بين البحرين حاجزا ؟ » نرى تلك الكائنات البارزة الجليلة تسفر للفكر عن دلالات قاطعة تأخذ الطريق على كل مكابر بغير علم ، اذ لا يقبل العلم التجريبى من أى مكابر أن يزعم أن فلانا من البشر أو غير البشر من سكان السماء والأرض قد خلقهما ، فان السماء والأرض قد خلقتا - قطعا - قبل سكانهما ، فلا يعقل أن يكون أحد من هؤلاء السكان قد خلقهما .. ولن يقبل ذلك العلم منه أن هذه الأشياء قد خلقت نفسها بنفسها من العدم ، أو قد وجدت هكذا مصادفة رمية من غير رام ، لأن من أسس العلم التجريبى البديهية ، أنه لا بد لكل أثر من مؤثر أحدثه ، ويرفض ذلك العلم رفضا قاطعا أن يسلم بأن الأثر يمكن أن يوجد بغير مؤثر .. واذا ، لا يكون أمام المنصف الذى يبحث عن اجابة علمية لهذا السؤال الا اجابة واحدة تمليها تلك الكائنات على فطرته بدلالتها القاطعة فى بساطة وقو ، هى : أن خالقا خلقهما من غير الكائنات المنظورة أو المحسة .. خالق لا تدركه الأبصار وليس كمثله شىء من هذه المحسات .

واذ قرر منطق الواقع الحسى ، وأسلوب العلم التجريبى تلك الحقيقة المسلمة عن وجود هذا الخالق ، فقد قرر اثبات « الغيب » لأن التسليم بوجود هذا الخالق الذى لا تدركه الحواس ، هو رأس الايمان بالغيب .. أى أن التفاعل مع الواقع الذى يجعلونه دينهم وشريعتهم قد دل بطريقة حاسمة ، على وجود غيب ليس من طبيعة حواس البشر العادية أن تدركه .

- ٢ -

واذا كان وجود الله تعالى رأس الايمان بالغيب . فثمت حقائق غيبية أخرى اى حقائق لا تدركها حواسنا العادية ، جاء بها

القرآن الكريم ، وكان من نهجه فى شأنها أنه قرن ذكرها بذكر آثارها التى تحدثها فى واقعنا ، بحيث تكون تلك الآثار من الوضوح والقوة بمثابة البرهان القطعى الذى يدل عليها ويلزمنا التسليم بوجودها ، أى أنه رسم فى الحديث عنها - أيضا - أصدق مناهج البحث العلمى فى الدلالة عليها والاخبار بآثارها ، على ما سيأتى فى مكانه ان شاء الله ٠

وبناء على ذلك فالكون لا يقتصر واقعه على العالم الطبيعى الذى يتمثل فيما نرى من كائنات السماء والأرض ، وما يتصل بهما من قوانين وطاقات ، بل ثمت واقع غيبى غير محدود ، ولا محسوس ، واقع يقوم بغير مادة ، له خصائص القوة والايجاب ، دون أن تراه عين ، أو تلمسه يد ، أو يكون للعقل العادى عليه أى سلطان ٠٠

وقد سمى الفلاسفة من قديم هذا الذى تشهده الحواس : عالم الطبيعة ، أو عالم المادة ٠٠ وسموا هذا الذى لا تستطيع أن تدركه : ما وراء المادة ، أو ما وراء الطبيعة ٠٠ أما القرآن الكريم - وهو كلام خالق الكون - فقد سماهما : الغيب ، والشهادة ، فحيثما قرأنا فى القرآن الكريم كلمة الشهادة مقابلة لكلمة الغيب ، فالمراد بها ذلك الكون المحس الذى تقع عليه حواسنا ، أما الغيب فله فى القرآن عدة معان منها المعنى المقابل للشهادة ، وهو الكون الذى يجب الايمان به على ما أخبر القرآن الكريم ٠٠

٠ ٠ ٠

واذا كنا لا نرى ضرورة لذكر شيء من حقائق عالم الشهادة ، مما هو معروف لنا ، فان من الضرورى أن نذكر شيئا من حقائق الغيب وكائناته ، ليتسع علمنا به ، وتمتزج حقائقه بضمائرنا وتفكيرنا ، وتأخذ مكانها الجدير بها من وجودنا ٠٠ فمن تلك الحقائق :

أولا : علم الله القدسى ، الذى أوحاه الله تعالى الى رسله وانبيائه ، وتضمنه القرآن الكريم بمثل قوله تعالى : « لكن الله يشهد بما أنزل اليك ، أنزله بعلمه » أى نزل متضمنا ما شاء سبحانه من علمه ، قال الامام الحافظ ابن كثير فى تفسير هذه الآية : « أى فيه علمه الذى أراد أن يطلع العباد عليه من البينات والهدى والفرقان »

ومفهوم العلم فى كثير من الأذهان غير محدد ، فهل هو العلم بالتاريخ ، أو تقويم البلدان ، أو علوم اللغة ، أو الاقتصاد ، أو الاجتماع أو الميكانيكا ، والهندسة ، وضروب الرياضيات الى آخر ما يطلق عليه اسم العلم ؟

وليس من قصدى بالاشارة الى تلك العلوم أن أحدد معنى العلم ، بل قصدت التمهيد لابراز معنى ما أردت بعلم الله القدسى فهذا العلم هو حقيقة المعرفة ، ورأس العلوم كلها ، أو هو « العلم الحق » ٠٠

اننا حين ندرس علوم الطبيعة ، ندرس واقع المادة نفسها ٠٠ ندرس عناصرها ، ومركباتها ، وخواصها ، ومنافعها ، وما يتصل بها من قوانين ، وكيفية الانتفاع الحسى بذلك كله ٠٠ أما علم الله القدسى فيضع بين أيدينا ما خفى عنا من حقائق الكون الروحية !! ٠٠ ما الانسان ؟ ما مهمته فى الحياة وجدواه عليها ؟ ٠٠ بل ما حقيقة الحياة نفسها ؟ ٠٠ هذه ونحوها حقائق يجهلها الانسان كل الجهل ، ولا يعلمها الا الله ، وعلمها ضرورى لنا لكى نصحب الحياة على النمط الذى يلائم حقيقتها ، فنصحبها صحبة العقلاء ، ويحقق كل منا الغرض من وجوده ، أو من خلقه فيها ٠٠

*** ان أحدنا لا يستطيع أن ينتفع بجهاز ما الا اذا عرف الغرض الذى أعد له ، وعرف من أجزائه ما ييسر له الحصول على منفعته ، فاذا باشره على غير علم ، أفسده ، وحرم نفسه ما له من منفعة ، فكيف اذا كان يجهل نفسه ، ويجهل ما الحياة التى جاء ليحياها ؟ ٠٠**

وليس يتعلق بمقامنا هذا أن نعرض لبيان هذه الحقائق أو غيرها من علم الله القدسى الذى نزل به القرآن الكريم ، ولكنا قد نجد مثالا يوضح المراد فى مثل قوله تعالى : « ان الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم ان فى صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه ، فاستعذ بالله انه هو السميع البصير ، لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس

لا يعلمون ، وما يستوى الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلا ما تتذكرون ، ان الساعة لآتية لا ريب فيها ، ولكن أكثر الناس لا يؤمنون » . فاذا عرضنا ظاهر ألفاظ تلك الآيات الكريمة ، مرت بمعانيها التى تسبق للذهن من أول وهلة ، فاذا بدأنا نتفكر فى حقيقة « السلطان » الذى يؤتيه الله الانسان فتكون له به الحجة الغالبة ، العالية : من أين أتى ؟ وما مكانه فى الانسان ؟ .. وتفكرنا فى « الكبر » الكامن فى الصدر ليرد الحق ، ويغمط الناس أقدارهم ، فتح لنا ذلك التفكر آفاقا من المعنويات العالية ، والمعنويات الوضيعة ، وما يكون به الانسان من حال الرفعة والامتياز اذا كان اعتماده فى الحياة على سلطان الحق وحجته ، وما يكون عليه من حال الانتكاس والضعة اذا لم يكن له فى الحياة الا ما ينفث الباطل فى صدره من أنه حقيق بكل رياسة وكل خير ، لا لشىء الا لأنه يحب نفسه وكفى .. وبالمقارنة بين هاتين القيمتين ينشأ فى ضمير العاقل شعور بالاستعاذة بالله من ان يرد الى قيمة الخسر « فاستعذ بالله انه هو السميع البصير » .. وهنا يبسط العقل جناحيه فى ملكوت المعنويات، ممعنا فى حقائقها، فيتأمل فى نفسه ، وفيما حوله ، فلا يرى قيمة الأشياء بأحجامها ومظاهرها ، بل بخصائص أخرى لا يقع عليها الحس ، فهذه أجرام السماوات والأرض أكبر من جرم الانسان ، أى خلقها أكبر من خلقه ، ولكنه فضل على كثير ممن خلق الله بما أودع من خصائص روحية ، لا بجرمه الضئيل الذى لا يخرق الأرض ، ولا يبلغ الجبال طولا ، ولا يزن واحدا من ألوف البلايين من أصغر كوكب فى السماء.. وبامعانه فى تلك الحقائق تتبدى له نفاسه خصائصه الروحية ساطعة رائعة ، الى جانب ضآلة كائنه الجثمانى . فيعرف قدر البصيرة التى ميزت له وأبصرت ما لم يكن يبصر بالحواس .. ويزداد اشراق الحقائق فى نفسه حتى يرى ما أبصرت له البصيرة هو الحق لا غيره ، وأن ما عداه هو الباطل لا ريب .. وأن من أبصر ما يبصر ، هو البصير بحق ، وان من لا يبصر ما أبصر ، هو الأعمى المحجوب ، ولو كانت حواسه أقوى الحواس التى تشهد المحسات .. وأن السلوك الذى تهدى اليه المشاهدة الأولى هو السلوك الحق الذى لا تصلح الأرض بسواه، وأن السلوك الآخر ، هو السلوك الذى يمتد على الرؤية المحجوبة ، رؤية الأهواء الباطلة ، والشهوات الحسية ، فلا يكون معها الا ما عهدته الأرض فى كل عصر من فساد ، وبغى ، وقلاقل ، وبغضاء .. وذلك ما يعنيه نسق الآيات عقب الموازنة بين خلق السموات والأرض ، وخلق الناس بقوله تعالى : « وما يستوى الأعمى والبصير ، والذين آمنوا وعملوا الصالحات ، ولا المسيء ، قليلا ما تتذكرون » .. فاذا استوى وعى المرء على ادراك تلك البصيرة ، فقد أدرك حقيقة الحياة ، وحقيقة نفسه .. فحقيقة الحياه هى ما تبصره بصيرته وراء الحس من حقائق الخير ، والجمال ، والمعرفة ، وسلطان الله الذى ذكره فى أول الآية .. وحقيقة نفسه هى خصائصه الروحية المؤلفة من صفات الحق .. وأدرك الى جنب ذلك أن تلك الحقيقة هى عنصره الخالد الذى لا يطرأ عليه ما يطرأ على البدن من تحلل ، لأن التحلل ، الذى يطرأ بالموت انما يتناول المركبات الحسية ، أما تلك الحقيقة التى تتألف من بصائر وقيم وصفات ، فأمر روحى ، يبقى بعد البدن ، اذا ما البدن استجاب لناموس التغير والتحلل .. أى يدرك فى بساطة وبداهة حقيقة الحياة بعد الموت ، وهذا ما ختم به القرآن الكريم نسق الآيات اذ قال : « ان الساعة لآتية لا ريب فيها ، ولكن أكثر الناس لا يؤمنون » .

* ونحن بذلك لا نفسر الآيات الكريمة ، بل نعرض مثالا لما نحن بصدده من علم الله القدسى الذى نزل به القرآن ، فالحياة بعد الموت عامة ، والحياة الآخرة خاصة ، من جملة هذا العلم .. وقد يبدو ذلك غريبا لمن اعتادوا أن يطلقوا لفظ « العلم » على المعارف المسطورة فى الكتب ، أو المحفوظة فى أذهان الرجال ، ولكن اذا عرفنا أن ثمرة العلم هى الاهتداء به الى ما ينفع ، فثمرة علم الطبيعة - مثلا - هى الاهتداء الى تحصيل أوسع ما يمكن من منافعها .. وحقيقة الحياة قبل الموت وبعده ، التى نزل بها القرآن ، علم ، وثمرته الاهتداء الى أعظم

المنافع ، وأجل المصالح ، فان من ينفذ ببصيرته الى ماوراء الحس من الحقائق التى أسلفناها ، يراها شاخصة كمعالم الطريق التى تحدد للمرء سلوكه ، اذ يدرك بها أن حقيقة نفسه هى « خصائصها الروحية » ، فاذا زكاها وأولاها عنايته ، فقد أحسن الى نفسه ، واذا أعرض عنها وسلك سلوكا آخر من وحى الحس والهوى ، فقد أهلك نفسه ولا محالة ، فهو يحذر ذلك كل الحذر ما دام علم اليقين ، أو علم حقيقة الحياة شاخصا لبصيرته .. فاذا تقرر أن الاهتداء الى المنافع هو ثمرة العلم ، تقرر أن اهتداء الانسان الى ما يصلح حقيقته الروحية ثمرة علم عتيد ولا بد .. علم من علم الله القدسى .

* * *

ويفترق العلم القدسى من العلم الطبيعى بامور .. منها :

* أن علم الطبيعة هو تقرير حالات المادة وخواصها المختلفة ، وقوانينها التى تعمل بها وتنظم علاقة بعضها ببعض ، أما العلم القدسى ، فأمر غيبى – على ما رأينا – تدركه البصائر ، ولا تناله الأبصار ، ويحسه الضمير هداية وطمانينة وتميزا فى القيم بين ما هو أدنى وما هو خير ، ولا يستطيع العقل أن يضبطه بقانون من قوانينه المقدرة بنسب ومعادلات رياضية معلومة .. ورأس معارف العلم القدسى ، صفات الله – عز وجل – الجامعة لكل مثل الجمال والجلال ..

* وأن العلم الطبيعى يمهد للانسان استخدام الطبيعة فى مقاصده ، بصرف النظر عن كون تلك المقاصد حسنة أو سيئة . أما العلم القدسى فيحدد للانسان مقاصد الخير وغايات الحق ، ولا يتعلق بأى غاية باطلة أو مقصد سيىء .. فهو علم تقرير « المقاصد الواجبة » لعمارة الأرض ومصالح الانسان الروحية والحسية ، فى مقابل علم الطبيعة الذى يقدم أصلح « الوسائل الممكنة » لتحقيق تلك المقاصد ..

* ان العلم الطبيعى – اذا كان علم وسيلة – هو علم الى محض . ليس من طبيعته أن ينهى صاحبه عن شر ، ولا أن يأمره بخير . ولا سيادة له على ضميره البتة ، بل هو خادم لذلك الضمير ينفذ له ما يريد : فاذا كان الضمير محكوما بالأهواء الباطلة والشهوات الحسية ، فذلك العلم فى خدمة مقاصدها .. واذا كان محكوما بعلم اليقين ومبادىء الحق ، فهو أيضا – فى خدمة مقاصدها .. فعلم الطبيعة علم آلة او أداة ، أما العلم الآلهى فعلم بصيرة وتمييز بين الخير والشر .. والحق والباطل ، أو هو علم « البينات والهدى والفرقان » على ما وصفه الامام ابن كثير فى عبارته السابقة التى نقلناها عنه .

وبهذا الفرق بين العلم القدسى والعلم الطبيعى ، ندرك فضل الأول على الثانى ، وندرك سبب حيرة البشرية اليوم ، وزعزعة أركانها ، وقلقلة سلمها وخواطرها ، مع كثرة ما حصلت وكشفت من أسرار الطبيعة ، وندرك ألا شفاء للانسانية مما هى فيه ، ولا رجاء لها فى خير الا أن تقبل على علم الله « علم المقاصد الواجبة » لكى يستقيم فى يدها علم الوسيلة على سمته الصحيح ، فلا قلق ، ولا تهم ، ولا منافسة باطلة ، ولا بغضاء ..

وبعد ، فهذا علم غيبى بحت ، وهو مما فرض الله علينا الايمان به .. له ثمرته التى قررناها فى مكانها ، كما لكل علم ثمرته ، فمن كان يريد المزيد من ايجابية هذا العلم وتأثيره الواقعى فى ظاهر حياتنا ، ليكون أقوى فى تقرير الغيب واثبات وجوده ، فليرجع الى ما قدمنا من فرق بين العلمين ، ولينظر ماذا بين ايجابيه ذات سيطرة واقعية على ضمير الانسان ، وبين سلبية تامة ، ليس لها الا عمل الاله فى يده ، فاذا كنا نسلم بوجود علم الأداة السلبية . فلأن نسلم بوجود علم الايجابيه أولى .. ولينظر اخيرا ماذا جنى الناس من علم الوسيلة حين ترك بلا غاية ، وماذا يجنون حين تكون الوسيله فى ولاية الغاية الحكيمه ، وسلطان الحق الغالب ؟!.

الاسلام دين سلوك وآداب وعلاقات .. علاقات المرء بالناس وعلاقاته بربه وتتمثل فى العبادات وفى المعاملات أيضا . فالدين حسن الخلق ولا خير فى قائم يصلى وهو يكذب الناس أو يتحيفهم ساهيا عن شر المنقلب غافلا عن سوء المصير .

والاسلام على فطرته دين راق منظم رفيع الاسلوب فى التفكير والتصرف والحديث .. حديث الناس وحديث النفس والحديث الأسمى الذى ترقى فيه الكلمات الى رحاب الله نداء ودعاء .

والدعاء من الألفاظ الدمثة فى اللغة ولهذا اقترنت مادته فى القرآن الكريم برسالات الانبياء والمصلحين توددا الى القلوب تتفتح عليها مسالك الاصفياء ، لأن دعوة الحق شديدة الا على النفوس الكبيرة .

« ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين » (آية ١٢٥ من سورة النحل) .

« قال رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا » (آية ٥ من سورة نوح) .

« وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى » (آية ٢٢ من سورة ابراهيم) .

« وانى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا اصابعهم فى آذانهم » (آية ٧ من سورة نوح)

« قل هذه سبيلى أدعو الى الله » (آية ١٠٨ من سورة يوسف) .

« وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا » (آية ٥٧ من سورة الكهف » .

« يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم » (آية ٢٤ من سورة الانفال) .

ولفظ الدعاء من الفاظ السلامة والأمل بما يحمل من معانى اللياذ والرجاء أو

الاستهداء والعطاء ، أو الانتصار من الظلم وعليه .

« واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان » (آية ١٨٦ من سورة البقرة) .

« واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعدا او قائما » (آية ١٢ من سورة يونس) .

« فاذا مس الانسان ضر دعانا » (آية ٤٩ من سورة الزمر) .

« أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء » (آية ٦٢ من سورة النمل) .

وحين استوهب زكريا ربه ، دعا :

« هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة » (آية ٣٨ من سورة آل عمران) .

وحين العطاء :

« لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون » (آية ٥٧ من سورة يس) .

ونفد الصبر :

« فدعا ربه ان هؤلاء قوم مجرمون » (آية ٢٢ من سورة الدخان) .

« فدعاربه أنى مغلوب فانتصر » (آية ١٠ من سورة القمر) .

مادة واسعة متشعبة الذكر فى كتاب العربية الاكبر .

واذا كان الدعاء والدعوة سبيل الحق فانه يحمل معنى العودة الى الحق والمتاب .

« انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما » (آية ١٧ من سورة النساء)

« فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فان الله يتوب عليه ، ان الله غفور رحيم » (آية ٣٩ من سورة المائدة)

« ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء ، والله على كل شىء قدير » (آية ٤٠ من سورة المائدة)

« والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم » (آية ١٥٣ من سورة الاعراف)

والدعاء فى الاسلام دلالة قوية على رحابة الدين وفطرته فهو سواء اكان مناجاة أم اقرارا بذنب وتوبة عنه ، صلة مباشرة بين الانسان وخالقه دون وسيط يتلقى الاعتراف أو يستنزل الغفران .. بل الناس فى شرعة الاسلام سواء .. اقربهم اليه ادناهم من طاعة وابعدهم عن معصية واحسنهم للناس وأوفاهم أمانة وعهدا .. فلا دين لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له ولا دين لمن لا خلق له وان صام وصلى وهمهم وانتمى !

« ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب واقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون » (الآية ١٧٧ من سورة البقرة)

ومن الدعاء ما هو مبتدع كدعاء ليلة النصف من شعبان ، فليلة النصف كما يقول عالمنا الجليل المغفور له الشيخ محمود شلتوت : « لم يصح فى صلاتها حديث ، والاجتماع لاحيائها فى المساجد وغيرها لم يفعله النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه . وحديث النزول فيها الى السماء الدنيا راويه وضاع ودعاؤها الذى يتلقنه الناس بعضهم من بعض، ويحفظه متعلمهم وجاهلهم ، على خلل فى التلقين ، دعاء يحتوى على أمرين كلاهما يؤدى الى تفسير القرآن بما لا يشهد بصحته نقل ولا عقل » .

وبعد أن أوضح الرجل الكبير الأمرين قرر أن الأحاديث صحت بفضل شهر شعبان كله لا فرق بين ليلة وليلة ، وطلب الاكثار فيه من الصوم ، تهيئة لاستقبال رمضان » .

كتاب (من توجيهات الاسلام) ص ٤٧١ -

وليس من الدعـــاء أو العبادة التبتل والانقطاع للمناجاة « ورهبانية ابتدعوهـا ما كتبناها عليهم الا ابتغـاء رضوان الله فمارعوها حق رعايتها » (الآية ٢٧ من سورة الحديد) .

فما كرم الله الانسان بالعقل الا ليفـكر ويسعى ويكون قوة بناءة خالقة تثرى الحياة وتنهض بالمجتمع وتتطور معه .

ويذكر عالمنا الشيخ محمود شلتوت انه صح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لقوم ارادوا رفض الدنيا والترهب : « انمـا هلك من كان قبلكم بالتشديد ، شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم ، فأولئك بقاياهم فى الديار والصوامع، فاعبدوا الله ولا تشركوا به واستقيموا يستقم بكم » (ص١٣٠) .

وانه قال : « ان الله تعالى طيب لا يقبل الا طيبا ، وان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى : « يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحـا » . وقال : يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم» بل قال : « يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ، وكلـوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيـا خالصـة يوم القيامة » .

والسر فى ذلك كما يقول عالمنا الجليل ان الطيبات نعم الله على الانسان ، والله يحب من عباده ان يقبلوا نعمه التى تدعو اليهـا فطرهم ، ويحب ان يرى اثرها عليهم ، ويكره لهم الجناية على فطرهم بمنعها حقهـا .

والدعاء فى الاسلام له آدابه وسمته ، واوقاته التى ترجى الاجابة فيها بل أماكنـه المستحبة واستهلاله والخواتيم فمن آدابه الطهر وخلوص القلب وتمام التوجه .

ومن آدابه استقبال القبلة وكان الرسـول صلى الله عليه وسلم يستقبلها اذا دعا أوصلى

ومن آدابه خفض الصوت حتى يكون بين المخافتة والجهر . وفى حـديث أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال : لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خيبر اوقال : لماتوجه رسول الله صلى الله عليـه وسلم ، أشرف الناس على واد فرفعوا اصواتهم بالتكبير : الله اكبر ! الله اكبر ! لا اله الا الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اربعوا على أنفسكم . انكم لاتدعون أصم ولا غائبا . انكم تدعون سميعا قريبا ، وهو معكم »

اخرجه البخارى فى ٦٤ - كتاب المغازى : ٣٨ - باب غزوة خيبر .

والدعاء بما يحمل من معنى الاتصـال بالله يكون فى كل وقت وان كـان يطيب فى أوقات حببها الى الناس ما وقر فى نفوسهم من فضلها وبركتها أو جوها التأثيرى منهـا ليلة القدر ويوم عرفة ، وشهر رمضـان ، ويوم الجمعة ، وجوف الليل عندما تسكن الضجات وتهـدا الأصوات ويغفو الشر وترسب فى قاع الظلام ضمائر حرمت النور، وتسهر نجوم تحرس ابواب السماء المفتوحة لتستقبل سبحات مؤمنة ودعوات ضارعـة وأخرى متفزعة ليس بينهـا وبين اللـه حجاب .

ويكرم الدعاء عند الصف فى سبيل اللـه وفى السجود ومن توقيته المفضل مكان بورك فيه أو تردد بين جنباته ذكر الله بكرة واصيلا كالمسجد الحرام والمسجد الاقصى أو عند مثوى الأعظم العطرات حيث يضوع فى سماء المدينة المنورة أريج روضة الرسول محمـد الذى كان « يتعوذ من جهد البلاء ، ودرك الشقـاء ، وسوء القضاء ، وشمـاتة الأعداء »

ما أحوج الـكثيرين ان يرددوا وراءه هذا الدعاء . ان يرددوا وراءه : « اللهم انى أعوذ بك من فتنة النار ، وعذاب النار ، وفتنـة القبر ، وعذاب القبر ، وشر فتنـة الغنى ، وشر فتنة الفقر ، اللهم انى اعوذ بك من شر فتنة المسيخ الدجال . اللهم : اغسـل قلبى بماء الثلج والبرد . ونق قلبى من الخطايا ، كما نقيت الثوب الابيض من الدنس . وباعد بينى وبين خطاياى ، كما باعدت بين المشرق والمغرب . اللهم : انى اعوذ بك من الكسل ، والمأثم ، والمغرم » .

حديث عائشة رضى الله عنها أخرجه البخارى فى : ٨٠ – كتاب الدعوات : ٤٦ – باب التعوذ من فتنة الفقر .

طهر اسم أحمد عن الدنس والخطايا فما ضل وما غوى وما نطق عن الهوى ، وما تجبر وما تكبر وما كذب وما افترى فقد ادبه ربه فأحسن تأديبه .

يا رب على هدى محمد نبيك وصفيك ادعوك سميعا تجيب دعوة الداعى اذا دعاك .

يا رب نجنى من الغرور .. اذا خدمتنى الظروف فصعدت سريعا فى غفلة الزمان فلا تجعلنى أنسى أن هناك من هو خير منى واعلم وأكفأ .

يا رب هبنى القدرة على معرفة اقدار الناس حتى أحترمهم فيحترمونى فان الذى يتكبر على الناس يسخرون منه ويكشفون خفاياه ومخازيه .

يا رب عرفنى بنفسى فان الذى يعرف حقيقة نفسه يعرف كيف يتواءم مع الغير ومع الحقائق الاخرى .

يا رب أغننى الغنى الحقيقى .. زودنى بمواهب العقل والقلب والروح فلا أحتاج الى التغطية بالعجرفة الجوفاء أو تعويض الضعف والنقص بالتحكم فى الآخرين .

يا رب امنحنى الشجاعة على محاربة أعدائى فى شرف وجها لوجه بلا مخاتلة أو تبييت أو تدبير بليل أو صفار .

يا رب اعصمنى من الكذب فان الكاذب أحقر الناس يوم تفتضح فعلته ، والكاذب اضعف الناس مهما تظاهر بالقوة والجبروت .

يا رب هبنى القدرة على تزكية الاكفاء لا محاربتهم والحقد عليهم فان تزكية الكفء دليل ثقة بالنفس ونبل الطبع ومحاربته نذير محنة تأكل نارها الحاقد وتصهر صاحب الحق فتثبت قدمه على الطريق .

يا رب أعمر قلبى بحب الناس لتصفو حياتى وتتصل أفراحى فان كرههم يعدى وويل لمن يكرهه الناس ويتسلطون عليه فيصبح مضغة فى الأفواه .

يا رب اجعلنى كبيرة .. كبيرة فى قولى وفى عملى .. فان الصغير فقير فى كل شىء ولو أعطى كنوز الأرض أو حشر فى منصب كبير .

يارب اجعل حبى لبلدى اكثر من حبى لنفسى فأفضل الصالح العام على مآربى الشخصية وأهوائى الفردية .

يارب اجعل حياتى غالية عريضة بالترفع على الصغار والزهد فى التفاهات والاهتمامات الصغيرة .

يا رب نفرنى من الظلم فان المظلوم اقوى الاقوياء بحقه وبمناصرتك له وان عمى عن هذه الحقيقة مخدوع أو أحمق .

يا رب نفرنى من الظلم فان دعوة المظلوم ليس بينها وبينك حجاب .

يارب زودنى بالقوة الحقيقية التى يستمدها صاحبها من ذاته لا من مظاهر يحيط نفسه بها . فتشير الى حوائه بعشرة أصابع وهو يظن أنها تداريه .

يا رب اجعلنى ممن يبنون ولا يهدمون ، يعمرون ولا يخربون ، والبناء الذى اسألك بناء النفوس لا الجدران فليس أنبل من بناء انسان حين لا يغتفر الزمن تقويض حياة أو تدمير مستقبل ، مهما طال المدى .

يا رب طهر نفسى من الغل والحفيظة والحسد فان الذى ينفس على الناس ما أعطيتهم يموت بغيظه بعد أن يتولى عنهم كشف سوءته بنفسه حين تلهب فعلته طموحهم وتغذى كفاحهم فينتقل المحسود من نجاح الى نجاح كالنسر يصعد الى القمة مرقبا بعد مرقب .

يارب افض على حب الناس خالصا وامنحنى كل يوم ان لم يكن كل ساعة صديقا ولو لم أره فان عداوة الناس وتربصهم شر مستطير .

يا رب اعطنى كل يوم قارئا جديدا فان الكاتب يجد سعد عمره فى تجاوب قرائه معه . واصدقاء الفن عز يحظى به المجدود الموهوب .

يا رب احفظ لى القلم فانه سلاح لا يفل ، ونعمة ، وجاه عريض .

قضايانا ومؤتمرات القاهرة

الأستاذ شفيق أرشيدات

شهد العرب ، ولأول مرة في تاريخهم الحديث . مؤتمرين من أكبر المؤتمرات الدولية تعقد خلال هذا العام على أرضهم فى القاهرة .

ويسمع العرب العالم كله يتحدث عن مؤتمرات القاهرة ،وموضوعاتها . ومناقشاتها وخفاياها وقراراتها . وآثارها على الاتجاهات السياسية للعالم القديم خاصة وفى مصير الاستعمار والتعايش . والسلام فى العالم كله . وتساءل المواطنون العرب فى أكثر من مكان من اجزاء الوطن العربى الكبير عن موضوع قضايانا العربية فى هذه المؤتمرات ، وعن المكاسب التى أحرزناها ، والتى يمكن تحرزها هذه القضايا نتيجة لهذه المؤتمرات ،وجوابا على هذه التساؤلات المخلصة ، سأحاول فى هذا البحث الموجز القاء بعض الضوء على موضع قضايانا من مؤتمرى : الذروة الافريقى وعدم الانحياز ، وسأتعرض مع المتسائلين الى ما أحرزته قضايانا من خلالهما . وما تركاه من آثار على ابعادها النضالية والسياسية والدولية والانسانية .

ان من الأمور المقررة مقدما ، بان لنا نحن العرب قضايا قومية اساسية خاصة ، ولكنها فى الوقت نفسه تدخل فى نطاق قضايا الشعوب مع العدوان والاستعمار والاستغلال وان كفاحنا من أجل قضايانا هو فى الوقت نفسه جزء من كفاح الانسانية من أجل سيادة الحق والحرية والسلام فى العالم . بقدر مانستطيع اقناع الشعوب بعدالة قضايانا بأنها جزء من قضايا الانسانية مع العدوان ، والاستعمار . وأن انتصارها انتصار لقضية الحرية فى العالم ، بقدر ما تكون قد اكسبتنا هذه القضايا قوة وأنصارا واعطيناها امكانيات متفوقة للفوز والتحقيق . بهذا المنظار يجب ان ننظر الى موضع قضايانا من مؤتمرات القاهرة ، وبهذا المقياس يجب أن نسجل مكاسبنا منها ... فعلى الرغم من معرفتنا نحن العرب لحقيقة قضايانا وعلى الرغم من ايماننا بعدالتها ، لا أغالى ولا أكابر اذا قلت : بأن هذه القضايا ، وفى رأسها قضية فلسطين ، كانت الى ما قبل مؤتمرات القاهرة مجهولة فى المجال الدولى وغير واضحة حتى لأغلبية أصدقائنا فى أفريقيا وآسيا . فنحن يجب أن لاننسى بأن خصمنا الأول فى كل قضايانا هو الاستعمار ، وان اسرائيل ما هى الا شكل من أشكال هذا الاستعمار وأداة

من أدواته ، وقد كان هذا الاستعمار الى أمد قريب يتحكم فى معظم دول افريقيا وآسيا ، وقد كانت أجهزة الدعاية الاستعمارية وربيبتها الصهيونية هى التى تسيطر على معظم وسائل الاعلام فى العالم القديم خاصة فى العالم بشكل عام .

وكما نجحت هذه الأجهزة فى وقت ما ، فى تحريف وتشويه الكثير من قضايا الشعوب العادلة لدى بعضنا ، فقد نجحت ايضا فى تشويه قضايانا وتصويرها للكثيرين من أصدقائنا بالصورة التى تخدم سياستها العدوانية وأغراضها الاستعمارية .

فقضيه فلسطين مثلا ارتسمت فى أذهان الكثيرين على أنها قضية شعب يهودى مضطهد يملك فلسطين ويسكنها ، ويكافح بايمان من أجل الحرية والديمقراطية .. والتعمير ..! وقضية القومية العربية أدخلت فى عقول الكثيرين على أنها نوع جديد من الفاشستية والنازية ، أو أنها نوع من التعصب الدينى يمارسه المسلمون ضد اخوانهم المسيحيين .. وقضية الوحدة العربية ربطتها اجهزة الاسلام الاستعمارية بصورة الامبراطوريات الاستعمارية ووصفتها بأنها نوع جديد من التوسع ... والتسلط والاستعمار .. !

وازاء هذا الواقع المرير الذى يلمسه كل عربى فى المناسبات الدولية لقضايانا ، استطيع أن أؤكد بأن مؤتمرات القاهرة كانت كسبا لا يقدر للقضايا العربية ، وكانت ضربة قوية موفقه وجهتها القاهرة للمخططات الاستعمارية الصهيونية ضد القومية العربية وأهدافها بشكل عام وضد قضية فلسطين بشكل خاص .

فأول مكسب حققناه من مؤتمرات القاهرة ، كان تعريف أكثر من نصف اعضاء الأمم المتحدة بالعرب وببلادهم وبمدى ما حققوه فى مجالات العلم والقوة والتطوير ، الأمر الذى دفع الكثيرين من ممثلى الدول الافريقيه . الى تقرير ذلك علنا والى شجب الدعايات الاستعمارية المعاكسة فى كلماتهم للجماهير العربيه يوم احتفالات عيد النصر بالقاهرة .

والكسب المهم الذى أحرزته قضايانا من خلال مؤتمرات القاهرة كان خروج هذه القضايا فى نطاقها العربى المحدود ، الذى حاول الاستعمار دائما حصرها فى أبعاده ، الى المجال الدولى الواسع الذى كافح الاستعمار مستميتا ابعاده فى وجهها وابعادنا بكل الوسائل .

فمجرد طرح هذه القضايا بصورها العربية أمام ممثلى اكثر من ستين شعبا ودولة ، يعتبر فى حد ذاته نصرا لهذه القضايا . فقد يستغرب الكثيرون اذا قلت بأن اكثر هؤلاء الممثلين لم تتهيأ لهم من قبل فرصة التعرف على وجهة النظر العربية فى قضايا القومية العربية ، والوحدة وفلسطين .. !

أما المكسب الأهم الذى سجلته قضايانا من مؤتمرات القاهرة ، هو تفهم هذا العدد الكبير من **قادة شعوب أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية** لحقيقتها العادلة ولأهميتها لقضايا الحق والحرية والسلام فى العالم فقرار مؤتمر دول عدم الانحياز بخصوص فلسطين كان نقطة تحول أساسية فى تاريخ هذه القضية ، نقلها من نطاقها العربى الضيق الى المجال الدولى الواسع ، ودفعها من قضية شعب خاصة الى قضية أساسية من قضايا الشعوب ضد العدوان والاستعمار ، وسجلها باجماع خمس وخمسين دولة قضية من قضايا الحق والحرية والسلام فى العالم .

ان نظرة سريعة الى الوراء ، على محاضر جلسة الأمم المتحدة التى أقر فيها تقسيم فلسطين ، وتذكر الجهد الذى بذله العرب والمحاولات والمؤامرات التى قام بها ممثلو الاستعمار الانجلو أمريكى وربيبته الصهيونية بكسب صوت مع هذا القرار أو ذاك ، اظنها كافية لاقناعنا بالاخلاص الكامن وراء عقد مؤتمر الذروة الافريقى ومؤتمر عدم الانحياز بالقاهرة وبالمكاسب القومية العظيمة التى حققتها القاهرة لقضية فلسطين خاصه وقضايا العروبة بشكل عام .

أثر الإسلام في الفكر الإنسانى الحديث

الأستاذ أنور الجندى

فى يقينى أن « الاسلام » فى غزوة جديدة للفكر الانسانى ولا أقول الغربى . هذه هى الغزوة الثانية ، أما الغزوة الأولى فهى تلك التى جاءت أثر القرون الوسطى المظلمة لأوربا ، والتى كانت أساسا لعصر النهضة فى أوربا فى القرن الخامس عشر الميلادى .

تلك الغزوة الأولى كانت أساس الحضارة الحاضرة ، فقد تلقى المسلمون دينهم الذى هو فى الواقع دين ومجتمع وحضارة ، والذى استطاع بامتزاجه بعصارات الفكر الانسانى المتمثل فى ثقافات اليونان وفارس أن يقيم تلك الحضارة الضخمة التى عاشت ألف عام . ومازال قيمها فى مجال الفكر والثقافة والأدب واللغة والتشريع والتاريخ قائمة حية متفاعلة لم تمت ولم تضعف ولم تتخلف ، وقد مرت بالغرب فترة عصيبة تنكر فيها لفضل الثقافة الاسلامية والاسلام ذاته ، وأعلن تجاهله الكامل لها ، وسجل رأيا منحرفا عن الانصاف قوامه أن الحضارة الغربية الحديثة هى ثمرة الحضارة الرومانية القديمة وبينهما ألف عام وانه ليس بين أرسطو وديكارت غير معبر الزمان .

وقد عنى كثير من الباحثين بأن يكشفوا عن حقيقة الدور التاريخى للثقافة والحضارة الاسلاميتين ، وأثرهما فى حضارة الغرب القائمة الآن .

وهذا ليس مجال البحث اليوم ، فقد مرت السنون الطويلة منذ بدأ الغرب حملته الضخمة على الاسلام عن طريق ترجمة القرآن وتحريفه وتصوير النبى محمد صلى الله عليه وسلم بصورة مزيفة ، ومهاجمة أصول الاسلام ومقاصده فى عشرات المواضع واعطاء صورة مظلمة مضببة له ، وقد شنت هذه الحملة تحت تأثير عاملين : (١) سيطرة الكنيسة ومحاولتها اقصاء الاسلام عن طريقها (٢) سيطرة النفوذ الأجنبى الذى كان يرى فى الاسلام قوة معترضة أمام أطماعه وتوسعه ومن هنا جاءت (الحملة على الاسلام) على عنفها مضطربة مهلهلة ، ليست قائمة على منهج البحث العلمى الصحيح وانما كان أبرز معالمها تلك العبارات القاسية الطائشة وتلك الاتهامات التى تبدو منها روح التعصب والحقد .

ولقد كان أصحاب هذه الحملة يهدفون الى أمرين :

الأول ـ اغراق الفكر الغربى بدراسات ومراجع عن الاسلام تحول بينه وبين الدراسات الأصلية والأساسية النابعة من كتابة المسلمين أو المنصفين على الأقل .

الثانى ـ تشويه الاسلام فى نظر أصحابه ومعتنقيه واثارة الشكوك والشبهات فى نفوسهم لصرفهم عنه ،

وتحطيم قيمه فى أنفسهم مما يعين الاستعمار على خلق طائفة من المثقفين المؤمنين بالقيم الغربية التى تعاطف النفوذ الأجنبى وتقبله .

غير أن هذه الحملة المتعصبة لم تحل بين الاسلام وبين النفاذ الى القلوب والعقول ، فلم تلبث مقاصده وقيمه أن بلغت الى عشرات من طلاب الحق وأثرت فيهم فانبعثت بضوء جديد تطور من بعد الى « تيار » قوى يحمل الحقيقة الى ماسوى العالم الاسلامى شرقا وغربا .

ولانعتقد أن هذا التيار التى عنينا برسم صورة له فى هذه الدراسة يمكن أن يدفع الاتهام عن الغرب المتعصب ازاء الاسلام ، أو يعطى وثيقة يمكن أن يعتبرهـا بعض أنصار الفكر الغربى انصافا له ذلك لان حملة التحدى والتعصب ماتزال مستمرة فى تيارها القوى ، أما هذا التيار الجديد فاننى أعده تيارا فى الفكر الانسانى العالمى استطاع أن يشق طريقه بالرغم من كل القوى التى قاومته أو وقفت فى طريقه وتسجل النصوص كيف أن كل هؤلاء الـذين واجهوا الاسلام بعقل مفتوح وقلب سليم قد لقوا من قومهم مزيدا من الاضطهاد وان بعضهم جرد من أملاكه (الدكتور خالد شلدريك) أو حمل عليه حملات عنيفة كالكاتبة الايطالية : نيكيتابارهيابا .

او اضطر أن يمضى خمسين سنة قبل أن يعلن اسلامه خوفا من اضطراب حياته العملية كاللورد « هدلى » .

وأنا واثق من أن هذا التيار سيزداد قوة بمرور الأيام ويعمق ، ويصل الى أبعد مدى ولاشك فى صدق ما ذهب اليه الذين انتقلوا الى عقيدة الاسلام من أن هناك عشرات قد آمنوا بالاسلام ولم يتح لهم أن يجهروا به وان من يستمع الى حديث لأحد الدعاة العاملين فى هذا الميدان كالمهندس محمد توفيق احمد صاحب مجلة «بريدالاسلام» والذى يحمل لواء التبشير الاسلامى بالبريد منذ ثلاثين عاما ليدهش كيف أن كتابا بسيطا صغيـر الحجم فى أربعين صفحة يستطيع أن يكسب عقلا جديدا كلما بلغ انسانا متعطشا الى فهم الاسلام ، وان هذا العمل قدحقق لمئات من المثقفين فى أوربا وأمريكا الاقتناع العميق بجوهر هذا الدين .

وهكذا يعمق هذا التيار ويتسع نطاقه .

فاذا عدنا الى الصورة الأولى لوجدنا أن « الفـكر الغربى » قد كان حفيا بان يضع حجابا كثيفا على العقل الانسانى بحملته على الاسلام ، هذه الحملة التى يصورها « م . ر . كوبت » فى كتابه الاسلام والدولة البريطانية حين يقول :

« ان الكثيرين منا شبوا على كراهية الاسلام،وارتضعوا ذلك مع لبان أمهاتهم ، هذا فضلا عن أن مالدينـا من المعلومات عن الاسلام يزيد فى بعدنا عن معـرفة حقيقته خصوصا لعدم امكاننا الوقوف على أصوله من اللغـة العربية » .

ومن عجب أنه ماتكاد تمر فترة لاتزيد عن ستين عاما حتى يجد الاسلام مجالا واضحا فى الفكر الانسانى يستطيع به أن يواجه حملة الفكر الغربى عليه .

فاليوم تزخر مكتبات اوربا وامريكا والشرق بعشـرات من الكتب ، لمثقفين من غير أهل العالم الاسلامى يصورون فيها مشاعرهم ازاء الاسلام ويكشفون فيها عن مفـاهيم له ، ولابد أن تحمل هذه الكتب بعض الأخطـاء أو الاضطرابات ولكنها فى جوهرها صادقة فقد قرأ هـؤلاء ماكتبه الغربيون المتعصبون ومنه - فى الأغلب - نفذوا الى الحقيقة ، وتجربة الدكتور خالد شلدريك البريطانى المسلم يعترف بانه لم يتلق هذا الدين أول الأمر من كتبه وانما تلقاه من كتابات الطاعنين ، وان البحث والتامل دفعه الى دراسة البوذية والبرهمية وسائر الأديان ووجد فى مكاتب بريطانيا كتبا منصفة عن كل الأديان ماعدا الاسلام فقد وجد كتبه مملوءة بالتحامل والمطاعن وهى تقول انه دين لا أهمية له ، وقال الدكتور شلدريك لنفسه : اذاكان الاسلام لا أهمية له الى هذا الحد فلماذا يبذلون كل هذه الجهود للتحامل عليه ومقاومته وتوجيه المطاعن اليه يقول « وقد وقر فى نفسى أنه لولا أن الاسلام دين يخشاه هؤلاء الناس ويحسبون له حسابا كبيرا لما فيه من القـوة والحيوية ، لما بذلوا كل هذه الجهود لمقاومته والطعن فيه وتشويه سمعته » .

وهكذا استطاع الاسلام عن طريق الكتب المشوهة عنه أن يشق طريقه وأن يبدأ غزوة جديدة للفكر الانسانى ، لاشك سيكون لها صدى كبير وأثر لاحد له ، هذا الأثر الذى يكشف عنه كل الذين عرفوا الاسلام وآمنوا به .

ان الذين كونوا هذا التيار الجديد الذى يعد غـزوة جديدة من الاسلام للفكر الانسانى يمثلون ثلاث جبهات

* معجبون هزهم الاسلام بحقائقه الدامغة فقالوا فيـه كلمة الحق وهم أمثال توماس كارليل وجوستاف لوبون وجورج سارتون وهورتون الالمانى وهرجودنج وديفو نويب وكلود فارير ومونيه وتربتون وبرنارد شـو ولوتروب ستودارد وول ديورانب ولفرن كابتول سميث واميـل درينجم والبارون كارادى فو والدكتور بول دى ركـلا وسيديو .

وهؤلاء بين مؤرخين وصحفيين وكتاب قد وصلت اليهم الحقيقة فاعلنوها معترفين بفضل الاسلام واثره فى الحضارة الحديثة وقيمه الحية النابضة ومدى مايمكن أن تقدمـه للانسانية .

* قادة وكتاب وسياسيون قالوا الحقيقة لقومهم لتضع حكوماتهم ومؤسساتهم الخطط التى تمكنها من رسم طريق صحيح مع العالم الاسلامى ومن هؤلاء : هنرى دى كاسترى والقس اسحق طيلو ولويس ماسينيون وجب وريئيه ميليه وكريستان سنوك هيروجرونجيه وسير ريتشـارد وود وشاتليه واوجين يونج .

* مؤمنون بهرهم الاسلام حقيقة فآمنوا به أمثـال اللورد هدلى واتيان دينيه وليون روش والدكتورة لورا منيشيا فاليرى وليوبولد فايس وعبد الله كوليام ونتكيتابا وهبايا وهارى هينكل وخالد شلدريك .

وهناك مجموعة أخرى من كبار المفكرين استطاعوا أن يصححوا آراءهم فى الاسلام بعد مراجعة لافكاره أمثـال رينان وأوغست كونت ومن عجب أن ترى ديفو توبب يؤلف كتابا يطلق عليه اسم « اعتذار الى محمد والاسلام » أو تسمع قصة ليون روش الذى عمل كاتما لأسرار الأمير عبد القادر الجزائرى وجاسوسا عليه لفرنسا واستطاع الاسلام بعد ثلاثين عاما أن يجذبه اليه .

وأمامى أكثر من ثلاثين مرجعا وأكثر من مائتى فكرة عن كتاب غربيين وشرقيين اعترفوا للاسلام بالفضل ومن بين هؤلاء الكتاب أبرز كتاب الانسانية أمثال كارليل وتوينبى وبرناردشو وولز وجب ودرمنجم وسيديو فى وثائق ثابتة يكشفون فيها عن رأيهم الذى كتبوه دون ضغط او اكراه ، فماذا يعنى هذا ؟ وما الذى دفع هؤلاء الى أن يقولوا كلمة الحق فى الاسلام ؟

هذا ما سنفصله فى العدد القادم ...

الإسلام والعصبية

الأستاذ عبد المنعم النمر

وحد الله سبحانه بين المسلمين حين أعلن فى كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم أنهم اخوة على اختلاف أجناسهم ولغاتهم وألوانهم وأوطانهم ، وكانت هذه الوحدة وهذه الاخوة من صنع الله لأنها تستمد روحها وقوتها من الايمان بالله ورسوله وبما جاء به من عند الله .

وقد فعلت هذه الوحدة الاخوية فعلها فى النفوس فجمعت شمل العرب المتفرقين ثم لفت تحت لوائها الأمم الأخرى من غير العرب وأصبح الجميع بفضل الله اخوانا متعاونين متحابين يشعر الواحد منهم فى أقصى المشرق بشعور أخيه فى أقصى المغرب ويهب لنجدته ، ويفرح لفرحته غير ناظر الى جنسه أو لونه أو لغته ، بعد ما صهرت أخوة الاسلام كل هذه الفوارق وأصبح شعارها « المسلم أخو المسلم لايظلمه ولايخذله ولايحقره ولايسلمه» « المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم » .

وبهذه الاخوة والوحدة طوى المسلمون الدول العظيمة التى حولهم حين خرج العرب من شبه الجزيرة يبشرون بمبادىء الاسلام دين الاخوة والعدل والمساواة فنشروا لواء الاسلام شرقا وغربا وأسس المسلمون حضارة فاضلة سعد الجميع فى ظلها واستمدت منها أوربا حضارتها .

وللاخوة الاسلامية سحرها وجمالها وقوتها فى ربط الامم بعضها ببعض ، وتكوين قوة بشرية وروحية لها وزنها وتأثيرها فى مجرى الحوادث العالمية ولاسيما فى عالم تسعى دوله الآن للتكتل المصطنع تحت تأثير عوامل مؤقتة ومصالح متبادلة وبمقدار قوة الايمان فى النفوس والاستجابة له يكون ازدهار هذه الاخوة وقوتها فى ربط الأمم الاسلامية وتوحيدها .

وهنا يقفز فى الأذهان تساؤل : اذا كانت الاخوة والوحدة الاسلامية تتخطى حواجز الجنس والوطن فماذا يكون موقفها من الدعوات الوطنية والقومية ؟ وهل تتصادم مع قيام أوطان متعددة ومستقلة للمسلمين لكل وطن حاكمه المستقل فى تدبير شئونه ؟ وهل تتصادم مع الدعوة لتكتيل قوم من المسلمين لهم خصائصهم المميزة لهم عن بقية المسلمين .. اذا كان هذا التكتل لمصلحتهم ومصلحة المسلمين عامة ؟ .. هل ترفض استغلال الروح القبلية أو الاقليمية مثلا لبعث روح التنافس الخير والعمل المنتج لرفع مستوى القبيلة أو الاقليم وتوحيد جهود ابنائه للوقوف فى وجه أعدائهم ؟

الذى أعتقده أن الاسلام يضع أمام المسلمين مثلا أعلى فى حياتهم وهو وحدتهم الشاملة تحت حكم واحد لو كان ذلك مستطاعا .. لكنه مع ذلك لايصادم الظروف الطبيعية ولا يمنع قيام أوطان اسلامية متعددة ، لكل وطن ظروفه وحكامه ، لكن على أساس السير فى الاتجاه الاسلامى وتحت لواء الاخوة الاسلامية للأوطان الاخرى بحيث يكون هناك تجاوب بين الجميع فى السراء والضراء، بل ان الاسلام لايمنع اثارة العصبية القروية مثلا فى سكان القرية لينهضوا بها ، وليتعاونوا فيما بينهم لتحقيق صالحها .

فاثارة العصبية الأسرية أو القبلية أو القروية أو الاقليمية و الوطنية أو القومية بين المسلمين لتوحيد الصفوف وتكتيل الجهود فى سبيل الخير والمصلحة أمر لايرفضه الاسلام بل يباركه ، ولا يتنافى مع الوحدة أو الاخوة الاسلامية مادام التكتل ليس موجها ضد مصالح المسلمين الآخرين بل يخدمهم ويرفع شأنهم باعتبار أن قوة أى جزء من الوطن الاسلامى قوة لبقية الأجزاء ونهوض أى وطن اسلامى يعود بالخير على الأوطان الاسلامية الاخرى ، والذى يمقته الاسلام ويحاربه ، ويتصادم مع الاخوة والوحدة الاسلامية انما هو اثارة العصبية من أى نوع كان للتفرقة والهدم وبذر بذور العداء بين المسلمين الأمر الذى يضعف شأنهم ويطمع فيهم أعداءهم ويفتح الطريق لسيطرة الاجانب عليهم ونهبهم خيراتهم .

فليس من مصلحة الاسلام والمسلمين اذن أن ننكر — باسم الاسلام — على زعيم وطنى قام فى وطنه الاسلامى يستغل الروح الوطنية فى أبنائه ويثير فيهم عصبيتها ليطردوا المستعمرين ويبنوا فى بلدهم — كالبلاد الناهضة نهضة صناعية وزراعية وحربية واجتماعية بحجة أن عمله يتنافى مع الاخوة والوحدة الاسلامية !!

بل ليس من مصلحة الاسلام ولا المسلمين أن ننكر على زعيم فى قبيلة أو قرية استنفر أبناءها باسم التعصب لقبيلتهم أو قريتهم ليسارعوا الى رفع مستواها والنهوض بها بحجة أن اثارة العصبية يتنافى مع الاخوة الاسلامية ، ليس من مصلحة الاسلام والمسلمين أن ننكر على داع قام فى قومه يدعوهم ليوحدوا صفوفهم وينبذوا خلافاتهم ليطهروا بلادهم من النفوذ الأجنبى ويحموا مقدساتهم ويستعيدوا أمجادهم باعتبار أنهم جنس واحد مصالحهم مشتركة ولغتهم واحدة وتقاليدهم واحدة وتاريخهم واحد وعدوهم واحد بحجة أن دعوته هذه تتنافى مع دعوى الاسلام.

نعم ليس مما يتفق مع الاسلام ولا مصلحة المسلمين أن ترتفع بعض الأصوات لتهدم باسم الاسلام مثل هذه الجهود التى تبذل لتوحيد البلاد العربية — قلب العالم الاسلامى — وحامية مقدساته والتى اذا عزت عز المسلمون جميعا ، واذا قويت كانت قوتها فى خدمة المسلمين وحماية مصالحهم فى كل مكان ، لاسيما اذا رأينا مع هذه الجهود المبذولة لتوحيد العرب جهودا اسلامية ضخمة تبذل فى الوقت نفسه لتقوية الاسلام ورفع شأنه فى كل مكان فى العالم . حتى لنرى هذه الجهود ترعب مجلة « التايم » الأمريكية فتكتب محذرة ومنذرة قراءها المسيحيين فى عددها الصادر فى ١١ يناير ١٩٦٢ تحت باب الدين ، تقول

• الانتشار السريع الذى يحققه الاسلام فى افريقيا اليوم ظاهرة لم يسبق لها مثيل منذ ان نشر المحاربون العرب بحد السيف عقيدة محمد عبر ثلاث قارات (كذا) وفى القارة المظلمة اليوم مائة مليون مسلم . ولكن تعاليم محمد البسيطة تضيف اليهم ٩ ملايين مسلم جدد كل عام اى تسعة اضعاف ماتكسبه المسيحية ، ومع انتشار الاسلام تنمو احلام الوحدة الاسلامية .. امبراطورية ناصر .. التى يسعى لها المجلس الأعلى للشئون الاسلامية الخاضع لاشراف الحكومة المصرية ، والذى يعد احدى المؤسسات التبشيرية الكبرى فى العالم ، ويذيع المؤتمر من اذاعته القوية رسالة القرآن لمدة ١٢ ساعة بثمانى لغات يوميا (كذا !) ويقدم ١٣٠٠ منحة دراسية لشباب المسلمين فى الجامعات المصرية ويرسل مصاحف للقادة فى افريقيا وآسيا ، ومنهم جومو كينياتا الذى تلقى اخيرا مصحفا فاخرا مع رسالة رقيقة من عبد الناصر .. ومطابع المجلس الأعلى للشئون الاسلامية التى لا تكل تغرق افريقيا بنسخ رخيصة من القرآن الكريم !! »

فلو ان الدعوة لتوحيد العرب قد اغفلت امر الاسلام او تناسته او غضت من شانه كدعوة البعثيين التى يتزعمها ميشيل عفلق والتى تريد تجريد العرب من تعلقهم بدينهم لاستحقت ان نوجه اليها معاول الهدم من كل غيور على دينه وكنت فى مقدمتهم .

اما وهذه الدعوة العربية بجوارها دعوة وجهود اسلامية محسوسة ملموسة لها اثرها فى مصر وخارج مصر فى كل مكان فى العالم الاسلامى وغير الاسلامى فان محاولة الغض منها او التشكيك فى القائمين بها امر يدعو الى الريبة والاشفاق ايضا .. لأن الاسلام – كما قلنا – لايمنع اثارة العصبية القومية او استغلالها فى قوم من اجل مصلحتهم العامة ، ومصلحة المسلمين فى المنطقة العربية لاتتعارض مع مصالح المسلمين الاخرين بل هى مصلحتهم .

لا اقول هذا عن هوى او مسايرة للدعوة المنطلقة من وطنى لمجرد التبرير ولكنى اقوله عن بصر بدينى واقتناع تام بما اقول مقدرا مسئولية الكلمة التى اقولها امام الله ومشفقا على الاسلام ان يحمله المتحمسون مالايحتمل ويقولوه مالم يقل ، ويصوروه متعارضا مع المصلحة العامة الملموسة واقرر فى الوقت نفسه ان الوحدة الاسلامية هى الهدف الأسمى الذى يجب ان ينشده كل مسلم ويسعى اليه بكل ما استطاع – ولا احب ان يخلط المتهجمون على الوحدة العربية بين الدعوة اليها وبين مايرونه احيانا من شطط بعض حملة الاقلام مما يمس التعاليم والأهداف الاسلامية ، فان هذا الشطط مما يجب الضرب على ايدى مرتكبيه لانه يسيىء الى ديننا وامتنا والى اهدافنا ، وهو لا شك عبث لا اقره .

ولايقره احد من العقلاء الذين يتحملون تبعة الامور فى الدولة ، وان كان ظاهرة تحدث فى كثير من الامم ، وتجد من يتصدى لتقويضها هنا باستمرار .

ولا احب كذلك ان انتهى من حديثى حتى اقدم شاهدا من تاريخنا الذى نعتز به ، فقد وجد خالد بن الوليد سيف الله المسلول فى حرب المرتدين باليمامة ، وجد ظروفه تستدعى استغلال روح العصبية القبلية بين جيشه لتتحد كل قبيلة وتتكتل وتستميت فى حرب الأعداء ، دفاعا عن دينها وشرفها وسمعتها ، وذلك حين انهزم الجيش الاسلامى اولا أمام المرتدين ، لما ثار بينه من خلاف وتنابز حتى رمى المهاجرون والانصار أهل البوادى بالجبن ، وبادلهم أهل البوادى الاتهام نفسه فدخلوا المعركة وهم مفتتو الروح .. فرأى خالد – وهو القائد الملهم الذى يعرف مواطن الضعف فيسارع الى معالجتها – رأى ان يقضى على خلافاتهم ليقابلوا عدوهم متحدين فصاح فيهم « امتازوا أيها الناس لنعلم بلاء كل حى ونعلم من أين نؤتى» ودخلوا المعركة وكل قبيلة لها موقفها وجهتها وروح العصبية تلهبهم وتدفعهم للهجوم على أعدائهم حتى كان نصر الله ، وحقق خالد بهذا للاسلام فتحا جديدا انساب منه بعد ذلك الى خارج الجزيرة .

افرايت كيف أثار خالد روح العصبية القبلية فى جنوده لتتكتل كل قبيلة أو جماعة وتحارب بكل عزمها وقوتها ؟ : افكان خالد لذلك مخالفا للوحدة اوالاخوة الاسلامية العامة؟ وهل قام احد من كبار الصحابة وحفاظ القرآن فانكر عليه ذلك ؟ لاهذا ولاذاك .

وبعد .. فمن الذى سيكسب بنجاح الوحدة العربية ومن الذى سيخسر ؟ بالجواب عن هذا يتحدد موقف المهاجمين للوحدة العربية ودعاتها ان المسلمين هم الذين يكسبون . واعداءهم هم الذين يخسرون لان العرب حين ينهضون سيحملون رسالة الاسلام كما حملوها من قبل الى كل مكان وسيحملون الدعوة الاسلامية كما حملوها من قبل ، وقد حرص المنادون بالوحدة فى دساتيرهم على ان يسجلوا فيها ان الاسلام دين دولتهم وبالتالى دين الوحدة الشاملة .

واسمع مايقوله الاستاذ موروبيرجر استاذ الشرق الادنى فى جامعة برنستون الامريكية فى كتابه « العالم العربى اليوم » فى هذا الصدد وهو يتحدث عن اسباب معارضة الغرب للوحدة العربية يقول: « لقد ثبت تاريخيا ان قوة العرب تعنى قوة الاسلام ونفس الشىء يمكن ان يتكرر اليوم حيث يحرز الاسلام انتصارات واسعة فى افريقيا » .

ولعل هذا هو السبب فى معارضة الغرب للقومية العربية المنطلقة من القاهرة وتاييده للقومية العربية التى ينادى بها حزب البعث والتى تغفل امر الاسلام وتغض من شانه وتحاول تجريد نفوس العرب منه فمن ذا الذى يكره بعد هذا نصرا له ولاخوانه المسلمين العرب بوحدتهم .. من الذى يكره قوة العرب ووحدتهم حتى يقف مع الغربيين فى مهاجمة الداعين اليها متسترا وراء الغيرة على الاسلام ؟ وقوة العرب قوة الاسلام تحمى كتابه ومقدساته وترهب أعداءه . وترد للمسلمين ارضهم المسلوبة ، وتغسل عنهم عار اللجوء والتشريد ..

ان الوحدة العربية أمل نرجو ان يسارع الجميع لتحقيقه من أجل قوتهم وعزتهم وعزة الاسلام . ومن اجل طرد هؤلاء الاشرار الذين زرعهم الاستعمار فى قلب البلاد العربية فان العرب قبل غيرهم هم الذين يكتوون بشرهم وهم المحيطون بهم ، والمطالبون بتكتيل قواهم للقضاء على عدوهم ، ووسائل الوحدة ودوافعها موفورة بينهم وليس لهم عذر اذا ابطئوا :

واذا كان توحيد المسلمين جميعا املا يراود قلوبنا ويشغل خواطرنا فانه امل طريقه طويل اما توحيد العرب فالطريق اليه قريب وهو فى الوقت نفسه توحيد لقلب العالم الاسلامى وليس من العقل ولا من الحكمة ان نهمل الوصول والسعى الى الامل القريب انتظارا لتحقيق امل بعيد ونترك عدونا ينهش فى لحمنا وعظامنا ويقضى علينا حتى يتحقق هذا الامل البعيد .

والله المسئول ان يسدد خطانا ويوفق سعى المخلصين فينا .

عناصر الحيوية في الدين الاسلامي

١٦

حرية الرأى

الأستاذ عبد الله المشد

من مظاهرة احترام الاسلام للشخصية الانسانية كفالته حرية الرأى التى هى قسم من أقسام الحرية ، وهى من اهم الركائز التى تقوم عليها حيوية الدين الاسلامى ، والاسلام فى تقريره لحرية الرأى نظر اليها نظرتين : الأولى أنه جعلها حقا مكفولا لكل من يصح أن يكون له رأى يعتد به ، والثانية انه أمر امرا جازما بابداء الرأى فى المشكلات التى تهم الدين والجماعة الاسلامية ، وأن ينبه الى الأخطار التى تحيق بالمجتمع من جراء سلوك معين ، والى الطرق السوية التى يجب أن يسلكها لتتحقق له سعادته وأمنه واستقراره، وشجع على تكوين رأى عام يرقب الأحداث الجارية فيشجع منها ما كان فى مصلحة الجماعة ، ويقف ضد المؤثرات على سلامتها .

وهذه الحرية بشقيها هى أهم مظاهر النهضة الحديثة وأقوى دعائم الحكم الديموقراطى الذى لجأت اليه أغلب الدول بعد تجارب طويلة مرت عليها فى ظل الديكتاتورية الباطشة والتيوقراطية المتحكمة المتحجرة وما أشبهها من أنظمة الحكم التى تهدد شخصية الفرد ولا تأبه لرأى الجماعة .

والنصوص الواردة فى هذا المبدأ كثيرة فى القرآن والسنة ، وتطبيقاته فى عهد الصحابة والتابعين قد زخرت بهاكتب التاريخ والباحث عنها يرى عجبا من هذه الأمة التى تحولت الى هذا الوضع المستقر فى الحكم . وحرصت عليه ونفذته تعليا سماويا جعلت الرقابة عليه لمن لا تخفى عليه خافية فى الارض ولا فى السماء ، وهو الله الذى يرجى ثوابه ويخشى عقابه ، لا يمكن لأحد أن يفلت أو يتحايل أو يخدع هذا الرقيب فيتحلل من هذا الواجب المقدس الذى جعل التفريط فيه سببا أكيدا لتدهور الجماعة والخسارة الماحقة فى الدنيا والآخرة :

« والعصر ان الانسان لفى خسر . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » .

وامتدح الجماعة التى تتداول الرأى فى مشاكلها وتنزل عند الرأى الصائب بعد المناقشة والفحص ، وسلك هذا الأصل فى عقد امهات الفضائل التى تكون شخصية المؤمن المثالى .. انظر الى قوله سبحانه :

« وما عند الله خير وابقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون . والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون . والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون » .

حيث جعل التشاور فى الرأى عبادة من العبادات يتقرب بها الى الله كالصلاة والزكاة ، والتفريط فيه جريمة كبرى لا تقل خطرا عن ارتكاب كبائر الاثم والفواحش . وتأكيدا لمبلغ حرص الاسلام على تقديس حرية الرأى وضرورتها لخير المجتمع جعلها فرضا حتى على من لهم مصدر يتلقون عنه الحق والصواب مهما كان من غاية الصدق والعصمة ، فأمر الله رسوله أن يشاور أصحابه فى الامور الهامة تعليما لهم لهذا المبدأ ، والتماسا للصواب فيما لم يسعفه به وحى ، والله سبحانه لم يشأ أن يبين لكل حادثة حكمها ، ولكنه وضع الأصول وأرشد الى الطريق وترك الانسان بعقله يكمل بقية الرحلة ليصل الى ما يريد من حل لمشاكل الحياة . قال تعالى : « وشاورهم فى الأمر » .

والمؤمنون جميعا جسد واحد ، وكل منهم مرآة لأخيه لا بد أن ينبهه الى الخير ويحذره من الشر ، قال تعالى :

« والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض . يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » ، وقد كان من ضمن المواد الأساسية فى بيعة المسلمين للنبى - صلى الله عليه وسلم - قول الحق والجهر به مع تأكيد ضمان هذا الحق والحرص عليه . يقول عبادة بن الصامت ، كما فى رواية البخارى ومسلم « بايعنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره ، وعلى اثرة علينا وعلى الا ننازع الأمر اهله ، الا ان تروا كفرا بواحا عندكم فيه من الله برهان ، وعلى ان نقول الحق أينما كنا لا نخاف فى الله لومة لائم » .

ان النبى - صلى الله عليه وسلم - فى أكثر من موضع بين أنه يحترم الانسان ويجعل له كيانا مستقلا ووجودا حيا فى الجماعة الاسلامية ، فلم يشأ أن يغفل رأى من يهمهم الامر فى مشكلة او قضية تمسهم جميعا ، ولم ينس أبدا أصحاب الحقوق فى توجيه السياسة فطلب رأيهم وعرض عليهم القضايا تاركا لهم الحرية التامة فى ابداء آرائهم فيها ولا يبت فى الموضوع الا اذا اطمأن الى موافقتهم

عليه ورضاهم به ، حدث أن وفد هوازن جاءوا الى النبى مسلمين وسألوه أن يرد اليهم أموالهم وسبيهم ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « معى من ترون وأحب الحديث الى أصدقه » ، وبعد تخييرهم بين السبى والمال واختيارهم للسبى خطب فى المسلمين وقال « أما بعد . فان اخوانكم قد جاءوا تائبين . وانى قد رايت أن ارد اليهم سبيهم ، فمن أحب منكم أن يطيب ذلك - أى يوافق عليه دون مقابل - فليفعل ، ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه اياه من أول ما يفىء الله علينا فليفعل » . فقال الناس : قد طيبنا ذلك يا رسول الله ، فقال الرسول - صلى الله عليه وسلم - انا لا ندرى من أذن منكم ممن لم يأذن ، فارجعوا حتى يرفع الينا عرفاؤكم أمركم . فرجع الناس فكلمهم عرفاؤهم ثم رجعوا الى رسول الله فأخبروه انهم قد طيبوا واذنوا .

وقد ورد أن النبى - صلى الله عليه وسلم - كان أكثر الناس مشاورة لأصحابه ، وكان لا يمتعض ابدا من العدول عن رأيه اذا جانب الصواب ، ولعل حادثة تأبير النخل ، اى تلقيحه بطلع الذكر معروفة ، وقال للقوم انتم أعلم بشئون دنياكم . وقبوله لراى الصحابى فى نزوله يوم بدر ، ولراى سلمان فى حفر الخندق حول المدينة ، ونزوله على راى الشباب الذين تحمسوا للخروج يوم أحد للقاء المشركين ، كل هذه وأمثالها مظاهر كريمة تدل على احترام النبى لراى الناس وعدم استغنائه عن مشورتهم ، ذلك أنهم جميعا أعضاء فى أسرة واحدة وما يصيب الفرد منهم يؤثر على الجماعة فلا بد أن يكون لكل منهم قسط ، كما يكون له قسط فى تحمل المسئولية .

ان الصحابة الذين تربوا على مائدة الوحى وتلقوا هذه الأصول العالية على يد النبى - صلى الله عليه وسلم - ورأوا أثرها البالغ فى وحدة الجماعة وتماسك القوى ، والخروج بها من مآزق حرجة ، هؤلاء الصحابة حرصوا حرصا بالغا على هذا المبدأ فأعلنه رؤساء الدولة الاسلامية فى الخطابات التى تقدموا بها للأمة يطرحون عليها سياستهم المستقبلة ، ويركزون عليه تركيزا شديدا لعلمهم أنه أقوى الدعامات فى سلامة الحكم ، ولا يتورعون ابدا أن يعلنوا عجزهم كأفراد عن قيادة السفينة وسط الأمواج المتلاطمة . وان لا نجاة لها الا بتضافر القوى وحمايتها وتوجيهها الوجهة الصالحة ولعل من مكرور القول أن نشير الى ذلك فى خطاب أبى بكر وخطاب عمر عند توليهما الخلافة « **ان رايتمونى على حق فأعينونى وان رايتمونى على باطل فقومونى** » .. بل ان الخليفة منهم كان يعلن فى صراحة انه ملتزم بتوجيههم له وتنفيذ ما انتهى اليه قرارهم . فان قصر كان لهم عزله وحلت لهم مخالفته « **اطيعونى ما أطعت الله فيكم فان عصيته فلا طاعة لى عليكم** » .

ويقرر عمر فى ارتياح نفس واطمئنان ان الأمة بخير ما حرص ابناؤهم على حقهم فى الرأى الحر والجهر به ، وما نزل حكامها على الحق وقبلوه ونفذوه . فعندما قال له أحد أفراد الشعب اتق الله يا عمر ، لم يغضب ولم يحس بأن كبرياءه خدش ، ولم يرض عمن نهر هذا القائل ، بل غضب منه فى لومه على توجيهه النصح للخليفة وقال « **دعه فليقلها لا خير فيكم اذا لم تقولوها ولا خير فينا اذا لم نقبلها** » .

رحم الله هؤلاء القادة الذين عرفوا واجبهم .. ورحم الله هذه الجماعة التى آمنت بحقها وحرصت عليه وتمسكت به ودافعت عنه . وحيا الله الاسلام فى اصالة مبادئه ، وحيا الله المسلمين الأول فى قيامهم على الحياة وفى اثبات وجودهم كأمة تعتز بدينها الذى كرمها وكرم الانسانية معها .. « وما ارسلناك الا رحمة للعالمين » .

توحيد أعياد المسلمين ومواسمهم الدينية

الاستاذ عبد الحميد السائح

قرأت فى العدد ٢ من السنة ٢٢ - صفر سنة ١٣٨٤ يوليو سنة ١٩٦٤ من منبر الاسلام ، كلمة لفضيلة الشيخ « مبشر الطراز الحسينى » بعنوان « علينا أن نوحد أوائل الشهور العربية » . استعرض فيها بعض نصوص الفقهاء فى هذه المسألة ، ثم اقترح فى آخرها تشكيل لجنة لتوحيد أوائل الشهور العربية تتبع المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بوزارة الأوقاف أو مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر .. الخ .

وبما أن هذا الموضوع من الأهمية بمكان ويجب أن يساهم فيه علماء المسلمين لتمحيص وجه الصواب فيه ، رأيت أن أقدم هذا البحث لمجمع البحوث الاسلامية ،رجاء بحثه فى لجانه المختصة .

منذ القديم والمسلمون يختلفون فى بدء صوم رمضان ، وأعيادهم ، بسبب اختلافهم فى رؤية الأهلة ، أو تعذر رؤيتها وأدى ذلك الى ارتباك واضطراب اجتماعى ، وأحيانا الى ردة عن الاسلام عند بعض الجهال ، وان هذه المأساة تتكرر فصولها فى كثير من السنين وتؤدى الى تذمر عام، وحملات شعواء على علماء المسلمين ، لعدم اهتدائهم الى حل جذرى لهذه المشكلة ، والتوصل الى وضع يتفق مع التطور العالمى العام ، ومع النهضة العلمية الحديثة ، ومع ماهو مقرر ومعروف من أن أحكام الشريعة الاسلامية صالحة لكل زمان ومكان ،وسعة أصولها ، ومرونة قواعدها ومبادئها .

وقد واجهت تعاليم الاسلام محن كثيرة ، كان الاسلام يخرج ظافرا منصورا بسبب مايهيئه الله له من قادة حكماء وعلماء نبهاء .

وان وضع المسلمين الحاضر ومايحيط به من ظروف وأوضاع لا تخفى على أحد ، تتطلب من علماء المسلمين وقادتهم وعيا فكريا لأحداث العالم وتطوراته ، وتستلزم تقدير تلك الظروف والأوضاع ، ومدى تأثيرها على تعميق الفكرة الاسلامية ، والاحتفاظ بجوهرها .

ولذلك يجدر بنا أن نكون مقدرين لجميع تلك النواحى ومقدرين لعظم المسئولية الدينية الملقاة على عواتقنا لنخرج منها ، وقد حافظنا على أسس ديننا وتعاليمه ، وأوجدنا منفذا ينقذ المسلمين من تلك الحالات ، ويضع لهم أسسا ثابتة تريحهم مما عرفوه من انزعاج واضطراب عند الصوم والأعياد فى أكثر الأحيان .

وفى سنة ١٩٥٢ صامت المملكة العربية السعودية يوم الاثنين فى ٢٦-٥-١٩٥٢ ، بينما صام كل من المملكة الأردنية الهاشمية والجمهورية السورية يوم السبت فى ٢٤-٥-١٩٥٢،وقد صامت مصر يوم الأحد فى٢٥-٥-١٩٥٢ .. ولا أدرى ماذا حصل فى باقى البلاد الاسلامية .

وقد حملنى هذا على كتابة كلمة بعنوان « وحدة المواسم والأعياد الاسلامية » نشرتها جريدة الدفاع الأردنية التى تصدر فى القدس الشريف يوم الاثنين فى ١٠رمضان ١٣٧١ الموافق ٢-٦-١٩٥٢ العدد ٤٩٤٧ ، بينت فيها مذاهب الأئمة الأربعة ، وان المعتمد فيها عندهم عدا الشافعية ، عدم اعتبار اختلاف المطالع ، فيصوم أهل المشرق برؤية أهل المغرب ،وان الشافعية اختلفوا ،وصحح الامام النووى فى المنهاج عدم اعتبار اختلاف المطالع .

ومع هذا اذا حكم حاكم برؤية الهلال او بعدم اعتبار اختلاف المطالع لزم الجميع العمل بمقتضاه كما ارتضاه ابن حجر .

ثم قلت : انى أعتقد وقد تقدم العلم تقدما ملموسا وتوفرت المراصد ، ينبغى على علماء المسلمين أن يهتموا بامرها ، ويبحثوا امكان الاعتماد عليها ، واقترحت أن يتنادى علماء المسلمين فى جميع الأمصار ، ويأتمروا فيما بينهم ويبحثوا هذه المسألة على أساس مصلحة المسلمين العليا ، ففى ذلك مرضاة الله سبحانه واعزاز لشأنهم ، وتوثيق لوحدة الاخوة بينهم ، وقضاء على البلبلة ، والفوضى ، التى تنشأ عن الحالة الحاضرة .. الخ .

ولابد لى من الاشارة هنا الى بعض الحوادث المتعلقة بموضوعنا ، ليحفزنا ذلك على مضاعفة الجهد وليتضح لنا باب الحل .

١ - أن أبا الريحان البيرونى الخوارزمى محمد بن احمد وهو عربى من أصل فارسى ، المولود سنة ٣٦٣ هـ الموافق سنة ٩٧٣ م والمتوفى فى رجب سنة ٤٤٨ هـ الموافق ١٣ ديسمبر سنة ١٠٤٨ م ، وكان معاصرا لابن سيناء ، جابهه اختلاف المسلمين فى الصوم والعيد ، وماترتب على ذلك من ارتباك وبلبلة ، فكتب عن هلال رمضان من الناحية الشرعية ، ومن ناحية الأثر الدينى والاجتماعى الذى يحدثه فى نفوس المسلمين توحيد أيام الصوم والفطر فى بلادهم كلها ، وأيد ذلك تأييدا قويا ، ثم قال انه لاسبيل الى هذا التوحيد الا بالحساب وقد أثبت امكان ذلك بالحساب الزمنى والتوقيت ومراعاة الآيات وأصول الشريعة .

٢ - فى سنة ٧٤٨ هـ تراءى الناس هلال ذى الحجة بدمشق ، ودل الحساب على عدم امكان الرؤية ،وتسرع بعض القضاة فى اثبات الرؤية بالشهادة ، ثم ظهر بعد ذلك بطلان تلك الشهادة ، مما حمل قاضى القضاة بدمشق حينئذ الشيخ تقى الدين السبكى على تأليف رسالة فى اثبات الشهور،أيد فيها مادل عليه العقل والحس والبرهان من القطع بصحة الحساب والتوقيت للأهلة ، المقرر أصولها فى الفن .

٣ - فى سنة ٩٥٥ هـ . افترق أهل مصر فرقتين فمنهم من صام ومنهم من لم يصم ، بسبب أن جمعا قليلا شهدوا برؤية هلال رمضان عند قاضى القضاة الحنفى ، ولم يكن بالسماء علة فلم يقبلهم ، فصام الشهود وتبعهم كثيرون ، وهكذا فى هلال الفطر ، مما حمل ابن نجيم صاحب البحر المعاصر لهذه الحادثة ، على أن يفتى بقول الشاهدين ، وان لم يكن فى السماء علة ، رغم انه قال انى لم ار من رجح هذه الرواية ، واعتمد فى فتواه على أن الناس تكاسلوا عن ترائى الاهلة .

٤ - وفى سنة ١٢٤٠ هـ . وقعت حادثة أخرى فى عهد الفقيه الحنفى المشهور ابن عابدين ، تتعلق باثبات شهر رمضان ، والاعتراض على طريق الاثبات ، مما فرق الناس الى فرقتين ، بعضهم صائم وبعضهم غير صائم ، وكذلك فى يوم العيد ، ووقع الناس فى الجدل ، وكثرة القيل والقال ، وصارت مذاهب الأئمة المجتهدين ضحكة بين الجاهلين حتى ارتد بسبب ذلك كثير منهم ، كما أشار الى ذلك ابن عابدين نفسه فى رسالته تنبيه الغافل والوسنان على أحكام هلال رمضان .

ولابد أن احداثا كثيرة حدثت فى باقى البلدان الاسلامية ، وستبقى تحدث ، مالم نرس هذه المسألة الهامة على قواعد ثابتة ، تظهر المسلمين على حقيقتهم بمظهر الأمة الواحدة .

واعتقد أن لدينا فى هذا الأمر سبيلين الأول : مؤقت مستعجل ، وهو الاعتماد على عدم اعتبار المطالع ، واذا ثبتت الرؤية فى بلد ، عمم على البلاد الأخرى بطريق الاذاعات ، وأى طريق آخر بحيث لاتجعل مجالا للاختلاف

والثانى : وهو الطريق الصحيح السديد ، أن نعتمد على الحساب ، والله سبحانه وتعالى يقول « هو الذى جعل الشمس ضياء ، والقمر نورا ، وقدره منازل ، لتعلموا عدد السنين والحساب ، ما خلق الله ذلك الا بالحق ، يفصل الآيات لقوم يعلمون » آية من سورة يونس وآيات أخرى بهذا المعنى .

وحاجة الناس الى معرفة حساب الأوقات لعباداتهم ومعاملاتهم وتواريخهم لاتخفى على أحد .

ويعترضنا فى سبيل الأخذ بالحساب ، الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته » ، وأمثاله من الاحاديث المتعلقة بذلك .

وقد علق ابن حجر فى فتح البارى على حديث البخارى « لاتصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه فان غم عليكم فاقدروا له » بما نصه : تقدم أن للعلماء فيه تأويلين وذهب آخرون الى تأويل ثالث ، قالوا معناه، فاقدروه بحساب المنازل ، قاله أبو العباس بن سريج من الشافعية ، ومطرف بن عبد الله من التابعين وابن قتيبة من المحدثين .. الخ جزء ٦ صفحة ٨٦ الطبعة الأولى بالمطبعة الخيرية .

ومع هذا فان فقهاء الشافعية حملوا الرؤية فى تلك الأحاديث على العلم ، فقد جاء فى حاشية الجمل على شرح المنهج مانصه : ينبغى أن يكون المراد برؤية الهلال العلم به ، كالأعمى اذا أخبر به ، والبصير الذى لم يره لمانع : أ هـ .

واذا قبلنا مبدأ تفسير الرؤية على الوجه المذكور فانه يمكننا أن نتوسع فى هذا التفسير بحيث نبنيها على قواعد علمية صحيحة ، وحينئذ لانكون قد صادفنا تلك الاحاديث

هل يجوز الاعتماد على الحساب ؟

لاريب أن الراجح عند علماء المذاهب عدم الاعتماد على الحساب تمسكا بظواهر الاحاديث الواردة فى الرؤية ولكن هل يمنعنا ذلك من الأخذ باقوال أخرى وردت فى بعض المذاهب المشار اليها ؟

لقد كان المعمول به فى الاقطار الاسلامية كافة ان الطلاق الثلاث بلفظ واحد يقع ثلاثا ، وتبين فيه الزوجة بينونة كبرى ، اعتمادا على أقوال علماء المذاهب المعروفة ، حتى انتشرت فى بعض البلاد الاسلامية فضيحة التحليل ،وضج العقلاء والعلماء من تلك الحالة ، أخيرا رأى العلماء من ذلك منفذا بالاعتماد على رأى من يرى أن الطلاق الثلاث بلفظ واحد انما يقع واحدة ، ولو كان رايه مخالفا للائمة الأربعة .

واصبح هذا الرأى هو النافذ المعول عليه فى معظم الأقطار الاسلامية ، مع أن فقهاء تلك المذاهب صرحوا بأن حكم الحاكم بذلك لايعتبر لانه خلاف الاجماع .. الخ .

وقد أصبح معروفا لدى العلماء المفكرين فى هذا العصر ان الرأى المعمول به هو الموافق للقرآن وسنة الرسول

صلى الله عليه وسلم وهو المحقق لحكمة الله فى تشريع الطلاق .

ومعظم الفقهاء وان رجحوا عدم الاعتماد على الحساب الا انه ليس لديهم دليل قطعى على ذلك ، وجل ما فى الامر ، انهم قالوا : انه لم يرد فى احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، ما يصرح باعتبار حساب المؤقتين ، ولم يعول أكثر الفقهاء سلفا وخلفا على قول علماء الميقات والاعتماد على الحساب .

وفى الاشتباه والنظائر لابن نجيم صاحب البحر من الحنفية : قال بعض أصحابنا لابأس بالاعتماد على قول المنجمين ، وعن محمد بن مقاتل انه كان يسألهم ويعتمد قولهم بعد أن يتفق على ذلك جماعة منهم .

وقد رد ذلك بعض علماء الحنفية استنادا الى الحديث « من أتى كاهنا أو منجما فصدقه بما قال فقد كفر بما انزل على محمد » ، أخرجه أصحاب السنن والحاكم وصححه .

لكن الشيخ محمد على الرافعى الطرابلسى فى حواشيه على الاشباه اعترض الاستدلال بالحديث المذكور ، بانه لايبعد ان يكون المراد منه النهى عن تصديق الكاهن ونحوه فيما يخبر به عن الحوادث والكوائن .. الخ . اما مجرد الحساب مثل ظهور الهلال فى اليوم الفلانى ووقوع الخسف فى ليلة كذا ، فلا تدخل فى النهى بدليل انه يجوز أن يتعلم ما يعلم به مواقت الصلاة والقبلة .

وفى اواخر فتاوى الكازرونى قال : وفى الجامع الكبير فى معالم التفسير فى قوله تعالى « وماكان الله ليطلعكم على الغيب » ، ان مايخبر به المنجم لايكون غيبا واذا صدق بالحساب والكواكب مع اعتقاده ، بانها امارات واسباب فلا يكفر ، هذا هو أصل المذهب .

وقال صاحب الهداية فى مختارات النوازل ، علم النجوم فى نفسه حسن غير مذموم ، اذ هو قسمان : حسابى وانه حق ، وقد نطق به الكتاب ، قال تعالى « الشمس والقمر بحسبان » أى سيرهما بحساب ، واستدلالى بسير النجوم وحركة الافلاك على الحوادث وهو جائز كاستدلال الطبيب بالنبض على الصحة والمرض .. الخ .

وقال العينى فى عمدة القارىء ، والمراد بالحساب هنا النجوم وسيرها ، ولم يكونوا يعرفون من ذلك شيئا الا النزر اليسير ، وعلق الشارع الصوم وغيره بالرؤية لرفع الحرج عن أمته .. الخ .

وقال المرحوم الشيخ بخيت المطيعى فى كتابه : ارشاد اهل الملة لاثبات الاهلة (ومما يؤيد القول بالحساب الصحيح ان اهل الشرع من الفقهاء وغيرهم يرجعون فى كل حادثة الى اهل الخبرة بها وذوى البصارة فيها ، فانهم ياخذون بقول اهل اللغة فى معانى القرآن والحديث ، ويقول الطبيب فى جواز افطار شهر رمضان وغير ذلك كثير ، فما الذى يمنع من بناء اكمال شعبان ورمضان وغيرهما من الاشهر على الحساب والرجوع فى ذلك الى أهل الخبرة المعروفين اذا اشكل علينا الامر فى ذلك مع كون مقدماته قطعية ،وموافقة لما نطق به القرآن الكريم .. الخ .

وان السبكى لم يكن مخترعا للقول بالاعتماد على الحساب بل ذلك قول فريق من العلماء منهم ابن سريج وابن قتيبه وابن مقاتل الرازى ، وهو من اصحاب محمد بن الحسن ، وهو قول بعض كبار التابعين وكفى باولئك قدوة .

واخيرا قال المرحوم الشيخ احمد محمد شاكر فى رسالته فى أوائل الشهور العربية ان الحديث الشريف « انا أمة أمية لاتكتب ولا تحسب » لايمنع من اعتماد الحساب وان الأمر باعتماد الرؤية جاء معللا بعلة منصوصة ، وهى ان الأمة لاتكتب ولاتحسب ، فاذا خرجت الامة عن أميتها ، وجب أن يرجعوا الى اليقين الثابت وأن ياخذوا فى اثبات الأهلة بالحساب وحده .. الخ .

القول باعتبار المطالع يستلزم اعتماد الحساب

ان فقهاء الشافعية الذين جنحوا الى القول باعتبار المطالع يستلزم قولهم هذا اعتبار الحساب والاعتماد عليه ، ولذلك نصوا على أن تعلم اختلاف المطالع كتعلم أدلة القبلة ، حتى يكون فرض عين فى السفر ، وفرض كفاية فى الحضر . واعترفوا أيضا بان اعتبار المطالع يحوج الى حساب وتحكيم المنجمين ، أى الأخذ بقولهم ، الا أنهم قالوا ان قواعد الشرع تابى ذلك ، وفى هذا تضارب لايخفى على التامل ، مما حملهم على أن يتأولوا ذلك بقولهم : ان عدم الأخذ بقول المنجمين فى الأمور المستقلة ، أما فى الأمور التابعة فيؤخذ بقولهم .. الخ ، انظر حاشية الجمل على شرح المنهج فى بحث الصوم .

وبعد هذا العرض الموجز نشير الى أن الرسول صلى الله عليه وسلم فى الأحاديث الصحيحة علق أمر الصوم والافطار على الرؤية ، وقواميس اللغة صرحت بأن الرؤية هى رؤية العين أو رؤية القلب ، ولا شك أننا اذا حملنا الرؤية فى الأحاديث على العلم كما أشرنا سابقا ، كانت من قبيل رؤية القلب وادراكه ، وهو منهج سليم يتفق مع النصوص اللغوية والفقهية .

نعم ان الذى تبادر لمعظم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفقهاء الاسلام من الاحاديث هو الرؤية بالعين المجردة وذلك لأنه محتمل فى ألفاظ الأحاديث ، ولأنه الذى يدخل فى حد الاستطاعة حينئذ ولا يعنى هذا منع الاعتماد على طريقة أخرى فى الصوم والافطار .

كما ان الحديث الشريف الذى أعلن فيه الرسول « انا امة امية لاتحسب ولا تكتب » ، لايهدف الى منع الاعتماد على الحساب والكتابة .

وانما هدف الى بيان الحالة السائدة حينئذ ، وليس من الحكمة فى تلك الحالة التى تغلب فيها الأمية الاعتماد على الحساب ، والا كان ذلك تكليفا شاقا لايدخل فى نطاق الامكان ، والله سبحانه وتعالى قال « لا يكلف الله نفسا الا وسعها » ، وقال « وما جعل عليكم فى الدين من حرج » .

اما وقد أصبح الغالب فى الامة معرفة الكتابة والحساب وقد تقدم العلم تقدما ملموسا فى شتى الميادين ، فمن الانصاف الاعتماد على الثقات من الحساب الماهرين .

ونحن لانقصد ان يترك الأمر لكل مدع ومنتسب ،وانما القصد أن يسند هذا الى جماعة موثوقين فى مؤسسة رسمية تحت اشراف مجمع البحوث الاسلامية أو تحت اشراف الجامعة العربية مثلا ، وحبذا لو يكون فى تلك المؤسسة جماعة من فقهاء المسلمين فى العالم الاسلامى ، ممن يكون له خبرة بذلك الفن ، وحينئذ توضع قواعد مقررة ، يعتمد عليها العالم الاسلامى فى تحديد أوائل الشهور القمرية ، ونكون بذلك قد اسدينا خدمة جليلة الى الاسلام والمسلمين . وقضينا على أسباب البلبلة والارتباك فى مواسم المسلمين وأعيادهم ، وستذكر الأجيال القادمة لكل من سعى وعمل على تحقيق هذه الفكرة وتنفيذها ، يدا بيضاء ناصعة ، والأجر العظيم المنتظر عند الله سبحانه وتعالى أجل وأوفى ، وهو الهادى الى سواء السبيل .

دعوة الميثاق الوطنى من دعوة الإسلام

الأستاذ حسنى عبد المجيد

ان محاولة السير بالمبادىء الاسلامية .. من النقطة التى وقفت عندها فى حياة بعض المسلمين السابقين لنصل بها الى عصرنا الذى نعيش فيه انما هو فى حد ذاته كشف عن القيم الذاتية الكامنة فى الاسلام والتى ما برح المجتمع الاسلامى فى كل يوم وفى كل ساعه يجد فيها نعم الزاد وخير المنهل كلما حاول أو أجهد نفسه بحثا . وتأملا فى حياتنا المعاصرة . بشرط أن نعيشها فى ضوء هـ الدين العظيم الذى أوجد لنا دستور الحياة فى كل زمان ومكان وحتى تقوم الساعة .

والفهم الصحيح للاسلام . على نحو ما فهمه الأئمة فى صدر الاسلام لا على نحو ما صار اليه فى عهد الركود ، هذا الفهم المتكامل هو فى واقعه يشتمل على كل عوامل الحركة والسعى والجد والانتاج فى الحياة ، فترقى الحياة نفسها وتسخر تسخيرا بناء لصالح المجتمع المسلم الذى يؤسس وجوده الحى على المسلم العامل بكل ادراكه وسعيه طلبا للكمال والرقى . ويقول تبارك وتعالى :

« الذى أحسن كل شىء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين . ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين . ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة . قليلا ما تشكرون » .

واذا كان الله ـ تبارك وتعالى ـ قد أحسن كل شىءخلقه . وانما يطالبنا بأن نسعى سعيا بما منحنا وكرمنا من سمع وبصر وفؤاد حتى نجنى أحسن كل شىء .. ونحن اذا عرجنا على الباب الخامس فى الميثاق يستلفت نظرنا الفقرة التالية :

« ان الجماهير لا تطالب بالتغيير ولا تسعى اليه وتفرضه لمجرد التغيير نفسه خلاصا من الملل وانما تطلبه وتسعى اليه وتفرضهتحقيقا لحياة أفضل تحاول بها أن ترتفع بواقعها الى مستوى أمانيها » .

فقيمة المسلم فى الحياة اذن هو أن يشعر أولا بقيمته فى التأثير فيها وأن يعتد بنفسه

كقوة خلاقة لتغيير هذه الحياة الى الأفضل والأحسن . فهو بهذا يعبر عن واجهة الاسلام الصحيحة . فى كونه عضوا قويا فى مجتمع اسلامى عامل نابض . فالاسلام فوق الزمان والمكان لا يتوقف عند حد مكان معين . ولا على جيل من البشر معين . بل يعيش الاسلام مع كل انسان نابض حر عامل. واذا كان مجتمعنا فى الماضى قد تقلص فيه الاسلام من حياته العامة . فان مجتمعنا الحالى الثائر . قد أصبحت أبوابه مفتوحة على مصراعيها ليدخل نور الاسلام الحق فينير كل معاملاتنا ومعاشنا . والذى يجب أن نفهمه جيدا هو أن صورة مجتمع ما قبل ٢٣ يوليو - للحق والتاريخ - كانت صورة تعقدت فيها حياة الفلاح والعامل والموظف والعائل وساء فهم تعدد الزواج والطلاق . وفهم « التوكل على الله » فى مستقبل الأسرة واختلفت الآراء فى طبيعة العلاقة بين العامل وصاحب العمل . وبين الفلاح والمالك .وبين التاجر والمستهلك وضاعت كل معالم الحق وسط هذا المحيط الكثيف من العلاقات المستغلة.. ولم يكن هناك من فائدة فى كل ما كان يقدم من علاج فى أى صورة من صور الارشاد الاجتماعى . أو الخدمة الاجتماعية لأنه لم يتمكن واحد من الوصول الى أعماق المشكلة وجذورها . ولم تكن هذه الجذور تسكن الا فى تربة مستغلة لا سبيل لصلاحيتها ما لم تقلب الارض من جديد وتعود العلاقات الطيبة بين المواطنين على قيم وأخلاقيات جديدة تتقارب فيها المعاملات. ويختفى منها لغة السيد للعبيد . فترفع بذلك القيد عن انسانية المواطن المسلم وكرامته ، ومن هنا فقط جاز لنا ان نتكلم عن الجماعة فى الاسلام وأن نأمل الخير والاسعاد داخل مجتمعنا بعد ان تم ربطهم بعقيدة ثابتة خيرة، بأنهم أبناء مجتمع واحد . حرم فيه الاحتكار . وقطع الاستغلال فيه من منبته . وليس أوضح من صورة هذا المجتمع المنير الذى تصفه آيات الله البينات . يقول تعالى فى سورة الانعام :

« واوفوا الكيل والميزان بالقسط . لا نكلف نفسا الا وسعها واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى » .

وفى سورة الرحمن :

« والسماء رفعها ووضع الميزان . ألا تطغوا فى الميزان . وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان » .

وفى سورة البقرة :

« او كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون » .

وفى سورة الأعراف :

« ولا تبخسوا الناس أشياءهم » .

وفى سورة الأنفال :

« يأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون » .

هذه لمحة من العلاقات الانسانية التى تستوجب أن تستقر فى مجتمعنا المسلم لتستقر الأرض الصالحة للغرس الطيب .. والتى افتقد اليها مجتمع ماقبل ٢٣ يوليو حيث وصفه الميثاق :

« ان ملايين الفلاحين حتى من ملاك الأرض الصغار طحنتهم الاقطاعيات الكبيرة لسادة الأرض المتحكمين فى مصيرها . وعاش هؤلاء الملايين فى ظروف أقرب ما تكون الى السخرة تحت مستوى من الاجور يهبط كثيرا ليقرب من حد الجوع . كما أصبح العمل سلعة من السلع فى عملية الانتاج يشتريها راس المال المستغل تحت أحسن الشروط موافقة لمصالحه » .

هذه هى الصورة الكالحة المظلمة التى سادت مجتمعنا . حيث عم الفراغ كافة ارجائنا فأتيحت الفرصة لغير الاسلام فى التوجيه والتطبيق العملى فى الحياة . وأصبحت الانسانية هى السبيل لحل أى مشكلة اجتماعية ، وسارت حياتنا تحت تأثير الصدفة وما قد يجد من نزعات فكرية ، وتوجيهية من وقت لآخر .

ولا بد لنا هنا أن نناقش الآثار المترتبة على صورة هذه العلاقات . التى سادت مجتمعنا فى الماضى فجوهر هذه العلاقات فى أصله سباق رهيب بين قوة تملك وتحكم ،

وبين قوة أخرى لا تكاد تجد لها أو لأولادها ، أو لكرامتها مجرد مكان تعيش فيه ، ومما يزيد الأمر تعقيدا أن القوة التابعة تشكل كل الشعب العامل المكافح . الصابر ولو الى حين. وهكذ لو بحثنا عن الحقوق والواجبات .. لم نكن نجدها الا فى صور فردية لا فعالية لها وسط هذا البحر الذى بدأ يخرج من جوفه شعارات وأقوال تواكلية .. تطعن كل قيم فى مجتمعنا . وتزيد من تقلص روح الاسلام بين معاملاتنا .. فتارة نسمع .. أننا تعودنا الظلم والفنا الخدمة والرق وانه لن يستقل بنا رأى ولن نهتدى سبيل الحرية والى غير ذلك من هذه السموم التى أخذت تسرى بين ثنايا مجتمعنا . لتقضى على البقية الباقية من مقومات ادراكنا ووجودنا . ولكن الله سلم .

لأن الانسان المسلم المؤمن ، مهما حاصرته النوازل ، كانت علاقته بربه وخالقه خير معوض له عما يعانيه ، والانسان لا يكون انسانا حقيقيا الا بالتربية . والتربية فى واقعها هى كل ما جاء بها الأنبياء والمرسلون من الأحكام والتعاليم . تعلم الانسان الصدق والأمانة ومحبة الناس . وشعر بوجود الآخرين جواره فى تراحم وتعاون وتواد .. وبتوالد فينا احساس واحد يؤلف بين شعورنا . ويؤلف أيضا بين حاجاتنا .. فالقيم التى استودعها الاسلام الرجل المسلم انما فى نهايتها تقود الانسان الى رحاب العلاقات الانسانية ورحاب الأخلاقيات كما ينبغى أن يكون عليه المجتمع المسلم .

ويقول تعالى فى سورة البقرة :

« أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون » .

وفى سورة المؤمنون :

« ادفع بالتى هى أحسن السيئة نحن اعلم بما يصفون »

وفى سورة طه :

« ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما » .

وفى سورة مريم :

« ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا » .

وفى سورة البقرة :

« ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد » .

وفى سورة المائدة :

« وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » .

وفى سورة البقرة :

« وقولوا للناس حسنا » .

وفى سورة المعارج :

« والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » .

وفى سورة الاسراء :

« وقل لعبادى يقولوا التى هى احسن ان الشيطان ينزغ بينهم . ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا »

* * *

كل هذه الأخلاقيات التى ترسم للمجتمع المسلم سبيله الحق . هى فى واقعها اصلاح للمجتمع ودفع له فى مسار الثراء النفسى والعزة والكرامة فيكون ذلك للمسلم دعوة حقة للتحرر من التبعية ويكون له شأن فى شئون دينه ودنياه وتكييف أحداث حياته . ولن يشرك عقله الانسانى فى كل موقف من مواقف الحقوق والواجبات . فيؤثر فى المجتمع ويتأثر به وبذا ينجح المسلم فى اخضاع البيئة التى يعيش فيها للاسلام . ومن ثم يصبح تصرف المسلمين فيها تصرفا اسلاميا . اى تحكمهم القوانين والتعاليم الاسلامية ،ومن هنا لا يعيش الاسلام فى عزلة عن مجرى الحياة العملية للجماعة الاسلامية . ويجىء الميثاق فى الباب الخامس ليضع قوائما مستمدة من جذور تعاليم الاسلام الصحيحة حينما يقول :

« ان العدل الذى هو حق مقدس لكل مواطن فرد لا يمكن أن يكون سلعة غالية وبعيدة المنال على المواطن . ان العدل لا بد أن يصل

الى كل فرد حر . ولا بد أن يصل اليـــه من غير موانع أو تعقيدات » .

ويقول فى موضع آخر من هذا الباب :

« ان التخطيط الاشـــتراكى الكفء هـــو الطريقة التى تضمن استخدام جميـع الموارد الوطنية المادية والطبيعية والبشرية بطريقـة علمية وعملية وانسانية لكى يحقق الخـير لجموع الشعب وتوفر لهم حياة الرفاهية » .

وفى الباب السابع يقول :

« ان الانسان العربى سوف يقرر بنفسـه مصير أمته على الحقول الخصبة وفى المصانع الضخمة ومن فـوق الســدود العالية . وبالطاقات الهائلة المتفجرة وبالقوى المحركة »

وفى باب آخر :

« ان تحرير الانسان سياسيا لا يمكن ان يتحقق الا بانهاء كل قيد للاستغلال يحـد حريته » .

* * *

وهكذا يسير الميثاق الوطنى . على هـدى القرآن فى رفعة الانسان واجلاله وتعـزيزه . وفى خلق البيئة الصـالحة له . دون احتكار أو استغلال ، وهكذا يجد كل مدقق فى سطور الميثاق روح التنظيم للفرد وللجماعة وللاقتصاد وللاجتماع ، وروح الامـل ، فى العمـــل وفى الكد وفى السعى الذى ينمو تحت الشمس فيورق تحتها ومن ثم ينمو فى المواطن المسلم حسن الفهم للاسلام الصحيح ، الذى قدر كل شىء ، والذى جاء كتابه الكريم هدى للنـاس وبينات من الهـدى والفرقان . ويصـبح المواطن المسلم مالكا لناصية أموره يرعاها عن ادراك ووعى . لا يفرط فيها طلبا وراء منفعة، أو كسب حرام . وخاصة بعد أن أكد الدين الاسلامى حق الانسان فى الحياة والحرية بل جعل الثواب والعقاب فى الدين هـو فرصـة متكافئة لكل انسان حر . فالله سبحـانه وتعالى وضع الفرصة المتكافئة امام البشر اساسا للعمل فى الدنيا وللحساب فى الآخرة واعتبر القرآن الأخوة فى الاسلام أساسا لكل حقوق الفرصة العادلة حيث يقول تعالى فى سـورة الحجرات :

« انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون » .

وفى سورة الحجرات أيضا :

« انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلنـاكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير » .

ويقول تعالى فى سورة آل عمران :

« واعتصموا بحبل الله جميعـا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا .. »

ويعود الميثاق فى بابه السابع مؤكدا ومؤملا شكل المجتمع الجديد الذى يبنيـــه الشعب العربى فيقول :

« ان هذا المجتمع الجديد الذى يبنيه الشعب العربى فى مصر على دعائم الكفاية والعـــدل يحتاج الى درع واحد فى عالم لم تصل مبادئه الأخلاقية الى مستوى تقدمه العقلى .. »

وهنا يقف الميثاق عند المدخـل الأساسى الى حياة المجتمـــع وهو مدخل الـكفاية فى الانتاج والعدالة فى التوزيع من غير احتكار أو استغلال . ليكون ذلك بمثابة بناء الأخلاقيات والمعاملات التى أنار بها الاسلام الدنيا منذ اربعة عشر قرنا من الزمان .

حول مكان المرأة فى المجتمع

الأستاذ عبد الحميد بلسبع

اتفقت كلمة الكاتبين الآن عن المرأة على أنها أخت الرجل لها انسانيتها وحريتها وكرامتها كالرجل تماما ، وعلى أنها كذلك عضو فى المجتمع الانسانى ، بل هى نصف هذا المجتمع له عليها واجبات ، ولها عليه حقوق ، وبما أن المرأة صنو الرجل ، وانها نصف المجتمع يجب أن نعمل فى المجتمع ، وللمجتمع ، كما أن الرجل يعمل فى المجتمع وللمجتمع ، اذ هما سواء ..

اتفق الجميع على هذا المبدأ وبنوا فكرتهم نحو المرأة على هذا الأساس ولكن عند تطبيق هذا المبدأ اختلفت وجهاتهم وتباينت نظراتهم ففريق جعل وجهته أن تقلد المرأة عندنا المرأة الغربية وأن تسايرها فى كل ما تأتى وما تذر .. ويرى أن فى هذا التقليد الرقى والحضارة والتطورالاجتماعى والمدنية الرفيعة ، ويقول : ما دامت المرأة صنو الرجل ومساوية له تقف منه جنبا الى جنب وتعاونه كتفا الى كتف فى كل عمل تتطلبه الحياة ، ويتطلع اليه المجتمع فلا بأس اذن أن تخرج المرأة من البيت تغشى اماكن العمل ، ففى المكتب تارة ، وفى المصنع أخرى متقلبة بين الأعمال الحرة ووظائف الدولة فهى فى السوق بائعة وهى فى السوق عارضة أزياء وهى فى المكاتب سكرتيرة او كاتبة أو عاملة عملا رياسيا ولها مطلق الحرية فى زيها تكشف من جسمها ما تشاء ، وتستر منه ما تريد ، ولا عليها ان سايرت الفطرة فى هذا الزى أو انحرفت ولا عليها كذلك ان رضيت الفضيلة عن هذا الزى أو غضبت ، ولها مطلق الحرية فى أن تصادق أو تخالل أو تخلو بمن تشاء ، اباح هذا كله للمرأة وكل همه تحقيق ما يهدف اليه من تقليد المرأة عندنا للمرأة الغربية غاضا النظر عما فى المرأة من أنوثة تتطلب التصون والحيطة ، ومن ضعف خلقى تكوينى يدعو الى الرعاية والرأفة . وغير ناظر كذلك الى المجتمع

وعوامل اصلاحه ووسائل النهوض به على وجه سليم .

بينما الفريق الآخر يعطى المرأة حق العمل كذلك ولكن جعل وجهته فى عمل المرأة صون الخلق العام من التحلل والمجتمع من الانحطاط والتدهور وكرامة المرأة من الخدش والتبذل، وتحقيقا لهذه الأمور مجتمعة حدد عمل المرأة فى الولد تربيه ، وفى البيت تديره فحسب ، ولا تولى وجهها خارج البيت لتعمل الا لضرورة قاضية وملحة ، فتخرج من البيت لتعمل فى ثياب العفة والطهر مسايرة الفطرة واقفة عند حدود الفضيلة غير متبرجة ولا ماجنة ولا مبدية زينتها الا ما ظهر منها ، ولا تخضع بالقول لمن يتخاطب معها .

هذان معسكران يتباريان فى ميدان عمل المرأة كل يدعم رأيه بما يراه مبررا له ، واتسعت شقة الخلف بينهما حتى كان صراعا عنيفا تناقلته وسائل الاعلام وملئت منه أنهر الصحف بما بلبل الأفكار وترك المجتمع والرأى العام يموج فى متاهة ضالة مظلمة لا يرى للخلاص منها سبيلا .

والحق ان موضوع المرأة ليس هينا يخوضه كل من امسك القلم ليكتب أو يتحدث عنه كل من آنس من نفسه اجادة صياغة الكلام ، أو صناعة تخدير الأفهام بمعسول الألفاظ ، أو يدلى فيه برأى كل من تجمعت لديه معلومات تمت لموضوع المرأة أو لا تمت ، فانه موضوع خطير وشائك لأنه موضوع الخلق والمجتمع ولو أنصف هؤلاء أنفسهم ومجتمعهم ووضعوا الحق فى نصابه ما طرقوا هذا الموضوع الشائك بهذا الأسلوب المثير ، ولا على هذا النحو الموحى بالاستجابة للهوى والنفس ، لا للصالح العام ، ولتنبهوا الى اننا أمة ترتبط بدين وأن لهذا الدين شريعة كفلت نظام المجتمع فى جميع شئونه وأن القول الفصل فى موضوع المرأة انما هو لهذا الدين ولهذا الدين وحده ، فانه هو الذى نادى بانسانية المرأة ، وهو الذى فك قيود ذلتها ، وهو الذى خلعها من براثن الرجل الظالم لها ، وفوق هذا فان وجود المرأة فى المجتمع كانسان مساو للرجل ، وجودها هذا له ملابسات لا يعلمها الا الذى انتشلها من كبوتها وحررها من عبوديتها ، فهو وحده الذى يحدد مكان المرأة فى المجتمع ولا يمكن لعقل بشرى مهما سما ان يحوط المرأة بالتصون ولا أن يقى المجتمع من التدهور ـ فانه محدود ، وها هو ذا التاريخ يتلو علينا ما سجله عن المرأة وعن المجتمع قبل الاسلام وبعده ، وفيه ما يفيد فضل الاسلام على المرأة اذ أنقذها من الرجل الظالم لها وانتشلها من الأوضاع الطاغية التى عانت منها جور الأيام وقسوة الزمن وسوء المعاملة من ذويها ، فقد كانوا يهدرون منزلتها ولا يرونها انسانا فيه أهلية التصرف وحسن التدبير ، بل كانوا يعتبرونها كالمتاع تباع وتشترى وتورث ، ولا تصلح فى نظرهم الا للخدمة بل كان العرب فى جاهليتهم اذا بشر أحدهم بالأنثى حزن ، وكانوا يئدونها خوف العار والفقر :

« واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألا ساء ما يحكمون » .

ولبثت المرأة تعانى ما تعانى من جور القائمين عليها حتى نادى الاسلام قائلا :

« يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيبا » .

وقوله : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة » .

وقوله : « النساء شقائق الرجال » .

هنا تنفست المرأة وشعرت بحيويتها ، وشمت نسيم الحياة الحرة واحست بانسانيتها وأنها اخت الرجل ، ولم يتركها الدين بعد تهيم فى حياتها ، بل وضع لها دستورا تعيش حياتها عليه ..

وتعال معى ننظر هـذا المنهج الذى رسمه لها الدين تنهجه فى سلوكها ولا تحيد عنـه فى حياتها لتضمن لنفسها السلامة من الزلل، ولمجتمعها الوقاية من العطب ، فها هو ذا يرسى لها أسباب العزة والكرامة ويأخذها الى طريق العفة واللياقة اذ يقول :

« وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ماظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن .. الخ » .

ويقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - لأسماء بنت ابى بكر وقد دخلت عليـه فى شفيف ثوب لا يحجب ما تحته ، فأشـاح بوجهه عنها وقال :

« يا أسماء ان المرأة اذا بلغت المحيض فلا يصلح أن يرى منها الا هذا وهذا ، وأشار الى وجهه وكفيه .

فالدين الاسلامى كتابا وسنة يحدد للمرأة زيها بما يتفق وأنوثتها ويدفع طمع الرجـل فى المتعة بها فلا يكون ثوبها ضيقا يحـدد المفاتن ، ولا مخرقا يبدى الملامح ولا شـفيفا يعلن المباهج ولا يستر بعض الجسم ويكشف البعض الآخر فيثير رغبة الفـاجر ، فاذا هى خالفت هذا التوجيه الكريم وخرجت عليه فقد غيرت خلق الله فى نفسها وتحررت على سنته التى رسمها واستخفت ما توعدها به الرسول الأمين فى قوله :

« صنفان من أهل النارلم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها النـاس ، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميـلات ، رؤوسهن كأسـنمة البخث المائـلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وأن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا » .

كما دعا الدين كذلك الى الحزم فى القول، والاتزان فى الأداء ، والاعتدال فى الصـوت فلا تخضع فى القـول ولا تتكسر ولا ترقق الصوت فيطمع فيها الذى فى قلبـه مـرض ، كما طلب اليها البعد عن مجـالس الرجال والتهافت على لقائهم الا لضرورة واعية مع غض بصرها عند لقائهم كما شدد النكير على خلوتها برجل أجنبى عنها ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

« اياكم والخلوة بالنساء والذى نفسى بيده ما خلا رجـل بامرأة الا ودخل الشيطان بينهم » ، وفى رواية « الا كان الشـيطان ثالثهمـا » . وقال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلون بامرأة ليس بينـه وبينها محرم » .

ونهى الرسول عن هذه الخلوة ليس لسوء الظن بخلق المرأة ولكن لما فى طبيعـة كل من الرجل والمرأة من جذب كل منهما للآخر ، وقد يوفر هذا الجذب وما يترتب عليه ويؤهل له هذه الخلوة ففيها قوة الدفع وليس حولهـا ما يدعو الى المنع .

بعد هذا التوجيه الكريم واعـداد المرأة به لتكون عفيفـة كريمة عزيزة بين أهلهـا ومجتمعها جعل مقرها البيت ترعاه وتقـوم بشئونه كلها ، ترعى الزوج ، وتسوس طفلها، وترتب حاجات عيشها ، وهى بعد فى البيت سكن للزوج ومكان مودته ورحمته تضفى على البيت ما يخفف عن الزوج عناء العمل وويلات الحياة . فالمكان الطبيعى للمرأة هو البيت .. لأجل هـذا ، ولأن طبيعة المـرأة لا تقوى على ما تقوى عليه طبيعة الرجـل من مزاولة الأعمـال الكبار .. وهـذا هو مقتضى الفطرة وقد حكم به رسول الله - صـلى الله عليه وسلم - فقد جاءه على وفاطمة يشتكيان ما يلقيان من عناء العمل فجعل العمل بينهما قسمة : فاطمة لعمل البيت ، وعلى لعمـل الخارج ، ويستأنس له بقـول الله لزوجات رسوله - صلى الله عليه وسـلم - : **« وقرن فى بيوتكن »**.

وهل للمرأة أن تخرج من البيت للعمـل خارجه أو لمناسبة غير العمل ؟

قلنا ان الاسلام هو الذى أعلن انسانيـة المرأة وجعلها صنو الرجل لها ما له وعليهـا ما عليه **ولهن مثل الذى عليهـن بالمعروف وللرجال عليهن درجة »** ، ومقتضى هـذا أن الاسلام لا يمنع المرأة من مباشرة عمـل تدعو اليه الضرورة الملحة داخل البيت أو خارجـه على سواء ، ولا يمنعها من الخروج من البيت

لمناسبة أخرى غير العمل ما دامت فى زيها وعفتها وحشمتها وفى حدود اعدادها الذى رسمه الدين لها وبينا بعضه فيما سبق ، واذن لا مانع من خروجها لزيارة أبويها واقاربها وصديقاتها ممن تؤمن زيارتهم ولا مانع كذلك من الخروج للعلاج ولسماع الدروس التى تفقهها فى دينها وتعلمها الواجب عليها نحو الله والناس ، ولا من الخروج للاستمتاع بمناظر الطبيعة والهواء الطلق والتاريخ يحدثنا بأن النساء فى العصر النبوى كن يخرجن الى ظاهر المدينة ، ولا مانع كذلك من أن تباشر أى عمل خارج البيت سواء من الأعمال الحرة أو فى وظائف الدولة التى لم يخصصها الاسلام للرجل تستعين به على ضرورات حياتها أو كسب قوتها الذى لا مورد له الا هذا العمل فلا عليها ان تذهب الى الحقل والى السوق لقضاء ما دعت اليه الضرورة من مصالحها اذا أمنت على نفسها ، وقد كان نساء الصحابة يفعلن ذلك ولا يجدن معارضة، ولا عليها كذلك ان تكون زارعة أو تاجرة أو عاملة بمتجر أو مصنع يناسب ماتحترفه المرأة أو تكون محامية أو طبيبة ، أو تعمل فى احدى وظائف الدولة التى لم يقصرها الاسلام على الرجل فتكون كاتبة أو حاسبة أو مدرسة أو مربية أو ممرضة ما دامت فى حدود ما بين الله لها من الزى وعدم الخلوة بالرجل تلافيا لما أسلفناه من مضار .

أما الوظائف الخاصة بالرجل والتى لاينبغى للمرأة طلبها ولا الاشتغال بها فهى :

أولا - الامامة الكبرى يعنى رياسة الدولة على اختلاف الاصطلاحات فى تسميتها : خليفة أو أمير أو ملك أو رئيس جمهورية أو سلطان الى غير ذلك .

ثانيا - القضاء وهو تولى بحث قضايا الناس ومشاكلهم والحكم فيها على وفق كتاب وسنة الرسول .

هاتان الوظيفتان فيهما ولاية لأمور الناس وفى أمور الناس اعباء كثيرة لا تتحملها طبيعة المرأة ولا ظروفها ، فان لديها ما يعوقها من القيام بمثل هذه الوظيفة ولا يكفل مصالح الناس وذلك كالحيض الذى يلازمها أسبوعا فى كل شهر ، وما ينشأ عنه من انحراف فى المزاج وضعف الحالة النفسية - وكالحمل - والمخاض ، والرضاع ، اذا صادفها ذلك وما يكتنفه فى أثناء تولى القضاء لا تحسن أن تفكر فيما اضطلعت به ، وقد يختل معها التوازن العام فتضطرب الأمور وتعم الفوضى ، وهناك تكون الخسارة فادحة ، من أجل ذلك قال الرسول - صلى الله عليه وسلم - وقد بلغه أن الفرس ولوا بنت كسرى ملكة عليهم : **«لن يفلح قوم ولو أمرهم امرأة»** .. على أن أعباء هذه الولاية كثيرة وكثيرة جدا ومتشعبة قد يستغرق النظر فيها وبحثها والبت فيها الوقت كله فيحول بين المرأة وبين واجبات أخرى عليها اداؤها نحو البيت والزوج والولد ، فتتعطل هذه المصالح كلها والحاجة داعية اليها .

ولم يعهد فى عصر الخلفاء الراشدين ، والصدر الأول أن وليت امرأة منصب القضاء مطلقا فضلا عن الامامة الكبرى ، والتاريخ الاسلامى خير شاهد على أنه مما لاشك فيه أن رسالة الرسل ولاية عامة بل هى أكرم ولاية ، ونعلم أن الله تعالى لم يتخذ امرأة رسولا ولا نبيا ، ذلك لأن العليم الخبير يعلم أن فى المرأة ضعفا خلقيا لا يؤهلها للقيام بأعباء الرسالة ، ومن أجل هذا الضعف جعل الله للرجل عليها قوامة حيث يقول : « **الرجال قوامون على النساء** » ، اى يقومون عليهن قيام الولاة على رعاياهم ، وعلل ذلك بأمرين فيقول « **بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من أموالهم** » .

ومعلوم أن هذه الولاية انما تكون لمن قويت مداركه واتسعت آفاقه وحسن تدبيره وسمت سياسته على من لا يتقن تدبير أمر ولا يحسن التصرف فى شأن حتى من الرجال أنفسهم وقد قال تعالى « **وللرجال عليهن درجة** » .

هذه المامة قصيرة من تعاليم الدين الاسلامى فيما يتعلق بمكان المرأة فى المجتمع ، وبأدنى تأمل نرى أن فى هذه التعاليم المدنية الرفيعة والحضارة الصحيحة والرقى الكريم لا فيما

ينشده أولئك الدعاة من تقليد المرأة الغربية من رقي وحضارة فانه مما لاشك فيه أن للمرأة الغربية محاسن ومثالب ، والدعوة الى تقليدها في كل ما تأتي وما تذر خطر داهم ، وقصر التقليد على المحاسن لا يساوى ما يدعو اليه لدين من محاسن ، فان المشرع أعلم بالطبائع وأعلم بالمصالح وأعلم بالوسائل المؤدية الى هذه المصالح وأعلم بالنتائج المترتبة على هذه الوسائل ، فالرجوع اليه أولى من تقليد من لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا .

ويطيب لى أن ألفت نظر المرأة الى امر فيه خيرها وسعادتها اذا وجهت نفسها اليه ، وعاشت حياتها على ضوئه ، هو انه بدل أن تقلد المرأة الغربية تقلد أختها الكبرى التى سبقتها بالايمان والتى عركتها الحياه وعلمتها الأحداث التى شهدتها فى العهدين قبل الاسلام وبعده ان خير شيء للانسان فى دنياه ايمان بالله واتباع تعاليم رسول الله ، وقد ورد ان النساء على عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عقدن مؤتمرا بحثن فيه موقف الاسلام منهن وقد خلصن من بحثهن الى أن الله خص الرجال بأعمال حرم منها النساء ، واتفقن على ايفاد وفد منهن الى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ليخصهن بشيء من الأعمال كما خص الرجال ، فذهب الوفد الى رسول الله وتقدمت احداهن قائلة : أنا وافدة النساء اليك خصصت الرجال بالجمعة والجماعات وتشييع الجنازات والجهاد فى سبيل الله ، أفلا تخصنا بشيء كما خصصت الرجال .. فقال الرسول لمن حوله ، انظروا ماذا تقول هذه ، ثم قال لها : ان حسن تبعل المرأة لزوجها يعدل ذلك كله ..

وقالت السيدة أم سلمة ليتنا كنا رجالا فجاهدنا وكان لنا مثل أجر الرجال فنزل قوله تعالى :

« ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله ان الله كان بكل شيء عليما » .

فأين تقليد المرأة الغربية من تقليد هؤلاء النسوة الفضليات الصالحات القانتات اللاتى أعد الله لهن مغفرة وأجرا عظيما .

نسأل الله العصمة من الزلل ، والتوفيق لخير العمل ، انه تعالى ولى التوفيق والهادى لأقوم طريق .

الاسلام والتقاليد الافريقية

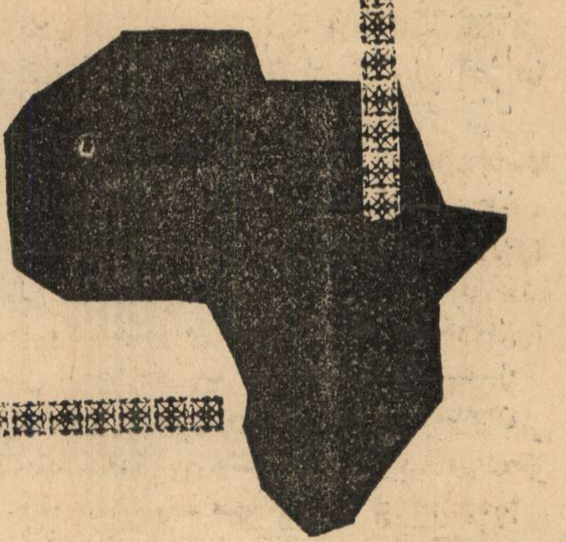

الدكتور محمود سلام زناتي

ينتشر الاسلام فى ربوع القارة الافريقية انتشارا سريعا . وهذه ظاهرة أصبحت الآن مسلمة من الجميع حتى من أعداء الاسلام انفسهم . على خلاف الحال بالنسبة للمسيحية التى تجد صعوبة كبيرة فى شق طريقها الى الافريقيين . و لاشك أن هناك اعتبارات معينة كفلت النجاح للدعوة الاسلامية ووقفت عقبة فى طريق الدعوة المسيحية . بعض هذه الاعتبارات يتعلق بالظروف الخارجية وبعضها الآخر يتصل بتعاليم كل من الديانتين . واذا بدانا بالدعوة الى المسيحية وجدنا انها ارتبطت فى اذهان كثير من الافريقيين بالاستعمار ، وسيطرة الرجل الأبيض . وقد كان الارتباط الوثيق بين السلطات الاستعمارية والارساليات التبشيرية فى البداية سببا فى سرعة انتشار المسيحية ، لكن هذا الارتباط ما لبث أن انقلب عقبة فى طريقها عندما نمى الوعى القومى بين الافريقيين وانتشرت حركات التحرر من الاستعمار . ولا أدل على ذلك من انحسار موجة المسيحية ، بعض الشىء لدى الشعوب التى تخلصت من سيطرة الاستعمار وحصلت على استقلالها . واذا كان ارتباط الدعوة الى المسيحية بالاستعمار الأوروبى احد الأسباب التى وقفت عقبة فى سبيل انتشارها فليس هو بالسبب الوحيد . فهناك اعتبارات أخرى بعضها يتعلق بالعقيدة المسيحية ذاتها والبعض الآخر بتعاليمها . فقد كان واضحا منذ البداية صعوبة فهم الافريقيين للعقيدة المسيحية ، وعسر هضمهم اياها . كذلك كان واضحا منذ البداية أن هناك تعارضا شديدا بين تعاليم الارساليات المسيحية بمحاربتها هذه النظم والتقاليد الافريقية .

وقد حاربت هذه الارساليات منذ انوطئت اقدامها أرض القارة الافريقية النظم والتقاليد التى رأت فيها مجافاة لتعاليمها . ومن أهم النظم والتقاليد التى ناصبتها الارساليات العداء وسعت جاهدة الى القضاء عليها : تعدد الزوجات والمهر والطلاق وخفاض الاناث .. وهى نظم راسخة فى تقاليد الافريقيين عزيزة عليهم حبيبة الى قلوبهم . وقد الحقت الارساليات المسيحية بمحاربتها هذه النظم أبلغ الضرر بالأفريقيين وكان لحملتها عليها أثر هدام فى كيان المجتمع الأفريقى .

فقد حاربت الارساليات تعدد الزوجات ، وطالبت الافريقيين بالتخلى عنه ، وسعت الى القضاء عليه • وقد لقيت ، فى هذا الصدد ، مقاومة كبيرة من الافريقيين رجالا ونساء •• وترتب على محاربتها اياه متاعب وأضرار كان الافريقيون فى غنى عنها • وليس أبلغ فى اظهار مدى الأضرار التى لحقت الافريقيين من جراء سعى الارساليات الى القضاء على تعدد الزوجات ، من الاستشهاد بكتابات بعض الباحثين الغربيين • فيحدثنا شابيرا Shapera عن أثر محاربة البعثات التبشيرية المسيحية لتعدد الزوجات لدى قبائل محمية بتشوانا لاند فى جنوب افريقية قائلا :

« ان عددا من الأعضاء المحترمين فى الكنيسة يتخذون عشيقات فى الخفاء على غير علم من المبشرين ويبررون مسلكهم قائلين : هناك هاته النسوة الممتلئات شبابا والصالحات لانجاب أولاد ، لكن قوانين البيض لا تسمح لنا باتخاذ أكثر من زوجة واحدة • فلماذا تذهب خصوبتهن هباء فى الوقت الذى يمكن فيه استخدامهن لزيادة أفراد القبيلة ؟ ونفس المؤلف يقول فى كتاب آخر عن أثر الحضارة الغربية على السكان الأصليين فى جنوب افريقية أن النتيجة الحتمية لمحاربة تعدد الزوجات هى انتشار الخوان • ويبين وسترمان Westerman الآثار السيئة التى تنتج عن محاربة البعثات التبشيرية لتعدد الزوجات فيقول :

« اذا كانت الكنائس تريد الاحتفاظ بمستوياتها الأخلاقية فهى لن تسمح بتعدد الزوجات • لكن يجب عليها أن تدرك أنها فى سعيها الى القضاء عليه تهاجم وتدمر جانبا أساسيا من المجتمع ، ولذا عليها أن تتجنب فى حرص المتاعب التى لا داعى لها • فاذا تطلب المبشر من الزوج الذى يريد الانضمام الى الكنيسة طرد كل زوجاته فيما عدا واحدة ، فهو يضطره الى فصم زيجات شرعية دون مبرر كاف معترف به فى ظل القيم السائدة فى المجتمع ، وهو الى جانب ذلك يهدم وحدة اسرية • والنساء المطلقات يعدن الى أسرهن وقد يجدن زوجا أو أزواجا آخرين ، لكن ماذا عن الأولاد ، أيا كان مصيرهم فهم لن يربوا بواسطة أبيهم وأمهم معا » •

ويضيف الى ذلك قوله أن ادخال نظام وحدة الزوجة يخلق مشكلة اجتماعية فى صورة المرأة التى تظل دون زواج •

وقد حاربت بعض الارساليات نظام المهر ، لكنها اضطرت أمام اصرار الافريقيين عليه الى التخفيف من معارضتها له بل والى اعترافها به وسماحها لتابعيها بممارسته •

وحاربت الارساليات الطلاق وتفاوت حماسها فى محاربته تبعا للمذهب الذى تنتمى اليه ، وتبشير بتعاليمه • وكانت البعثات الكاثوليكية بطبيعة الحال أشدها حملة عليه الا أن هذه البعثات لم توفق فى أية بقعة من بقاع القارة فى جعل الافريقيين يتخلون عنه نهائيا • فالأفريقيين يرون فى الطلاق وسيلة لا غنى عنها للتحلل من وثاق رابطة زوجية لم تحقق الغاية المنشودة منها لطرفيها أو أحدهما • فتتحدث باحثة غربية « اليزابيث كالسون » عن الطلاق لدى احدى قبائل روديسيا الشمالية فتقول : « ان الطلاق بالنسبة لمن اعتنق المسيحية أكثر أهمية منه بالنسبة للوثنى • فالرجل الوثنى يستطيع أن يؤسس بيوتا عديدة عن طريق تعدد الزوجات ويظل فى نفس الوقت زوجا لامرأة لا يمكنها ارضاء مطالبه • أما المسيحى فيجب عليه أن ينفصل عن زوجته قبل أن يتزوج من أخرى والا ارتكب فى علاقته بكنيسته اثما أكثر خطورة مما لو حصل على الطلاق • والطلاق بالنسبة للمرأة الوثنية والمسيحية على السواء ، يفسح أمامها الطريق للحصول على بيت مع زوج جديد » •

كذلك تقرر باحثة أخرى « مونيكا هنتر » بالنسبة لاحدى القبائل فى اتحاد جنوب افريقيه أن « انحلال الزواج بالطلاق شائع سواء أبرم الزواج طبقا للعرف المحلى أم طبقا للشعائر المسيحية أم المدنية » •

كذلك حاربت الارساليات المسيحية خفاض الاناث وشجعت الفتيات على عدم الخضوع له وكانت نظرتها اليه أنه عملية وحشية تنطوى على قسوة بالغة • لكنها بمحاربتها اياه ،

وتشجيعها الفتيات على عدم الخضوع له ألحقت بالفتيات غير المختونات ضررا بالغا • فكثير من القبائل الأفريقية ينظر الى الفتيات غير المختونات باعتبارهن غير صالحات للزواج ، ولذلك فان هاته الفتيات لم تكن تتاح لهن فرصة الزواج وكثيرا ما كان الأمر ينتهي بهن الى ممارسة الدعارة •

واضح اذن مما سبق أن تعاليم الارساليات المسيحية تتعارض مع أنظمة أفريقية عريقة ، وأن هذا التعارض كان ولا يزال عقبة فى سبيل انتشار الدعوة المسيحية ، فضلا عن أن محاربة الارساليات لهذه الأنظمة قد ترتبت عليه نتائج ضارة بكيان كثير من المجتمعات الافريقية •

واذا اتجهنا الآن الى الاسلام وجدنا الحال على خلاف ذلك • فانتشار الاسلام من ناحية لا يرتبط بسلطة أو سلطات استعمارية تجعل منه وسيلة لفرض نفوذها كما لا يرتبط بجنس معين يستعمله أداة لتحقيق مقاصد نفعية •

فالاسلام انتشر وينتشر عن طريق رجال آمنوا به وسعوا مخلصين الى الدعوة اليه • لكن هذا الاعتبار ليس الاعتبار الوحيد الذى يفسر ظاهرة انتشار الاسلام ، هذا الانتشار السريع الذى كان موضع ملاحظة المراقبين الأوربيين ومبعث حقد ومرارة البعض منهم •• فهناك اعتبارات أخرى تتعلق بالعقيدة الاسلامية والنظم الاسلامية •

فالعقيدة الاسلامية تتسم بالبساطة والوضوع وتجد طريقها سهلا معبدا الى قلوب الافريقيين وعقولهم • فضلا عن أن الافريقيين فى ظل ظروفهم الدينية الأصلية يسود لديهم الاعتقاد بوجود كائن أعظم خلق الكائنات كلها •

والنظم الاسلامية ، بمقارنتها بالنظم المسيحية ، تبدو واضحة المرونة وتسمح بمسايرة ظروف الناس وأحوال بيئاتهم المختلفة • فكثير من الأنظمة الاسلامية مثلا ليس بينه وبين النظم الافريقية تعارض أو على الأقل ليس من المستحيل التوفيق بين هذه النظم الاسلامية وما يقابلها من نظم أفريقية •

ولذلك فان اعتناق الاسلام لا يؤدى الى هدم كيان المجتمع الافريقى أو الى تفتيت عناصره وانما يؤدى على العكس الى تطويره نحو مجتمع أفضل فى هدوء ودون تضحيات ثقيلة أو مآسى مفجعة •

واذا اقتصرنا فى بحثنا على الأنظمة التى استعرضناها من قبل وجدنا أن تعاليم الاسلام بشأنها من المرونة بحيث ان الأفريقيين لا يجدون كبير مشقة أو عنت فى الأخذ بها وتطبيقها •

فالاسلام يبيح تعدد الزوجات وان كان يضع له حدا اقصى هو أربع زوجات ويتطلب المساواة بين الزوجات • وتعدد الزوجات نظام شائع لدى الافريقيين عريق فى تقاليدهم • وتعدد الزوجات فى التقاليد الافريقية ليس له من الناحية النظرية حد أقصى •

لكن الحالة التالية هى الجمع بين زوجتين أو ثلاث • وتقضى التقاليد الافريقية بوجوب مراعاة العدل والمساواة بين الزوجات • ومعنى ذلك أن اعتناق الاسلام لا يؤدى الى قطع الأفريقى عن تقاليده الموروثة بالنسبة لتعدد الزوجات • كما لا يترتب عليه مايترتب على محاولة فرض وحدة الزوجة من آثار بالغة الضرر بالمجتمع الافريقى •

كذلك الحال بالنسبة للمهر • فالزواج فى الاسلام ينعقد بدفع مهر والمهر فيه حق خالص للزوجة • والمهر فى التقاليد الافريقية حق لأهل الزوجة وليس حق للزوجة نفسها ، ويخصص غالبا لتمكين أحد اخوة الزوجة من دفع المهر اللازم لزواجه • وقد يبدو أن هناك اختلافا أساسيا بين المهر الاسلامى والمهر الأفريقى • ومع ذلك فليس من المستحيل التوفيق بينهما • بل ان بعض الشعوب الأفريقية التى اعتنقت الاسلام قد استطاعت بالفعل التوفيق بينهما فجرى عرفها باعطاء المرأة قدرا من المال هو المهر أو الصداق الاسلامى واعطاء أهلها قدرا آخر من المال وهو المهر الأفريقى ، وطبيعى أن هذا الحل ليس سوى مرحلة انتقالية • فبعد فترة من الزمن يظل فيها النظامان قائمين جنبا الى جنب

يأخذ المهر الافريقى طريقه الى الزوال ويحل محله المهر الاسلامى حلولا كاملا . فالمهر الاسلامى يتيح للافريقيين تطوير نظام المهر لديهم دون مضايقات أو متاعب لا سبيل الى التغلب عليها .

والاسلام يبيح الطلاق . فللزوج أن يطلق زوجته وفقا لمشيئته وان كان ملزما ديانة بان يكون طلاقه لسبب يبرره. وللزوجة أن تطلب التطليق من زوجها فى حالات معينة . ولاشك أن اباحة الاسلام الطلاق تجعله أسهل قبولا لدى الافريقيين، الذين تجرى تقاليدهم باباحة الطلاق ، من المسيحية التى تحرم الطلاق او لا تجيزه الا فى أضيق الحدود .

وأخيرا فان الاسلام يبيح خفاض الاناث . واذا كانت بعض صوره التى تمارسها بعض القبائل الافريقية تنطوى على قسوة بالاناث وتسبب لهن آلاما مبرحة ، فلا شك ان الاستعاضة عن هذه الصور بصورة أخف وأسهل على أفراد هذه القبائل من التخلى عنه كلية . فالاسلام هنا أيضا أكثر تمشيا مع التقاليد الافريقية من الارساليات المسيحية التى تحرمه وتمارس كل ضغط لحمل من يمارسه من الأفريقيين على التخلى عنه دون مراعاة لما قد يترتب على مسلكها من آثار سيئة .

لكن ينبغى أن نلاحظ أن الاسلام اذا كان يبيح تعدد الزوجات .. فهو لا يأمر به بل لا يشجع عليه . واذا كان يسمح بالطلاق فانه يدعو المسلم الى عدم اساءة استعماله ويجعل منه أبغض الحلال الى الله . واذا كان يجيز ختان الاناث فهو لا يفرضه . فهذه الأنظمة ليست واجبة على المسلمين وانما هى مباحة لهم . من حقهم أن يباشروها ومن حقهم الا يباشروها .. فهذه النظم تنطوى على مرونة تمكنها من الاستجابة لحاجات الشعوب ومقتضياتها رغم اختلاف ظروفها وأحوال حياتها .

فالاسلام اذن يلتقى بتقاليد الافريقيين فى اكثر من موضع ، ولا شك أن هذا هو أحد الأسباب التى تفسر سرعة انتشاره بينهم وعظيم ترحيبهم به . واعتناقه يؤدى الى تطوير المجتمع الافريقى فى رفق يجنبه التمزق والانهيار .

واذا كان هذا هو شأن الاسلام فى صلته بالتقاليد الأفريقية ، فان الدعوة الاسلامية فى القارة الأفريقية فى حاجة ، مع ذلك ، الى تكوين جيل من الدعاة تتوافر له معرفة واسعة بمعتقدات الافريقيين وتقاليدهم وفهم عميق لها . فقد اثبتت التجارب أن تلك المعرفة وهذا الفهم لا غنى عنهما لكل من يتصدى للدعوة الدينية وعليهما يتوقف نجاحه فى مهمته .

أهمية مؤتمرات القاهرة كنقط تحول

الدكتور محمود البسيوني

لم يحفل عام بالأحداث الدولية فى القاهرة والاسكندرية مثل عام ١٩٦٤ . فقد عقد فيه أربعة مؤتمرات جمعت أقطاب وقادة عدد كبير من دول العالم .

١ ـ المؤتمر الاول لملوك ورؤساء الدول العربية ، وعقد فى القاهرة فى أعقاب أعياد النصر ـ ١٣ دولة .

٢ ـ مؤتمر رؤساء وملوك الدول الافريقية، وعقد بالقاهرة فى يولية ١٩٦٤ .

٣ ـ المؤتمر الثانى لرؤساء وملوك الدول العربية وعقد بالاسكندرية فى سبتمبر ١٩٦٤ ـ ١٣ دولة .

٤ ـ المؤتمر الثانى لرؤساء دول عدم الانحياز ، فى أكتوبر ١٩٦٤ ـ وحضرته وفود ٥٨ دولة ، واشتركت فيه الأمانة العامة للجامعة العربية وسكرتارية منظمة الوحدة الافريقية ، وزعماء بعض الحركات التحررية كمراقبين .

من الطبيعى أن لكل من هذه المؤتمرات أهدافه الخاصة التى يريد أن يحققها ، ولكنها جميعا تشترك فى نقاط هامة :

١ ـ التكتل لمقاومة الاستعمار الجديد والقديم والأمبريالية .

٢ ـ مساندة الحركات التحررية بالعتاد والمال لتتخلص من الاستعمار وتنال حريتها.

٣ ـ دعم الروابط الاقتصادية ،والثقافية والسياسية بين الدول ذات المشارب المتقاربة والتى عانت ظروف الذل والحرمان فى الماضى . كل ذلك لمجابهة التكتل الاقتصادى الغربى الذى يحرم الدول النامية شتى الحقوق الانسانية .

٤ ـ التكاتف ضد الدول الاستعمارية فى الامم المتحدة عن طريق تكوين راى عام تمثله غالبية الدول النامية التى استقلت حديثا .

٥ ـ تدعيم السلام العالمى عن طريق تحريم الأسلحة النووية واقامة مناطق خالية من هذه الأسلحة وتشجيع سياسة التعايش السلمى واللجوء الى المفاوضة لحل مشكلات الحدود وقضايا الشعوب .

٦ ـ مقاومة التفرقة العنصرية واحترام حقوق الانسان وفق ما أعلنته الأمم المتحدة فى هذا الصدد .

٧ ـ التعاون فى سبيل استغلال مصادر الثروة الاقليمية وتصنيع البلاد النامية والاستفادة من ذلك فى رفع مستوى معيشة الفرد .

٨ ـ احترام حق الشعوب فى تقرير مصيرها بأنفسها ، واستنكار استخدام القوة ضد ممارسة هذا الحق .

٩ ـ نزع السلاح العام والكامل ، واستخدام الطاقة الذرية استخداما سلميا .

١٠ ـ مساندة الامم المتحدة لتؤدى دورها الدولى مع اعادة النظر فى تغيير ميثاقها .

١١ ـ تصفية القواعد العسكرية .

والمتأمل للقرارات التى اتخذت فى كل مؤتمر يجد حقائق كثيرة على جانب كبير من الأهمية ، بعضها عام يهم العالم بأسره ، وبعضها خاص يهمنا كأمة عربية ، كما يهم سائر الدول العربية التى تحررت والتى ما زالت تقاوم لتنال حريتها .

أما ما يتعلق بالعالم فقد ظهرت آراء واتجاهات جديدة لا تنتمى الى الشرق ولا الى الغرب ، لا هى بالشيوعية ، ولا هى بالراسمالية ، واخذت هذه الآراء تتضح وتكسب مؤيدين ، وتطل برأسها وسط التوترات الدولية والحرب الباردة ، ان هذه الآراء هى آراء ملايين البشر الذين غلبوا على امرهم فى المائة سنة الماضية ، تطالب بقيم انسانية أصيلة ومبادىء خلقية ما زال الانسان يعانى لكى يحققها .

لقد أوضح الرئيس عبد الناصر انه لا يمكن ان يتحقق سلام حقيقى فى العالم بدون العدالة الاجتماعية ، ورأى أن السلام فى جوهره هو شركة فى الرخاء وشرح وضع الشعوب الغنية التى حققت غناها باستغلال الشعوب الصغيرة ، وامتصاص دمائها وسلب مواردها بالقوة ، وبالأساليب الاستعمارية ـ وبين ان تلك الشعوب الغنية يجب أن تدفع مختارة ضريبة تعويض هذه الشعوب التى استغلت لا تدفع التعويض كصدقة ، وانما كضرورة ملزمة يقتضيها السلام فى العالم .

وطالب بأن تراجع عقود الامتياز التى تسلم ثروات البلاد بدون ثمن عادل ، كما طالب برفع سعر المواد الخام بحيث تتناسب مع المواد المصنوعة ـ وقال **لا سلام بدون أن تجتث كل الأوضاع الظالمة .**

وهكذا استمع العالم كله أو قرا هذه الاتجاهات ينبعث دويها من القاهرة . فالقاهرة اصبحت فى العصر الحديث مقرا لانطلاقات تحررية كثيرة واخذت الشعوب تنظر اليها لدورها الايجابى فى معاصرة الثورات التحررية ودعم الحركات القومية ، كل هذا اكسبنا سمعة واحتراما جديدا بين امم العالم لم نشهد مثله قبل عام ١٩٥٢ .

ان الجمهورية العربية المتحدة بعد ان طردت المستعمر ، لم تغلق ابوابها على نفسها وتقبع فى مكانها ، فهى تعلم ان الخطر يحيق بها من كل جانب ، واذا هى لم تتدبر كثيرا من الأمور حدثت نكسات ، فاسرائيل قاعدة الاستعمار صنعها لتكون اداته للانقضاض فى اية لحظة ، فهى تتحين الفرص لتؤدى دورها مثلما أدته عام ١٩٥٦ ، وتحقق حلمها فى انشاء دولة تمتد من النيل الى الفرات .

ان الجمهورية العربية المتحدة لا تستطيع ان تقف مكتوفة الأيدى ومتفرجة بينما تدبر المؤامرات التى تحاك ضدها وضد الشعب العربى فى كل مكان ولذلك رغم اختلاف انظمة الحكم فى البلاد العربية والنظم الاجتماعية ، أعلنت الجمهورية العربية المتحدة مرارا ان أى اعتداء على اراضى اية دولة عربية انما هو اعتداء على اراضيها ، ولا بد أن تتقدم الصفوف لتدافع عن الكيان العربى ـ هكذا كانت سياستها دائما ولما لاح فى الأفق مشروع اسرائيل لتحويل مجرى نهر الاردن ـ أحست الجمهورية العربية المتحدة بوادر الخطر فمعنى هذا المشروع استيطان

٢ مليون لاجىء اسرائيلى جدد ، ومعناه ايضا تحويل الخير عن البلاد العربية الى ارض فلسطين المحتلة . ولذلك تغاضى الرئيس عبد الناصر عن الماضى ، وعن الشتائم والسباب التى كانت تسمع من الاذاعات السرية والعلنية ومد يده ليصافح ملوك الدول العربية ورؤساءها موجها الدعوة لهم للالتقاء فى القاهرة ، وفى رحاب جامعة الدول العربية ليواجه الجميع الخطر يدا واحدة - وقد حدث مؤتمران للقمة العربى ، وقد اتفق الجميع على مخطط لمجابهة الموقف وبطريق مصاحب تحسنت العلاقات العربية التى كانت قد بترت فى الماضى وبخاصة فى اعقاب ثورة اليمن .

لكن الدول العربية هى اعضاء فى الجامعة العربية ، كما ان بعضها أعضاء فى منظمة الدول الافريقية وكلها أعضاء فى مؤتمر عدم الانحياز . اذا مشكلة فلسطين لابد ان يشار لها الرأى العام العالمى وتتسع دائرة الاهتمام بقضية اللاجئين ، وعودتهم لديارهم، واعطائهم الحق فى تقرير مصير وطنهم لاسليب وهاهى الخطوات العملية اخذت سبيلها الى التحقيق . فمؤتمر القمة العربى الثانى اقر جيش التحرير الفلسطينى ، وندد المؤتمر الافريقى بموقف اسرائيل ، وجاء مؤتمر عدم الانحياز الذى يمثل نصف دول العالم تقريبا ليساند العرب فى موقفهم ضد اسرائيل وهو كما يرى احد الكتاب تاييد دولى هائل لم يحصلوا عليه فيما يتعلق بقضية فلسطين من قبل . وبقيت الامم المتحدة لتعلن رايها - ورغم انها سبق ان اعلنته ، الا انه فى هذه المرة يجب أن يكون رايا عمليا . فقد ضمن الحق العربى تاييداغلبية الأمم المتحدة له ، فالى جانب دول عدم الانحياز ، هناك ايضا دول الكتلة الشرقية ، والدول الاسلامية التى تؤيد بدورها الحق العربى فى فلسطين ، ومن اغلبية الاصوات التى تكونها هذه الدول ، تستطيع قضية عرب فلسطين ان تكتسب قيمة جديدة اذا ما اثيرت من جديد فى ارجاء الامم المتحدة . فتصدر الامم المتحدة قرارا يمكن شعب فلسطين من ان يحصل على حقوقه كاملة وبدون اراقة دماء يجب ان يعود الى ارضه المسلوبة ويقرر بنفسه نظام الحكم الذى يرتضيه .

ان تعاقب المؤتمرات السياسية الدولية على القاهرة ، جعل من بلدنا كعبة لقادة الدول وللثوار ، والدول لا تقاس عظمتها بحجمها ، وانما بما تسهم به حقيقة فى رقى الانسانية والدفاع عن حقوقها . اننا نعجب بقائدنا وحكمته وصلابة عوده ، كيف امكنه ان يجمع هؤلاء الملوك والرؤساء جميعا فى بلده ، ويستضيفهم ويؤمنهم على حياتهم ويودعهم ثم يعود فيستقبلهم من جديد ولهدف آخر لقد جاء بعض الرؤساء الينا اكثر من ثلاث مرات فى سنة واحدة ، ويؤكد هذا جدية الموقف وأهميته والمبادىء السامية التى ارتبط كل بها .

ان اقطار السلام ، وعدم الانحياز ، والحياد الايجابى التى تردد صداها فى باندونج واختمرت فى اجتماعات نهرو وناصر وتيتو فى بريونى ثم لاحت فى أول مؤتمر لعدم الانحياز فى بلغراد ، اخذت شكلا اكثر كمالا وحيوية واحتراما فى القاهرة . لقد كانت الرسائل التى تليت من رؤساء الدول الكبرى فى الجلسة الأولى لمؤتمر عدم الانحياز الثانى ذات دلائل هامة ، فقد ارسلت الدول الكبرى بتأييدها لأهداف المؤتمر ، وباهتمامها بقضية السلام رغم المتناقضات التى بين هذه الدول، ورغم ان بعض الدول ما زال يمثل الاستعمار فى ابشع صوره القديمة والحديثة . ولذلك معنى : ان مؤتمر عدم الانحياز اصبح يساند مبادىء خلقية جديدة اساسها المساواة والعدل والتعاون لخير البشرية . انه بلا شك يمثل طريق الخلاص من ميراث كئيب ورثته الانسانية دهورا من الاستغلال والسيطرة ، والاستعباد والتفرقة العنصرية ، والطبقية ، وغير ذلك .

لقد آن الأوان للعالم ليشم نسيم فجر جديد ، ولم تعد الحيل القديمة تنطلى على الشعوب المكافحة ، فالاستعمار وان كان لم يمت لكنه يلفظ انفاسه الأخيرة ، وستكون حركات التحرر ومؤتمرات عدم الانحياز الطعنة القاضية ، فيصبح أثرا فى التاريخ .

الإسلام
ومبدأ سيادة القانون

الدكتور ثروت بدوى

يعد النظام السياسى الاسلامى أول نظام سياسى عرف مبدأ سيادة القانون وخضوع الحكام لقواعد تسمو عليهم وتقيد سلطانهم وتحمى الافراد .

فقد قرر الاسلام حرية العقيدة ونظم حمايتها ، كما اعترف بسائر الحريات الفردية جميعا ، وكفل وسائل المحافظة عليها والتمتع بها . وأخضع الاسلام الحاكم لدستور أعلى « هو القرآن » لا يستطيع مخالفته ، ونظم السلطات العامة بما يمنع من اساءة استعمالها ، وأخضع الوالى « أو الخليفة » لحكم القضاء ، شأنه شأن الافراد .

فقد كان النظام السياسى الاسلامى أول نظام حد من سلطات الحاكم ، وجعل من حقوق الافراد حاجزا منيعا . امام تلك السلطات . ولا شك فى أن الاسلام كان مبتدعا فى هذا المجال ، اذ ظهر فى وقت كان مبدأ السلطة فى أشد قوته، وحقوق الافراد لا وجود لها ، وحرياتهم وأموالهم تخضع لهوى الحاكم وسلطانه المطلق . فلما جاء الاسلام اعترف بالفرد بوصفه انسانا له شخصيته ووجوده المستقل عن الجماعة التى يعيش فيها ، وكفل له الحقوق الخاصة به ، لا قبل الافراد الآخرين فقط كما كان الشأن عند الرومان ، بل قبل الجماعة والحاكم ايضا .

والقرآن يعد أول وثيقة اعلنت وقررت الحقوق الفردية . وتضمين الحقوق الفردية فى القرآن لا يعد مجرد تقرير لها واعتراف بها ، بل فوق ذلك يضفى على تلك الحقوق قداسة وجلالا تستمدهما من قدسيته وجلاله وبذلك يكون الاسلام قد عرف فكرة الحقوق الفردية المقدسة عشرة قرون قبل أن تظهر على ألسنة فلاسفة العقد الاجتماعى فى القرن السادس عشر الميلادى .

فقد أقر الإسلام حق الملكية الفردية ، ونظم وسائل الانتفاع بها والمحافظة عليها ضد الاعتداء أو النهب أو السرقة . فقد جاء فى القرآن فى سورة النساء : « للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن » وفى حديث للرسول عليه الصلاة والسلام : « من قتل دون ماله فهو شهيد » . وجاء النص على عقوبة السارق والسارقة فى قوله

تعالى فى سورة المائدة : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله ، والله عزيز حكيم » .

وقرر الاسلام حرية العمل ، فقال تعالى فى سوره الملك : « هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها ، وكلوا من رزقه ، واليه النشور » . وحث الاسلام على العمل اذ كافأ العامل على عمله وخصه بنتاجه ، حتى أنه ملك الارض البور من استصلحها . وفى هذا روى عن الرسول عليه الصلاة والسلام انه قال : « من احيا ارضا ميتة فهى له » .

واقام الاسلام حرية الراى . فكان النبى عليه السلام يدعو الناس الى المجاهرة بآرائهم ويقول : « لايكن احدهم امعة يقول انا مع الناس ، ان أحسن الناس احسنت ، وان اساءوا أسأت ، ولكن وطنوا انفسكم ان أحسن الناس أن تحسنوا ، وان اساءوا أن تتجنبوا اساءتهم » . وينسب الى عمر رضى الله عنه قوله : « من راى منكم فى اعوجاجا فليقومه » .

ونظم الاسلام غير ذلك من الحريات : فالحرية الشخصية مصونة وفى ذلك يقول عمر بن الخطاب : « والله لا يؤسر رجل فى الاسلام بغير العدل » .

ولم يقف الاسلام عند حد تقرير الحقوق الفردية وجعلها سدا حصينا أمام سلطان الحاكم ، بل نظم امور الحكم فى القرآن ، ولم يجعل للحاكم سلطة مطلقة ، وانما قيدها وحددها . وفصل الاسلام بين السلطات اذ كان التشريع مصدره القرآن والسنة واجماع المجتهدين ، دون أن يكون للخليفة اختصاص تشريعى . وانما تنحصر وظيفته فى الادارة وتنفيذ أحكام القرآن . وأما القضاء فقد كان سلطه مستقلة يخضع لها الولاة والأمير الاعظم « اى الخليفة » شأنهم شأن سائر الأفراد . وكان الوالى والخليفة والحكام عموما يؤاخذون فى الاقضية كسائر الناس يحق عليهم القتل اذا قتلوا انسانا بغير حق ، ويجبرون على رد مايغتصبونه من أموال الافراد بالباطل ، لا فرق بينهم وبين سائر افراد الجماعة اذا ارتكبوا جريمة أو خرجوا على أحكام التشريع .

ولئن كان الخليفة هو الذى يعين القضاة فان هؤلاء لم يكونوا نوابا عنه ولا يأتمرن بأمره ، بل كانوا نوابا عن جمهور الشعب يوزعون العدل بينهم وفقا لما تقضى به تعاليم القرآن والسنة . وليست تولية الخليفة للقضاء الا تمكينا لمن عنده أهلية القضاء العدل العفيف من سلطان القضاء ، دون أن يكون القضاة خاضعين للخليفة .

واخيرا فقد كان الخليفة مسئولا امام الأمة كما هو مسئول امام الله . واذا ثبت أن الخليفة قد خان الامانة أو خرج على احكام القرآن والسنة ، حق عزله بل مقاومته والثورة عليه .

من كل ما تقدم يتبين أن الاسلام قد أقام نظامه السياسى على اساس خضوع الحكام للقانون ، وكفل الوسائل التى تحقق هذا الخضوع على خير وجه ، اذ فصل بين السلطات وجعل القضاء سلطة مستقلة يخضع لها الحكام والمحكومون على السواء .

كم مرة يولد الانسان

الدكتور
عبد الباسط الجميعي

ان من يبادر بالاجابة على هــذا السؤال سيقول طبعا : « ان الانسان لا يولد الا مرة واحدة وهذا أمر بديهى » .

هذه بلا شك اجابة ساذجة لاننى ما كنت لأسأل هذا السؤال أصلا لو كنت انتظر هذا الرد البديهى .. ولعل القارىء قد أدرك توا ان قصدى من هذا السؤال ليس هو الولادة المادية بل الولادة العقلية أو الولادة الروحية .

وانا اعتقد أن الانسان يمكن ان يولد مرة كل يوم لو تعود على ذلك . ولكن مسألة الميلاد الارادى مسألة شاقة . كذلك الوفاة الارادية . وانا شخصيا قد عانيت آلام المخاض حتى ولد نفسى للمرة الأولى ثم عانيتها بدرجة اقل فى المرة الثانية . واستمرت درجة المعاناة تهبط

الى أن اصبحت الآن استطيع أن الد نفسى كلما أردت - بعد فترة من الحمل بطبيعة الحال - قد تطول وقد تقصر حسب الظروف .

وطبقا لتجاربى الخاصة أستطيع أن أقول لمن يريد أن يولد من جديد : ان نقطة البداية فى ذلك هى فكرة يجب أن تخطر فى بال المرء على أساس من التأمل فى أحواله الشخصية .

فالانسان الذى يشعر بالرضا عن نفسه لا يمكن ان يولد من جديد . وانما يجب أن يتفكر الشخص فى نفسه وأن يشعر بالسخط عليها ولو من بعض النواحى .

فاذا ما ادرك الانسان بعض عيوبه - وما أكثر عيوب الانسان - وجب عليه أن يحمل الفكرة ، وهى فكرة اصلاح هذه العيوب أو على الأقل اصلاح عيب واحد أو عيبين منها .

وهذه هى فترة الحمل . وهى تقتضى من الانسان أن يقلب الفكرة فى ذهنه زمنا والا يتركها لتموت ، لأنه اذا اهملها او تكاسل فيها فسرعان ما تنزوى فى عالم النسيان ، او بعبارة أخرى انه سيجهض نفسه أو يترك هذه البويضة لتموت فى رحمه العقلى .

يجب اذن أن يغذى المرء هذه العلقة ، وليس لها من غذاء سوى التحمس لها ، فانها سرعان ما تتحول الى مضغة ، ثم تبدو معالمها فيتكون هيكلها العظمى ثم يكسوه اللحم . ولم يلبث أن يجد هذه الفكرة قد أصبحت كائنا حيا يمتزج به فيوجد الوليد الجديد .

لنأخذ مثلا على ذلك من الوسط المحيط بنا وليكن أحد الطلبة الخاملين . ان الطالب الخامل يردد لنفسه عبارات التعاسة التى تثبط من همته وتجعله لا يصبو الى اكثر من النجاح العادى وبطبيعة الحال سينتهى به الأمر الى مزيد من الانحطاط وقد يصل الى حد اللامبالاة فيصبح كجثة طافية فى المحيط الاجتماعى يحملها التيار الى حيث يشاء . وبعبارة اخرى ان هذا الانسان يموت اجتماعيا بارادته .

ولكنه لو شاء أن يغير ما بنفسه فانه يستطيع أن يتصور أنه قد مات فى يوم معين ، وان ما انقضى من زمن سابق على ذلك اليوم لم يكن الا حياة سابقة لا حيلة له فى ردها أو فى علاجها ما دامت قد انتهت بالوفاة .

(يموت هذا الشخص اذن موتا اراديا وفوريا) ثم يفكر فى أنه يجب أن يولد من جديد . ولكى يولد من جديد ، يجب ألا يفكر فى الماضى - اى فى حياته السابقة - لانه بذلك سيجتر احزانه ويدفن نفسه فيها . وانما يجب أن يفكر فى حياته الجديدة أى فى حالة الولادة الجديدة التى سيوجد نفسه فيها . ولا شك أنه سيهلل فرحا بهذه الحياة المقبلة وسيتطلع الى ميلاده الجديد بنفس الأمل الذى يتطلع به الانسان الى ميلاد أول ابن له .

ولا شك أن الانسان الذى « يحمل » نفسه سيعانى آلاما شديدة فى تخليصها من الأوشاب ، وسينمى هذه الفكرة الجديدة فى نفسه بمزيد من القوة الارادية والتصميم والعزم ، وبعبارة اخرى انه سيخطط لحياته الجديدة فى ذهنه رسما يجب ان يحاول تنفيذه ، مهما لقى فى سبيل ذلك من صعاب .

ولا شك ان مثل هذا الشخص ستهفو نفسه - كما تفعل الحوامل - الى أشياء قد لا تبدو طبيعية - وسيشعر فى بعض الأحوال بالتعب - وسيشعر فى بعض الأحيان بالغثيان ، ولكن ذلك كله أمر طبيعى فى فترات الحمل ، فيجب أن يتحمله وان ينظر اليه كشىء مألوف - وان كان كريها - الا أنه شر لا بد منه لأنه من مستلزمات الحمل .

وتدريجيا يصل الانسان الى مرحلة تجعل من الفكرة التى نبتت فى ذهنه مخلوقا أو كائنا حيا ، يلازمه ويلح عليه فى أن يخرجه الى عالم الوجود . وعندئذ تبدأ آلام المخاض ، لأن فترة الحمل مهما طالت لا بد ان تتعقبها فترة خروج الوليد الى عالم الحياة .

والشىء الغريب فى حالة الميلاد الارادى ان الانسان يجب أن يتقمص الفكرة التى ولدت

فى ذهنه أو بعبارة أخرى بتقمص الشخصية التى تصورها وكون عنها هذه الفكرة ، وهى الشخصية التىيريد لنفسه فى حياته الجديدة التى يريد ان يبدأها - وهكذا يبدا الانسان فى الامتزاج بفكرته، فيخلع عنه رداء شخصيته القديمة ويدخل فى اهاب الشخصية الجديدة التى يصبو اليها . وهذه عملية شاقة وقد يبدو الانسان فى بعض مراحلها مضحكا او غريبا فى اعين الناس ، ولكنه يجب أن يتحمل هذه الآلام حتى يستطيع أن يلدنفسه الجديدة، ولن يلبث أن يجد نفسه بالتدريج قد أصبح شخصا آخر ، وبعبارة اخرى يكون قد خلق نفسه خلقا جديدا ، أو يكون قد « ولد نفسه » على حد تعبيرى .

ومن الطبيعى أن الوليد الجديد سيكون ضعيفا فيجب على الشخص الذى ولد نفسه - أن يرعى نفسه الجديدة ليتغلب على نزعاتها الشريرة أو الفاسدة التى تحاول أن ترجع به الى الوراء ، وأن تقضى على مولوده الصغير ، لترتد بهالى شخصيته التى حكم عليها بالانقضاء .

يجب أن يقوم المرء فى هذه المرحلة بدور مزدوج هو دور الوالد ودور الولد - وأن يتحكم فى نفسه الى أن تقوى شخصيته الجديدة وتقف على قدميها لترد عن نفسها أى عدوان ذاتى أو خارجى .

وهذا هو وجه الابداع فى هذه العملية الغريبة الشاذة : ولادة النفس .

واذا كنا لم ننس بعد ان مثالنا فى هذه العملية هو طالب خامل - على ما سبق القول - فاننا لن نلبث بعد عملية الولادة الثانية ان نجد هذا الخامل قد اصبح « حامل شهادة » ربما بدرجة تفوق ما كان يصل اليه تصوره .

وقس على ذلك .

الآن اظن انه يحق لى أن اسأل من يقرأ هذه الكلمة : الا تحب ان تلد نفسك ؟.

الست ترى أن ذلك ممكنا ؟.

جرب . ولومرة .

ابدأ من الآن . فان البداية لا تعدو ان تكون فكرة .

هيا جرب . ولا تكن عقيما .

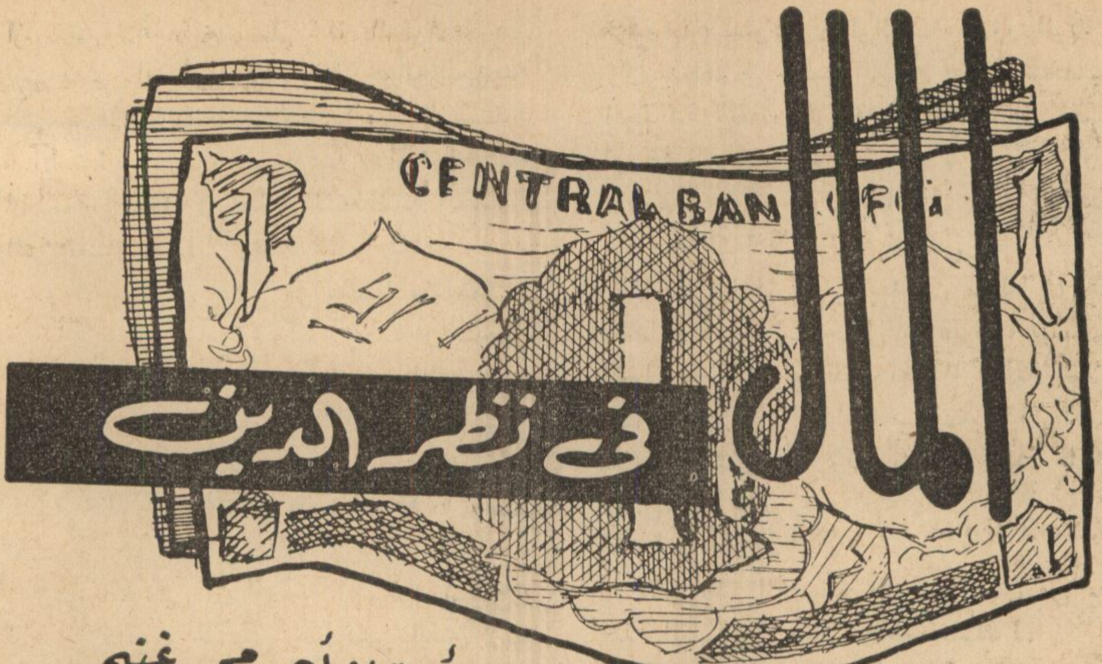

الأستاذ أحمد محمد غنيم

قيمة المال وأثره فى سعادة الفرد والمجتمع

من القضايا التى لا ينازع فيها أحد ، ان المال هو عماد الأمم وقوامها ، ووسيلة سعادتها وهنائها ، يمهد لصاحبه سبل الحياة ، ويسهل عليه ما يرجوه من اصلاح ، ويبعثه على كثير من الفضائل ، ويعينه على كثير من جلائل الأعمال ، وفرق عظيم بين الغنى والفقير ، فبينما نجد الأول قادرا على أن ينهض بكل خير : من اداء حج واخراج زكاة ، وانفاق فى سبيل الله ، نجد الثانى قد قعد به العدم ، وأعوزه الفقر ، بينما نجد الأول عضوا نافعا فى المجتمع ، يلبى اذا دعا الداعى ، وينفع فى الملمات ، نجد الثانى عالة على غيره ، وعبئا ثقيلا على أهله ، بينما نجد الأول موضع ثقة الناس ، يأتمنونه على ما فى أيديهم ، نجد الثانى مظنة التهمة ، مظنة الخيانة . ويؤيد كل ذلك ما رواه رجال الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه أن فقراء المهاجرين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له يارسول الله ذهب الأغنياء وذوو اليسار بالدرجات العلا والنعيم المقيم ، يصلون كما نصلى ، ويصومون كما نصوم ، ولهم فضل من أموالهم يحجون ويعتمرون ، ويجاهدون ويتصدقون ، فقال لهم صلى الله عليه وسلم : الا أعلمكم شيئا تدركون به من سبقكم ، وتسبقون به من بعدكم ، ولا يكون أحد أفضل منكم الا من صنع مثل ما صنعتم . قالوا بلى يا رسول الله . قال تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثا وثلاثين . فقاموا من عنده فرحين مستبشرين ، ثم رجعوا اليه بعد ايام فقالوا يارسول الله سمع اخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله . فقال صلى الله عليه وسلم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

ترغيب الدين فى كسبه والسعى اليه :

ومن هنا يتبين أن المال فضل من الله ونعمة . وأن السعى اليه فى نظر الدين مشروع ومحمود . وقد جاء الحث على ذلك فى كثير من تعاليم الكتاب والسنة . وذلك أمر لا بد منه ولا حرج فيه . قال تعالى : ((**هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه**)) . ((**فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله**))

وقال صلى الله عليه وسلم : **« طلب الحلال فريضة على كل مسلم»** وكان صلى الله عليه وسلم يقول فى دعائه : **« اللهم انى أعوذ بك من الكفر والفقر »** فجعل الفقر معادلا للكفر.

سياسة الدين فى التصرف فيه :

وليس من شك فى أن الدين يدعو الى ابتغاء المال . لا ليحفظ ويخزن . ولا ليدخر ويكنز . ولا ليكون عونا على الاسراف فى الملذات ، والافراط فى الشهوات ، ولا ليكون باعثا على الكبر والخيلاء ، والتمرد والايذاء، ولكن انما يدعو الدين الى كسب المال لينفق فى وجوه الخير ، ويصرف فى أعمال البر ، ليبذل فى بناء المساجد والمدارس ، وانشاء المصحات والملاجىء . ليكون عونا على اقامة المصانع العاملة ، والنهوض بالمشروعات المثمرة ، ليكون قوة وسلاحا فى يد صاحبه. يمكنه من مساعدة المنكوبين، ومواساة البائسين يقضى منه مصالحه ، ويعف نفسه وأهله ، يربى منه ابناءه ، ويصل أقرباءه ، يعطى منه جيرانه ، ويخدم أوطانه ، يستعين به على المروءة ، ويستخدمه فى كل مكرمة ، وحقا لقد صدق رسو الله صلى الله عليه وسلم فى قوله الكريم : **نعم المال الصالح للرجل الصالح .**

وقد كان المسلمون فى العهد الاول يضربون فى الأرض . ويسلكون كل فج . يبتغون كسب المال من وجوهه المشروعة . فأسسوا المساجد . وشيدوا المعابد . وجندوا الجنود ، وحصنوا الثغور . ومدوا ايديهم لمعونة المجاهدين . ومساعدة الغزاة والفاتحين .

وهذا **عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان** رضوان الله عليهما يحدثنا عنهما التاريخ انهما كانا من ذوى الأموال الوفيرة والقناطير المقنطرة . وهما من هما . من اجلاء الصحابة . ومن العشرة المبشرين بالجنة . ومن الستة الذين عهد اليهم عمر رضى الله عنه ان يختاروا واحدا منهم لخلافة المسلمين .

خطر المال اذا كثر :

كذلك مما لا يمكن أن ينكره احد ان المال اذا كثر . وزاد على حاجة صاحبه زيادة فاحشة . فانه كثيرا ما يكون عليه وبالا كبيرا . وشرا مستطيرا ، يقوده الى البطر والطغيان . والانغماس فى الملذات والشهوات. والركود فى ميادين الضلال والغى. والعكوف على مواطن اللعب واللهو . والسعى فى الأرض بالفساد . والعدوان على حقوق العباد . وفى ذلك يقول تعالى : (**انالانسان ليطغى أن رآه استغنى »** . **« ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض »** . **« واذا انعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه »** . ويحدثنا القرآن الكريم أن الذين كانوا يتحدون الانبياء ، ويناصبونهم العداء . هم ذوو النعمة واليسار . والعزة والجاه . **« وما ارسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما أرسلتم به كافرون »** . **« وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين »** . **« ونادى فرعون فى قومه قال يا قوم أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون . أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين »** .

علاج الدين لهذا الخطر :

من اجل ذلك وضع الاسلام افضل الوسائل لعلاج هذه المشكلة . وشرع من المبادىء القويمة ما هو كفيل بكبح جماح المال . والحد من سلطانه فى يد الأغنياء . ففرض الزكاة . وجعلها حقا واجب الاداء . وجعل لولاة الامور الحق فى استيفائها ممن تجب عليهم بكل الطرق الممكنة . وقد حارب الخليفة الأول ابو بكر رضى الله عنه مانعى الزكاة وقاتلهم حتى أذعنوا لاخراجها وقال فى ذلك قوله المأثور : **« والله لو منعونى عقالا واحدا كانوا يؤدونه فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه »**

بين الدين أن المال ان هو الا مال الله. جعله وديعة فى أيدى الاغنياء واستخلفهم فيه ليختبرهم ويبلو اعمالهم . وحذر من كنزه وحبسه عن الانفاق فى وجوه الخير

« والذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم . يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » .

وقص علينا من انباء الماضى ما فيه العظة البالغة : « ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الأرض ان الله لا يحب المفسدين . قال انما أوتيته على علم عندى أولم يعلم ان الله قد أهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسال عن ذنوبهم المجرمون. فخرج على قومه فى زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون انه لذو حظ عظيم وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون . فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وماكان من المنتصرين » .

اثر الزكاة فى سعادة المجتمع :

ان الزكاة واجب مقدس . يقتضيه نظام العمران. وتدعو اليه حاجة بنى الانسان . تجمع القلوب المتفرقة . وتؤلف بين النفوس المتنافرة . تساعد على استقرار الأمن ونشر لواء السلام . وتقضى على كثير من الجرائم التى يبعث عليها الفقر . وتلجىء اليها الحاجة . ولو بحث باحث فى كثير من السرقات والخيانات . واكل اموال الناس . والوعود الكاذبة . والدعاوى الباطلة . والغش والزور . لوجد أن الفقر هو العامل الوحيد الذى يدعو الى هذه الرذائل . وكان فى الزكاة العلاج الناجح والدواء النافع . لو أن المسلمين استمعوا فيها لوحى ربهم . وهدى دينهم .

ان الزكاة تستل الضغائن من القلوب . وتنتزع الغل من الصدور . وتعين على تكثير الأيدى العاملة . ونشاط الصناعة والتجارة . وبذلك يقل العاطلون . وينقص عدد المتسولين . وخليق بأمة هذه صفتها . ان ترقى الى قمة المجد والسيادة . وتبلغ شأوا بعيدا فى المدنية والحضارة .

مبلغ عناية الدين بالحض عليها :

ولما كان للزكاة هذه الآثار الطيبة . عنى بها الدين عناية ليس وراءها غاية وجاء فى كتاب الله من الآيات المرغبة فى بذل المال ما ليس بعده زيادة لمستزيد .

عرف دين الاسلام اختلاف طبائع البشر . وأن من الناس من يعبد الله رغبة فى ثوابه . ومنهم من يعبدونه خشية من عقابه . ومنهم من يعبدونه لأنهم يقدرونه حق قدره . ويرونه اهلا للعبادة . فجاءت تعاليمه السامية . تطالب هؤلاء الفرق جميعا بالزكاة . وتخاطب كل فريق بأسلوب ينفذ الى صميم قلبه . ويبلغ أعظم الأثر من نفسه تخاطب الراغبين فى الثواب بمثل قوله تعالى: « مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم » وتخاطب من يخافون العقاب بمثل قوله تعالى : « ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة » وتخاطب الفريق الاخير وهم ذوو المعرفة الصحيحة والايمان الصادق بخطاب يلهب النفوس . ويبعث على المبادرة بالاستجابة . بمثل قوله تعالى : « من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا » .

نسأ الله تعالى أن يفهم المسلمون دينهم الفهم الصحيح . فينهضوا الى كسب المال من الطرق الحلال . وان تسخو نفوسهم ببذله فى جلائل الاعمال . حتى يعود لهذه الامة ما كان لها فى عهدها الأول من عزة وسيادة . ومجد وفخار .

الاسلام بين أعدائه وأنصاره

الدكتور عبد اللطيف حمزة

ليس غريبا أن يكون للاسلام أنصار من غير أهله ، وان كان من الطبيعي أن يوجد له اعداء من هؤلاء .

ومن الباحثين الغربيين او المستشرقين من اعمل عقله فى هذا الدين فتبين له أنه دين يدعو الى الفضائل وانه دين يقدس الحرية ، وأن فيه روحا من قبس الاشتراكية السليمة التى تضمن للفقير حقه ، وتوفر له عزته وكرامة نفسه . وأنه - أى الاسلام - دين العمل والاجتهاد والتوكل على الله تعالى ، وليس دين الكسل والتراخى والتواكل فى كل امر من أمور الحياة الدنيا . ثم انه - أى الاسلام - دين الشورى وعدم الاستبداد بالرأى ، ودين القوة لا دين الضعف . وهو بعد هذا كله ، وقبل هذا كله ، دين يحترم العقل ويدعو الى التأمل فى هذا الكون ، ويرفع العلم الى الدرجة العليا .

ونحن اذ نستشهد ببعض ما قاله الباحثون من الاوروبيين أو المستشرقين على ذلك فانا لم نورد ذلك لنستدل على أن الاسلام يدعو الى جميع هذه الفضائل

كلا - فان ذلك معروف لا سبيل الى انكاره . ولكننا نأتى بهذه الاقوال والاراء على القاعدة التى تقول «والفضل ما شهدت به الاعداء » .

كتب المؤرخ الانجليزى توماس كارليل فصلا فى كتابه « الابطال » عن النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، دافع فيه عن الاسلام دفاعا قويا وقال عن القرآن انه كتاب لا سبيل الى الشك فيه . وان الاحساسات الشريفة والنيات الصادقة والأعمال النبيلة التى حض عليها القرآن تظهر فضله وتبين أثره .

واستشهد بالآية القرآنية « وفى ذلك فليتنافس المتنافسون » على ان القرآن يدعو الى الكمال . والكمال لانهاية له . والى الفضائل المتعددة . والفرق بينها وبين الرذائل واضح وضوح الشمس .

وقال المؤرخ الكبير جيبون ..

« ان القرآن معترف به من حدود محيط الأطلنطى الى نهر جانجس بأنه الدستور الأساسى الذى يشتمل على أصول الدين من جهة ، وعلى الأحكام الجنائية والمدنية والتشريعات الاجتماعية التى عليها حياة الانسان وترتيب شئونه من جهة ثانية » .

وقال جوستاف لوبون فى كتابه « حضارة العرب » ان العرب هم أصحاب الفضل الاول فى انتشار المدنية فى ربوع اوروبا .

وكتب السياسى الفرنسى « ليون روش » فصلا فى كتاب له بعنوان « ثلاثون عاما فى الاسلام » قال فيه :

« بحثت عن تأثير الشريعة الاسلامية فى نفوس المسلمين فوجدت أنها قد ملأتهم شجاعة وشهامة ووداعة وجمالا وكرما . فالمسلم بسيط فى اخلاقه لا يظن بأحد سوءا وهو لا يستحل محرما فى طلب الرزق . ومن ثم فهو اقل مالا من الاسرائيليين ومن بعض المسيحيين لانه كريم » .

ثم قال :

« وقد وجدت فى الدين الاسلامى حلا لمشكلتين اجتماعيتين تشغلان العالم كله . الاولى - فى قول القرآن « انما المؤمنون اخوة » . وهذا أجمل مبدأ من مبادىء الاشتراكية . والثانية - فرض الزكاة على كل ذى مال .

وهذا هو العلاج الحقيقى للفقر والفوضى فى توزيع الثروة .

ثم قال :

« والحق انه دين المحامد والفضائل . ولا جدال فى ذلك . فلو أنه وجد رجالا يعلمونه الناس حق التعليم . ويفسرونه لهم تفسيرا صحيحا لكان المسلمون اليوم من ارقى العاملين النافعين واسبقهم الى كل الميادين .

ويمثل هذا المدح للاسلام والتغنى بفضائله ومحامده قول كل من :

الشاعر الالمانى جيته فى كتابه « الديوان الشرقى »، والكاتب الانجليزى الساخر « برنارد شو » الذى تنبأ بان الاسلام سيكون دين المستقبل للعالم كله . والفيلسوف البريطانى برتراند راسل الذى اظهر الرضى عن جميع النظم الاقتصادية التى دعا اليها الاسلام فى وقت كانت فيه اوروبا ترسف فى اغلال الجهل والفقر .

وفى مؤلفات اليهود انفسهم ما يثير الدهشة من اعجابهم بالاسلام والاعتراف له بصفة المرونة التى تسمح بالتطور الطبيعى عبر الاجيال المتعاقبة بدون المساس بجوهر العقيدة الاسلامية ذاتها .

كما تعترف هذه الكتابات اليهودية بان للديانة الاسلامية قدرة على الجمع بين المرونة والثبات بدون حاجة الى سلطة بابوية . وبان هذه القدرة تحقق للاسلام عن طريق الموازنة التلقائية بين قوى التقاليد من ناحية وقوة التطور والتجديد من ناحية ثانية .

كما تدافع الكتابات اليهودية - ولا ادرى ان كان ذلك ايمانا منها بما تكتب أو سياسة منها فى تآلف المسلمين فى شتى أنحاء العالم - فتقول :

ان الاسلام والمسلمين يعاملون الأقليات فى بلادهم معامله طيبة وعادلة . وتستشهد الكتابات اليهودية على ذلك بوثيقة من اقدم الوثائق الاسلامية - يطلق عليها اسم « ميثاق المدينة » .. وهى الميثاق الذى عقده رسول الله مع اليهود فى المدينة ، وضمن لهم فيه حقهم فى البقاء على دينهم . وينظر اليهود الى هذه الوثيقة على انها اقدم وثيقة فى العالم تعلن عن مبدأ « حرية العبادة » . كما انها تحل مشكلة الاقليات من اساسها وذلك عن طريق ادماجهم سياسيا واجتماعيا فى البيئة التى عاشوا فيها .

ثم تعترف الكتابات اليهودية بعد ذلك بان اليهود خانوا ميثاق الرسول ، وان الرسول كان على حق حين غضب عليهم وامر بطردهم من المدينة .

تلك اطراف بسيطة مما قاله المسيحيون من جانب واليهود من جانب آخر دون ان يخشوا انفسهم بطش الكنيسة حين مدحوا الاسلام وعرفوا له قدره بين سائر الاديان الاخرى .

اما اعداء الاسلام فكثيرون بطبيعة الحال .. غير أن كثرتهم لا تظهر الا فى الاوقات التى يصطدم فيها المسلمون باهل الديانات الاخرى . وذلك فى اوقات الحروب وحين يراد من السياسة ان تستغل الدين فى تحقيق مصالحها الخاصة او فى اشعال نار البغضاء بين الشعوب واعدادها لتقبل فكرة الحرب ونحو ذلك .

ولقد كثر اعداء الاسلام فى ايام الحروب الصليبية . وان كانت هذه الحروب قد اطلعت الملوك الاوروبيين ومن اليهم على فضائل الاسلام . واعترفوا بها واكبروا الاسلام فى نفوسهم من أجلها . وزاد اكبارهم للمسلمين يومئذ أن قادتهم فى الجهاد كانوا من امثال البطل نور الدين محمود فى الشام وصلاح الدين الايوبى فى مصر .

وقد كان هذان الرجلان - بنوع خاص - على قدر كبير جدا من سمو الاخلاق بحيث أخذ الصليبيون فكرة طيبة عن الدين الاسلامى ممثلا أصدق تمثيل فى هذين البطلين العظيمين نور الدين وصلاح الدين .

***

وفى العصر الحديث أتى مصر الجنرال بونابرت على راس حملة فرنسية أريد بها غزو البلاد . وكان بونابرت من الذكاء والكياسة بحيث زعم للمصريين انه انما أتى لانقاذهم من ظلم المماليك وأنه لذلك يحمل لقب « حامى الاسلام » . وكان يشارك العلماء المسلمين افكارهم وشعورهم ومراسيمهم ويدعى موافقته التامة على هذه الاشياء . غير أن الاحتلال الفرنسى لم يدم اكثر من ثلاث سنوات ثم رحل الى غير رجعة .

وما هى الا فترة من الزمن حتى دهم البلاد احتلال آخر هو الاحتلال الانجليزى وكان نتيجة لفشل الثورة العرابية . ومنيت البلاد بهذا الاحتلال الذى ظل قابضا عليها أكثر من سبعين سنة . وفى هذه الاثناء تعاور الديار المصرية عدد من المعتمدين البريطانيين كان أخطرهم على الدين ذلك المعتمد الذى عرف فى تاريخنا المصرى باسم « اللورد كرومر » .

وبينما كان الجنرال بونابرت من حسن السياسة على النحو الذى اشرنا اليه الآن اذا بهذا الجبار - كرومر - يسلك سياسة النزق والطيش ويجاهر الاسلام والمسلمين بعداوته السافرة لهم . ولا يالو جهدا فى تعريض الاسلام لأشنع التهم وابشع الشتائم مدعيا ان هذا الدين هو سبب تأخر المسلمين وأنه دين عتيق لا يصلح الا للعرب فى الصحراء منذ أكثر من الف سنة .

هنا انبرت الصحافة المصرية فى ازهى عصورها - اى فى العصر الذى قاومت فيه الاحتلال البريطانى بكل ماتملك من قوة - انبرت ترد على جبار الاحتلال وتدحض حججه واحدة واحدة . ورد الزعيم الشاب مصطفى كامل عليه بما معناه : اذا كان الدين الاسلامى عتيقا يرجع فى تاريخه الى اكثر من الف سنة . فماذا تقول فى المسيحية التى هى أقدم من الاسلام باكثر من ستة قرون ..!

وادعى كرومر ان المسلمين قوم متعصبون وانهم لتعصبهم هذا يعدون أنفسهم لحرب صليبية يلتحمون فيها باوروبا . وحذر الاوروبيين جميعا من هذا المصير ، وحضهم على اعداد انفسهم لمواجهته . فرد الشيخ على يوسف على كرومر فى هذه التهمة وقال له مامعناه :

ان الجامعة الاسلامية التى يخشاها اللورد موجودة بوجود العقيدة . ولكن ليس لهذه الجامعة الاسلامية غرض سياسى كهذا الذى يدعيه اللورد . لان المسلمين اذا تجمعوا لهذا الغرض كان لابد للشعوب الاوربية من ان تتجمع لنفس الغرض . والمسلمون فى أيامهم هذه لا يانسون فى انفسهم القوة التى كانت لهم أيام البطل صلاح الدين .

وهم لهذا لايستطيعون ان يقوموا بحرب صليبيه كالتى كان يواجهها صلاح الدين .

فليطمئن الاوروبيون من هذه الناحية .

كل ذلك والانجليز فى مصر لا يخافون على انفسهم الا سطوة الدين الاسلامى على نفوس المسلمين • ويعتقدون فى قرارة نفوسهم أن الاسلام الذى يؤلف بين قلوب المصريين من الاسباب الرئيسية التى من اجلها يفشل الاحتلال البريطانى فى اسرع وقت ـ فلن ينجح فى مصر كما نجح فى الهند أو فى الدول الاخرى التى يسيطر عليها بالقوة •

وظهر لكرومر كتاب الفه بعنوان « مصر الحديثة » • ونشر « المؤيد » لصاحبه السيد على يوسف ترجمة عربية لهذا الكتاب اطلع عليها القراء ، فاذا بهم يجدون الجبار يتهم الاسلام فى موضوعات كثيرة منها : موضوع التعصب الدينى ، وموضوع المرأة المسلمة ، وموضوع الرق فى الاسلام ، وموضوع تخلف الشعوب الاسلامية بالقياس الى الشعوب النصرانية •

وظن كرومر أنه وضع يده على عيوب فى الاسلام لن يستطيع أحد ان يدرا عنه فى عيب بها • وكان فرح اللورد كرومر أشد حين تحدث عن الرق فى الاسلام واتخذ منه دليلا على أن الاسلام دين الاستعباد وليس دين الحرية •

قال كرومر : ان اباحة الاسلام للرق وتنظيمه هو ما أوجب فشله ازاء النظم الاجتماعية الحديثة •

وادعى اللورد فوق ذلك ان الديانة المسيحية لم توافق على الرق بأية صورة . ولكنه لم يستطع انكار ما فعله المسيحيون بالارقاء وبالعبيد فى أمريكا فعاد يعترف بذلك قائلا :

ويليق بنا فى هذا المقام ان نقول أنه من الامور التى توجب الخجل على المسيحى انه لم يكتف باسترقاق العبيد بل ارتكب ماهو اقبح من ذلك فكان يتخطفهم •

وجهل كرومر ان البشرية لم تعرف دينا من الاديان حث على اعتاق الارقاء والرافة بهم والعدل الكامل فى معاملتهم كما فعل الدين الاسلامى • وهنا يرفع التاريخ يده ليستاذن اللورد كرومر فى ان يهمس فى اذن اللورد قائلا له :

« ان الاسلام رفع الارقاء الى درجة الملوك والسلاطين وفى مصر التى تحكمها الان بجبروتك وطغيانك قامت دولة من اعظم الدول سميت بدولة المماليك وكانت مفخرة التاريخ الاسلامى كله »

وحاول كرومر ان يلصق بالدين الاسلامى تهمة اخرى من هذا القبيل فادعى أنه دين يدعو الى الكسل والتواكل وانه بسبب ذلك تأخر المسلمون كثيرا عن المسيحيين الى آخر ما قال •

كما كتب اللورد كرومر يقول ان الدين الاسلامى جعل المرأة المصرية فى مركز منحط بالقياس الى المرأة الغربية او الاوروبية • ثم انه ـ اى الاسلام ـ اباح تعدد الزوجات وأباح الطلاق . الى غير ذلك من التهم الكثيرة التى الصقها اللورد بهذا الدين •

هنا ـ كما سبق أن ذكرنا ذلك ـ تصدت الصحافة المصرية للرد على اللورد وحملت عليه حملة شعواء افحمته بها • وكان الرد على مزاعم كرومر وامثاله هدفا رئيسيا من اهداف الصحافة المصرية فى عصرها الذهبى • وهو العصر الذى شهد امثال السيد على يوسف والزعيم الشاب مصطفى كامل ، واحمد لطفى السيد، وعبد القادر حمزة ، وامين الرافعى ، وعباس العقاد ، والدكتور محمد حسين هيكل •

ويطول بنا القول اذا أردنا ان نعرض لكتابات هؤلاء جميعا فى الدفاع عن الاسلام • ولسنا بحاجة فى الواقع الى ان نستعرض شيئا من اقوالهم فى ذلك • ولكنا مضطرون الى ان نحيل القارئ الفور الى تلك الصحف القديمة والى الصحيفة التى اشترك فيها جمال الدين الافغانى وتلميذه الشيخ محمد عبده • ونعنى بها صحيفة العروة الوثقى • •

وفيها انبرى محمد عبده لعدو آخر من اعداء الاسلام هو المسيو هانوتو ومازال به حتى اسكته واخرسه والجأه الى الاعتذار عن كثير من اقواله وكتاباته • • والسلام عن من اتبع الهدى •

دراسات فى مقارنة الأديان

اليهودية

الدكتور أحمد شلبى

فى المقال السابق ذكرنا أن اليهـودية هى موضوع الساعة بالنسبة للمسلمين فى هذه الأيام ، ونقرر الآن أن دراسة اليهودية دراسة علمية ستكشف كثيرا من الخطط التى وضعها اليهود للسيطرة على المسلمين والمسيحيين جميعا ، وأن هذه الدراسة ستفسر كثيرا من الأحداث التى تقع الآن هنا وهناك .

وفى المقال السابق خصصنا حديثـا للكلام عن المنطقة وسكانها ، فوصفنا دائرتين كانتا تحيطان بالأرض التى نزل بها العبرانيون ، واحدى هاتين الدائرتين ضيقة تشمل الآراميين والفينيقيين والكنعانيين وقبائل أمون ومؤاب وادوم ، والدائرة الثانية أوسع ، وهى تحيـط بالدائرة الاولى وتشمل الآشوريين والبابليين ومدين ومصر .

ونريد فى حديث اليوم أن نتتبع تحركات العبرانيين منذ فجر هذه التحركات .

تحـركات العبرانيين

ستواجهنا كلمة عبرى وعبرانى عدة مرات فى هذا البحث فلعل من الأفضل أن نقف هنا وقفة لنتساءل

ما معنى كلمة عبرى ؟

لا يتفق العلماء على معنى هذه الكلمة وان اتفقوا جميعا على مدلولها ، فالعبرى هو المنحـــدر من ذرية ابراهيم ولكن لماذا سمى عبريا أو عبرانيا ؟ يرى بعض الباحثين أن ابراهيم سمى عبريا لانه عبر النهر ، ويحتمل أن يكون النهر المقصود هو نهر الفرات أو نهر الاردن ، ويرى آخرون أن ابراهيم وصف بالعبرى لانه منسوب الى احد آبائه الاقدمين الذى كان يعرف باسم « عبر » أو « عابر » ، ولا يرتضى الدكتور اسرائيل ولفنسـتون هذين الرايين ويرى أن كلمة عبرى لا ترجع الى حادثة بعينها أو شخص بعينه ، وانما ترجع الى الموطن الاصلى لبنى اسرائيل ، وذلك ان بنى اسرائيل كانوا فى الاصل من الامم البدوية الصحراوية التى لا تستقر فى مكان ، بل ترحل من بقعة الى اخرى بابلها وماشيتها للبحث عن الماء والمرعى ، وكلمة عبرى فى الاصل مشتقة من الفعل الثلاثى عبر بمعنى قطع مرحلة من الطريق أو عبـر الوادى أو النهر من عبره الى عبره ، أو عبر السـبيل : شقها ، وكل هذه المعانى موجودة فى هذا الفعل سـواء فى العربية أو العبرية ، وهى فى مجملها تدل على التحول والتنقل الذى هو من اخص ما يتصف به سكان الصحراء وأهل البادية ، فكلمة عبرى مثل كلمة بدوى اى سـاكن الصحراء أو البادية .

وقد كان الكنعانيون والمصريون والفلسطينيون يسمون بنى اسرائيل بالعبريين لعلاقتهم بالصحراء ، وليميزوهم عن أهل العمران ، ولما استوطن بنو اسرائيل أرض كنعـان وعرفوا المدنية والاستقرار صاروا ينفرون من كلمةعبرى التى كانت تذكرهم بحياتهم الأولى حياة البداوة والخشونة وأصبحوا يؤثرون أن يعرفوا ببنى اسرائيل فقط .

والعبريون ينحدرون من العرق السامى الذى ينتسب له الآشوريون والعرب ، وكانت بلاد العـرب الوسطى والشمالية مهد الساميين ، وقد هاجـر فريق منهم الى الشمال فى بلاد بابل حيث كانالسلطان لحضارة السومريين والاكاديين ، فاقاموا بها من الزمن ما أشبعوا فيه من تلك الحضارة ، ثم كثر عددهم فهاجـروا من جديد فى أدوار مختلفة ، فتقدموا نحو الشمال أكثر مما تقدموا قبل ذلك وانحدر بعضهم نحو الجنوب ، والساميون الذين بقوا فى بلاد العرب هم أجداد الشعب العربى ، والساميون الذين مروا من موطن الحضارة فى الفرات الأدنى ثم انتشروا فى جميع آسيا وفلسطين هم الآشوريون والاسرائيليون .

ويرى W. D. Smith ان العرب فى العصر الحديث هم الذين يمثلون ملامح الساميين القدماء الجسمانية ،

اما اليهـود فان صلاتهم مع الحيثيين بآسيا الصغرى وتبادل الزواج معهم قد أثر فيهم وأضفى عليهم كثيرا من الملامح السامية .

ورئيس الأرومة السامية التى دخلت فلسطين قادمة من العراق هو ابراهيم الخليل ، وهو ابن تارح ، وينتهى نسبه الى نوح ، وقد نشأ فى أور الكلدانيين ، وكان أبوه يحترف عمل الأصنام ، وسخر ابراهيم من عمل أبيه ومن قومه الذين يعبدون ما ينحتون ، وتحولت السخرية الى عمل ضد هذه الاصنام ، اذ انتهز ابراهيم فرصة وجوده وحده فى حانوت أبيه فامسك فاسا وحطم هذه الاصنام وجعل منها كومة من الحطام ، ولم يدع الا صنما كبيرا كان أعظمها شكلا وأكبرها حجما ، فوضع الفـأس فى يده وجلس ليرى ، فلما عاد أبوه جن جنونه لما رأى وصـاح بابراهيم :

أانت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم ؟

وأجاب ابراهيم فى هدوء . « بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم .. »

قال أبوه فى ثورة : كيف نسألهم وهم لا ينطقون ، وكيف يعمله كبيرهم وهم لا يتحركون .

قال ابراهيم : اذن كيف تعبدون ما تنحتون ؟ والله خلقكم وما تعملون .

وكان ذلك من ابراهيم مطلع ثورة على الفكر والسلطان فى بلدان الكلدان ، ولم يستطع ابراهيم أن ينشر الحق فهاجر من أور الكلدانيين هربا من شرهم ، وهاجرت معه زوجه ساره ولوط ابن أخيه وبعض الأقارب والخدم ، وأخذوا معهم ما يملكون من أغنام وماشية ، وساروا يضربون فى الأرض ، ويبدو لى من تتبع المراجع ، ومن دراسة الآثار اللغوية والاجتماعية التى اقتبسها هذا الرهط ان خط سيرهم كان أشبه بجزء من دائرة ، فقد اتجهـوا الى الشمال حتى اتصلوا بمناطق الآراميين ، ثم انحدروا الى الجنوب حتى دخلوا أرض كنعان ، وأطلق أهل كنعان على ابراهيم ورفاقه « العبريين » لعبورهم نهر الفرات اذ لم يكونوا قد عبروا نهر الأردن بعد ، أو لأنهم بدو متجولون يعبرون من واد الى واد كما ذكرنا من قبل .

متى تمت هذه الرحلة ؟ يرى أكثر الباحثين انها تمت حوالى سنة ٢٠٠٠ ق.م ويرجح بعضهم حدوثها حوالى سنة ١٧٥٠ ق.م .

وحط ابراهيم رحاله فى تلك البقاع ، ونعم بما فيها من رخاء وخير ، ولكن شيئا خطيرا كان يحدث دون ان يلتفت اليه أحد ، أو ربما دون أن يدبره أحد ، ذلك هو الانعزالية التى كانت طابع الوافدين الجدد ، لقد رأينا فى المقـال السابق أن الكنعانيين يختلطون بالفلسطينيين ، ورأينـا الساميين الذين هاجروا الى مواقع الخصب فى الشمال يمتزجون بسكان الشمال ، أما العبرانيون فقد عاشـوا وحدهم وآثروا العزلة منذ هاجروا من أور الكلدانيين ، وقد يكون السبب أنهم كانوا يرفضون عبادة الأصنام فى حين كانت الأصنام هى معبودات الكلدانيين كما سبق ، فاعتزلهم ابراهيم ومن آمن معه ، ولكن العزلة أصبحت طابع العبرانيين حتى عندما انحرفوا وعادوا أو عاد أكثرهم الى عبادة الأصنام ، كانت العزلة طابعهم فى أرض كنعان ، وكانت طابعهم فى مصر كما سنرى ، وسنراها طابعهم حتى العهد الذى نعيش فيه ، ولعل أدق صورة للتحريض على العزلة والتمسك بها ، ما ذكره سلامون شختر فى خطابه بمدرسة اللاهوت اليهودية العليـا حيث قال : ان معنى الاندماج فى الأمم هو فقدان الذاتية ، وهذا النـوع من الاندماج مع ما يترتب عليه من النتائج هو ما اخشاه أكثر مما أخشى المذابح والاضطهادات .

وتسبب عن هذه العزلة احداث بالغة الخطورة ، فقد نظر اليهود الى سواهم نظرة حذر وعداء ، وبالتالى لم يدينوا بولاء الى الوطن الذى يجمعهم بالآخرين ، وانمـا اتجهوا بولائهم الى جماعتهم ، فاصبحت هذه الجمـاعة هى وطنهم ، وهى دينهم ، وهى موضع تقديسهم ، وليس لسواها عندهم حرمة أو تقدير ، وقد نتج عن ذلك ما ذكره Charles Ken بقوله : خلال أكثر فترات التاريخ كان العبرانيون محاطين بدائرة من الامم المعادية التى تمثل حلقة من نار لا تدع لهم فكاكا .

« للبحث بقية »

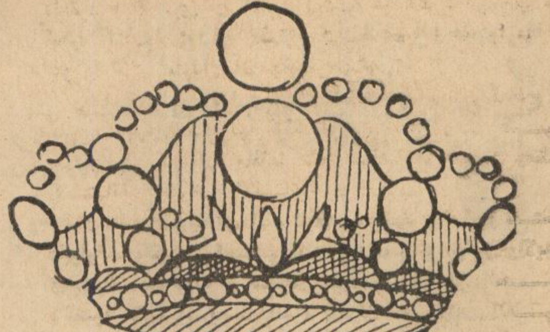

الآداب السلطانية والملكية

ومظاهر الاستعباد والاستبداد

الأستاذ أبو الوفا المراغى

حفلت المكتبة العربية بكثير من الكتب فى الآداب الملكية والسلطانية . وقد احتوت هذه الكتب كثيرا من القواعد فى النظم السياسية والمالية والادارية والقضائية كما حوت كثيرا من آداب السلوك مع العامة والملوك ، فى التحية والمجالسة والمحادثة والمكاتبة وغير ذلك من شئون المخالطة والمعاملة .

وهذه القواعد انبثق بعضها من أصول الاسلام أو جرى على نهج لا تنكره أصوله ، وبعضها كان وليد الحضارة الاسلامية الخالصة ومن ثمار عقول المسلمين وشىء منها استعارته الحضارة الاسلامية من الحضارات الفارسية والهندية والرومانية ، ولا شك أن مجموع ما احتوته هذه الكتب من القواعد التى تتعلق بالانظمة القضائية والمالية والسياسية كان مفيدا وكان عنصرا صالحا فى بناء الحضارة الاسلامية التى تطورت حتى وصلت الى ما هى عليه الآن الا أن بعض ما جاء فى هذه الكتب خاصا بآداب السلوك مع الرؤساء والملوك مما لاترضاه نفوس الأحرار ولا تقره قواعد الاسلام ولم يتادب به السابقون من المسلمين فهى آداب تفوح منها روائح الوثنية فضلا عن روائح الاستعباد والاستبداد . ولا يعيينا الشواهد والأمثلة ، وحيثما قرأنا فى أبواب المجالسة والمنادمة والمحادثة من هذه الكتب نجد فيها المستكره والمستغرب من هذه الآداب ونجد أن انتهاج هذه الآداب يضطر المتادب الى أن يهدر انسانيته ويستبدل بها حيوانا خانعا ذليلا يلغى عقله وارادته وحريته ليرضى قواعد هذه الآداب ، ويستبدل بمن يحييه من الملوك والسلاطين مثالها يأبى أن يشاركه فى جنسه وخصائصه ولا يستغفر له زلة فى الرسوم المقررة . ان هذه الآداب أورثتنا اياها الحضارات الفارسية والهندية والرومانية وكانت وليدة عهود الاستبداد والطغيان فى هذه الشعوب ، فلم يعرف العرب ولا المسلمون هذا النمط من الآداب فى معاملة السلاطين والملوك .

ولقد علمنا رسول الاسلام كيف نحييه فما كانت تحيته الا تحية انسان لانسان ، وكيف نجالسه ونحادثهونخاصمه فما كان فى ذلك الا الانسان الكريم فى أقوام كرماء ، وما كان أبغض اليه من أن يواجه بمدح أو ثناء ، ومما أثر عنه فى ذلك قوله : لا تطرونى كما أطرت النصارى المسيح بن مريم وانما أنا عبد فقولوا : عبد الله ورسوله ، وقولوا : انما أنا ابن امراة من قريش كانت تاكل القديد ، وكانت قاعدته العامة فى المعاملة : قوله تعالى : « انما المؤمنون اخوة » .

وما كانت رسالته الا لتحرير الانسان من استعباد الانسان واستعادة حريته وارادته وثقته بنفسه ليفكر ويعمل ويشارك فى بناء مجتمع حضارى تسوده المساواة والاخاء . وهذه نماذج مما جاء فى تحية الخليفة فى بعض الكتب : « اذا دخل الداخل الى حضرة الخليفة من أمير أو وزير أو ذى قدر كبير فلم يكن من العادة القديمة تقبيل الارض ، لكنه اذا دخل ورأى الخليفة قال : السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، وربما تقدم الوزير او الامير فاعطاه الخليفة يده مغشاة بكمه اكراما له بتقبيلها ، والعلة فى أن يغشيها بكمه لئلا

يباشرها فم أو شفة !! وقد عدل عن ذلك الى تقبيل الأرض واشترك فيه كل الناس فأما ولاة العهود من أولاد الخلفاء والأهل من بنى هاشم والقضاة والفقهاء والزهاد والقراء فما كانوا يقبلون يدا ولا أرضا لكنهم يقتصرون على السلام كما ذكرنا وقد اختلطوا الآن بالطائفة التى تقبل الأرض الا الأقل ممن أقام على التورع من هذا الفعل !! وأما أوساط الجند ومن دونهم وعوام الناس فمنكر منهم تقبيل الأرض لأن منزلتهم تقصر عن ذلك !! ومن أولى الأفعال بالوزراء ومن هو فى طبقتهم أن يدخل الى حضرة الخليفة نظيفا فى بزه وهيئته وقورا فى خطوه ومشيته متبخرا بالبخور الذى تفوح روائحه منه وينفح طيبه من أردانه وأعطافه ، وأن يتجنب منه ما يعلم أن السلطان يكرهه .

ومما جاء فى أدب الجلوس : « وليس للوزير ولا حاضر فى ذلك الموقف أن يذكر شيئا الا ما يسأل عنه ، أو يورد قولا فى أخبار أو مطالعة الا ما استأذن فيه . وسبيله أن يخفض صوته فى حديثه ومحاورته ولا يرفعه الا بقدر السماع الذى لا يحتاج معه الى استفهامه واستعادته . وسبيله ان يقل الالتفات الى جانبيه وورائه والتحريك ليد أو شىء من أعضائه . أو رفع رجل للاستراحة عند اعيائه ، وأن يغضى طرفه عن كل مرأى الا شخص الخليفة وحده ، ومخارج لفظه ، واذا خرج وهو مشاهد الخليفة جعل خروجه تراجعا الى ورائه لئلا يوليه ظهره ، فاذا غاب من طرفه استقام فى مشيه ، وأن يمتنع عن الضحك وان جرى ما يوجبه وأن يتحرز من الحاجة الى استثبات الخليفة فى امر يأمره به أو قول يورده عليه بفضل الاصغاء والاصاخة الى ما يخاطبه فيه فانه بين ألا يفهمه فقد استعجم عليه ما يراد منه أو يستعيده فقد كلفه من الاعادة ما فارق فيه الآداب اللائقة .

وليس من حكم الأدب أنه يراجع باقامة حجة واستيفاء مناظرة أو يكشف برد ارادة واستعمال مضادة ، فان ذلك يدعو الى توغر الصدور ، واللجاج فى الأمور ، وان اتفق للسلطان ان يقول قولا ملحونا ، أو يروى حديثا مدفوعا، أو ينشد شعرا مكسورا لم يكن لمن يحضر مجلسه من حرمه وذوى انسه فضلا عن أهل الحشمة ومن لا تعلق له بخصوص الخدمة أن يرد ذلك مواجها ومصرحا بل يعرض به مشيرا وملوحا ، ويورد فيه من النظائر والأشكال مايكون طريقا الى معرفة الصواب . وليس من الأدب أن يستسقى الماء فى دار الخليفة ولا من الرسم أن يسقى ، هذا فى عموم الناس ، فأما الخواص فربما فسح لهم فى ذلك على وجه الاكرام والاولى الا يكون .

واولى بأخلاق الملك - ان أمكنه التفرد بالماء والهواء الا يشرك فيهما أحدا ، فان الابهة والعزة والبهاء فى التفرد ، الا ترى ان الامم الماضية من الملوك لم يكن شىء أحب اليهم من أن يفعلوا شيئا تعجز عنه الرعية أو يتزيوا بزى ينهون الرعية عن مثله » .

ومعذرة الى القارىء اذا أطلت فى عرض نماذج من هذه الآداب السلطانية فقد توخيت أن أرسم صورة يستبين فى خطوطها مظاهر الاستعباد والاستبداد ومظاهر الاستهانة بالكرامة الانسانية .

ان هذه الآداب تجعل من الأمم جماعات كالأنعام تستخف عقولها . وتقتل مواهبها وتخمد فيها ملكات الخلق والابداع لا يشرف بها ملك أو سلطان فهى جماعات من الخدم والعبيد كلها فى خدمة الفرد ، واشباع مظاهر الغرور والكبرياء من نفسه ، لا تحس بوجودها كجماعة تتعاون فى حرية وكرامة لانهاض نفسها كأمة .

ولقد نبه الاسلام الى ما فى هذه الآداب من الأخطار على الأمة وقد أشرنا فى صدر كلمتنا الى شىء من سلوك الرسول - صلى الله عليه وسلم - فى جماعة المسلمين سلوكا يشعرهم بكرامتهم الانسانية وانه واياهم سواء فى البشرية . وفى سيرته الطاهرة أمثلة انسانية نبيلة غير ما ذكرنا .

ومع حرص الأديان جميعها على الدعوة الى تذويب الفوارق بين الطبقات ، والى القضاء على مظاهر التمييز والتفاضل فيها فقد ظلت هذه المواريث من الاداب البغيضة سائدة فى جميع الامم على مدى الازمان حتى انبعثت الثورات الاشتراكية فى العصور الأخيرة وكان فى مقدمة أهدافها القضاء على هذه الآداب التى تمثل أشنع تمثيل صور الاستعباد وعبادة الأفراد وقد نجحت هذه الثورات الى مدى بعيد فى تحقيق هذا الغرض وأطاحت بكثير من العروش والقصور التى كانت مسارح لهذه الآداب وستقضى حتما على البقية الباقية منها تحقيقا للمساواة والكرامة الانسانية .

والحق أن مثل هذه الكتب فى حاجة لأن ينبه قارئوها من ناشئة الأجيال الحاضرة والأجيال المقبلة الى ما فيها من مجافاة للكرامة الانسانية ولروح العصر وحضارة العصر ، ومن واجب رجال الأدب والتاريخ أن يلفتوا أنظارهم الى أن دراستها لا تكون للاقتداء والتأسى وانما تكون لدراسة فترات مظلمة من التاريخ امتحنت فيها الانسانية فى حريتها وكرامتها ، وأنها فترات مضت ولن تعود .

من إعجاز القرآن

اليمنى وإعجاز القرآن

العلوى اليمنى

الدكتور حفنى شرف

تركت مصر وانتقلت الى اليمن حيث التقيت بأمير المؤمنين هناك : يحيى بن حمزة بن على بن ابراهيم العلوى اليمنى الذى ولد سنة ٦٦٩ هـ فزخرت حياته بالعمل الدائم والجهاد المتواصل الى أن قبض رحمة الله سنة ٧٢٩ هـ بعد عيشة حافلة وتاريخ الاق . هذا وقد يلفت نظر الباحث من مؤلفات هذا العلامة الكبير عدة تصانيف اهمها : كتاب الانتصار على علماء الأمصار فى تقرير المختار من مذاهب الأئمة وأقاويل الأمة . ويبدو من هذا العنوان الكبير لموضوع الكتاب أن الرجل جهد فيه غاية الجهد . ولا غرو فقد صاغه فى ثمانية عشر مجلدا بالاضافة الى أن له كتابا آخر سماه : « الحاصر لفوائد مقدمة طاهر » وهو شرح مبسوط على مقدمة أبى الحسن طاهر ابن احمد بن بابشاذ بن داود المصرى النحوى .

أما ثالث الكتب ذات الاهمية من مصنفات اليمنى فهو كتاب : « الطراز » الذى ضمنه أسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز ولذا فيهمنا هذا الكتاب أكثر من سابقيه فى ذلك المجال . ولما كان المؤلف فى علوم البلاغة . والبلاغة فى نظر صاحبه وسيلة لمعرفة الاعجاز رأيت أن أسير معه خطوة خطوة كى أتعرف مصادر « الطراز » والسبب الذى دعا صاحبه لتاليفه ومنهجه فيه وأشهر ميزاته حتى اذا انتهيت من هذا كله عرضت لمنزلة علم البيان بين العلوم الأدبية فى نظر المؤلف ومعناه لديه وموضوعه عنده وربما يسفر مثل هذا العرض عن جديد حيال تلك الأمور جميعها او يتطرق الحديث الى خوض غيرها ولمسه من قريب أو بعيد . مع الوقوف أمام بعض الآراء وتفنيدها ومناقشتها ان كانت معالجتها تتطلب ذلك وتلح عليه .. فاما من ناحية مصادر كتاب « الطراز » فنجد المؤثرين فى اليمنى بتاليفهم أربعة علماء أجلاء وسوف نقدم أسماء هذه الكتب على أسماء أصحابها تمشيا مع خط التأثر لدى اليمنى ..

فاولها : « المثل السائر » لأبى الفتح نصر بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير وثانيها : « التبيان فى اعجاز القرآن » لعبد الواحد بن عبد الكريم بن خلف الانصارى ثالثها : « نهاية الايجاز فى دراية الاعجاز » لفخر الدين بن الخطيب الرازى . أما رابعها فهو « المصباح » لابن سراج المالكى .

ومع اعتراف العلوى اليمنى بتأثره بمن سبق من اصحاب الكتب التى استمد منهـا كتابه فانه يقرر بأن أول من أسس هذا العلم ووضع قواعده وأوضح براهينه وأظهر فوائده ورتب أفانينه الشيخ العالم النحرير علم المحققين : عبد القاهر الجرجانى .

والذى أراه أن العلوى قد بالغ فى هذا أيما مبالغة ذلك لأن قواعد البلاغة وأصول علم البيان قد وضعت بذورها بل وآتت بعض الثمار قبل عبد القاهر بكثير ولا أدل على ذلك من تلك الجهود الجبارة التى تصادفنا فى كل ناحية وكل طريق : جهود الجاحظ وابن المعتز وقدامة وابى هلال وابن رشيق وابن سنان الخفاجى ، كل واحد من هؤلاء لاشك قد سد ثغرات فى هذا الميدان ، الأمر الذى لم يجعل لعبد القاهر الا أنه رتب ونظم وبوب وصنف وان كانت له زيادات فقد تلمسها اذا عرفت أنه فلسف هذه المادة التى وصلته عن السابقين بذوق قوى وقريحة وقادة فضرب الأمثلة على القواعد لكى يزيل جمودها ورد على المعترضين والمناوئين وبين هذرهم ولكنه رغم هـذا كله لا يستطيع به اليمنى أن يرد اعترافاتنا للسابقين : خاصة من كتب منهم فى بيان القرآن من امثال : أبى عبيـدة وابن قتيبة والرمانى والجاحظ والخطابى والباقلانى ولماذا نذهب بعيدا والدليل المادى حاضر بين ايدينا والشاهد أمامنا شاهد عيان ؟

ان العلوى نفسه قد اعترف بأنه لم يطلع على مؤلفات عبد القاهر الجرجانى حيث يقول فى ١ : ٤ من الطراز : « وله من المصنفات فى البلاغة كتابان أحدهما لقبه بدلائل الاعجاز والآخر لقبه بأسرار البلاغة ولم أقف على شىء منهما مع شغفى بحبهما وشدة اعجابى بهما الا ما نقله العلماء فى تعاليقهم منهما » .

هذه عجالة يسيرة عن المصادر التى استقى منهـا العلوى مؤلفه ومدى الصحة أو الخطأ فى ذلك السبيل .

أما عن السبب الذى دعاه الى تاليفه الطراز فهو أن جماعة من خلصائه وصفوة صحبته أشاروا عليه بعد أن قرأوا تفسير الكشاف للزمخشرى بأن يملى فى اعجاز القرآن كتابا فاجابهم الى طلبتهم وحقق لهم رغبتهـم ولننسحب من الميدان لندع العلوى يحدثنا عن القصة التى ارتبطت بهذا الهدف النبيل حيث يقول ص ٥ من الجزء الأول :

« ... ان جماعة من الاخوان شرعوا فى قراءة «الكشاف» للزمخشرى : الشيخ العالم المحقق أستاذ المفسرين محمد بن عمر الزمخشرى « فتحقق لديهم » انه أسسه على قواعد هذا العلم فاتضح عند ذلك وجه الاعجاز من التنزيل وعرف من أجله التفرقة بين المستقيم والمعوج من التاويل وتحققوا أنه لا سبيل الى الاطلاع على حقائق اعجاز القرآن الا بادراكه والوقوف على أسراره وأغواره ومن أجل هـذا الوجه كان متميزا عن سائر التفاسير لأنى لم أعلم تفسيرا مؤسسا على علمى : المعانى والبيان سواه فسألنى بعضهم ان أملى فيه كتابا يشتمل على التهذيب والتحقيق ، فالتهذيب يرجع الى الألفاظ والتحقيق يرجع الى المعانى اذ كان لا مندوحة لأحدهما عن الثانى » .

ولعمرى فهذه نظرة طيبة ولفتة مباركة تلك التى استجاب لها العلوى فجند لها نفسه وشحذ لها حسه فكان له أخيرا ما أراد واستطاع قلمه فى مدى سنين عدةأن يسود صفحات زاد بريقها يوما بعد يوم وآنا اثر آن حتى استقرت أخيرا وهى المصباح الوهاج الذى يشهد لصاحبه بطول الباع .

اما عن المنهج الذى اتبعه المؤلف فى هذا التاليف بالذات فيتلخص فى ثلاثة فنون :

الأول : المقدمات وتحدث فيها عن تفسير علم البيان وماهيته وموضوعه وبيان ماهية البلاغة والفصاحة والفرق بينهما ومعنى الحقيقة والمجاز وبيان أقسامهما .

الثانى : ذكر فيه المباحث المتعلقة بالمعانى وعلومها وأردفه بالمباحث المتعلقة بعلوم البيان وأقسامها وعقب على الاثنين بمباحث علم البديع بذكر خصائصه وألوانه وأحكامه اللائقة به .

ونلاحظ على عمل العلوى فى هذا الفن أنه احتذى طريقة السكاكى والقزوينى فى تقسيم علوم البلاغة الى معانى ، بيان ، بديع .

ولاشك أنه بهذا التقسيم قد انحاز الى الاتجاه الكلامى فى دراسته ـ الثالث : ذكر فيه ما يكون جاريا مجرى التتمة والتكملة لهذه العلوم الثلاثة فذكر فيه فصاحة القرآن الكريم وبين أنه قد وصل الغاية التى لا غاية فوقها وان عظم دخوله فى البلاغة والفصاحة قد بلغ النهاية فلا يدانيه نص آخر ولا يماثله ، وذكر فيه كذلك عدم قدرة الخلق على الاتيان بمثله وبين وجه أعجازه وذكر أقوال العلماء السابقين وظاهر الوجه المختار عنده .

فالفن الثالث للثانى على جهة الاكمال والتتميم والفن الأول للثانى على جهة التمهيد والتوطئة كما يكون مودعا للفن الثانى وهو فن المقاصد . هذا بالاضافة الى أنه نعى على كثير من السابقين عدم تحديدهم البيان تحديداجامعا مانعا كغيره من العلوم الأخرى كالنحو والفقه وعلم الأصول (الطراز ١ : ٨) .

وذلك هو السبب الذى دعاه الى ايجاب معرفة ماهيته ومن الممكن حصر ذلك فى أمرين :

أولهما : ان الخوض فى تقاسيمه وخواصه وبيان أحكامه فرع على تصور ماهيته لأن من الجمال معرفة حكم الشىء قبل فهم حقيقته .

الثانى : أن الخوض فى علم البيان ومعرفة أسراره ودقائقه انما هو خوض فى المركبات ومعرفة ماهيته خوض فى المفردات ولاشك أن معرفة المفرد سابقة على معرفة المركب ولهذا وجب معرفة ماهيته كى تتحدد كل الخصائص

وقبل أن نحدد ماهية علم البيان لدى العلوى كى نخلص منها الى منزلته لديه نحب أن نسطر ملاحظتنا على الميزات التى يتمتع بها كتاب الطراز عن كثير غيره من كتب البيان العربى .

ومن الممكن حصر هذه الميزات فى اثنتين : ترتيبه الذى يطلع الناظر فيه من أول وهلة على مقاصد هذا العلم ، ويفيده الاحتواء على أسراره واشتماله أيضا على التسهيل والتيسير والايضاح والتقريب لان مباحث علم البلاغة فى غاية الدقة وأسراره فى نهاية الغموض فهو أحوج العلوم الى الايضاح والبيان .

ولنعد الى ماكنا فيه فنقرر أن ماهية علم البيان عند اليمنى تتحدد بالاضافة اذ يقال فيه : علم المعانى أو علم البيان أو علم البيان والمعانى فهذه التسميات كلها جرت على ألسنة العلماء فى الاستعمال ونقلت عنهم .

فقد نقل عنهم أن المراد لعلم المعانى ـ منفردا عن البيان ـ المقاصد المفهومة من جهة الألفاظ المركبة لا من جهة اعرابها والمفهوم من علم البيان هو الفصاحة وهى غير مقصودة على الكلمة المفردة دون المركبةفعلم المعانى والبيان يرجعان فى الحقيقة الى علم البلاغة والفصاحة . هذا على رأى من يفردهما أما اذا جمعا فانه يروى لهما ثلاثة تعريفات :

الأول : العلم بجواهر الكلم مفردة ومركبة ودلائل الألفاظ لا من جهة وضعها واعرابها « والعلم بجواهر الكلم » يشير الى البيان .

ودلائل الألفاظ المركبة يشير الى علم المعانى لأن المقصود منه هو البلاغة وهى لاتوجد الا من جهة التركيب ولاشك أن القيد الأخير وهو « لا من جهة وضعها واعرابها » يبعد البلاغة عن علم اللغة والنحو لأن الأول يقصد به احراز معانى الألفاظ المفردة والثانى يكون من جهة الاسناد والتركيب ودلالة الألفاظ على المعانى والبيان أمر وراء ذلك مع كونه متوقفا عليهما .

الثانى : العلم بما يعرض للكلمة المفردة والمركبة من الفصاحة ويعرض للكلمة المركبة من البلاغة .

أما التعريف الثالث فهو : العلم الذى يمكن معه الوقوف على معرفة أحوال الاعجاز لأن الاجماع منعقد من جهة أهل التحقيق على أنه لاسبيل الى الاطلاع على معرفة حقائق الاعجاز وتقرير قواعده من الفصاحة والبلاغة الا بادراك هذا العلم وأحكام أساسه .

ولعلنا بعد تحديد ماهية هذا العلم وبيان أبعاده كما تراءى لليمنى نرى لزاما علينا أن نعرض أيضا لمنزلته بين العلوم الأدبية وسوف نترك ذلك للمؤلف نفسه ليقول عنه فى مقدمته هذه اللآلىء الخرد من كلماته المعسولة ..

يقول : « .. فان العلوم الأدبية وان عظم شأنها وعلا على أوج الشمس قدرها ومكانها فان علم البيان هو أمير جنودها وواسطة عقودها وفلكها المحيط الدائر وقمرها السامر الزاهر .. ولولاه لم تر لسانا يحوك الوشى من حلل الكلام وينفث السحر مفتر الاكمام وكيف لا وهو المطلع على أسرار الاعجاز والمستوى على حقائق علم المجاز فهو من العلوم بمنزلة الانسان من السواد والمهيمن عليها عند السبر والحك والانتقاد » .

تلك هى منزلة علم البيان بين العلوم الأدبية فى نظر العلوى ومن أجل هذا ألف كتابه ليشير الى تلك المنزلة السامقة ولينبه على مقاصده ومناظمه وهو بين هذا وذاك لم ينس أن يشير الى تراجمه فقال :

وقد كثر فيه خوض علماء الأدب وأتى فيه كل بمبلغ جده وجهده ومنتهى علمه ومقدار وجده حرصا منهم على بيانه وشغفا منهم بضبطه واتقانه وأتوا فيه بالغث والسمين والنازل والثمين وهم فيما أتوا به من ذلك فريقان :

فريق بسط كلامه فيه نهاية البسط وخلط فيه ماليس منه فكان آفته الاملال .

وفريق أوجز كلامه غاية الايجاز وحذف منه بعض مقاصده فكان آفته الاخلال .

وهكذا سار العلوى فى بحثه فعرض لكل هاتيك الأمور التى قد تطرأ على ذهن أى متسور لهذا الميدان الرحب للبيان . وخلص من ذلك كله الى الحديث عن موضوع علم البيان فكان مما قال : ان موضوع علم البيان هو علم الفصاحة والبلاغة ولهذا فان الماهر فيه يسأل عن أحوالهما وحقائقهما اللفظية والمعنوية فيحصل من النظر فى الألفاظ المفردة ادراك الفصاحة ويحصل من النظر فى المعانى المركبة أحوال البلاغة .

وقد يقال : ان الأمر يلتبس مادام موضوع علم اللغة وعلم الاعراب وعلم البيان واحدا وهو الألفاظ !

ولكن اليمنى يدفع التباس هذا القيل بما لايدع مجالا للشك أو مدخلا للطعن والوهم وذلك اذ يرى أن علم اللغة وعلم الفصاحة وان كان متعلقهما الألفاظ المفردة لـكنهما يفترقان فى الدلالة فان نظر اللغوى مقصور على معـرفة مايدل عليه اللفظ بالوضع وصاحب علم البيان ينظر فى الألفاظ المفردة من جهة جزالتها وسلامتها من التعقيد ، وبراءتها عن البشاعة مع مايتعلق بها من الأنواع المجازية فانها مؤدية للمقصود بالطرق المختلفة .

وهكذا النحو وعلم المعانى فانهما وان اشتركا فى تعلقهما بالالفاظ المركبة الا أن نظر أحدهما مخالف لنظر الآخر .

فالنحو ينظر فى التركيب من أجل تحصيل الاعـراب كى تحصل كمال الفائدة أما علم المعانى فانه ينظـر فى الدلالات الخاصة وهى ما تحصل عند التركيب من بلاغة المعانى .

هذه هى التفرقة الواضحة لدى اليمنى فى هذه العلوم والناظر الى رأيه هنا يجده متأثرا بابن الأثير الى حـد كبير والقارىء لمقدمة كتاب الاستدراك فى سرقات المتنبى من أبى تمام يعرف الى أى مدى قد تأثر يحيى العـلوى بضياء الدين . هذا من ناحية .

ومن ناحية أخرى فانه يخالف عبد القاهر الجرجانى ، الذى يرى البلاغة أو البيان فى النظم الذى هو توخى معانى النحو .

هذا ولم يقتصر بحث اليمنى على هذه الناحيةالنظرية بل شفعها بدراسة تطبيقية بين فيها الفروق بين كل من هذه العلوم : علم اللغة وعلم البيان وعلم المعانى وعـلم النحو وان كان موضوعها جميعها واحدا هو الألفاظ :مفردة ومركبة .

وكانت وسيلته الى بيان ذلك كله سوقه مثالا قرآنيـا هو قوله تعالى : « ولكم فى القصاص حياة » .

فنظر اللغوى انما هو من جهة كون القصاص والحيـاة موضوعين لمعانيهما المفردة وغير ذلك من سائر الكلمـات المفردة ، ونظر صاحب البيان من جهة سلامة هـــذه الألفاظ المفردة عن التعقيد وسـلاستها وسهولتها على اللسان وهذا هو المقصود بالفصاحةفقد افترقت الدلالتان مع اشتراكها فى التعلق بالألفاظ المفردة .

ونظر اليمنى من جهة رفع المبتدأ وتقديم خبره عليه وتنكير المبتدأ أو توسيط الظرف الى غير ذلك .

ونظر صاحب المعانى من جهة بلاغتهـا وتأدية المعنى المقصود منها على أوفى مايكون وأعلاه وهذا هو المراد من البلاغة فقد افترقا مع اشراكهما فى تعليقهما بالتركيب .

ومن أحاط علما بالفصاحة وتغلغل فكره فى احـراز اسرارها عرف أن بين ماورد فى التنزيل وبين ما أثر عن العرب « القتل أنفى للقتل » بونا لاتدرك غايته وبعـدا لايحصر تفاوته .

ولا شك أن اليمنى بهذا كله واضح التأثر بالزمخشرىفى تفسيره ولا أدل على هذا من تفسير الزمخشرى لآية «ولكم فى القصاص حياة » فان أردت تأكيدا فارجع اليها .

هذا هو موضوع علم البيان فى نظر هذا العلامة الكبير وذلك هو معناه وقد يسأل عن منزلة علم البلاغة أو علم البيان بين العلوم الأدبية فاقول نقلا عن اليمنى :

ان عـلم البـلاغة بين علوم العربيـة يقـع فيها مكان الواسطة من عقدها وهو أجلها قدرا ومكانا وأعلاها منزلة واكبرها شأنا لأنه علم يستولى على استخراج أسـرار البلاغة من معادنها وهذه توجد محاسن النكت المودعة فى أصدافها ومكامنها وهو الغاية التى ينتهى اليها فكرالنظار والضالة التى يطلبها غاصة البحار وعليه التعويل فىالاطلاع على حقائق الاعجاز فى القرآن الكريم .

وهكذا يتبين لنا منزلة علم البيان أو البلاغة لدىاليمنى ومقدار شرفه ومدى رتبته ، وحسبه انه العلم المعول عليه فى اكتناه أسرار الاعجاز لأطهر كتاب مقدس وهو القرآن الكريم .

بقى شىء آخر وهو الطريق الى تحصيل هذا العـلم وتمشيا مع المنهج الذى اخترناه من أول السبيل نرى أن نضع نصوص الرجل بين أيدينا لتكون سندنا أولا وأخيرا على صحة مانقول .

فالطريق الى البلاغة فى نظر اليمنى يتلخص فى . معرفة اللغة اذ أن من لم يعرف شيئا منها لايمكن أن يخوض فى عارض من عوارضها فيعرف المتداول والمألوف والذى كثر استعماله ويستوعب معانى المفردات ونسبتها الى ألفاظها المفردة حتى يكون على علم تام بالمترادف والمتواطىء والمشترك والمتباين ، كما لابد لطالب البلاغة من اتقان علم النحو وليس معنى ذلك انه مختص بالبلاغة وحدها بل هو لازم لكل ناطق بالعربية كى يكون بعيدا عن زلل اللحن وسقطه . وأيضا فلابد له من اتقان علم التصريف حتى يكون على بينة من أبنية الألفاظ المفردة ومعرفة صحيحها ومعتلها وزوائدها ومجردها ، وهذه الأشياء الثلاثة أصول لابد منها .

هذا بالاضافة الى وجود أشياء أخر ولكنها تعد ثانوية اذا قيست بما سبق بيانه لان بها الكمال والتمام ليس غير وذلك كمعرفة أمثال العرب وحكمهم وآداب محافلهموحفظ الكثير من أشعارهم الى غير تلك الأمور التى تشحـــذ الملكة وتنمى الموهبة .

والناظر الى اليمنى فى هذه النقطة بالذات يجده قـد تأثر بابن الأثير وابن أبى الاصبع اللذين يريان أنه لابدمن اضافة الصفات الدرسية الى الصفات الفطرية (انظر مقدمة الاستدراك لابن الأثير وكذا باب التهذيب والتاديب من تحرير التحبير لابن أبى الاصبع لتتحقق من صدق ما نقول) .

ونحن وان ضربنا صفحا عن ذلك كله فان صنيعنا هذا لايعدو الا أن يكون انتقالا من حسن الى أحسن وقد تدرك ذلك اذا علمت أن الهدف أو الثمرة التى تهدف اليهـا البلاغة ودراستها مفيدة الى حدما من ناحية تعلمهـا أو الوقوف عليها . فاذا أردت أن تعرف هذا لدى اليمنى فانه يقصرها على مقصدين اثنين لا ثالث لهما :

أولهما دينى وهو هدف مهم يتلخص فى معرفة اعجاز القرآن الذى هو معجزة الرسول الكريم ذلكم لأنه لا يمكن الوقوف عليه الا باحراز علم البلاغة التى بها وحدهاافتخر الرسول صلى الله عليه وسلم حيث يقول : « أنا أفصح من نطق بالضاد » ويقول : « أوتيت خمسا لم يعطهن قبلى أحد كان كل نبى يبعث الى قومه وبعثت الى كل أحمر وأسود وأحلت لى الغنائم وجعلت لى الأرض مسجـدا وطهورا ونصرت بالرعب بين يدى مسيرة شهر وأوتيت جوامع الكلم » (ص ٣٣ جـ ١ من الطراز) .

أما المقصد الثانى فيعتبره اليمنى مقصدا عاما لايتعلق به غرض دينى وهو الاطلاع على أسرار البلاغة والفصاحة فى غير القرآن الكريم .

وأنا أرى أن هذا المقصد العام يتضمن المقصد الأول تبعا اذ أن كل ادراك مفيد مقصود به أعمال الذهن وانعام النظر لا يرفضه القرآن أو الدين ان لم يكن يدعو لـــه ويحض عليه .

وبعد : فنحن فى حل بعد ذلك كله من الانتقال الى نقطة أخرى جديرة بالبحث التقينا بها على نحو واسع فى كتاب الرجل ونقصد بها مسألة الألفاظ والمعانى أو قل مشكلتهما وكلاهما صحيح فاذا كان الأمر فالى المعركة .

الاسلام ينادي بالديموقراطية

الأستاذ محمد عطية الابراشي

في غزوة بدر خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة المنوره ، مع جماعه من المسلمين . فلما وصلوا بدرا نزلوا في مكان لا ماء فيه ، فقام اليه رجل من أصحابه وقال : يارسول الله ، هل نزولك ههنا شيء أمرك الله به أو هو من عند نفسك ؟

قال : بل هو من عند نفسي .

قال : يارسول الله ، ان الصواب أن ترحل ، وتنزل على الماء ، فيكون الماء عندنا فلا نخاف العطش . واذا جاء المشركون لا يجدون ماء ، فيكون ذلك معينا لنا عليهم .

فقال رسول الله : صدقت ، ثم أمر بالرحيل . ونزل على الماء . وهنا تتمثل عظمة الرسول عليه الصلاة والسلام في الأخذ بمشورة غيره متى كانت صائبة متفقة مع العقل والمنطق والتجربة .

وكان النبي - عليه الصلاة والسلام - لا ينفرد بالرأي ، بل كان يطرح الأمور بين أصحابه ، ويشاورهم فيها ولا يكبر عليه أن ينزل عند رأي أي واحد منهم .

وقد سار الخلفاء الراشدون على سنة رسول الله في المشاورة ، حتى ان عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - حينما وجه جيشه لمحاربة الفرس أراد أن يقود الجيش بنفسه ، فاستشار في ذلك ، فأشار بعض أصحابه برايه ، وخالفه بعضهم ، فمال الى الراى الذى يقول بقعوده عن الذهاب ، لانه رآه أكثر صوابا وحكمة .

قال عليه الصلاة والسلام : « لا خاب من استخار ، ولا ندم من استشار » . وقال علي - كرم الله وجهه - « من استبد برأيه هلك » . هذه النصوص وغيرها كثير جدا مما يؤيد القاعدة التي كانت تسير عليها الحكومة الاسلامية منذ فجر الاسلام ، وهي قاعدة المشورة وتبادل الرأي ، وهي أساس النظام الدستوري (الديمقراطي) .

وقد أثر عن الرسول - عليه الصلاة والسلام - قوله : « اسمعوا واطيعوا ، وان تأمر عليكم عبد حبشي كأن راسه زبيبة » . فالرسول يأمر باطاعة امام المسلمين ، ولو كان عبدا حبشيا ، أسود اللون والرأس ، وهذا روح (الديمقراطية) الاسلامية ، تلك (الديمقراطية)

التى تنادى بالمساواة بين جميع الطبقات ، ولا تفرق بين الأغنياء والفقراء ، والسادة والعبيد ولا تفكر فى الحسب والنسب ، والمال والجاه ، واللون الأبيض والأسود • ولا تقول بالتفرقة العنصرية •

ومن الأسباب التى جعلت الأشراف من قريش يتآمرون على قتل الرسول مطالبته بحقوق الفقراء والمساكين ، والضعفاء والعبيد، فخاف الأشراف (الأرستقراطيون) أن يرفعهم محمد – صلى الله عليه وسلم – الى مصافهم ، فأخذوا يكيدون له ، ويدبرون المؤامرات لقتله والتخلص منه ، لاعتقادهم أن هذه بدعة ابتدعها محمد ضدهم •

وكيف يخالف محمد النظام الانسانى المثالى، نظام الاسلام وروحه ، وقد أمر الله به بعد نزول سورة « عبس » ، وبعد أن عاتبه الله فى حادثة عبد الله ابن أم مكتوم ، الأعمى الفقير ، فقد جاء الى النبى – صلى الله عليه وسلم – وهو مشغول بأشراف قريش ، رجاء اسلامهم، فقطع الأعمى الرسول عما هو مشغول به • وناداه : علمنى مما علمك الله ، فانصرف النبى عنه ، فعوتب فى ذلك بما نزل فى هذه السورة•

« عبس وتولى (أعرض) أن جاءه الأعمى ، وما يدريك لعله يزكى (يتطهر من الذنب بما يسمعه منك) ، أو يذكر (يتعظ) فتنفعه الذكرى • أما من استغنى فأنت له تصدى (تتعرض وتقبل) ، وما عليك الا يزكى (يؤمن) ؟ وأما من جاءك يسعى وهو يخشى (وهو الأعمى) فأنت عنه تلهى (تتشاغل) • كلا (لا تفعل مثل ذلك) • انها تذكرة (عظة للخلق) •

فكان النبى عليه الصلاة والسلام بعد ذلك يقول له اذا جاء • مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى ، ويبسط له رداءه •

وفى هذه السورة تبدو (الديمقراطية) الاسلامية بأجلى معانيها • فالأعمى الفقير الذى يريد أن يسلم حقا ، ويتمسك بأخلاق الاسلام، ويخاف الله خير عند الله من هؤلاء الأشراف والأغنياء وذوى الجاه • وفيها يذكر الله نبيه المصطفى فى صورة عتاب بأن ضعف ذلك الأعمى وفقره لا يجوز أن يؤديا الى الاعراض عنه ، لأنه مؤمن بقلبه وفؤاده ، حى بشعوره واعتقاده • فأنت ترى أن الله أخذ النبى بالمساواة بين الطبقات فى المعاملات • فلا فضل لغنى على فقير الا بالتقوى • ولا دخل للثروة والفنى واللون والنسب والجنس فى تفضيل رجل على رجل آخر •

وقد كان شعراء العرب فى الجاهلية يفخرون بآبائهم ، وأفخم شعرهم ما قيل فى الفخر • وقد نهى النبى أصحابه عن الفخر• قيل : انه اجتمع فى مجلسه يوما عبد الرحمن ابن عوف • وهو من أعز رجاله ، وأكرمهم عنده ، وعبد من عامة الناس • وكان العبد يخاصم عبد الرحمن فى أمر من الأمور • فغضب عبد الرحمن ، وسب العبد قائلا : « يا ابن السوداء » •

فغضب النبى أشد الغضب ، ورفع يده ، وقال :

« ليس لابن بيضاء على ابن سوداء سلطان الا بالحق » •

فخجل عبد الرحمن ، واعتذر للعبد بلسانه وقلبه ، ووضع خده على الأرض ، ليأخذ العبد بحقه منه •

وكان النبى – صلى الله عليه وسلم – اذا خرج على قوم من أصحابه وهم جلوس نهاهم عن القيام له ، وقال لهم :

« لا تقوموا كما يقوم الأعاجم ، يعظم بعضهم بعضا » • وهذا مظهر من مظاهر (الديمقراطية) فى الاسلام •

وليس فى الاسلام امتيازات يمتاز بها الأشراف والأغنياء عن الفقراء ، فالاسلام ينادى بالمساواة فى الحقوق المدنية والدينية بين جميع الناس •

قال عز وجل : « وان ليس للانسان الا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الأوفى » •

الأستاذ على الجندى

- ٢ -

قبائل الجن :

وكما أن فى الانس قبائل ، كذلك فى الجن قبائل ، نذكرها فيما يلى :

الحن :

الحن ـ بالحاء ـ على وزن الجن ، جاء فى «القاموس» : هم حى من الجن ، منهم الكلاب السود البهم ، أو سفلة الجن ، وضعفاؤهم ، أو كلابهم ، أو خلق بين الجن والانس .

بنو الشيصبان :

بفتح الشين ، وسكون الياء ، وفتح الصاد ، قال صاحب القاموس : الشيصبان : ذكر النمل أو جحره ، وقبيلة من الجن ، واسم الشيطان ومن الرؤساء ، وآباء قبائل الجن .

ومنهم شيطان حسان بن ثابت فى الجاهلية الذى يقول فيه :

ولى صاحب من بنى الشيصبان
فطورا اقول وطورا هوه

ويقول الامام النسفى : جن نصيبين ـ الذين استمعوا الى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو يقرأ القرآن، وسميت باسمهم سورة الجن ـ قيل : كانوا من بنى الشيصبان ، وهم أكثر الجن عددا ، وهم عامة جند ابليس .

الزوابع :

الزوبعة فى اللغة : الاعصار ، ويقال : ام زوبعة ، وهى ريح تثير الغبار ، فيرتفع الى عمود السماء .

وام زوبعة ، وابو زوبعة ، يقال فيه : شيطان مارد .

والزوبعة ايضا : اسم شيطان ، أو رئيس الجن ، وبنو زوبعة : أصحاب الرهج والقتام والتثوير .

والعامة حينما تهب زوبعة ، يصيحون : عمر . عمر ، لانهم يعتقدون أن فى الزوبعة شيطانا ، وأنه اذ ذكر اسم عمر ، خاف وذهب .

ولعلهم اخذوا ذلك من ظاهر قول الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ لعمر ـ رضى الله تعالى عنه ـ : **« ايها يا بن الخطاب ، والذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا قط الا سلك فجا غير فجك »** رواه البخارى .

ويقول الراجز :

ان الشياطين اتونى اربعة
فى غبش الليل وفيهم زوبعة

وقد احتفى الامام ابن حجر فى كتابه الاصابة بزوبعة احد الذين استمعوا الى القرآن من الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ فخصه بترجمة .

وفى « رسالة الغفران » ينسب « المعرى » بنى زوبعة الى الجن الذين كانوا يسكنون الأرض ، قبل أن يهبط آدم وحواء اليها من الجنة ، فهم عنده ليسوا من نسل ابليس الذى طرد الى الأرض مع آدم وزوجه .

بنو شنقناق :

بكسر الشين والنون ، وسكون القاف .

وفيهم يقول الشاعر :

فى فتو من الشنقناق غر
ونساء من الزوابع زهر

فتو ـ بضم الفاء والتاء والواو مشددة ـ جمع فتى .

وشنقناق ورد ذكره فى شعر أبى النجم العجلى ، والحكم البهرانى ، وهو أيضا اسم شيطان الشاعر « بشار بن برد » الذى يقول فيه :

دعانى شنقناق الى خلف بكر
فقلت : اتركنى ، فالتفرد أحمد

فسر الجاحظ « التفرد أحمد » : أى أحمد فى الشعر الا يكون عليه معين .

يريد بشار : أنه غير محتاج الى من يوحى اليه فى قرضه الشعر ، وانه مستغن بفطرته الخصبة عن ذلك ، وهذا التفرد أفضل من مساعدة شيطانه له .

بنو اقيش :

اقيش كحسين : أبو حى من « عكل » من العرب .

والحارث بن أقيش ، أو وقيس من الصحابة .

وذكر صاحب لسان العرب : أن بنى أقيش : حى من الجن ، واليهم تنسب الابل الأقيشية . وقد ورد لهم ذكر فى شعر الاعشى .

وأنشد سيبويه من شعر النابغة فى مدح بنى أسد :

كأنك من جمال بنى أقيش
يقعقع بين رجليه بشن

الشن والشنة ـ بفتح الشين وتشديد النون ـ القربة البالية .

ويقول صاحب القاموس : جمال بنى أقيش غير عتاق، تنفر من كل شىء .

بنو العذام :

بوزن غراب ، جاء فى أمالى القالى عن شيخه أبى بكر بن دريد : أن بنى العذام قبيلة من الجن ، وكانوا بأرض الشام .

الخوافى المعروفة بصفاتها

وهناك انواع من الجن سميت بصفاتها ، وهى :

الخابل :

الخبل فى اللغة ـ بسكون الباء وفتحها ـ : الجنون ، وفساد الأعضاء ، والفالج ، وقطع الأيدى ، والأرض ، وجمعه خبول بوزن طيور .

والخبل أيضا – بفتح الباء وسكونها – ، والخابل الحامل الشيطان ، والجن الذين يخبلون الناس ، يقال به خبل كسبب : أى شىء من الأرض .

وقد خبله خبلا من باب ضرب ، وخبله – بالتشديد – تخبيلا ، واختبله : اذا أفسد عقله ، أو أفسد عضوا من أعضائه ، أو جننه .

وخبل الرجل – كفرح – خبالا – بفتح الخاء – ، فهو أخبل .

وخبل – مبنى للمجهول – : اذا جن ، أو يده شلت .

والخابل من الجن معروف بالنوح والعزيف .

الهاجس :

الهاجس فى اللغة : الخاطر ، يقال : هجس فى صدره شىء يهجس هجسا ، كضرب ضربا : خطر بباله .

أو الهاجس أن يحدث – بضم الياء وتشديد الدال المكسورة – المرء نفسه فى صدره ، مثل الوسواس .

والهجس أيضا كضرب : النبأة تسمعها ولا تفهمها ، وكل ما وقع فى خلدك .

النبأة – بفتح وسكون : الصوت الخفى .

وقد ذكروا : أنه كان للاعشى الشاعر هاجس .

الـرئى :

الرئى – كغنى وعلى – وقد تكسر الراء : الجنى يرى فيحب – مبنى للمجهول – . أو المكسور الراء يقال للمحبوب منهم خاصة .

ومن قولهم : قد صار له رئى من الجن .

وفى الصحاح : يقال به رئى من الجن : أى مس .

والرئى – كذلك الحية العظيمة ، تشبيها لها بالجن .

وفى الحيوان للجاحظ : كانوا يقولون : اذا ألف الجنى انسانا وتعطف عليه ، وخبره ببعض الأخبار ، ووجد حسه ، ورأى خياله ، قالوا : مع فلان رئى من الجن .

ويقول العلامة الالوسى : سمى بذلك ، لأنه يتراءى لمتبوعه .

وقد يكون مشتقا من الرأى ، لأنه يشير به من قولهم : فلان رئى قومه ، اذا كان صاحب رأيهم .

وقد كان لأمية بن الصلت الثقفى رئى من الجن .

وكان أمية يلتمس الدين ، ويتصل بالقسيسين ، ويلبس المسوح ، ويدعو الى الحنيفية دين ابراهيم – عليه السلام – ويطمع فى النبوة !!

فلما بعث خاتم الأنبياء – عليه الصلاة والسلام – حمله الحسد على عداوته ، وعداوة أتباعه ، فنابذ المسلمين البغضاء ، وأصحر لهم بالكره الى أبعد الغايات ، حتى رثى قتلى بدر من المشركين !! فأمر الرسول الكريم بعدم رواية شعره فى هذا السبيل .

وقد اعترف أمية : بأن رئيه كان يأتيه فى ثياب سود ، ويطرقه من جهة الشمال لا اليمين ، وذلك دليل على انه كان شيطانا لا ملكا ، لان الملك عادة يأتى من الجهة اليمنى لا الشؤمى ، ويتجلى فى البياض لا فى السواد !!

ويذهب أكثر المفسرين الى أنه المعنى بالآية الكريمة « **واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها ، فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين** » .

وهكذا أضله شيطانه وزين له الكفر بالاسلام ، فأورده شر الموارد ، وساقه الى سوء الخاتمة والعياذ بالله !!

وكان الرسول – صلى الله عليه وسلم – اذا سمع أشعاره فى الالهيات والسمعيات وما شاكلها يقول « **آمن لسانه وكفر قلبه** » نسأل الله العافية .

وكذلك كان لخنافر بن التوءم الحميرى رئى اسمه : شصار بوزن كتاب منذ عهد الجاهلية .

وكان خنافر كاهنا ، أوتى بسطة فى الجسم ، وسعة فى المال ، وكان عاتيا – كما يقول القالى – .

فلما وفدت وفود اليمن على النبى – صلى الله عليه وسلم – وظهر الاسلام ، أغار على ابل لقبيلة « مراد » فاكتسحها !!

وخرج بأهله وماله ولحق بالشحر ، والشحر – بالفتح والكسر – وسكون الحاء : ساحل بين اليمن وعدن . فحالف جودان بن يحيى الفرصمى – بكسر الفاء ، وسكون الراء ، وفتح الصاد – وكان سيدا منيعا ، ونزل بواد من أودية الشحر مخصبا كثير الشجر من الأيك والعرين . والعرين كقرين : جماعة الشجر والشوك .

وحدث أن رجع اليه رئيه بعد عهد طويل وقد أسلم مع من أسلم من الجن ، فدعاه الى الاسلام وزينه له ، فسمع خنافر قوله ، وذهب الى اليمن فوجد بها معاذ بن جبل أميرا عليها من قبل الرسول – صلى الله عليه وسلم – !! فبايعه على الاسلام ، وعلمه معاذ سورا من القرآن الكريم .

وكان ممن لهم رئى عمرو بن لجأ بن قمعة ، والمأمون الحارثى ، وعتبة بن الحارث بن شهاب فى ناس معروفين من ذوى الأقدار ، من بين فارس ورئيس وسيد مطاع .

وقد كان مسيلمة يدعى أن معه رئيا فى أول زمانه .

التـابع :

فى المعجمات اللغوية : تبعه من باب فرح وسلم تبعا – بفتح التاء والباء – وتباعة – بفتح التاء – : مشى خلفه ، أو مر به فمضى معه .

والتابع والتابعة : الجنى والجنية يكونان مع الانسان يتبعانه حيث ذهب .

ويقول العرب : معه تابعة : أى من الجن .

وقد استعمل التابع كثيرا بمعنى الهاتف والهاجس والرئى .

وفى القاموس : تابعة الأعشى كان اسمه جهنام – بضم الجيم والهاء وتشديد النون المفتوحة – وفى التابعة يقول بعض الشعراء :

انى امرؤ تابعتى شيطانيه
آخيته عمرى وقد آخانيه

يشـــرب فى قعبى وقد ســـقانيه
فالحمـــــد لله الذى أعطانيـــــه

الشـق .

بكسر الشين وتشديد القاف ، قال القزوينى : هو من المتشيطنة ، صورته صورة نصف آدمى ، ويظهر للانسان فى أسفاره .

وكانت العرب قبل الاسلام تقول : انه من الجن ، وهو على صورة نصف انسان ، وانه كان يظهر لها فى أسفارها ، وفى حين خلواتها ، وتسميه شقا ، وكثيرا ما يعـــرض للمسافر - اذا كان وحده - فربما أهلكه فزعا ، وربما أهلكه ضربا وقتلا !!

ويزعمون أن النسناس مركب من الشق ومن الآدمى !!

الهـــاتف :

الهتف كحرف الصوت ، يقال : هتفت الحمامة تهتف هتفا من باب ضرب : اذا صاتت .

وهتف بها هتافا - بكسر الهاء فى الصحاح ، وبضمها فى القاموس - : اذا صاح به ، وفلانة يهتف بهـــا - مبنى للمجهول - اى تذكر بالجمال .

وفى الحيوان للجاحظ : سمى الهـــاتف : هاتفا ، لأنه يهتف بالنـــــاس فيسمعون صوته ولا يرون شخصه ، ويخبرهم بما يريد .

وقد كثرت الهواتف فى العرب ، واتصلت بديارهم ، وكان اكثرها أيام مولد الرسول - عليه الصلاة والسلام - وفى أولية مبعثه الشريف ، وكذلك تكثر الهواتف فى الأمور ذات الخطر والشأن : ومن حكمها أنها تهتف بصوت مسموع ، وجسم غير مرئى .

ومن ذلك رواه ابن اســـحاق ان اسماء بنت أبى بكر ، قالت : لما خرج رسول الله - صلى عليه وسلم - وابو بكر - رضى الله عنه - اتانا نفر من قريش ، فيهم أبو جهل بن هشام ، فوقفوا على باب أبى بـــكر فخرجت اليهم ، فقالوا : أين أبوك يابنت أبى بكر ؟

قلت : لا أدرى والله أين أبى !!

فرفع أبوجهل - لعنه الله - يده ، وكان فاحشا خبيثا ، فلطم خدى لطمة فطرح منها قرطى ! !

قالت : ثم انصرفوا ، فمكثنا ثلاث ليال وما ندرى أين وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى أقبل رجل من الجن من أسفل مكة ، يتغنى بأبيات من الشـــعر غناء العرب ، وأن الناس ليتبعونه يسمعـــون صوته وما يرونه ، حتى خرج من اعلى مكة ، وهو يقول :

جزى الله رب الناس خيـــر جزائه
رفيقين حـــلا خيمتى أم معبــــد
همـــا نزلا بالبـــر ، ثم تـــروحا
فأفلـــح من أمسى رفيـــق محمــــد
ليهن بنى كعـــب مـــكان فتاتهم
ومقعـــدها للمؤمنيـــن بمقعــــد

قالت أسماء - رضى الله عنها - : فلما سمعنا قـــوله عرفنا حيث وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأن وجهه الى المدينة .

وأم معبد المذكورة : امرأة من بنى كعب بن خزاعة .

ويقول أبو ذؤيب الهذلى : بلغنا : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم عليل ، فاستشعرت حزنا وبت بأطول ليلة لا ينجاب ديجورها ولا يطلع نورها !! فبت أقاسى طولها حتى اذا كان وقت السحر أغفيت فهتف بى هاتف وهـــو يقول :

خطب أجـــل أناخ بالاســـلام
بين النخيـــل ومقعـــد الأطـــام
قبض النبى محمـــــد فعيوننــــا
تذرى الدمـــوع عليـــه بالاسجام

قال ابو ذؤيب فوثبت من منامى فزعا ، فنظرت الى السماء ، فلم أر الا « سعد الذابح » فأولته ذبحا يقع فى العرب ، وعلمت : أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قد قبض أو هو ميت من علته !!

فركبت ناقتى وسرت ، فلما أصبحت دخلت غابة فطلبت شيئا أزجر به ، فعرض لى شيهم « كضيغم ذكر القنافذ » قد قبض على صل - يعنى حية - فهى تلتوى عليه وهو يقضمها حتى أكلها !!

فزجرت ذلك وقلت : شيهم أى شىء هم !! والتـــواء الصل التواء الناس عن الحق على القائم بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - !! وأولت أكل الشيهم للحيـــة بغلبة القائم بعد رسول الله على الأمر !!

ثم حثثت ناقتى ... فقدمت المدينة ولها ضجيج بالبكاء كضجيج الحاج اذا أهلوا بالاحرام !!

ومما اشتهر . أن سعد بن عبادة الأنصارى ، حين امتنع من بيعة أبى بكر سار الى الشام فنزل حوران ، وأقام بها الى أن مات .

ولم يختلف أحد فى أنه وجد ميتا فى مغتسله بحوران ، وانهم لم يشـــعروا بموته بالمدينة ، حتى ســـــمعوا قائلا يقول فى بئر :

نحـــن قتلنـــا سيد الخـــز
رج ســـعد بن عبـــادة
فرمينــــــاه بسهميـــــــ
ـــن ، ولـــم نخـــط فـــؤاده

فحفظوا ذلك فوجدوه اليوم الذى مات فيه .

واخبار الهواتف كثيرة ، ويعللها الإستاذ امين مرسى قنديل فى كتابه « أصول علم النفس » بقـــوله : كثيرا ما يسمع المرء أصواتا وألفاظا ، ويرى صورا وأشـــكالا لا وجود لها فى الواقع .

ثم يقول : وانما ذلك تأثير أوهامه وتفكيره وامانيـــه التى يود تحقيقها وهو لا يستطيع ! !

وهذا التعليل قد يكون معقولا فى الهواتف الفردية . أى التى تخاطب بعض الأناس منفردين وبخاصة اذا كانوا مرضى بأعصابهم !!

ولكننا لا نستطيع أن نعقل ذلك فى الهـــواتف التى يسمعها جماعة من الناس فى وقت معا .

ومثلها ما جاء فى القصص الدينى والسير الصـــادقة ، كهتاف الملائكة بالسيدة مريم « واذ قالت الملائكة يا مريم : ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين . يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين » .

ومن ذلك ما حكاه الطبرى فى تاريخه ، يقول : حينما التقى المسلمون والترك فى عهد الخليفة عثمان - رضى الله عنه - فى معارك التركستان ، اختفى لهم التـــرك فى الغياض ، فرمى منهم رجل رجلا من المسلمين على غرة ، فقتله وهرب عنه أصحابه !!

وكان قائد الجيش عبد الرحمن بن ربيعة ، فخـــرج عليه الترك عند ذلك فاقتتلوا قتالا شديدا ونادى منـــاد من الجو : صبرا آل عبد الرحمن وموعدكم الجنة !!

فقاتل عبد الرحمن حتى قتل وانكشف الناس !!

فأخذ الراية سلمان بن ربيعة فقاتل بها ، ونادى المنادى من الجو : صبرا آل سلمان بن ربيعة ..

فقال سلمان : أو ترى جزعا !!

وقد اتخذ الترك جسد عبد الرحمن ، فهم يستسقون به حتى اليوم !!

ويتصل بذلك هتاف الخليفة عمر - رضى الله عنه - بسارية وهو يحارب الفرس :

يا سارية الجبل ...!!

ولا يتمارى فيه أحد من الناس !!

« يتبـــع »

نور الله

الأستاذ محمد صبيح

كانت رقعة الأرض الهائلة ، التى يسكنها العرب الأول ، تحدها من أقصى الشمال جبال طوروس (جنوب الأناضول) ، وفى اقصى الشرق جبال زاجروس التى تطل على سهول نهرى دجلة والفرات .

والى الغرب من العراق توجد بادية الشام ، ثم الشام نفسه حتى جبال لبنان ، التى تعد من أعلى المرتفعات جبلية فبعض قممها يزيد ارتفاعه على ۳۰۰۰ متر . ولكننا اذا سرنا جنوبا ، نجد اليمن تمتاز بأعلى قمم فى البلاد العربية اذ تصل ارتفاعاتها بقرب صنعاء الى ٤٠٠٠ متر .. وما بين الشام واليمن يوجد الحجاز ، وما بين الخليج العربى والبحر الأحمر تمتد صحراء هائلة ، هى صحراء نجد والربع الخالى .

وجغرافيو العرب - مثل الهمدانى - يجعل نهر النيل ، الحد الغربى لبلاد العرب ، ويقول ياقوت ان بلاد العرب سميت جزيرة لاحاطة الأنهار والبحار بها ، ويجعل أيضا النيل حدها الغربى ، كما يجعل ماء دجلة والفرات والخليج الذى يصبان فيه الحد الشرقى لهذه الجزيرة .

ولكنا اذا حددنا شبه جزيرة العرب ، بحسب مفهومها الجاهلى ، فنجدها أكبر من شبه جزيرة الهند ، ومساحتها ثمانية أمثال الجزر البريطانية وأربعة أمثال فرنسا ، وهى تعادل ربع أوروبا مساحة .

وهذا الاتساع الهائل ، مع غلبة الأرض الصحراوية والجبلية عليها ، مكن فيها لحياة القبيلة ، وجعل للمواصلات وطرقها وحراستها اهمية كبرى فى التنقل ، وتبادل منافع التجارة ، والوصول الى الأسواق المحلية والخارجية وارتياد أماكن الحج والزيارة ..

ولم تكن للعرب حكومة واحدة .. بل كان لكل قبيلة زعامتها وحكومتها .. وربما زاد أفراد قبيلة واحدة عن مئات الألوف ، وربما هبطوا الى مئات فقط ..

وكان « الأمن » مشكلة ضخمة فى حياة هؤلاء الأقوام .. فعندما تشح الأمطار ، لم يعد هناك سبيل للاقامة والاستقرار .. لابد من الرحلة ، والاغارة على الأماكن التى يوجد فيها طعام للناس والحيوان .

وكان أهل البادية ، أشبه بالطيور المحلقة فى السماء . لا يعرفون الاستقرار ولا يعرفهم . وكانوا أحيانا يسخرون من أهل القرى والمدن ، الذين يبنون القصور ، مثل الحال فى قرى الحجاز الشهيرة : يثرب ومكة وجدة والطائف . أو مدن اليمن المعروفة ، أو مدن الشام والعراق واليمامة على شواطىء الخليج العربى ..

كانوا يسخرون من الجحاش التى لا تسرع فى الكر والفر مثل الخيل ، ولا تصلح فى المدن الا لحمل الأثقال . وكانت صناعة الحرب تغريهم ، فاذا أعوزتهم الغارة على قبيلة مجاورة ، أغاروا على بطن من بطون قبيلتهم .

يقول الشاعر القطامى ، وهو شاعر اسلامى ، يصف حياة الجاهليين :

فمن تكن الحضارة اعجبته
فأى رجال بادية ترانا
ومن ربط الجحاش فان فينا
قنا سلبا ، وافراسا حسانا
وكن اذا اغرن على « جانب »
وأعوزهن نهب حيث كانا
أغرن من « الضباب » على « حلول »
« وضبة » انه من حان حانا
وأحيانا على « بكر » أخينا
اذا ما لم نجد الا أخانا

فالاغارة على قبائل حلول وضبة أمر عادى .. وأمر عادى أيضا الاغارة على اخوتهم من أبناء بكر ، ما دام لا يوجد غيرهم يمكن الاغارة عليه .

حتى اذا أجهدت الحرب هؤلاء وهؤلاء ، وفدوا فى موسم عكاظ وموسم الحج ، على مكة ، يستريحون ، وينشدون الشعر ، ويلتمسون من الأمن ما فقدوه .

ولم يكن من مصلحة قريش أن يسود الأمن هذه القبائل المتناحرة فان تجارة الأمن عندهم، مع تجارة البركات حول الكعبة بأصنامها التى يشبه تعدادها عدد أيام السنة•• هذه التجارات كانت قوام حياتهم ••

اذا اتحد العرب من حولهم ، وسادهم حكم يبسط عليهم رواق السلام ، فان الحاجة الى هذه الواحة التى لا اغارة فيها ، ولا نهب ، تقل ، بل قد تنتهى تماما •• فان الأصنام فى حياة العرب لم تكن ذات بال •• انها لم تكن تزيد على شعارات ورايات تميز القبائل، ويمكن أن توجد وتحمل من مكان الى مكان ••

لهذا قاومت قريش فكرة الحكومة الواحدة ، والأمة الواحدة تشمل العرب جميعا، فان رزقها يأتيها من هذا الخلاف ، ويأتيها من سيطرتها على طرق التجارة شمالا وجنوبا وفى البحر الأحمر •

والأمة الواحدة تقوم على فكرة •• وقد جاء محمد عليه السلام ، بفكرة التوحيد ذاتها •• أى أن يعبد الناس الها واحدا لا يختلفون فيه ، وفرض قاعدة المساواة بين أبناء آدم ، لا سيد ولا مسود ، وانما الجد فى الحياة والعمل الصالح هو قوام الفضائل ، ولا مكان لسيد بالمولد أو بالميراث أو باللون أو بالمال •• السيادة للذين يعملون ويجاهدون ، ولهم تجب الطاعة •

وبهذا هدم من نفس الفرد معنى « أنا » ومن الأسرة أو القبيلة معنى « نحن » ، وجعل الشعار للناس ، هو كلنا ••

وأوجب الاسلام صلاة الجماعة ، مرة كل أسبوع ، يقفون فى صفوف متساوية ، الكتف الى الكتف ، والنداء واحد والحركة واحدة •

وأوجب الاسلام الحج مرة فى العمر على الأقل ، لكى يجتمع كل عام أكبر عدد من الناس، فى زى بسيط ، ليس فيه غال ولا رخيص ، وحركة تتوحد ، وهتاف يتردد ، والجميع عبيد الله ، وخلفاؤه فى هذه الأرض ، على قاعدة أصيلة ، وهى المساواة ••

وأوجب الاسلام ، اداء ضريبة الزكاة على رؤوس الأموال والصدقة من الأرباح •• الأولى ليقوم بها شؤون الحكم ، والثانية ، لتتكافل الجماعة ، ويسد القادرون فيها حاجة غير القادرين •• والصدقة من حق المسلم وغير المسلم ، أيهما أقرب دارا وأمس حاجة •

ان التوراة ، ومن بعدها الانجيل ، جاءا بقواعد ، هى أساس النظام الاجتماعى ، وهى فضائل أولية ، تمنع القتل والسرقة والزنا والكذب •• وهى فضائل صلبة مثل الأساس الغائر فى الأرض يمكن البناء من فوقه•• والبناء من فوقه هو الحضارة •

لقد جعل الاسلام حسن الخلق ، ووداعة النفس ، وصدق الحديث وصفاء الطوية ، والمروءة ، والنجدة ، والايثار ، ونظافة الجسد والثياب والمكان ، من مستلزمات الجماعة المستحضرة •

ان الأفكار الجديدة التى جاءت بها الدعوة المحمدية هى الحضارة تصلح عليها حياة الجماعة فى عصر التقدم ، وكل عصر يجىء بعده •

ان كلمات الرحمة والسلام ، أخذت مدلولا حقيقيا فى الدعوة المحمدية وطبقت تطبيقا عمليا ، فصلح عليها أمر الجماعة ••

وجاءت الدعوة الجديدة بمدلول جديد لمعنى المسئولية ، ومعنى العمل •

ان كل انسان مسئول •• وعليه أن يعمل •• العمل هو مقياس تقدم الناس « **فمن يعمل مثقال ذرة ، خيرا يره • ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره** » •

وحمل النبى عليه السلام ، من يتصدى للعمل العام مسئولية اضعاف مسئولية الناس كافة ، حتى يكون أسوة ، ويكون مثلا ••

كان سيدنا محمد يحب ابنته فاطمة ، حبا جما ، فشكت مرة ـ بعد أن تزوجها على بن أبى طالب من أن الرحى التى تطحن عليها حبوبها تؤلمها ، والاناء الذى تحضر فيه الماء من البئر ، تجرح يدها ، وتمنت أن يكون لديها خادم من الأسرى •• **ولما بلغ أباها هذا قال لعلى فى غضب : كيف تطمعون فى شىء من هذا ، وأهل الصفة على ما هم عليه من الفقر •• وقام عليه السلام ، ودخل على فاطمة فوجد فى يدها سلسلة من ذهب ، وهى تقول : هذه أهداها أبو الحسن •• فقال عليه السلام : يافاطمة**

.. **أيسرك أن يقول الناس ابنة رسول الله فى يدها سلسلة من نار ؟ .. ثم خرج ولم يقعد . فأرسلت فاطمة بالسلسلة فباعتها ، واشترت بثمنها عبدا ، فأعتقته .. ولما سمع أبوها بما صنعت سر ، ودعا لها بالخير ..**

وروى عن رسول الله انه قال : اذا نظر أحدكم الى من فضل عليه فى المال والخلق (الهيئة) ، فلينظر الى من هو أسفل منه . فذلك أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم .

وقال عليه الصلاة والسلام : من أصبح آمنا فى سربه ، معافى فى بدنه ، عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها .

وهكذا لم يعط رسول الله فى أحاديثه كبير قيمة للمال ، ولا جعل كثرته مما تميز الناس .

ولكنه – عليه السلام – أعطى كل القيمة للعمل ، فهو مجلبة للكسب وقد دعا القرآن الناس ، اذا قضوا صلاتهم أن ينتشروا فى الأرض ، ويعملوا .. وبعد ذلك فالله خير الرازقين ، كرر سبحانه فى عشرات الآيات ، وضرب الرسول لذلك الكثير من الأمثال . من ذلك : أتى اليه رجل من الأنصار يسأله ، فقال : أما فى بيتك شىء ؟ قال بلى ، حلس نلبس بعضه ، ونبسط بعضه ، وقعب نشرب فيه الماء . فقال له الرسول ، ائتنى بهما ، فأخذهما صلى الله عليه وسلم بيده ، وقال : من يشترى هذين ؟ قال رجل انا آخذهما بدرهم . قال رسول الله : من يزيد على درهم ؟ مرتين أو ثلاثا ! .. قال رجل : انا آخذهما بدرهمين . فأعطاهما اياه ، وأخذ الدرهمين ، فأعطاهما الرجل ، وقال : أشتر بأحدهما طعاما فانبذه الى اهلك . واشتر بالآخر قدوما ، فائتنى به . فأتاه به . فشد فيه رسول الله عودا بيده ، وقال : اذهب فاحتطب وبع . ولا أرينك خمسة عشر يوما . ففعل . ثم جاء وقد أصاب عشرة دراهم . فاشترى ببعضها ثوبا ، وببعضها طعاما . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا خير لك ، من أن تجىء المسألة نكسة فى وجهك يوم القيامة .

ان الاعتزاز بالأهل والأسرة انتهى **« وان ليس للانسان الا ما سعى » .**

وقد رأينا خطبة رسول الله فى الكعبة بعد ان فتح الله عليه ، كيف أكد فيها مبدأ المساواة ، وقضى على الفخر بالاباء .. وتردد فى أحاديثه عليه السلام هذا المعنى مرارا .. قال : **لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر .. وعرف الكبر بأنه بطر الحق وانكاره ، وغمط الناس والتعالى عليهم .**

وقال أيضا : لينتهين أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا . ان الله اذهب عنكم عبية الجاهلية (أى كبرها) انما هو (أى الفرد) مؤمن تقى أو فاجر شقى . **الناس كلهم بنو آدم ، وآدم خلق من تراب .**

ولكى تنمو هذه الأمة الواحدة على أسس سليمة ، وتتفاعل بكل جديد صالح لنمو الحياة وتقدمها ، فقد جعل الاسلام العلم والتفكير أساسا من أسس التكوين العقلى والنفسى للمجتمع الذى خلقه الانسان .

وما أكثر الآيات التى تحض على العلم ، وعلى التفكير .. ان مئات الآيات فى القرآن الكريم تحدثت عن العلم ، وحضت عليه : « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » (الزمر) ... **« يرفع الله الذين آمنوا منكم ، والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير »** (المجادلة) ... **« هو الذى جعل الشمس ضياء ، والقمر نورا ، وقدره منازل ، لتعلموا عدد السنين والحساب . ما خلق الله ذلك الا بالحق ، يفصل الآيام لقوم يعلمون »** (يونس) .

وردت كلمات ، الذكر ، والعلم ، والتفقه والفكر ، والنظر ، والبصر والتدبر والتأويل والبيان دالة على معان جليلة ، وفاتحة ذهن الانسان وقلبه لادراك أسرار الكون ، وكشف غوامض الطبيعة .. وأعطى القرآن أعلى منزلة، لأولى الألباب ، والذين يتفكرون ، وأولى الابصار ، ولقوم يتذكرون فتنفعهم الذكرى .

ان السعة فى المال ليست بشىء ، لكن كل شىء لمن زاده الله بسطة فى العلم ، ولهذا اصطفى الله العلماء ، ولم يصطف الأغنياء..

وهكذا عم نور الله عالمنا ، والله بالغ أمره ، والله يفعل ما يريد ..

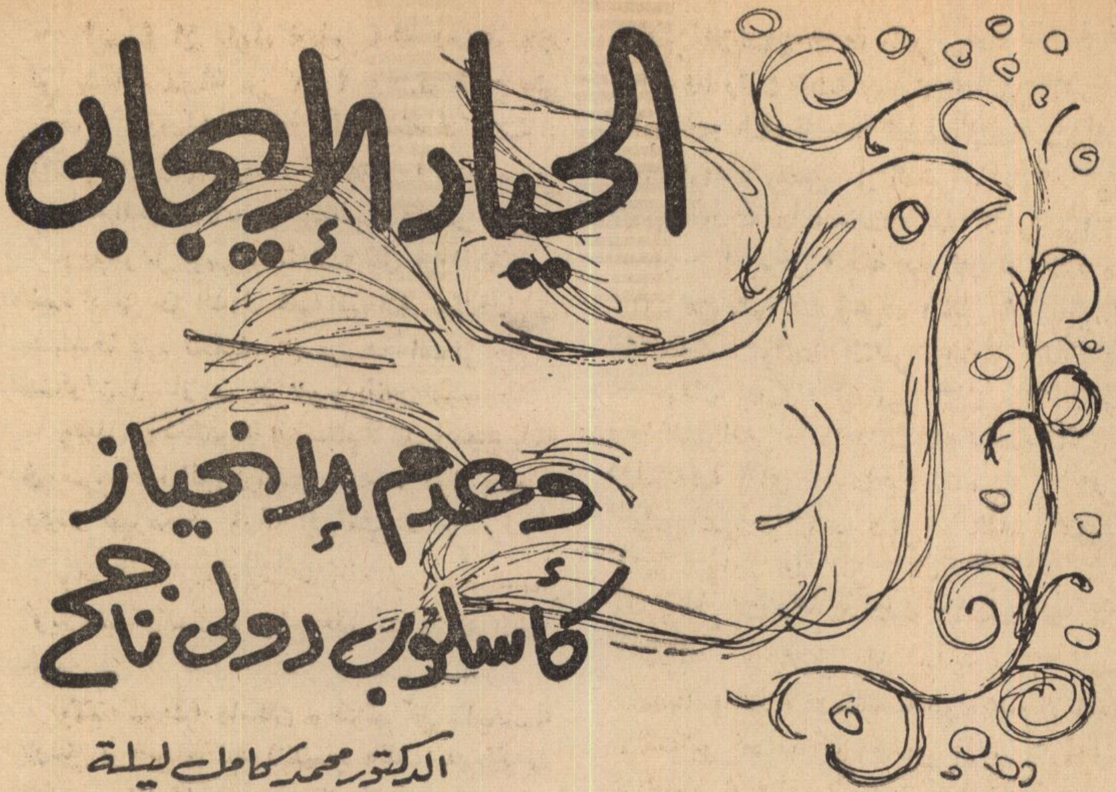

الحياد الإيجابى وعدم الانحياز كأسلوب دولى ناجح

الدكتور محمد كامل ليلة

اعتنقت الجمهورية العربية المتحـــدة فى السنوات الأخيرة فى سياستها الخارجية مبدأ الحياد الايجابى وعدم الانحياز ، وبشرت بهذا المبدأودعت الدول الأخرى لاعتناقه واستجابت فعلا لهذه الدعوة دول كثيرة حتى انها أصبحت تكون كتلة عالمية تسمى كتلة دول عـدم الانحياز وعلى رأس هذه الكتلة دول بارزة من حيث ايمانها الأول بالمبدأ والسعى المتواصل فى سبيل نشره وتحقيق نتائجه وهـذه الدول هى الجمهورية العربية المتحـدة والهنـد ويوغوسلافيا .

وقد بدأت دعوة عدم الانحياز طريقها الى الضمير العالمى منذ مؤتمر باندونج ، ثم عقد مؤتمر أول لدول عدم الانحياز فى بلجراد سنة ١٩٦١ وتلاه مؤتمر آخر فى القاهرة هذا العام وقد ازداد عدد الدول التى حضرت هـذا المؤتمر زيادة ملحوظة تدل على قوة المبدأ الذى اجتمعوا على أساسه وعلى سلامته من حيث اهدافه .

وتتلخص سياسة الحياد الايجابى وعـدم الانحياز فى أن : ـ الدول غير المنحازة ترفض الدخول فى المعسكرين المتنافسين (المعسكر الغربى وتتزعمه الولايات المتحدة الامريكية ، والمعسكر الشرقى ويتزعمه الاتحاد السوفيتى)

وتفسير هذه السياسة أن دول عدم الانحياز ترغب فى المحافظة على استقلالها وترفض التبعية الأجنبية ، ودخولها فى معسكر من المعسكرين معناه فقدانها لاستقلالها وتبعيتها لمعسكر أو للدول المسيطرة على أحد المعسكرين

ـ كذلك تؤمن الدول غير المنحازة بأنه من الممكن انهاء الحـرب الباردة القائمة بين المعسكرين ، كما تستطيع الأنظمة الاقتصادية والاجتماعية المختلفة ، أن تعيش معا فى سلام

ـ وتؤمن أيضابأن تحقيق التعايش السلمى بين الأنظمة الاقتصادية المختلفة ليس أمـرا غريبا أن تعيش الشيوعية بجوار الرأسمالية والى جانب أنظمة اقتصادية واجتماعية أخرى مثل الاشتراكية العربية ، ودخول هذه الأنظمة فى حرب ليس بالأمر الحكيم .

ولا شك أن نشوء التعاون السليم المثمر بين الأنظمة المختلفة يؤدى الى رخاء العـالم والى استتباب الأمن والسلام العالمى . ويمكن أن يتم التعاون وتتحقق غايته اذا ماحاول كل

نظام أن يفهم النظام الآخر بروح من التسامح وعدم الحقد ، واذا ماحاول كل نظام أن يتبادل الخدمات والمصالح التجارية على السواء مع النظام الآخر .

ومبدأ الحياد الايجابى وعدم الانحياز حقق نجاحا ملحوظا فى المجال الدولى فى الآونة الأخيرة ذلك أن الدول غير المنحازة تعمل جهدها على تخفيف حدة التوتر بين المعسكرين المتنازعين اذ تقوم بدور الوسيط فيما يتعلق بالخلافات الرئيسية التى تنشب بينهما . وهذا الدور الذى تقدم . دول عدم الانحياز تهدف من ورائه الى منع قيام الحرب والمحافظة على السلام العالمى .

ويلاحظ أن سبب نجاح كثير من المؤتمرات الدولية فى الوقت الحاضر وسبب استمرار بقاء الأمم المتحدة وامكان وصولها الى اتخاذ قرارات يرجع الى الدور الكبير الذى تقوم به الدول غير المنحازة ولولا ذلك لفشلت هذه المؤتمرات فى تحقيق أغراضها وكذلك المنظمة الدولية (الأمم المتحدة) ونتنبه الى أن سياسة عدم الانحياز ليست سياسة سلبية ، وانما هى سياسة ايجابية تسعى الى تحقيق السلام والرخاء العالميين .

ومن دلائل سياسة عدم الانحياز أن الدول التى تؤمن بذلك المبدأ يتزايد عددها يوما بعد يوم وأصبحت رغبة الشعوب تتجه نحو اتباع هذه السياسة السلمية الهادفة لخير البشرية ولذلك فان بعض الدول نزولا على ارادة شعوبها تعلن عدم انحيازها وان كانت فى الواقع تعتبر دولا منحازة لأحد المعسكرين ، ومثل هذا الاتجاه يدل على قوة المبدأ وسلامته واتجاه الشعوب الى الايمان به .

ان مؤتمر عدم الانحياز الذى عقد هذا العام بالقاهرة انما هو تعبير وتأكيد من الغالبية العظمى من شعوب العالم عن عزمها على اقرار السلام ومنع نشوب حرب عالمية ، ثم هو من ناحية اخرى يتضمن ابراز شخصية الدول النامية وحق هذه الدول فى أن تجد لها مكانا مناسبا بين الدول المتقدمة .

ودول عدم الانحياز تعتبر قوة ثالثة فى المجال الدولى وهذه الدول بحكم طبيعة الوسائل التى تنهجها فى تصفية الكتل العسكرية واقامة علاقات دولية نظيفة للحفاظ على السلام العالمى أصبح لها تأثير أدبى وسياسى فعال فى محيط السياسة الدولية . ان دول عدم الانحياز تتخذ صورة تجمع من أجل السلام القائم على العدل ومن ثم فان غرضها نبيل وهادف لاسعاد البشر ومن ثم فان قلوب الشعوب تتجه نحوها وتشد من أزرها . ولهذا فاننا نرى فى مجموعة دول عدم الانحياز دولا من أوربا وامريكا اللاتينية بالاضافة الى آسيا وافريقيا التى تكون غالبية دول عدم الانحياز البالغ عددها ٥٨ دولة الآن شهد ممثلوها مؤتمر القاهرة لدول عدم الانحياز .

– والقاء نظرة على سياسة دول عدم الانحياز التى تمثلت فى القرارات التى أصدرها مؤتمر القاهرة لدول عدم الانحياز تكشف لنا عن الدور الذى تلعبه تلك الدول بشأن المساهمة فى اقرار السلم العالمى وتدعيمه والعمل على كفالة الرخاء العالمى ووضع الوسائل المشروعة الموصلة لتحقيق الأمل الكبير النبيل .

ان المؤتمر تناول جميع القضايا والمشكلات الدولية بالبحث ووضع حلولا مناسبة لعلاجها وحلها واتخذ القرارات الموصلة عند تنفيذها – الى صيانة السلم وتحقيق الرخاء للعالم أجمع وتلك غاية تصبو اليها نفوس البشر فى كل مكان .

ان مؤتمر دول عدم الانحياز يرى مكافحة الاستعمار فى شتى صوره وأشكاله ، ويرى احترام حق الشعوب فى تقرير مصيرها ، وينادى بالقضاء على فكرة التمييز العنصرى ويستنكر التفرقة العنصرية ويدعو الى التعايش السلمى بين الدول وتقنين مبادئه بواسطة الأمم المتحدة ، ويؤكد ضرورة احترام سيادة الدول وسلامة أراضيها ، ويطلب نزع السلاح لتفادى الحروب بصورة عملية حاسمة ، ويستنكر قيام الأحلاف والقواعد العسكرية ، ويحض

(البقية ص ١٣٤)

مكانة الدعاة

الدكتور محمد كامل الفقى

الدعوة أجل وظائف الحياة ، انها العمل الجليل الذى يرتقى بصاحبه الى اسمى المراتب لو نهض به على الوجه الاكمل . انها وظيفة الرسل وهم صفوة البشر واعلام الهدى ،وايما عمل نعتز الامة الاسلامية به ، وتعلق كبار الامال عليه ، هو دون الدعوة شانا ، واهون منها خطرا •

ان رسالة الداعى انما تعنى القيام على شان كل مسلم يرتاد المسجد فيعود منه بغاية . وفى اليقين انه المربى والمهذب والرائد والمعلم ، وكل جهد اذا قيس بجهد الداعى هين متى توفر له من الكمال والتوفيق مايرجى منه ••

ان الذين تناط بهم الدعوة الى الله انما تلقى على كواهلهم احمال ثقيلة ، وتنشد من جهودهم المضنية غايات نبيلة ••

نظرة الى الذين ينضرون وجوههم بالقصد الى بيوت الله . والى ماتحمله صدورهم وقلوبهم من معان وأحاسيس . نفصح عن الخطر العظيم الذى يناط بالداعى ، انه طبيب هؤلاء جميعا على اختلاف نوازعهم ، وتباين خلجاتهم ، وبعد ما بين مداركهم •

فالمسلم الذى يسعى الى المسجد قد يحمل فى صدره هما وحزنا من متاعب العيش ونكد الدنيا•• فهو يلتمس عند الداعى مع اداء فرض الله وسائل من السلوى • وأفانين من العزاء • يعود بها فى صبر ورضى وقرة عين •

والمسلم الذى يسعى الى المسجد قد يكون من التجار الذين يطففون الكيل والميزان . ويغلون السعر ويحبسون السلعة . وما نخال الداعى الموفق الا متسللا الى دخائل نفسه . يستل منها الخيانة والجشع ، ويغسل منها الاسراف فى الكسب الحرام •

والمسلم الذى يسعى الى المسجد قد يكون ممن خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا • وليس بينه وبين التمحض للخير والتوفر عليه الا ان يسمع الى كلمات ذات اشراق تفىء نفسا حائرة بين الخير والشر ، مترنحة بين كاسين ، يفصح له الداعى عن حلاوة واحدة ومرارة الاخرى •

وفى الذاهبين الى بيوت الله ، فريق يراءون الناس ، ولا يخلصون العبادة لوجهه تعالى ، وبتوفيق الداعى المؤمن اللبق تنقية للمرائى ترده الى صراط مستقيم •

وفى القاصدين بيوت الله فريق نحيا فى المساجد أجسامهم ، وترى على بسطها ذواتهم ، لكن ارواحهم هائمة خارج المسجد ، تفكر فى شئون الدنيا وتغرق فيها حينا ، وتلتظى بنار الحقد على الناس حينا ، وتدبر أساليب من المكر للجار او الصديق او الزميل حينا ، وبتوفيق الداعى المؤمن اللبق تخلص هذه النفوس من اسار الدنيا ، وغل الحقد ، وشر المكر ••

وفى هؤلاء بخلاء اشحة يؤدون الفرض والنافلة ، وفى جباههم سمرة حلوة من أثر السجود ، لكنهم عبيد الدرهم والدينار ، وفتنتهم الدنيا بزهرتها . فحرسوا المال الذى اضناهم جمعه . وكنزوه فلم ينفعوا انفسهم او الناس به ، ورب موعظة نافذة ذات بلاغة وهدى شقت مسامع البخيل . ونفذت الى قلبه العليل ، ففاء الى رشده وبرىء من دائه ، ورجع عن غيه ، وخلى سراح مال المكنوز - ولو قليلا •

ان الناس متفاوتون فى الخلجات والمشاعر ، والشئون والخواطر ، والغايات والمشاكل . والعقول والمدارك • والمسلمون الذين يغشون المساجد ، او تنشر عليهم عظة الداعى فى المحافل والمجالس مختلفون اشد الاختلاف فى كل ملابساتهم . وكل واحد منهم ينظر الى الداعى بعين ، ويسمع من الداعى بأذن ، ويفهم من الداعى بعقل •

والداعى الموفق استاذ هؤلاء ورائدهم . وحكيمهم وهاديهم وطبيبهم ، والذى يستحق لقب « الداعى الجليل » يجدر به أن ينال الكرامة والتكريم • ويصبح بحق « أماما » للناس . من أدى لهؤلاء جميعا غاياتهم او كاد ، ووجد كل منهم رفدا من عطائه . او فى الاقل نال اكثر ما يرنو اليه ببصيرته حين يستمع اليه ، ويتلقى الحكمة والموعظة منه •

وبعد - فهل وجدنا عند اكثر الدعاة مانعول عليه من غاية هؤلاء المسلمين وهم أنماط شتى وصنوف عدة ؟

هل فهم الدعاة انفسهم او فهم اكثرهم رسالتهم على هذا الوجه ، واعدوا حياتهم لهذا المعنى الجليل الخطير ؟

هل قدر اكثر اخواننا الدعاة - وانا منهم - ان الداعى قدوة المسلمين وامامهم ، وهاديهم ورائدهم فحلوا انفسهم بكمال الطاعة ، وتصونوا فى كل أفعالهم وأقوالهم عما لايرضى الله عنه ، وكانوا ربانيين متجردين لله معتزين به دائما ، معولين عليه دائما ، لايقولون الا مايؤمنون به ، ولا يجافون بين اقوالهم وأفعالهم ولا يند منهم عمل أو قول ينافى الكمال والايمان والكرامة والسمت الرفيع ؟

اننى اقسم بكل محرجة من الايمان ان كلماتى هذه لا تهدف الا الى رفعة الدين ، واعزاز الوطن ، واعلاء شان الامة الاسلامية ، ويملؤنى اليقين ان الدعاة قادة ، ولا صلاح للناس الا بصلاح قادتهم جميعا . فلو صلح البعض دون البعض . لكان هناك جماعتان احداهما فى طريق الخير والبناء والرفعة ، وثانيتهما فى طريق الشر والهدم والضعة . وكان ترجمة ذلك : عملا دائبا متعارضا ، وقوى مصطرعة لا هى خير محض ولا هى

شر محض ، والناس دائما تبع قادتهم ، فهم مرآتهم • وهم الذين يقودون سفينتهم الى نجاة او الى غرق ••

ذلك هو الذى يوحى الى ان اتوخى الصدق والصراحة والشجاعة جميعا ، فلا اكون مداجيا ولا مداهنا فى هذا المقام احدا ، ونحن بصدد هذه الوظيفة الخطيرة ذات الشان الاول فى تهذيب الامة واقامة معوجها •

اننى ابادر بالاشارة الى ان وظيفة الدعوة لم تجد من المشرعين من زمن بعيد - من يفهم حق الفهم خطرها ، ويضع لها فيما يضع حدودا تصونها ، وترسم اهدافها ، وتوضح غاياتها • وكانها كانت فى أغلب الامر مجرد عظة يقوم بها موظف ، سواء انتهت الموعظة الى الآذان ام الى القلوب ، وسواء أكانت من بيان القائل أو من بيان اعد له •

وسواء استظهرها ام ارتجلها ، وسواء شافه بها او القاها من مكتوب ، وهى بعد - الى زمن قريب - فى الدرجات النازلة ، والتقدير الهين • فهى فى حساب الدولة دون الوظائف المختلفة ، وشاغلها حتى فى الوزن الادبى دون المدرس وموظفى الدولة او اكثرهم ، على حين ان الداعى القدوة يجب أن تكفل له الرفاهية التى تصد نظره عن التطلع ، وتغنى نفسه عن الحقد لمن هم اعز منه شانا ،ونجعله فى المستوى الكريم الميسور الذى يليق بالداعى والامام ••

ورغم الانصاف الذى نلحظ آثاره اليوم ، ونشهد بره بهؤلاء ، ونشكر مصدره والقلب الذى نبض به ، فانا لا نزال نتفقد النصفة الكريمة العزيزة لهم متى كانوا على الحال التى ننشدها لهم من مثالية الدعوة.والنهوض بهذه الرسالة على النسق الرفيع الذى لانجدهم بدونه شيئا مذكورا ••

ليست مهمة الدعاة اذن ان يشرحوا آية من كتاب الله ، او ينثروا حديثا من احاديث رسوله صلى الله عليه وسلم ، ليس لهم من فضل فى ذلك الا النقل الواعى حينا وغير الواعى حينا ••

وليست مهمتهم فحسب أن يتحدثوا عن فضيلة من فضائل الاسلام مرغبين فيها ، حاثين عليها ، مؤيدين الدعوة لها بنص او دليل فى اسلوب ملته الاسماع ، وسياق طالما ابتذلته العقول • وكلمات ليست هى الا جهدا رسميا او شرعيا تصح به الصلاة •

ذلك جهد المقل • بل هو الغاية الدنيا • والامد القريب • وما يعز على كثير من المثقفين او اشباه المثقفين أن توسد اليهم هذه المهمة ثم لا يجدوا فى صدورهم حرجا ، ولا يحسوا فى التصدى لها بعنت ، ولا يجد السامع لهؤلاء وأولئك من فرق ملحوظ •

ان مهمة الدعاة هى خلق مثل عليا فى نفوس الامم • وشحذ سلاح معنوى يؤيد جيش الدفاع فى صيانة الوطن • فكما يذود الجيش عن الحدود ويرعى الذمار ويصد العدو ، ويغير على مقتصبى المناحى القريبة أو البعيدة من الوطن الكبير ، تقوم الدعوة الكبرى بتعبئة النفوس وتنقيتها من اخلاق ونزعات ذات ضراوة ، ولو خليت وشانها لفتكت بالناشئة ، ومن شان هذه النزعات ان تحتل المواقع العزيزة من ابنائنا وبناتنا ، فالدعوة الكبرى رسالتها ان تنهض بذلك عن ايمان وقدرة ، وتبصر بالنافع والضار من السلوك ، وتنهض بما تعجز عنه وسيلة من وسائل الاعلام بالتنوير والتذكير ، وشرح الاهداف ، ومساندة الغايات الرفيعة التى تشغل الحاكم المستبصر الواعى •

ومن أسف اننا لا نجد انفسنا مغالين اذا قلنا ان الاهداف الكريمة • والمقاصد الجليلة والرسالة العظمى التى يفترض فى الداعى ان يفهمها ويؤمن بها • ويغرس فى النفوس بذورها ، لم تخطر ببال الذين وضعوا مناهج الدعاة فى تخصص الدعوة الذى ينبعون منه ويصدرون عنه ، وانى اتحدى قارىء هذه المناهج لو قراها بغير عنوان ، أن يميز منها رسالة التى كلفوا بها ، فهى مناهج دراسية اكثر منها مناهج روحية ، وهى لوائح وقوانين لم تملها روح الفهم الواعى الدقيق لرسالة الدعاة واهدافهم •

واؤكد ان القائم على شان الدعوة من زمن مضى لم يكن مستحضرا فى ذهنه انه يعد جيشا قويا فدائيا يغزو فساد العقيدة والمجتمع ، ويفرى صروح الانحلال والتميع ، والالحاد والزندقة ، ويمحو من القلوب الضالة معالم الضلال ، ويغرس فيها بذور الدين والجد والمجد والرجولة والوطنية لنجنى - بالدعاة - ثمار غرسهم الكريم علا وسؤددا ، وشرفا ورجولة ، ورفعة وكرامة •

منهج التخصص كسائر المناهج الدراسية ، مواد مرصوصة • وكتب مقررة • ممحصة او غير ممحصة ، بل ان كثيرا من هذه الكتب الف بلغة معقدة غامضة• هى مزيج من الفلسفة واقيسة المنطق المستخفية ، يسهر الطالب فيها ويعرق • ويسبح فيها ويغرق ، ويحاول على مرارة جمع مبهمها ، ولم شتاتها ، ليكون من مجموع ماوعاه متثاقلا به ، مبغضا اثر البغض له ، اجابات فى الامتحان يجتاز بها العقبة الكاداء ، ليعيش بعد فى ظل وظيفة ما اظنه راضيا عنها الا الى حين •

فى مناهج هؤلاء كتب التفسير وهى محشوة بالاسرائيليات التى تشوه وجه الحقائق الدينية ، وتنطبع صورها على غير رواء •

وفيما يحفظه هؤلاء احاديث موضوعة للترغيب والترهيب ، وفى الاساليب الدينية الصحيحة غناء الف غناء عن هذه الاحاديث الدخيلة التى تسرى من الدعاة الى السنة السامعين فيكتب لها البقاء • وقليل من الذين يدرسون هذه أو تلك من يميزها ، وينقيها من الغث الزائف فيها •

وفى هذه المناهج قصور ملحوظ ، فهى خالية من دراسات مقارنة بين الدين الاسلامى وغيره ، وكم كان واجبا على الداعى ان يتلقى فى منابت تعلمه دراسة مستفيضة تفصح عن الفرق الملحوظ بين شريعة محمد صلى الله عليه وسلم وكل شريعة نسخت ، حتى يصحح فى كل العقول التى يربيها سر الختم برسالة محمد ويستقيم فى ايمانهم أن الله اكمل لهم السعادة ولن يجىء بعدهم بهذا الشرع الحنيف •

ولعل لا ابالغ اذا قلت ان كثيرا من الشبه التى تدخل عقول اخوتنا الجامعيين ، والمثقفين ثقافة مدنية من طول مايقرءون من كتب تفد الينا من نطاق غير اسلامى ، ترين على قلوبهم ، وتغطى جمال الشرع فتحجبه عن بصائرهم ، ثم لاتجد فى أغلب الامر حلا صحيحا ولا علاجا شافيا ، ولا شرحا مشرفا عند اخواننا الدعاة ، وللدعاة العذر كل العذر - ان لم يعتمدوا على انفسهم فى التثقيف والتنوير ، فالمصادر التى تلقوا منها علم الكلام الغاز وطلاسم ، وعقد من العسير أن تحل الا بصبر وبلاء •

« يتبع »

من اجمل بلاد تونس ـ التى رأيتها ـ أو اجملها على الاطلاق « عين دراهم » وهذه يعنى عين البنت المسماة « دراهم » لأن العرب يسمون البنت « دراهم » وجمالها الفتـــان يأتى مما يحيط بها من غابة الزان . وغابة « الفرنان » : هذه الغابات الممتدة من تونس حتى أسبانيا مارة بالجزائر فالمغرب . وهى فى الأصل منحة الاهية . فالريح تلقح وتكون كل شىء . والزان : خشب معروف . أما الفـــرنان : فهو شجر « الفلين » يؤخذ قشره . ثم يرسل الى المصانع ليسوى ويصدر ويسمونه « الخفاف » لخفة وزنه . ويتخذ منه ســدادة الزجاجة . أو على اصطلاح أهل تونس « الدبوزة » لأنهم يقولون عن الزجاجة دبوزة .

وهذا الخفاف يعطى تونس سنويا ما وزنه ١٠٦٠٠ طن قيمتها ٢٤٠٠٠٠ دينار . ويوجد الآن فى تونس من الأراضى المسجلة تحت عنوان الغابات ما يقرب من ٩٠٠٠٠ هكتار. وللغابات فى تونس دور هام جدا : فهى تقى منحدرت المياه وتعدل المناخ فوق ما تعطيه للدولــة من موارد الانتاج . وفى تونس من الغابات أيضا غابة « الكريز » وترى حب هذه مباحا للجميع من غير استثناء . ولعناية تونس بالتشجير نرى عندهم عيدا يسمى عيد الشجرة فى آخر الشتاء وأول الربيع .

وشجرة الفرنانة كانت فى القديم معبودة : يقدمون اليها القرابين ، ويأخذون منها الفال . فيتقدم اليها من يقول : « يا فرنانة جدى ندى ولا ماندى » بتشديد اللام مفتوحة فى ولا . فيصيح العريف قائلا : قالت : لا .

وفى طريقك الى عين دراهم من تونس ترى فى أول الطريق مدرسة تحمل اسم ابن سينا . فقصر الوزير خزنه دار وهو الآن أطلال أو ما يشبهها . فبقايا قصر « مرتاج » : ذلك القائد الرومانى الذى صالحه العرب على فتح تونس. وأقطعوه السهل الذى يسمى حتى الآن باسمه فى سفح جبل حمام الأنف . وترى زاوية سيدى على الحطاب من أصحاب الامام الشاذلى الأربعين ـ توفى سنة ٦٧١ هـ ـ وهو أول من صحبه حين دخل تونس . وفى هـــذه الزاوية تقام حضرة يفتتح بها جمع أبى الحسن الشاذلى الصيفية ، وتختتم هذه الجمع فى زاوية سيدى الشريف فى حلق الوادى . وفى الطريق ترى برج العامرى من بنى عامر . وهو ابن عم ليلى العامرية . فتدخل مدينة مجاز الباب وهى من المدن العريقة فى القدم ، وأخصب جهــة فى تونس على الاطلاق من مجاز الباب هذه الى ســـوق الاربعاء . وهى منطقة من كانوا يطلقون على أنفســـهم « المعمرين » : هؤلاء الذين أمم أرضهم الرئيس الحبيب بورقيبة فى ذلك الخطاب التاريخى الخالد الذى أشرت اليه فى المقال السابق. وأهل تونس كانوا يسمون المعمر المدمر. ولذلك يقول شاعرهم الأستاذ صالح مازيع :

اذا قيل تمـــوين فيا جوع أمة
وان قيل تعمير فقد تم تدميـــر

والطريق الى سوق الاربعــاء مقسم تقريبا الى ثلاث مراحل متساوية : الأولى الى مجاز الباب .. والثـانية الى باجه . والثالثة الى سوق الأربعاء . وكل مرحلة من هذه المراحل حوالى ٥٠ كيلو متر تقريبا .

ومجاز الباب تتبع ولاية باجه . وفيها كنيسة وبعض المساجد . واتجهنا منها ـ مجاز البـــاب ـ الى وادى مجرده . فمررنا على قنطرة مجاز الباب التى ســـميت المدينة بها . وكان عليها قوس نصر للامبراطور « تراجان » الرومانى فى القرن الرابع . وله الآن تمثـــال فى روما . وأحيانا ترى من بعد على الطريق خطا حديديا يبتدىء من قابس الى المغرب مارا بالجزائر .. وتدخل وادى «الزرقا» وكان مقرا لمعمر فرنسى يشتغل بالمحاماة اسمه « انطوان جدبانى » . وتولى فى وقت ما رئاسة المجلس الكبير . هذه التى كانت للتونسيين غالبا . وتدور فى أسر : ابن عمار . وبو شنيق . وبو رمضان . وجزنا طريق الرحيات ـ جمع رحية ـ لأنها تدور وتتلوى . وهو طريق فى الجبل على القرب من جبل « المنشار هذا الذى تنسب اليه أسرة المنشارى فى تونس . فمررنا بجوار جبل مزروع « بزله » أو على لغة أهل تونس « جلبانه » . وفى هذا الطريق ترى قصر المسيو « فنيك » رئيس جماعة « المعمرين » : ذلك الذى كتب خطابا الى المقيم الفرنسى يحمله فيـــه مسئولية قتل الفرنسيين للافراج عن أهل البلاد الوطنيين الدستوريين .. وهذا القصر مبنى على شكل قلعـــة . ولهذا المعمر قصة مع فضيلة الأستاذ الشيخ محمـــد المختار بن محمود أحد علماء الزيتونة الفضلاء مما يدلك

على تملق المستعمرين لرجال الدين . فقد استضافه فى هذا القصر . وأعد له من التوانسه الشفالة صفا على طول الطريق الى القصر . فلما رأوا الشيخ شكوا له سوء الحال . فسألهم : كم تأخذون اجرا ؟.. فلما أخبروه قال لهم وما الذى أخرس السنتكم يا .... تترك هذا القصر لترى أرض «نفره» تلك التى نبت فيها ذلك العالم الفحل «أبو زيد» صاحب الرسالة . وعلى ذكرها أقول : ان فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الطاهر بن عاشور شيخ الاسلام الأسبق فى تونس . وفضيلة ولده الشيخ محمد الفاضل مفتى تونس الحالى يحفظان هذه الرسالة عن ظهر قلب ويحفظان الفية ابن مالك فى النحو ، والتهذيب فى المنطق . والعاصمية فى فقه القضاة وهى ١٦٠٠ بيت ، ويحفظان جمع الجوامع فى أصول الفقه . ويحفظان المعلقات . وديوان الحماسة ، والمتون الصغيرة مثل الاجرومية ، والسمرقندية ، أدام الله عليهم تلك النعمة الباهرة : نعمة قوة الذاكرة .

استرحنا بعض الوقت فى مدينة « باجه » وهى من المدن العريقة فى القدم كقرطاج ، وتونس ، وبنزرت ، وطبرقه ، ودقه ، وتبرسق ، وتستور ، ومجاز الباب ، والكاف ، وتاله ، ومكثر ، ونابل .. وكلمة باجه لاتينية معناها البقرة الحلوب . ومسجدها الكبير مقام على كنيسة رومانية . واكثر سكانها من الأندلس : رآنى منهم الأستاذ « بنعيسى ابن يوسف » المحامى لدى محكمة الاستئناف ، فلم نفترق حتى أخذ منى موعدا لزيارته . فوعدته . وشاءت ظروف يومها أن أعتذر شاكرا .

نخرج من باجه الى سوق الجمعة ، فسوق الخميس ، ثم سوق الاربعاء فى سوق الخميس يقابلك مخزن غلال هو أعلى مكان تراه فى مدخلها فيها مسجد اسمه مسجد « البردعه » ، وفى مكتبة الشيخ الفاضل ابن عاشور نسخة من موطأ مالك كتبت فى هذا المسجد من ٢٠٠ سنة . وفى طريقك ترى قنطرة فوق وادملاق - وادى ملاق . ووادى مجرده ينبعان من الجزائر . ويصب واد مجرده فى غار الملح . أما وادى ملاق فيبتلعه وادى مجرده فى سوق الاربعاء . ولعل هذا هو السبب الذى يجعل المياه تطغى على سوق الأربعاء أحيانا - وفى مدخل سوق الأربعاء ترى صومعتين لمسجدين على واحدة منهما رأيت طائر «اللقلق» . وهو يكثر فى هذه الجهة . وعلى شكل أكثر فى بلدة عنابه بالجزائر . وأهل تونس يسمون هذا الطائر : الحاج قاسم » . وكان قدماء المصريين يعبدونه .

وفى طريقك ترى شجر الدخان . وهو يمثل ميدانا هاما فى القطر التونسى حيث تتجاوز محاصيل بيعه تسعة ملايين من الدنانير . ويحقق للميزانية ما يقرب من ستة ملايين دينارا من الاداءات . ولا يثير هذا أية مشكلة اذ يكاد يصنع بالبلاد نفسها ، ولاتستورد من أجله الا المادة الأولية الصالحة للخلط ، أو لصنع السجاير الرفيعة .

كنا فى هذه الجهة بين الخضرة الجميلة وصفاء الجو الباسم فذكرنا الشيخ الفاضل بقول الرصافى :

قرات وما غير الطبيعة من سفر

صحائف تحوى كل فن من الشعر

رأينا جبال « جندوبة » التى وراءها جبال « خمير » وهى من سلسلة جبال الأطلس .. رأينا « القرط » علف الحيوان مرصوصا فى الأرض على شكل هندسى فنى جميل .. رأينا البقر يرعى سائمه . ولما كانت الزيادة فى انتاج الماشية ترتبط بالزيادة فى موارد العلف نرى تونس فى تخطيطها الحالى تعنى أشد العناية بالاكثار من مزارع العلف فى المناطق الصالحة لها .

وتشعر ببهجة وانشراح حين ترى شقائق النعمان تسابقك على الطريق . وكأنها كما قال الشاعر . « أعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد » . وفى هذه الجهة ترى هنشير المالح . أو وادى المالح ، وهو يحول الآن الى زراعة البنجر لعمل السكر .. وفوق وادى ملاق تطالعك قنطرة ذات قوة وجمال . اختارتها تونس رمزا لقوة الصناعة فوق الورقة ذات الدنانير الخمسة مقابلة لصورة السيد الرئيس الحبيب بورقيبة عليها . هذا يرمز للقوة المعنوية . وتلك للمادية . وسبحان من يخلد القوة والجمال .

« بلاراجيه »

وبعد ثمانية كيلومترات من سوق الاربعاء تقريبا ترى آثار مدينة فينيقية جددها الرومان بعد أن فتحوا تونس فى القرن الثالث قبل المسيح : تلك هى بلاراجيه . وآثارها يشقها الطريق الآن نصفين : فى نصف ترى أطلال كنيسة أو « مشرب عين » لا أدرى تنزل الى صحن هذا الأثر بثمانى درجات . فترى رواقا فيه ستة أعمدة . وأمامه ردهة فيها أعمدة ثمانية : أربعة أمامك وأربعة على يسارك . وفيها قطع رخام مركونة على الجدار . ومنها آثار أرسلت من سنين الى متحف « باردو » . ويقولون : ان أهم « موزيكو » فى هذا المتحف أصله من ذلك الأثر . وترى فى صفه آثار حمام . وتياترووقصور نزهة كما يقولون . ويقابل هذه الآثار فى الجهة الثانية من الطريق تماثيل لآلهة ثلاثة :

١ - منيرفا : الهة الحكمة ، ترفع ملابسها بيدها اليسرى الى ما فوق الركبة . ويدها اليمنى مقطوعة .

٢ - تمثال « أبولون » آله القوة . وهو مقطوع الرأس .

٣ - مارس آله الحرب . وعلى درعه صوره . ويلبس لباس الحرب وهو اشبه « بالجيب » للسيدات .

ومن المناظر التى تستوقف النظر فى هذه الناحية شجر الزيتون فوق الجبل . وزيتون الجبل أجود كثيرا من زيتون السهل . يقولون : ان الآية القائلة - فى سورة النور - : « يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية » المراد منها - والله أعلم - الجبلية .

فى سوق الاربعاء رأيت مساكن شعبية جديدة جميلة نظيفة . ورأيتها أيضا بجهة سوق الفرنانة . ومن قبل فى جهات كثيرة . وللكتابة الدولة للاشغال العمومية والاسكان فى هذه الناحية مجهود يشكر فقد بادرت الدولة منذ عهد الاستقلال ببذل مجهود خاص لفائدة المعوزين من السكان . فحصرت المساكن المضره بالصحة . وقدرت عدد المساكن التى يجب بناؤها حتى سنة ١٩٧١ . لهذا نجد الحركة الآن فى هذه الناحية قائمة على قدم وساق حيث على الدولة ان توفر للشعب حتى هذا التاريخ ٤٩٠٠٠٠ مسكنا . ويظهر هذا الرقم اهمية ذلك المجهود الجبار الذى تبذله تونس فى هذا السبيل .

« سد وادى الليل »

فى تونس جملة سدود . منها الكبرى . ومنها الصغرى . ومنها المتوسطة . وتبلغ مقدرة هذه السدود على حفظ زهاء ٣٠٠٠٠٠٠٠٠٠ مترا مكعبا سنويا . رأيت من هذه السدود سد وادى الليل فى نقطة بنى مطير . ويبلغ طوله حوالى نصف كيلو تقريبا . وهو يوصل المياه للشرب وللرى الى تونس والى الجهات الشمالية حتى بنزرت . بنى هذا السد حوالى سنة ١٩٤٤ . وترى وانت فى سحر منظره الجميل من يعرض عليك شجرا جميلا فى أصيص متخذ من قشر الفرنانه . أو تدرى ما اسم هذا الشجر ؟..

الى الحقيقة ، وتجربة الدكتور خالد شلدريك البريطانى اسمه « سبحان خلاقه » ومن عجيب ما ترى فيه أن غلته فى أوراقه ، وأظنه لهذا سمى .

وأمام فندق « دى زان » الذى يرتفع عن سطح البحر ٩٠٠ متر جلسنا نتحدث بعد أن تناولنا طعام الغداء على مائدة الشيخ الفاضل فجاء ذكر الشيخ «العربى الكبادى» امام الأدب وحافظة الشعر فى تونس – توفى منذ سنين – فروى لنا فضيلة الشيخ شيئا من شعره الخفيف اللطيف منها قوله فى « هاله » بنت الشيخ الفاضل :

سميت باسم كريم
كان للزهر خاله

ومن قصيدة يمدح فيها فضيلة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور بمناسبة ترقيته الى وكيل شيخ الاسلام المالكى :

واذ المدح جاء عن صدق ود
لست أرضى بحالة اطنابه

وفى عين دراهم لفت نظرى مناظر ثلاثة : أما الأول فمخالفتها لما درجت عليه تونس من اتخاذ اللون الأبيض لها فى مبانيها شعارا ، فترى أسطح منازلها أغلبها بالقرميد الأحمر . وأما الثانى فكانت أكثر بلد رأيته فى ذلك اليوم رفعت أعلاما بمناسبة عيد الشغل – أول مايو – والثالث فى تلك الصومعة التى تنادى لعين دراهم كل يوم مرات بأن الله أكبر من كل كبير وأنه واحد لا شريك له : تلك التى اقيمت على مسجد بناه السيد الرئيس الحبيب بورقيبة. ولا أدرى ان كان يضارع مسجده فى « منستير » أو لا لأنى رأيته عن بعد .

وفى مدينة « طبرقه » احدى مدن تونس العريقة فى القدم والتى نشأت فيها مسألة الاحتلال لادعائهم أن الاهالى رموا بالحجارة مركبا لهم فيها – فى مايو سنة ١٨٨١ – من هذه المدينة التى تشرف على البحر ترى جزيرة المرجان . وفيها برج عسكرى ، ولا ادرى درجة مرجانها بين ما يستخرج منه فى العالم . غير أنهم يقولون : أهم المرجان ما يستخرج من ايطاليا . فالصين . ويليه ما يستخرج من البحر الأحمر . وفى هذه المدينة ترى نقطة مراقبة الحدود بين تونس والجزائر . وعندما اشتاقت نفسى أن أملأ رئتى من هواء أرض الأبطال . وما أكرمهم عندما فتحوا لنا هذا الطريق الذى يوصل الى مدينة وهران فتجولنا فيه مدة . ثم عدنا الى تونس من طريق آخر هو طريق « وشتاته » والجبل الأبيض . وفى هذا الطريق رأيت منشئات ومناظر عدة : رأيت غابات زرعت بعد الاستقلال من شجر الكافور . وكان مكانها أولا رمالا . رأيت جنات من أشجار مثمرة . رأيت مزرعة برتقال « بينى » . رأيت مزرعة « مشمش » أو كما يقول أهل تونس « مشماش » . رأيت جبالا « حمر » و « سود » و « بيض » أما هذا الأبيض فلأنه فى الشتاء يغطى بالثلج. رأيت جبالا متشابكة متعانقة كأنها ياخذ بعضها بعضا بالاحضان . وترى فى هذا الطريق فتيانا وفتيات يعرضون عليك باقات الورود وسلال الفراوله هذه التى تزرع بكثرة فى وشتاته . رأيت آبارا . وعيونا تصب الماء باستمرار صبا . وأخيرا وصلنا الى تونس بعد أن تجولنا فى ولايات ثلاث هى : تونس . وباجه . . وسوق الأربعاء .

« العرب هم الذين جعلوا تونس مرسى »

بعد ظهر يوم السبت – ٦ من ذى الحجة سنة ١٣٨٣ هـ – ٨ ابريل سنة ١٩٦٤ – خرجنا فى رحلة جهة الشرق – شرق تونس – فسرنا فى طريق جميل وسط مياه من على اليسار ومن على اليمين بين البحر الأبيض وبحيرة تونس . أو كما يقولون : سنجة تونس : هذه البحيرة كانت فى القديم تمتد من قرب البحر الى باب البحر . بل الى جامع الزيتونة بحيث كان الجالس فى هذا الجامع يرى منها الماء . ولما فتح العرب تونس فى عهد ابن نصير وحسان بن النعمان أوصلوها به . فأصبح بوغاز حلق الوادى يوصل بينها وبين البحر الأبيض . وفى عهد الاستعمار الفرنسى زادها الفرنسيون عمقا حتى تصل بواخرهم الى تونس لخلاف بينهم وبين ايطاليا فى ذلك الوقت . فالعرب هم الذين جعلوا لتونس أهمية فى التاريخ بهذا .

وفى رحلة الشرق هذه رأيت المرفأ التجارى للحديد الذى يؤتى به من سهل مرتاج . وبهذه المناسبة أقول : ان مصر تستورد من حديد تونس ماقيمته مليونان من الجنيهات وفى حلق الوادى رأيت أثرا من آثار الاسبان هو عبارة عن قلعة أسسها الامبراطور « شارلكان » امبراطور اسبانيا وأوربا الغربية فى القرن الخامس عشر المسيحى . وجاء المسلمون فاقاموا فى هذه القلعة جامعا تقام فيه الجمعة على المذهب الحنفى . وهكذا يضربون الأمثال للناس على أن قوتهم روحية . وقوة غيرهم مادية . وبجوار القلعة هذه ترى نادى اليخت . وبجواره مراكب البحر على الشاطىء فى منظر أخاذ فيه نظام وجمال . فرأينا دار « موشيكور » : ذلك الموظف الفرنسى الذى كانت له اليد الطولى أيام الفرنسيين . فقاعة حلق الوادى : تلك التي تقام فيها الأفراح . ومررنا من مدينة حلق الوادى القديمة فوجدناها مغلقة الابواب والنوافذ . ولم نر فى بيوتها أحدا . بل ولا فى شوارعها الا ما ندر : أتدرى لماذا ؟ .. لأن أكثر سكانها من اليهود . وهم يعطلون النيران فى بيوتهم من مساء الجمعة الى مساء السبت . وهكذا ينفذون مبادىء دينهم عملا . رأينا قصر الوزير خير الدين . وقد آل الى شيخ الاسلام أحمد بيرم السادس . وقصر الوزير « خزنة دار » وفيه الآن مدرسة ضباط الصف التابعة لوزارة الدفاع فقصر صاحب الطابع . فآثار المقابر الفنيقية . فمعهد الاحياء المائية ويشرف عليه الآن متخصص أصله من الزيتونة هو الدكتور « زكريا بن مصطفى » . رأيت المرسى الفنيقى الذى نزلت فيه الملكة « عليسه » بضم العين وفتح اللام وسكون الياء . ملكة مدينة صور فى – لبنان الآن – فأسست مدينة قرطاجنة وبها ابتدأ التاريخ القرطاجنى . ومدينة قرطاجنة تأثرت بالذوق الايطالى هى الأخرى فأصبح فيها ألوانا مختلفة بعد أن كان طابع تونس غالبا اللون الأبيض . رأيت رباطا قديما يسمى الآن « للا صالحة » بفتح اللام الأولى وتشديد الثانية وكلمة للا فى تونس ترادف عندنا كلمة « الست » .

رأيت قصر السيد الرئيس الحبيب بورقيبة المسمى قصر قرطاج . وفيه تفضل مشكورا فدعانا الى عيد النصر: ذلك الاحتفال السنوى الذى يقام فيه فى أول شهر يونيه من كل سنة بمناسبة رجوعه من المنفى الى تونس سنة ١٩٥٥ . رأيت دار السفارة المصرية القديمة وفيها – ١٩٥٧ – قلد السيد أنور السادات الرئيس الحبيب بورقيبة قلادة النيل . وترى من جبل سيدى الظريف رأس قامرت بتشديد الميم مفتوحة ، والمرسى تلك التى يقول فيها الأستاذ الشيخ محمد بن الخوجه :

أطلت كالعروس على يفاع
لتنظر ذا لجام أم شراع
بها الضدان : معبد ذى انقطاع
ومأوى السافكين دم الشمول

رأيت فى المرسى مفخرة لتونس كمفخرة رجال الثورة عندنا فى سفارة بريطانيا فى قصر الدوبارة : فقد فتحوا فى سفارة فرنسا شارعا كبيرا سموه طريق سيدى عبد العزيز

المهدوى ـ ستاذ محيى الدين بن العربى ـ رأيت دار « باروخ » الوزير اليهودى : الذى كان مع ابن عمار فى الوزارة الأولى .

« الفلفل الأسود فى البرج الأبيض »

واخيرا وصلنا الى البرج الأبيض . وأصله قصر ملكى قديم . وهو على البحر تماما حيث نرى بعد درجات معدودات « بلاچا » عظيما عليه غرف متسعة بها كل أسباب الراحة : رأيت فى بعض غرفه سريرين ، وما يلزم من « دولاب » و « تسريحة » وداخل كل حجرة حمام خاص . وصعدت الى غرف النوم فى الدور الأول من هذا البرج حيث رأيت ما أعد للنزلاء من كل أسباب الراحة والطمانينة . ويدهشك أن نرى نزلاءه من السواحين يقطنون فى كابينات « البلاج » . متى ؟.. فى ١٨ أبريل.

وترى شيطان الشعر فوق شجر الفلفل الأسود فى ذلك القصر الأبيض .. ويسمى هذا الشاطىء : شاطىء قامرت. وجبل قامرت أصله رمل وثبت بالتشجير . وعند رأس قامرت يلتقى الشمال بالشرق .

« من أخلاق أهل تونس »

أهل تونس فطروا على صفاء السريرة وحب الضيف من الصغير حتى الكبير : قابلتنى بنية صغيرة اسمها «الطيفة» فتقدمت الى مسلمة على غير معرفة . فقالت أختها الكبرى : ان هذه البنية تترقبك من أيام . واليوم أسرعت اليك كما ترى .

وقابلنى فى نهج جامع الزيتونة شيخ وقور فى العقد العاشر من عمره . فتقدم الى مسلما مرحبا سائلا : من أكون ؟.. وكم سأقضى فى تونس ؟.. ثم أخبرنى أنه من أقرب الناس الى السيد « الثعالبى » الزعيم التونسى المشهور ذلك هو الشيخ الهادى مالك .

وقابلنى آخر فتقدم الى مسلما قائلا : حضرتك فلان .. قلت نعم . قال لقد سمعت لك كلمة فى الاذاعة أمس عن بلدة « البنان » وأنا محمد التهامى البنانى . واصلنا من فاس فى المغرب : حضر أجدادى الى تونس فى أواخر القرن التاسع أو أوائل العاشر . فقطن جدى الحاج أحمد البنانى فى بلدة بنان . وكان يشتغل فى التعليم. وأما الثانى واسمه محمد فمكث فى تونس يشتغل فى صناعة الحرير والتدريس فى جامع الزيتونة .

« من أغانى تونس »

بعض أغانى تونس تدور حول محاصيل البلاد . فمثلا هذه أغنية تقول : « يا لمسية بلادك جابس والمطوية » اللمسية نوع من البلح . وقابس بلدة هى الآن ولاية من ولايات تونس . والمطوية بلدة ينسب اليها الأستاذ السيد « محمد العروسى المطوى » الذى كان سفيرا لتونس فى العراق . ثم جده . وهو الآن استاذ من أساتذة الزيتونة الفضلاء . وصاحب كتاب « الحروب الصليبية فى المشرق والمغرب » .

ومن أغانيهم أيضا قولهم : « غربوك يا حفصة من بلاد بعيد .. من سجلماسه وجفصه وبلاد الجريد » : حفصه لقب لنوع من التمر . ويفرق أهل تونس بين البلح والتمر: فالبلح أو البسر عندما يكون غيرمتمر . والتمر هوالمعروف: والجريد بلدة تبعد عن تونس بحوالى ٤٠٠ كيلو متر . وهى تتبع ولاية قفصه . وهى الناحية التى نشأ فيها فضيلة أستاذنا الشيخ الخضر حسين عليه رحمة الله ورضوانه .

ومن أغانيهم فى الأفراح . « عرجوب الخير عروستنا عرجوب الخير » وقولهم : « مبروك عليك يا عروسة جينا نهنيك » .

« وندوة البخارى أيضا »

فى مقال سابق كتبت كلمه عن هذه الندوة . وأنها تجتمع على قراءة البخارى ليلة الجمعة من كل أسبوع فى منزل فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ أحمد بن ميلاد . ولما كتب الله لى أن أزور تونس للمرة الثانية زرت هذه الندوة وأخذت عنها معلومات أكثر : هذه الندوات ابتدأت سنة ١٣٧٩ من هجرة سيد المرسلين . وابتدأت بقراءة الشفا للقاضى عياض . فأتمته فى سنة كاملة . وبعده ابتدأت فى قراءة البخارى . وهى تجتمع كل اسبوع عدا رمضان ففى كل ليلة . وقد بلغوا ليلة كنت فى حضرتهم للمرة الثانية سورة النور من كتاب تفسير القرآن . وروادها عدا فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد بن ميلاد الذى تنعقد الندوة فى داره حضرات الأساتذة : الشيخ العربى العنابى مدير معهد ابن خلدون . والشيخ أحمد شلبى . والشيخ مصطفى المؤدب ، من خريجى الزيتونة ومدرسيها ، والشيخ محمد الاخوة وهذا من سكان المرسى . والشيخ عز الدين سلام . والشيخ ابراهيم بن القاضى . والأستاذ مصطفى كمال التازى المفتش فى التعليم الدينى الثانوى . وهو الذى مثل تونس فى مجمع البحوث الاسلامية مع فضيلة الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور فى العام الماضى . والشيخ محمد التهامى الزهار . وغيرهم من عشاق هذه الندوة .

يبتدئون أولا بتوزيع نسخ مختلفة من شروح مختلفة على الحاضرين ، منها : شرح القسطلانى . وشرح ابن حجر . وشرح البدر العينى . وشرح الكرمانى . وشرح الشيخ التاوى المالكى .. والنسخة التى وقعت فى يدى عليها خط الشيخ احمد حسين الحجار شيخ الاسلام بتونس . وتلميذ الشيخ ابراهيم الرياحى . وقد تولى بعده المشيخة . وقد آلت هذه النسخة الى الشيخ أحمد بن ميلاد .. ولا يسمحون أبدا لزائر أن يدخل الندوة بحذائه . وقد حصل أن دخل الشيخ صالح السنغالى المجلس بحذائه فنبهه بعض الحاضرين فرجع فنزعه .

وهل تقف المسألة عند هذه الصورة على السطح ؟.. قراءة من نسخ مختلفة . ورواد كثيرون ؟ .. كلا:فالمسألة أعمق من هذا ففى قاعها معان تجل عن الوصف والحصر. لقد كانت سنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تمس شغاف قلوب الحاضرين . حتى لكان يخيل الى وفضيلة الشيخأحمد بن ميلاد يرتل حديث رسول الله بنبراته النابعة من قلبه حنانا وخشوعا أن الشيخ يشف ويشف حتى لكأنه أصبح روحا خالصا تهوم علينا فى سماء ذلك المجلس الطاهر فتصهرنا أرواحا كلها ايمان خالص لوجه الله رب العالمين .

« أنا ولد زاوية »

من الذين جذبونى باخلاقهم العالية فى تونس رجل يذوب تواضعا ورقة وتفانيا فى خدمة الاخوان : ذلك هو السيد محمد بوعتور ابن عم الأستاذ محمد بوعتور مسجل الكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين . له معى كرامة سأرويها عند الكلام على الامام أبى الحسن الشاذلى رضوان الله عليه . قال لى مرة : أنا ولد زاوية . فلم أفهم أولا ماذا يقصد . فقال : جدى للاب الشيخ عبد الكافى القرشى العثمانى . ويرجع نسبه الى سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه .. وجدى لوالدتى الشيخ على النورى ، وله زاويتان اثنتان فى صفاقس : زاوية مدفون فيها . وزاوية لقراءة القرآن الكريم وللصلاة وعليها أحباس خاصة للوعظ والارشاد فيها . فأنا ولد زاوية من الناحيتين . وهذا اصطلاح وان بدا غريبا علينا فليس بغريب فى تونس .

« فى المركز الثقافى الدولى »

فى قصر « سان سبستيان » السويسرى ، كما كان يسمى قديما ، او فى المركز الثقافى الدولى كما سمته تونس الفتية حديثا اقامت الكلية الزيتونية للشريعة واصول الدين حفل تكريم للدكتور عبد الحليم محمود عميد كلية أصول الدين بجامعة الأزهر ، والعبد الفقير كاتب هذه السطور بمناسبة انتهاء العام الدراسى ، ودعت اليه باقة من علماء تونس الفضلاء ، ورجال السفارات النجباء. يتقدمهم فضيلة الاستاذ الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، وفضيلة الاستاذ الشيخ محمد العزيز جعيط من شيوخ الاسلام السابقين ، والاستاذ المالقى رئيس المحكمة المدلية ، والأستاذ محمود العنابى الرئيس الأول لمحكمة الاستئناف ، والاستاذ سعد الدين زاهر الملحق الثقافى لجمهوريتنا العربية المتحدة ، والأستاذ عصام سليمان ملحق ثقافى لبنان ، والأستاذ حسن الصادق من السودان ، وغيرهم وغيرهم من افاضل العلماء والأعيان .

وركبنى شيطانى لأدون ما رأته عيناى أو سمعته أذناى : أما فى الطريق الى بلدة الحمامات التى يوجد فيها ذلك المركز الثقافى الدولى فقد رأيت عبرة العبر وعظة العظات لمن له قلب : قصر فخم ضخم أعده الايطاليون لموسولينى.وكانوا يقولون حين بنوه : تونس لنا وسنلحقها بليبيا . فلم يشأ ربك أن ينزله موسولينى ، ولم يشأ ربى وربك أن تلحق تونس بليبيا ملكا للايطاليين ، بل شاء أن تكون تونس للتونسيين ، وليبيا لليبيين ، والقصر لأهل البلاد الأصليين ، وسبحان من لا يقع فى ملكه الا ما يريد .

وأما فى القصر فقد سجلت ما يأتى :

١ ـ تفسير الزجاج موجود منه فى تونس من سورة « ص » حتى الآخر . وهذا التفسير له قصة مع رجل انجليزى . فقد دفع فيه كل ما يمكن أن يغرى به من مال. فلم يستطع أخذه . وهذا التفسير كان عند الشيخ النجار . وقد أطلع عليه فضيلة الشيخ الطاهر ابن عاشور .

٢ ـ سألت فضيلة الشيخ الطاهر : هل فى المكتبة الأحمدية مخطوط بخط محيى الدين ابن العربى ؟.. فقال : نعم .

٣ ـ سئل فضيلة الشيخ الطاهر ؟... هل كان أبو هريرة فقيها ؟.. فقال : ان أردنا من الفقه الرواية عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فهو من أكبر الفقهاء .. وان اردنا من الفقه الاستنباط فربما لم يكن فقيها . ولم أعرف لأبى هريرة فى الفقه الا مسألة واحدة فى العدة .

٤ ـ ولما تطرق الحديث الى صحابة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال فضيلة الشيخ الطاهر كان من صحابة رسول الله الفقهاء ، ومنهم قواد الجيش. ومنهم من لا صنعة له .

٥ ـ فسأل الدكتور عبد الحليم محمود : هل أمر النبى أهل الصفة بالعمل ؟... فقال فضيلة الشيخ الطاهر : هذا لم اقف عليه .. فقال فضيلة الشيخ جعيط : لما وجد العمل انصرفوا اليه .

٦ ـ روى فضيلة الشيخ الطاهر هذين البيتين من ديوان ابن أرفع رأسى :

خذ الفرار والطلقا   وشيئا يشبه البرقا
اذا اتقنته سحقا   ملكت الشرق والغربا

« الفرار » : الزئبق .. والطلق : الهواء .. والبرق : الكبريت . وأظن المعنى بعد ذلك ظاهر واضح لا يحتاج الى بيان .

ومما سمعته من الشيخ فى ذلك الحفل قوله : « من فاتك ذهبه لا يفوتك أدبه » .

وكنا قد انتثرنا على موائد العشاء حول حوض يفيض بالماء ، وجاءت جلستى على مائدة ضمت فضيلة الشيخ الطاهر ، وفضيلة الشيخ جعيط . فالشيخ محمد المختار ابن محمود . فالدكتور عبد الحليم محمود . ولم يأكل الشيخ الطاهر كعادته . بل شرفنا بوجوده . وأمتعنا بحديثه على ما أسلفت . وتناول كل واحد منا « فوطة » أو على لغة أهل تونس منديلا الا الشيخ المختار . فقد اختار اثنتين : واحدة وضعها فى طوقه . والثانية على حجره . فقال له الشيخ جعيط متفكها : كل واحد منا أخذ منديلا واحدا الا أنت فلماذا أخذت اثنين ؟.. فكانت لطيفة من لطائف الشيخ .

« بين الشيخ محمد عبده والشيخ الطاهر »

« وحدة الشرب نسب »

وذهبت الى المرسى لأودع أستاذنا فضيلة الشيخ الطاهر ابن عاشور فأهدانى أجمل هدية أعتز بها على وجه التاريخ : خطابات ثلاثة بخط يد الشيخ محمد عبده نفسه مرسلة الى فضيلة الشيخ الطاهر ابن عاشور .

الأول « تذكرة » ويسميها الشيخ الطاهر « ياقوته » مرسلة لفضيلته من صقلية فى ٥ رجب سنة ١٣٢١ . يقول له فيها :

حضرة الفاضل السيد طاهر ابن عاشور احد المدرسين الأفاضل بجامع الزيتونة بحاضرة تونس .

« وكتب الشيخ عبده أيضا العنوان بالفرنسية » يقول :

ولدنا العزيز السيد الطاهر ابن عاشور .

وحدة الشرب نسب يفوق رحم القرابة والأدب فارجو أن تصل ما نبت بينى وبينك من رحم رحيمة وان تنائت البلدان وتفارقت الأبدان والسلام .

« كن مسلما بنفسك »

والثانى خطاب تاريخه ١٦ شوال سنة ١٣٢١ يقول فيه:
ولدنا الفاضل

وصل الى كتابك تشرق فيه آدابك فحمدت الله على ما وجدت فيه من دلائل علم وعمل واشتغال بما يزيد فى العلم أو بما ينفع المتعلم نصيحتى اليك أن تداوم السعى الى تحصيل ملكة عربية تكون بها من أهل اللسان علما وذوقا وأسلوبا وحسن عبادة فلا يصدر منك تأليف قول الا على حسب ما تعرفه من أذواق البلغاء وتستعذبه أنفس الفصحاء ولا ترد عليك جملة من كلامهم الا وسرها يسبق من لفظها الى سرك وروحها يمازج روحك عندما تلم بها بسمعك أو تلمحها بنظرك ثم عليك بعد ذلك بفهم الدين بالوقوف على أسراره والوصول الى دقائق حكمه حتى تكون مسلما بنفسك لا متكلا فى ايمانك على غيرك ولا مستعصما بغير كتاب الله وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم وما وافق ذلك من سير السلف وآراء الذين أصابوا فى الفهم ولم يحجبهم الوهم ولعلى أجد لك سبقا الى هذه الغاية ، قريبا ان شاء الله .

هنا سألت فضيلة استاذنا الشيخ الطاهر : لم قدم اللغة على الدين ؟.. فقال : لأنها المفتاح .

« روح طيب ونفس شاعرة »

اما هذا الخطاب الثالث فتاريخه ١٤ فبراير سنة ١٩٠٥ ، أى قبل أن ينتقل الشيخ عبده الى دار البقاء

بحوالى خمسة أشهر ، فقد توفى رحمة الله عليه فى شهر يوليه سنة ١٩٠٥ .

يقول الشيخ :

ولدنا الفاضل أيده الله بتوفيقه الى ما فيه الخير لنفسه وللناس الشيخ الطاهر ابن عاشور

السلام عليك وعلى روحك الطيب ونفسك الشاعرة الطاهرة .

وصلتنى تهنئتك للعام الماضى وكتبت اليك جوابها . أما تهنئة عيد الفطر فلم ترد الى الا قبل سفرى الى السودان بيوم فيما أظن فلم أستطع أن أحرر اليك بوصولها أما كتابك الأخير فقد وصل الى منذ أيام ونرجو أن يصل اليك كتابى هذا وان لا يقع فى يدى واهم لا يميز الضار من النافع وانى أشكر لك دأبك على المواصلة واعتناءك بالمراسلة ولعل تفسير جزء عم يتساءلون وصل اليك من يد السيد « عبد الجليل الزاروش » - من رجال النهضة فى تونس وممن اجتمع بالسيدجمال الدين .

ملحق : خبر السيد البشير صفر أن رسالته فى الجغرافيا عند العرب باللغة الفرنساوية وصلتنى أمس وانى اشكره ولا أزال أذكره .

امضاء

محمد عبده

واظن ان هذه الخطابات لم تنشر بعد .. وعلماء تونس يعنون جد العناية بحفظ آثار العظماء من رجال ومن نساء . فهذه الخطابات الثلاثة يحتفظ بها فضيلة أستاذنا الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور وكأنها بنت اليوم فى جدتها ووضوح خطها الجميل . فخط الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده من أجمل الخطوط التى رأتها عيناى ان لم يكن أجملها على الاطلاق .

وها هو ذا أيضا نص خطاب من خطابات عدة يحتفظ بها فضيلة الشيخ مصطفى محسن نقيب الاشراف والامام الأكبر لجامع الزيتونة مرسل من الأميرة نازلى الى جده السيد محمد محسن بتاريخ ١٠ ديسمبر سنة ١٩٠٥ .

عزيزى السيد الأستاذ سيدى محمد محسن الأفخم دام بقاه أمين «

بعد السلام والسؤال من عزيز خاطركم الفاخر ان شاء الله تكونوا حائزين لكمالات الصحة التامة ونحن له الحمد والشكر طيبين بخير وعافية . ثم أقدم لسيادتكم تشكراتى لتوالى تلغرافكم أطال به لنا بقاكم بالهناء والرفاهية مع تبليغ مزيد سلامى لحرم سيادتكم المصون .

عزيزى أرجو تقبيل الأيادى البيضاء لدولة صاحب الفخامة الوزير الأعظم - السيد محمد العزيز بوعتور - ومع تقبيل وجنات الحرم المصون مع تبليغ سلامى لحضرات الأنجال الكرام وسلامى أيضا للسيد الشيخ الطاهر ابن عاشور كثير السلام وبعد اقبلوا فائق احتراماتى عزيزى .

نازلى

واذا كانت خطابات الشيخ محمد عبده تلقى ضوءا على ما ينبغى أن تكون عليه حياتنا الدينية العلمية فان خطاب الأميرة نازلى هانم يلقى ضوءا على ما كانت عليه حياة تونس الاجتماعية فى ذلك الزمان السحيق .

وحدثنى الأستاذ الكبير السيد حسن حسنى عبد الوهاب قال : ألقى الشيخ محمد عبده محاضرة فى الجمعية الخلدونية لتعليم الشباب الزيتونى . وكان موضوعها « العلم والتعليم » ، وقال لى أيضا : انه فسر سورة الفاتحة فى تونس ، وكان السيد حسن حسنى عبدالوهاب من الحاضرين ، وحضرها الشيخ سالم بو حاجب والد السيد خليل الذى كان متزوجا من الاميرة نازلى وكانت قبلا متزوجة من آخر ، والشيخ الطاهر ابن عاشور والشيخ محمد النجار . والشيخ الخضر حسين .

ونص محاضرة « العلم والتعليم » يحتفظ بها عنده حتى الساعة السيد مصطفى محسن نقيب الأشراف .

والى هنا أرجىء ما فى جعبتى عن رحلتى الى تونس للكتاب الذى سأخرجه عنها قريبا ان شاء الله .

واعود الى موضوعى الأول « رجال ومواقف » ورجلنا فى العدد القادم ان شاء الله هو : الامام أبو الحسن الشاذلى .

والله ولى التوفيق .

على تنمية التعاون الثقافى والعلمى والتربوى بين الدول ، وكذلك تنمية التعاون الاقتصادى والاجتماعى ، ويلح فى أن يكون فض المنازعات بين الدول بالطرق السلمية حسبما ورد فى فى ميثاق الأمم المتحدة ، ويقترح ضرورة أعادة النظر فى جهاز الأمم المتحدة حتى يصبح متمشيا مع الأوضاع الدولية وملائما لتطورها .

يتضح لنا مما تقدم ان فكرة عدم الانحياز والسياسة التى تنطوى عليها والأوضاع العملية التى اتخذتها والأهداف النبيلة التى تسعى الى تحقيقها لخير شعوب العالم كلها تدل دلالة لاريب فيها على سلامة المبدأ ووجوب سيادته فى المجال الدولى ولهذا فاننا نجد الشعوب تتجه اليه وتؤمن به لان فى ذلك ايمانا بالسلام وسعيا الى تحقيق الرخاء

ان أى مبدأ يدعو للسلام والرخاء منتهجا فى سبيل ذلك أساليب مشروعة لاشك أنه مبدأ عادل سليم يكون موضع قبول ورضاء وتأييد المحبين للسلام وتلك هى سمات مبدأ الحياد الايجابى وعدم الانحياز الذى تسير على هديه الجمهورية العربية المتحدة

ايمان الاسلام

الأستاذ ابراهيم عوضين

قلنا فى حديث سابق بمجلة منبر الاسلام ان ايمان الاسلام يبدأ من القلب ، فهو النافذة التى يصل عنها الايمان الى العقل ليصبح عقيدة لا تلبث أن تتحول الى اسباب سلوكية ؛ وسبل حيوية تسير بالانسان الى روافد الأمن ، ومنابع الاطمئنان .

ثم تعرفنا الى بدء الايمان ، فرأيناه فى مرحلته الأولى وكيف يعمل الاسلام على ايصال ايمانه الى القلوب عن طريق النظر والفطرة .

وعلينا الآن ان نسعى الى التعرف على ذلك الايمان فى مرحلتيه الاخرين « العقل والسلوك » فيتم لنا بذلك التعرف الى ايمان الاسلام .

* * *

لا يكتفى الاسلام بالايمان فى مرحلته الأولى — مع تقديره لضرورة تلك المرحلة — لأنه فى تلك المرحلة لا يعدو نزوة قلبية ، وانفعالا نفسيا يخضع فيه المرء لقوانين العاطفة وتياراتها ... ومثل هذا لا يحقق هدف الاسلام من الايمان، فلا يمكن أن يقوم على العواطف أمن ، ولا أن يشاد اطمئنان

فالانسان الذى يستسلم لعواطفه وانفعالاته لا يعرف الاستقرار فى حياته ، فهو ان رضى بهذا الساعة قد يأباه بعد ساعة ، وهو ان انصرف الى ذلك العمل اليوم قد ينصرف عنه غدا ، وهو ان آمن بالله خالقه وخالق الحياة آنا ، قد يكفر به آنا آخر ... لأن عواطف الانسان متغيرة، وانفعالاته غير ثابتة ، فهى تؤدى دورها فى عملية الايمان ، ثم تسلمه الى العقل .. حيث الاستقرار النسبى .

ولعل هذا ما أراده الله — سبحانه — حين أمر المؤمنين بالايمان .

« يأيها الذين آمنوا آمنو بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى أنزل من قبل » .

« ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا . » (١٣٦ النساء)

فكيف يطلب الله — سبحانه — ممن آمن أن يؤمن اذا كان الايمانان متساويين ؟!

الايمان الأول — على ما أرى — يغاير الايمان الثانى الذى يأمرنا به الحكيم الخبير ..

فالذين انفتحت قلوبهم للايمان ، وتحركت عواطفهم به وله عليهم أن يأخذوا فى الأسباب التى تترقى بايمانهم وتصل به الى مرحلته الثانية ، لأن هذا الايمان الأول لا يكفى ، وليس هو كل ما يدعوه الاسلام ايمانا .. ولذا تلا الآية السابقة قوله تعالى :

« ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا . » ١٣٧ النساء) .

ليصور حال من وقف بالايمان عند حد خفض القلب ، وانفعال الحس ... فهو مضطرب لا يثبت على حال ... ايمان ثم كفر ، ثم ايمان ثم كفر ... ثم ... ثم ... لا يعرف الا الله مدى ذلك الطريق ، فقد يعود الى الايمان ثم يزداد ايمانا ، وقد يثبت على الكفر ... ثم يزداد كفرا ...

فالايمان الأول مرحلة بين الكفر والايمان ، يجب على الانسان ألا يثبت عندها ، لكى يبتعد عن التذبذب ، وينأى بنفسه عن أسباب النفاق وعوامل القلق والاضطراب .

ولذلك حرص الاسلام على ان يعرف المؤمن — وهو فى أول الطريق — بالمنافق ، ويذكر له خصاله ، ويوضح حاله، ويبين نهايته .

« ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا . بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما » .

« الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ايبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا .

« وقد نزل عليكم فى الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره .

« انكم اذا مثلهم .

« ان الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا .

« الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين .

« فالله يحكم بينكم يوم القيامة .

« ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا .

« ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى

الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا .
« مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء .
« ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا .
« يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا .
« ان المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا .
« الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا باللهواخلصوا دينهم لله فاولئك مع المؤمنين .
« وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما . » (١٣٧ - ١٤٦ النساء) .

فالايمان ليس عاطفة - فحسب - تجعل القلب مع المؤمنين والانتظام مع غير المؤمنين .

انه بيعة وعهد يلتزمه الانسان ، ويلزمه أن يكون مع المؤمنين فى شتى حالاته ، وفى مختلف أحوالهم ، يؤذيه ما يؤذيهم ، ويشينه ما يشينهم ، ويفرحه ما يفرحهم ، ويعزه ما يعزهم .

* * *

المرحلة الثانية

والاسلام فى سبيله الى ازدياد الايمان وترقيه والانتقال به الى الاعتقاد يعمد الى آلة الاعتقاد فيمسح عنها ماشابها ليصلها نور الايمان صافيا وضاحا ، فالعقل لا تكفيه اهتزازة ، ولا ترضيه ومضة .. انما هى الحقائق الفصيحة ، والأفكار المرتبة التى تأخذ بيده مقدماتها فتوقفه على نتائجها ، فيزداد ايمانه ايمانا .

ولذلك نرى الاسلام ...

أ) يلفت العقل الى مظاهر الطبيعة ، فاتحا أمامه مجال البحث والتفكير فيها .

« وهو الذى أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون .
« وهو الذى ذرأكم فى الأرض واليه تحشرون .
«وهو الذىيحيى ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون » (٧٨ - ٨٠ المؤمنون)
« ان فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون . » (١٦٤ البقرة)
« الله الذى رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى .
« يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون .
« وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسى وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار .
« ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون .
« وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل .
« ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون . » (٢ - ٤ الرعد)

ب) ويلفته الى ماضى الانسان فوق الأرض ، ليناقش أحداث التاريخ ، وسلوك السابقين ، وأفكارهم ، لا ليحكم لهم أو عليهم فحسب ، بل ليخرج من ذلك بطريق أمثل يترسمه فى خطوه ومسيره .

« لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون .
« وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين . » (١٠ - ١١ الأنبياء) .
« وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين .
« وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا .
« وما كنا مهلكى القرى الا وأهلها ظالمون .
« وما أوتيتم من شىء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون . » (٥٨ - ٦٠ القصص)
« وان لوطا لمن المرسلين .
« اذ نجيناه وأهله أجمعين .
« الا عجوزا فى الغابرين .
« ثم دمرنا الآخرين .
« وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل .
« أفلا تعقلون . » (١٣٣ - ١٣٨ الصافات)

ح) ويلفته الى ما بين يديه من تشريع ممثلا فى كتاب الله ، ليس ليقارن بينه وبينكتب غير الله ، ولكن لينتخب الأحسن سبيلا يصل به أمنه ، ويديم استقراره .

« انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون .» (٢ يوسف)
« ... كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون . » (٢٨ الروم)

« أتامرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون . » (٤٤ البقرة)

د) وليس الأمر وقفا على جهد المسلم - فحسب - فى سعيه الى تحقيق الايمان الأرقى ، ولكن عون الله يدفعه ليصل الى تلك الغاية ما دام قد أخذ فى أسبابها ، فينزل الله فى قلبه سكينة ، ويشيع فى نفسه أمنا وطمأنينة لتتبدل الحياة من حوله ، فلا يرى فيما يحيطه الا داعى أمن ، ولا يحس فيما يقع عليه نظره الا سبيل استقرار .

« هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ... » (٤ الفتح)
« وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون .. » (٣١ المدثر)

* * *

المرحلة الثالثة :

ولو أن الاسلام وقف بالانسان عند ذلك الحد منالايمان لوضحت سذاجته ، ولتأكدت تفاهته - شأن آراء الفلاسفة السابقين واللاحقين - ولكن الاسلام - وهو نظام حياة ، ودين خلود ، ودستور دأب - لا يقف بالايمان عند حد الاعتقاد السلبى ، لنفس السبب الذى جعله لم يقف بالايمان عند حد الانعطاف القلبى .

فكما أن الانعطاف القلبى يتهدده الزيغ ، فكذلكالاعتقاد العقلى يتهدده الجمود والانحراف .

وكلا الحالين لا يقبله الاسلام ، ولا يقر الوقوف عند حدوده .

ولئن كان التخلص من الحالة الأولى بالترقى والوصول الى الاعتقاد ، فان التخلص من الحالة الثانية لن يكون الا بالتخلق والامتثال .

١ - فمن آمن بقلبه واستقر الايمان فى عقله ... لم يعد هناك ما يؤثر فيه - فيما عدا الهه - فيزلزل نفسه أو يخفيها ، لأنه عرف أصول الحقيقة ، وتعمق فهمها ... لأنه آمن بالله قوة فوق كل القوى ، ومدبرا لكل نظام ، ومحكما لكل أمر .

آمن بذلك - كذلك - بعد تعقل وتدبر .

اذن ... فلتأت الجيوش ، ولتتجمع الخصوم ، فلن يغير ذلك مما شاع فى نفس المؤمن من أمن ، ولن يتسرب اليه شعاع من خوف .

« يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع اجر المؤمنين .

« الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح .

« للذين أحسنوا منهم واتقوا اجر عظيم .

« الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل» (١٧١ - ١٧٣ آل عمران)

والاسلام يسلك دائما مع الانسان سبيل الصراحة الجلية .

وهو بذلك يغرس فى نفسه بذرة الايمان نقية من الشوائب ، ليأمن عليه الانخلاع عند كل طارىء ..

فليس من مناهج الاسلام - فى كسب المؤمن - أن يخدع الانسان بحياة هانئة رغيدة فى ظله ، بينما ينتظر المؤمن ما ينتظره من بلايا وخطوب .

ولو فعل الانسان ذلك ما تحقق له وجود ...

ولكنه بالصراحة والوضوح شاد فى نفس المؤمن تلك الصخرة التى تتحطم عليها كل محاولات الخصوم ، وتتبدد أمامها كل تكتلاتهم .

« أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون.

« ولقد فتنا الذين من قبلهم .

فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين . » (٢ - ٣ العنكبوت) .

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : **« ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة فى نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة . »** أخرجه الترمذى .

وعن أبى عبدالله بن كعب عن أبيه عن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : **« مثل المؤمن كالخامة من الزرع تفيئها الريح مرة ، وتعدلها مرة ، ومثل المنافق كالأرزة لا تزال حتى يكون انجفافها مرة واحدة . »** أخرجه مسلم

فلا يتوقعن الانسان أنه بالايمان سيتخلص - فى دنياه - من الآلام والمحن من ضروريات الحياة الدنيا ، انما هو - بالايمان - سيتخلص من الجزع والفزع والضعف أمام الآلام والمحن ...

وهذا أكبر كسب يتحقق للانسان ، لأنه اعداد لنفسه فى مواجهة المصائب على تحملها ، واعداد لروحه فى مواجهة الشدائد على تقبلها .

وليس هذا - كما وهم البعض - تخدير يقضى على استعداد المقاومة فى الانسان .

بل هو على العكس من ذلك الوهم يقضى على التخدير الذى يصيب الانسان من جراء الثورة العاطفية ، والهزة الانفعالية ، اثر الغضب أو الخوف أو الألم .. مثلا .

مثل هذا المؤمن - لأنه لا يخاف الكوارث - لا يدفعه الخوف الى توقع الكوارث ، والاشتغال بها عن مطالب حياته ... مما يصيب نشاطه الحيوى بالشلل العام .

ومثل هذا المؤمن - لأنه يؤمن بحتمية الكوارث فى الحياة الدنيا - لن يفاجأ بكارثة أيا كانت آثارها ، ولن تؤثر فيه البلايا أيا كانت قوتها ... وفى ذلك ينطوى سر النصر والتقدم الذى أحرزه الرعيل الأول من المسلمين ، والذى ما زال مثار دهشة أهل أوربا وغيرهم ممن لا يعرفون طبيعة ايمان الاسلام ، ولا يعرفون أثره فى نفوس معتنقيه .

« ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا : هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله .

« وما زادهم الا ايمانا وتسليما . » (٢٢ الاحزاب) .

٢ - ومن آمن بقلبه واستقر الايمان فى عقله .. تفتح فكره ، فوعى الكون على اجماله ، وعرف الوجود على اتساعه ، وفهم الحياة على بعدها .. فيما مضى ، وفيما سيجىء .

ومن ثم فهذا المؤمن يتوقع أن يكتشف الانسان فى الكون كل عجيب ، وينتظر أن يتعرف الانسان من الوجود على ما لم يسبق له التعرف عليه ، ويأمل فى الحياة أغرب ما أتت به الحياة ، وأمتعه ... لأنه يؤمن أن الله الذى يؤمن به قادر على كل شىء ، ومحيط بكل شىء . فليس هو بالذى تذهله المكتشفات - أيا كانت - عن ايمانه ، وليس هو بالذى تخدعه قدرة الانسان - أيا كانت - عن قدرة الله

« انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون . » (٢ الأنفال)

« واذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه ايمانا ؟

« فأما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون . » (١٢٤ التوبة)

ولقد بدا ذلك الايمان فى كلمات فاه بها الصديق أبو بكر - رضى الله عنه - حين سعى اليه نفر من مشركى مكة - وكلهم أمل فى أن يفتنوه عن دينه - يقولون له : - هل لك الى صاحبك ؟.. يزعم أنه أسرى به الليلة الى بيت المقدس !.. قال : - أو قد قال ذلك ؟؟ قالوا : - نعم قال: لئن قال ذلك لقد صدق ..! قالوا : - تصدقه أنه ذهب الليلة الى بيت المقدس وعاد قبل أن يصبح ؟! قال : نعم .. انى لاصدقه فيما هو أبعد من ذلك من خبر السماء فى غدوة أو روحة » .

وأقول : كيف يذهل المؤمن مكتشف من المكتشفات بالغا ما بلغ فى قوته - يظهر مع الزمن .. والله - سبحانه - قد وضع أمام فكره وبصره آيات الكون ، وآثاره من الوسائل ما يستطيع به أن يجول فى أنحائها ، وطلب منه ألا يقف مكتوف اليدين ، جامد العقل ، زائغ البصر أمام عجائب الكون ومدهشاته ..؟!

سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق .

« أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد . » (٥٣ فصلت)

ولم يقف - سبحانه - عند ذلك ، فقد اخذ بايدينا ووضعها على نماذج مما يشتمله الانسان نفسه ، ومايشتمله ما يحيط بالانسان من السماء والأرض .

« ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم .

« ان فى ذلك لآيات للعالمين » . (٢٢ الروم)

كما أرانا - سبحانه - من المفارقات ما يدهش العقل - ان هو وقف عند حد العقل والمعقول البشريين - خرق السنة التى ابتدعها فى ايجاد الكائنات من بين ذكر وأنثى ... وخلق انسانا من أنثى بلا ذكر ... لذلك الهدف نفسه .

« وجعلنا ابن مريم وأمه آية ... » (٥٠ المؤمنون)

ولما طار لب من شاهدوا تلك الآية واختل صوابهم ، لفتهم - سبحانه - الى أن ذلك ليس بغريب ممن أوجد الانسان الأول من غير أنثى ومن غير ذكر .

« ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم .

« خلقه من تراب ثم قال له : كن فيكون .

« الحق من ربك فلا تكن من الممترين . » (٥٩ - ٦٠ آل عمران)

فتعود الانسان على نظام - لو لم يسلك سلوك مؤمن الاسلام - يجعله لا يعقل غير ذلك النظام الذى اعتاد عليه.

ومن لم فكل ما لا يوافق عقله ذلك باطل ، لانه يجافى ما حدد بعقله للعالم من قوانين .

* * *

٣ ـ ومن آمن بقلبه واستقر الايمان فى عقله ... يعرف نفسه ، ويقدر وجوده حق قدره ، فيسير فى حياته واعى التصرف لا تفتنه زينة ، ولايسيطر عليه زخرف .. أحكامه تصدر عن بصر ويقين .

أ) فليس هو بالذى تسند له متعـة من متع الحياة ـ أيا كان مظهرها ـ لانه يعلم أن كل متـع المادة زائل بتناولها ... فاذا استلزم تناول تلك المتع اذلال نفسـه ، فلا حاجة به الى متعة زائلة ، تزول معها عزته ، وتهتز لأجلها مقوماته وقيمه .

« ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنـافقين لا يعلمون . » (٨ المنافقون) .

وعن حذيفة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لا ينبغى للمؤمن أن يذل نفسه . » قالوا : وكيف يذل نفسه .؟ قال : « يتعرض للبلاء لما لا يطيق . » أخرجه ابن ماجه .

فالمؤمن عزيز بعزة الايمان ـ فى دينه وفى خلقـه وفى معاملاته ـ لا يتعرض للبلاء والنكبات من أجل عرض يزول.

ب) وليس هو بالذى تخدعه قوة المادة ـ أيا كان مداها ـ فهو يستخدمها ولا تستخدمه ، ويتحكم فيها ولا يتركها تتحكم فيه ..

يطلب القوة فى شتى صورها مع علمه بمراتبها .

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير . احرص على ما ينفعك واستعن بالله ، ولا تعجز ، وان أصابك شىء فلا تقل : لو أنى فعلت كان كذا وكذا ، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ، فان لو تفتح عمل الشيطان . » أخرجه مسلم

والمؤمن مع علمه بمكانة القوة وافضليتها ـ يعلم مطلبها ومبتغاها ...

يعلم انها ـ اولا ـ فى الاجتماع على الايمان ، والالتقاء على قوانينه ، والاعتصام بحبل الله .

« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفـرقوا ... » (١٠٣ آل عمران) .

وعن أبى موسى رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « المؤمن للمؤمن كالبنيـان يشد بعضه بعضا . » أخرجه مسلم والبخارى

فالمؤمن لا يطلب القوة فى غير المؤمن ، ولا يرجو العزة من غير الله ، لانه يعلم ان من يعتز بغير الله ، وان من يتقوى بغير المؤمن ان هو الا معتز بغير عزيز ، وان هو الا متقو بغير قوى ... وان هو الا منافق ، يبطن فى نفسه غير ما يظهر .

« بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما .

« الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين .

« ايبتغون عندهم العزة فان العـزة لله جميعا . » (١٣٨ ـ ١٣٩ النساء)

« لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم ... » (المجادلة) .

* * *

٤ ـ ومن آمن بقلبه واستقر الايمان فى عقله ... يتخلق بخلق متلائم مع طبيعة ايمانه ، ويتأدب بآداب تنبع من ذلك الايمان ، ويترسم فى سلوكه فكرة المؤمن ... فهو متزن فى حياته ، لا يحس تناقضات تقض مضجعه ، ولايلمح مفارقات تشد أعصابه ، لأن قلبه ـ بانفعالاته ـ متفاهم مع عقله ـ بتعمقـاته ـ وكلاهما متوازن مع سلوكه ـ بمقدماته وقيمه ـ من كل ما يوفر له الامن فى عاطفته ، والامن فى تفكيره ، والامن فى سلوكه .

أ) فهو فى مجال العبادة .. يعبد الله ، لأن حرصه على الايمان يوجب عليه العبادة ، وليس لأن الله يحتاج الى تلك العبادة ويريدها منه ، فما لله حاجة فى أن يصلى له انسان ، أو أن يجوع له أو يتصدق أو يحج .

انما هى وقاية . يصون بها المؤمن ايمانه من هـزات الحياة ، ويحفظ بها اطمئنانه من خدع المادة ، ويحـوط بها سلامه من تأثر النوازع والغرائز ...

فالصلاة ... عون للمؤمن على انحرافات نفسـه ونزواتها .

« يأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين . » (١٥٣ البقرة)

« ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر .

« ولذكر الله أكبر .

« والله يعلم ما تصنعون . » (٤٥ العنكبوت)

والصيام .. عون للمؤمن على تقوى الله ، يصون به المؤمن ايمانه من استمراء المادة ، والانفلات مع زخارفها استجابة لشهوات الجسم ودوافعه .

« يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . » (١٨٣ البقرة)

فالصوم عون على ابقاء التوازن فى المؤمن ، بالسيطرة على انفعالاته .. لانه كأى انسان يتعرض لثورة العواطف.

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : اذا كان يوم صوم أحدكم فلايرفث يومئذ ، ولا يصخب ، فان شاتمه أحد فليقل : انى امرؤ صائم .. » متفق عليه .

اما أن يكون صوم من غير هدف ، فهذا دليل ضعف الايمان ، لأن الله ليس فى حاجة الى طعامه فيحرمه منه .

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه »

والزكاة ... عون للمؤمن فى التخلص من سيطرة المادة وتقديمها على حب المؤمن أخاه المؤمن ، اذ من المؤمن مع المؤمن يتكون بناء صلب متين ... والمادة لخدمة هذا البناء .. أما اذا وقع الانسان فى اسار المادة انحرف سلوكه نحوها واضطربت نظرته اليها ، وقضى على نفسه بأن يخدمها ويضحى من أجلها بنفسه وبأخيه معا .

عن النعمان بن بشير ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى . » أخرجه مسلم والبخارى

ومن ثم فعلى المؤمن ـ فى ماله ـ حق لأخيه المؤمن ، لابد من أن يؤديه اليه ، محافظة على توازن الجمـاعة وأمنها .

« قد أفلح المؤمنون . الذين هم فى صلاتهم خاشعون.
والذين هم عن اللغو معرضون .

« والذين هم للزكاة فاعلون . » (١ ـ ٤ المؤمنون)

والحج .. عون للمؤمن فى التحكم فى رغباته ، والسيطرة على مشاعره واحساساته ، تحقيقا للتوازن فى داخـل الفرد ، وتأكيدا للتوازن فى داخل المجتمع . يتحقق ذلك بما يشتمله الحج من تجرد مادى يبـدو فى التجرد من الملابس ، والتزيى بزى يتساوى فيه الغنى والفقير ... وبما يشتمله الحج من تجرد معنوى يبدو فى التخلص من الانساب ، والتجرد من الالقاب والتفاضل .

« ثم افيضوا من حيث افاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم . » (١٩٩ البقرة) .

ب) وهو فى مجال الحياة العامة ... يحافظ على توازنه بكل وسيلة ... توازنه مع الايمان الذى يلزمه نمطا معينا من السجايا والطباع يجعله حسن العشرة .

« عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا . »

ولذلك فهو يقيس الامور بمقياس الايمان ، ويرجع كل تصرف له الى ما يرضى الله ، فهو ان أحب أحب لله ، وان كره كره لله ، وان فعل فعل لله ، وان سكن سكن لله .

عن أبى أمامة – رضى الله عنه – عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : « من أحب لله ، وابغض لله واعطى لله ووضع لله فقد استكمل الايمان . »

هو يقف من الخطيئة موقف الخصم العنيد ، لأن مجرد الانحراف اليها سلب لايمانه ، وفقد – بالتالى – لتوازنه، وانهيار لبنائه ... فهو ان اقترب منها فى لحظة ضعفعاد الى نفسه يلم شعثها فى سرعة قبــــل أن يتم تشتتها وضياعها .

ولان الخطيئة تتزيا بأزياء مختلفة كان موقفه منها فى أدق صورها هو نفس موقفه منها فى أجل أشكالها ...

فهو صموت ان لم يستطع ان يقول الخير ، لانه مسئول من كل ما يلفظ ... لا شك لديه فى تلك المسئولية .

« ... فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا » (٩ النساء)

« ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد . » (١٨ ق)

وهو اذا سمع يحاول ألا يسمع شيئا يختل معه توازنه، واذا أبصر تحرى فى مبصراته ما يقرر التوازن بين قلبه وعقله وقيمه ، واذا فكر فانما يفكر فى حدود ذلك التوازن، حتى لايكون شيء ممايسمع أو يبصر أو يفكر فيه غريبا على مقرراته .

« ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا . » (٣٦ الاسراء)

وهو – الى موقفه ذاك من الصغائر – لا يقدم على كبيرة : لانها تقلب حياته ، وتخلط نظامه ، وتحل عروقه ، وتخل مقوماته وقيمه ، سواء فى ذلك بناؤه الفردى وبناؤه الجماعى ... فهو لا يزنى ، ولا يسرق ، ولا يشرب الخمر .. ولا .. ولا .. الخ .

وعن أبى هريرة – رضى الله عنه – أن رســـول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن . »

فسلوك المؤمن فى شتى دروب الحياة سلوك متوازن مع فكره وعواطفه ، اذ هو وحدة لا تعدد فيها ولا تجزء ، ولو حاولنا تتبعه فى كل جوانب الحيـــاة لما وجدناه الا تلك الوحـــدة ، فما أمامه غير الله – المثـل الأعلى – يتقبل أوامره ، ويتقبل نواهيه .. رجاء أن يموت مسلما

« يايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون . » (١٠٢ آل عمران)

* * *

٥ – ومن آمن بقلبه ، واستقر الايمان فى عقله .. ليس هو الانسان المدلل الذى يجلس فى عقر داره لتنزل عليه من السماء مائدة ، أو لتمطره السماء فضة وذهبا ، وليس هو الانسان المغالى الذى يلزم المسجد لايكاد يغادره ، ويواصل الصوم لا يكاد يقطعه ، ويهمل السعى فى الحياة لا يكاد يباشره .

ليس هو الذى يفعل شيئا من ذلك باسم العبــــادة والايمان .. بل هو لا يفعل شيئا من ذلك باسم العبادة والايمان .

ليس دينتن من هذا الايمان أن يبالغ أدنى مبالغة ، لانه حصل بايمانه – ذلك توازن نفسه وجسمه .. ومن توصل الى التوازن اتسم سلوكه بالتوازن وابتعد كل البعد عن المغالاة .. ولو كانت تلك المغالاة فى صنع الخير ، وأداء العبادات ، فليس هذا المؤمن بالذى يزهـــد فى الدنيا لدرجة الحرمان ، ولا بالذى ينهمك فى تناولها لدرجة الانكباب .

« يايها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون . » (١٧٢ البقرة)

« يايها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ماأحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين . » (٨٧ المائدة)

« قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علموحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضـــلوا وما كانوا مهتدين . » (١٤٠ الانعام)

وليس هو الانسان الدعى الذى يستغل ايمانه فيكذب على الله مدعيا ما لم يكن ولن يكون – بانه ابن الله – كما فعل اليهود والنصارى – لأنه يفترق عن اليهود والنصارى بالايمان الكامل الذى يشبع فى نفسه التوازن والاعتدال، ويجنبه عقدة الكذب ، ومرض الافتراء .

« وقالت اليهود والنصارى : نحن أبناء الله وأحباؤه. » (١٨ المائدة)

فهو قوى بايمانه ... وقوته تلك تغنيه عن كل ذلك وغير ذلك .

يرى على هدى ايمانه أن العمل هو ميزان الانسـان ومقياسه .. أما النسب – من غير عمل – فلا مكان له فى الواقع حتى ولو كان انتسابا الى الله ، لأن حبل الله لا يتصل به الا العاملون .

« ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (٦٢ البقرة)

« من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون .» (٩٧ النحل)

وليس هو الانسان محدود النظر ، كسول الحركة ، الذى يكتفى من الجهد بما يغنى من الحـــاجة فقط ، ولا الذى يقف بالارتزاق عندما يرد الرمق فحسب .

انما مؤمن الاسلام طموح نشيط ، لا يكل ولا يمل ، فهو دائب الحركة ، دائم العمل ، يسعى بكل جهده ، ليحقق وعد الله .

« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصـــالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم .. » (٥٥ النور)

ووعد الله – كما أشار الله فى الآية – لا يتحقق من نفسه لمجرد الايمان ، بل لابد مع الايمان من العمل الصالح.

* * *

ومن ثم فايمان الاسلام قوام السعادة المنشودة .

لأنه يجعل من الفرد خفق حياة ، وروح حضارة ، وبناء نهضة ، وأساس مدنية وتقدم .

انى سرى سرت الحياة الانسانية النبيلة .. بمعناها الدقيق الجليل .

والحياة الانسانية النبيلة تتبع مؤمن الاسلام ، لأنها من صنعه .

والترقى الانسانى الأصيل يلازم مؤمن الاسلام ، لأنه أثر من آثاره هو .. اذ الترقى الانســـانى يمتاز بالتوازن ، وتوازنه مكتسب من توازن مؤمن الاسلام .

« ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين . » (٥ المائدة) .

« فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتـــدوا ... » (١٣٧ البقرة)

صوت من ليبيا

وطن واحد

الأستاذ
محمد أمين هلال

— ٣ —

كانت ليبيا الى أقل من سنتين مضتا ثلاث ولايات فى اتحاد « فيدرالى » ، هى برقة وعاصـــمتها بنى غازى ، وطرابلس وعاصمتها طرابلس ، وفزان وعاصمتها سبها . ثم تكونت جميعها فى ادارة واحدة عاصمتها « البيضاء » فى « برقة » ويعزون هذا التقسيم الى بعد المسافات بآلاف الأميال وتعذر المواصلات ، فكان من المشقة الرجوع الى ادارة مركزية واحدة . ومن ثم كانت هذه الولايات الثلاث فى مجالسها التنفيذية والادارية فى شبه استقلال بعضها عن بعض ، ولم يكن يرجع الى الرياسة العليا الا فى بعض المسائل الكبيرة الخاصة بالجيش والتشريع وما اليهما . ولما تعبدت الطرق وســـهلت المواصلات ، وازداد الوعى القومى أعلن من وقت قريب الغاء هذا النظام القديم وتجمع كل تلك الأقاليم تحت ادارة واحـــدة فى مجلس تشريعى واحد مقره مدينة « البيضاء » .

وفى الحق كانت خطوة مبـــاركة وحدت هذه الأقاليم المجاهدة وقضت على ما كان يشبه نظام الاقطاع ويورث الكثير من اسباب التفاخر أو النزاع ، وتحطمت النعرات الاقليمية والمفاخرات القبلية ، وسارت الجماهير فى ركب الحياة الجديدة محدودة الهدف ، موحدة الأمل فى أن ترى « ليبيا العزيزة » الموحدة تسير بجانب شقيقاتها تســهم بنصيبها وتوفر الخصب والنماء والازدهار لشاسع أرضها واهليها .

وقراء المنبر فى غنى عن التحدث عن جغرافياتها ومساحة أرضها وحدودها وحاصلاتها وسكانها وتجارتها . فهـــذا محله كتب الجغرافيا والتاريخ ، ولا نمسه الا عن بعد اذا احتجنا الى السير فى ضوئه للوصول الى ما يهم القـــراء ويجدر بصفحات « منبرنا » من كل جديد مفيد .

وتكلمنا فى العدد الماضى عن معالم الحضارة القديمة فى « ليبيا » بنوع عام . وعلى موعد مع القراء أن نذكر بعض المعالم الاسلامية والعادات الاجتماعية .

ولكى نستطيع حصر هذه المعالم فى نطاقهـ ويستطيع القارىء معنا أن يتتبع هذه الآثار والعادات فى تلك الديار. فلنبدأ بأقرب هـــــذه الأقاليم الى بلادنا لعلنا نجد فيها ضالتنا .

وفى الحق أن برقة وعاصمها « بنى غازى » ، بل كل النواحى الليبية قل ان نعثر فيها على أثر اسلامى يمتد فى أعماق الماضى ، كما هو الحال فى « القاهرة » مثلا من آثار اسلامية يرجع عهدها الى فجر الاسلام كالفسطاط وجامع عمرو ، أوضحاه كجامع ابن طولون والأزهر ، أو ظهـــره كآثار الايوبيين أو عصره كآثارالمماليك والاتراك العثمانيين وانما تلك المعالم الاسلامية التى توجد فى بعض المــــدن الليبية قد لا يتجاوز عمرها ثلاث قرون .

وعلى أن نعثـــر على ما غاب عنا من هـــــذه الآثار نكتفى بأن نذكر من هذه المعالم الاسلامية فى الجغبوب وبنى غازى والبيضاء وكلها فى اقليم برقة المتاخم لحدود مصرنا الكريمة .

ولا بد من أن نذكر عن هذا الاقليم أنه قد تحمـــــل أضعاف ما تحمله سواه فى الحروب التى شـــنها الاستعمار فكثيرا ما شهد جوه أزيز الطائرات لا ينفـــك يصرخ فى أعماق النفوس والقنابل تنهار على المبانى فتدكها ، والأرض مسرح للكر والفر ، وناهيك بأن أرضــــه تخضبت بدماء المجاهدين من أمثال « عمر المختار » ثم تبدلت الحال الآن

واخذت تبدو فى ملامح المسودة يجرى تحميضها وطبعها صورة جديدة لوجه جديد : فالجرافات الضخمة تعمل بلا انقطاع ، والفؤوس الصلدة تشق الأرض الطيبة ، والسواعد الفتية تعمل وتعمل . وتجد فى مدن برقة وخاصة « البيضاء وبنى غازى » صورة واضحة للتعمير والتجميل والتوسيع والاصلاح .

وبنى غازى تتخذ لها الآن وجها جديدا ، وجها فيه ابتسامة الظفر واشراقة الفلاح ولمعان الطموح والأمل . وفى هذا بدء مرحلة تاريخية جديدة بل فيه تسجيل رقم جديد فى تاريخ المدينة الطويل .

وبنى غازى تقع على شبه جزيرة يحيط بها البحر الأبيض من جهة وملاحة السلمانى من جهة أخرى . تأسست عام ٤٤٦ ق.م باسم « يوسيريدس » . ثم تكون منها ومن « قورينا » و « أبو لينا » وبرقة و « توكرة » ما عرف فى التاريخ باسم المدن الخمس . وفى عام ٣٤٧ق.م اطلق على المدينة اسم « برنيق » وكان يحكمها البطالمة آنذاك ، وهذا الاسم نسبة الى أميرة بطلمية . غدت ملكة واشتهرت بالشجاعة والجمال . وبقيت هذه التسمية طوال العهدين الرومانى والبيزنطى .

وجاء الفتح الاسلامى ووجدها مدينة صغيرة ثم تحولت الى مركز حربى وتجارى . أما اسمها المعروف حاليا « بنى غازى » فيعود الى رجل صالح عرف بسيدى غازى واستوطن فيها عام ١٤٥٠ م وفى ذلك الوقت اخذ يقطن المدينة أناس نزحوا من «مصراته» وساحل طرابلس. وفى عام ١٥٧٨م استولى الاتراك على مدينة بنى غازى ثم حكمها القرمانيون سنة ١٧١١ وعادت الاتراك سنة ١٨٣٥م وفى سنة ١٩١١ احتلها الطليان ومكثوا فيها الى سنة ١٩٤٢م . وفى سنة ١٩٤٩ أصبحت عاصمة لحكومة برقة ، وبعد استقلال ليبيا أخذت مدنها تعمل على التوسع والتقدم واتسعت حركة الأعمال وأخذ سير التقدم يسارع الخطا . وبالطبع أخذ عدد السكان يتضاعف بعد أن ذهبت الحرب بنحو النصف منه . وبدت بنى غازى فى حلة قشيبة من العمران والازدهار . وبلغ سكانها نحو المائة والنصف من الالاف ، وتزاحمت الشركات على استغلال موقعها فى انشاء المصانع والمتاجر والوكالات .

وتمتاز هذه المدينة بجمال طبيعى نادر ، يؤهلها للتطور الذى يحدث فيها هذه الأيام : فشطآنها جميلة وطويلة تحاذى البحر وتحيط بالبحيرة . وفيها أماكن كثيرة يمكن أن تستغل للاصطياف . ومن أبرز مصايفها مصيف « جليانه » البلدى ، يتألف من مبنى كبير يضم ٨٠ كبينة ومقصفا كبيرا من طابقين . وأمام المبنى تمتد الرمال البيضاء متدرجة نحو البحر ، وهناك يحتشد مئات المصطافين لينعموا بالشمس الدافئة وماء البحر الممتع . والشاطىء يمتد من مصيف « جليانه » مسافة تزيد عن عشرين ك.م ، وكلها صالحة للاصطياف .

وليس فيها من المعالم الاسلامية القديمة أثر يذكر .

ولعل الحروب المتلاحقة المدمرة عفت على هذه الآثار . وفيها من المساجد ومجالس الوعظ ومعاهد التعليم بانواعه ما يكاد يقرب من بعض المدن المتوسطة فى صعيد مصر .

وفى هذه المدينة وفى طرابلس أخذت المدنية الغربية تشق طريقها بعنف وتغزو العادات والتقاليد واخذ قادة الرأى هنا وهناك ينصحون بأخذ الصالح منها ونبذ مايجافى الدين والتقاليد الموروثة ـ شأنهم فى هذا شأن اخوانهم المشفقين فى الأقطار الشقيقة .

ولقد طوفت فى غير هاتين المدينتين : فى « درنة » و « طبرق » و « البيضاء » و « مصراته » و « زلطن » وسواها فما يكاد يقع بصرى على امراة تذرع الطريق . ثم تغيب الشمس فيخلو الشارع من المارة ويأوى الرجال الى بيوتهم حاملين مؤونتها . فلا يعهد الشارع بعد الغروب من يؤنس وحشته ، ولا يجد رجل الشرطة الواقف فيه من يرد تحيته ! ولم أعجب طويلا من هذا الأمر غير المألوف عندنا ، فان هذه البلاد العربية وقد عانت الكثير من الاستعمار وشاهدت ماقدمه من مدنية براقة لا تتفق والتقاليد والدين أصبحت الآن بعد استقلالها تخشى كل الخشية هذه الأمواج الدافقة التى اندفعت الى الشرق من جانب الغرب ، تحمل حضارة جديدة فى كل شأن من شئون الحياة ومرافقها الاجتماعية وأمسى المواطنون حاذرين من التهافت على البريق الخلاب حتى لا يطفى من ورائه دفق الموج على مقومات الأمة ، ويصبح الوطنى العربى المسلم طوعا لهذا الطغيان غريبا فى كيانه ووجدانه اذ تفتنه مدنية الغرب بآلائها وتجذبه نحوها فلا يبقى له من وجوده المعروف أثر ، وكان الليل مرتعا لهذا الفجور الغربى لذلك هجروا مسارحه الى بيوتهم ، وخيرا صنعوا .

والمواطن الليبى مرهف الحساسية شديد الاعتزاز بالقومية العربية يدرك تماما أن الاستعمار الذى سيطر على مقدرات أمتنا العربية بعد مئات السنين من عصور الجهل والانحطاط والشلل العام فتت وطننا الواحد وجزاه وخلق كيانات اقليمية ، وعزل مشاعرنا وتطلعاتنا الفكرية فى كل كيان اقليمى عن مشاعرنا الأصيلة . ثم ربط ثقافتنا وتفكيرنا ومشاغلنا بعواصم غير بغداد والقاهرة ودمشق .. ولا محيص لكل عربى أن يثور على ذاته فيحطم كل ما تركه المستعمر الاجنبى فى نفسه من قيود مصطنعة وان يتفوق على ذاته تفوقا انقلابيا بطوليا ، حتى يعود الى طبيعته الأصلية وعروبته الصافية ، فيصبح بأعماقه وتفكيره متطلعا الى عواصم بلاده العربية أكثر من تطلعه الى عواصم الغرب وخيلائه وزائف مدنياته .

هذا الحنين والأمل جعل الليبى وغير الليبى يرى أنه قد دعم كل التدعيم وغذى أطيب الغذاء بهذا المؤتمر القمى فى القاهرة وما سبقه وما سيتلوه من مؤتمرات ، ففيها من وسائل التقارب والتعارف والاتصال والايجابية ما يؤذن بنور الفجر بعد ليل طال سواده ويبشر بالشفاء بعد طول السقام .

ونطالع صحف ليبيا : طرابلس الرائد ، برقة ، العمل ، فزان ، الميدان ، الحرية ، وغيرها فنجدها جميعها تتحدث عن العروبة ونهضتها ، وفلسطين وكربتها ، وتترجم بحرارة عما يجيش فى صدور الأمة من وجوب الوحدة فى الصف والهدف وان هذه الامة العريقة وقد دخلت مرحلة المواجهة الحقيقية للخطر الصهيونى فى فلسطين ، قد أصبحت فى حاجة ملحة الى فكر جديد أكثر خصوبة وتعمقا عن ذلك الذى كنا نقدمه وما زلنا نقدمه ، وان هذا الشعب العربى الذى يسير بخطا واسعة ثابتة قوية نحو تدعيم وحدته وتقدمه ، ليس فى حاجة الى شحنات عشوائية من الانفعال العاطفى بقدر ما هو فى حاجة الى مزيد من العمل المثمر الخلاق .

والايمان المطلق والتنظيم القائم على العمل الدقيق . وكذلك انعقاد المؤتمر الوطنى الفلسطينى . كل هذه التنظيمات القويمة تحتم على كل من يستطيع أن يسهم فيها بقلمه أن يبدأ فورا لمعالجة قضايانا القومية بصورة موضوعية حتى تستطيع جماهير شعبنا أن تشارك فى خطة عمل موحدة فى سبيل وحدتها المنشودة واستعادة ارضها السليبة .

واذا كانت برقة التى تكلمنا عن عاصمتها لم نعثر فيها عن معالم اسلامية قديمة فانها تعتز الآن بأنها أغنى المقاطعات الليبية من جهة البترول وان كان يوجد كذلك طرابلس .

هذا الذهب الأسود الذى جعل هذه البلاد الشـقيقة العزيزة المجاهدة فى غير حاجة الى المعونات الأجنبية وعن تلك القاعدة الرابضة بصحراء « طبرق » مقابل ثلاثة ملايين ونصف من الجنيهات فقط ، وأصبحت قادرة على تمويل التنمية الاقتصادية والاجتماعية بمواردها الذاتية .

وقد ارتفع بحمد الله الانتاج من ٢ر٥ مليون برميل فى سنة ١٩٦١م الى ٦٠ مليون فى سنة ٦٢م ، الى ١٣٠ مليون فى سنة ٦٣م . وقدرت الميزانية سنة ٦٣م ٦٤م بنحـو ٦٣٣ مليون وارتفع ايراده من البترول من ٨ ملايين جنيه الى ٢٣ مليون سنة ٦٤م - وأعلن الدكتور على العنيزى وزير النفط الليبى مؤخرا بأن دخل ليبيا من انتاج البترول فى عام ٦٤/٦٣ بلغ حوالى ٣٠ مليون جنيه وأنه ينتظر زيادة هذا الرقم الى ما يتراوح بين ٤٥ مليون الى ٥٠ مليـون فى الميزانية الجديدة ، وسيتم فى المستقبل انشاء شبكة من خطوط أنابيب البترول على طول الشاطىء المطل على البحر الأبيض المتوسط وأشار الوزير الى أن هناك حاليا ٩٥ عقد امتياز من البترول فى ليبيا موزعة بين ٢٥ شركة منها ١٥ شركة امريكية وواحدة بريطانية ، وشركتان فرنسـيتان وشركتان بريطانيتان وأربعة شركات ألمانية وشركة بريطانية هولندية وذكر الوزير الليبى أنه من المقـــرر أن تبلغ صادرات ليبيا من البترول الخام فى العام الحالى ٣٠ مليون طن مقابل ٢٥ مليون طن فى العام الماضى • واشار الى ان معمل تكرير البترول فى ميناء « بريقه » على شاطىء البحـر الأبيض المتوسط والذى تبلغ طاقته الانتاجية ألفى طن يوميا ، يغطى استهلاك الشعب الليبى . وأشار أيضا الى ان بريطانيا تحتل المركز الأول من بين الدول المستوردة لبترول ليبيا ، تليها ألمانيا الغربية وايطاليا وفرنسا .

ويقول الدكتور « لشتبلاو » ان الزيت الليبى قادر على منافسة زيت الشرق الأوسط فى أى مكان غربى السويس. وان عائدات البترول الليبى بمقتضى القانون المعدل تزيد بنسبة ٣٧٪ على ما كانت تناله بمقتضى القانون الأصلى الصادر فى سنة ١٩٥٥ . والمعـــلوم أن جميع الشركات المنتجة ومعظم الشركات المنقبة قد قبلت بالقانون المعـدل بحيث أن عائدات ليبيا تحسب كلها على الأساس الجديد. فاذا استمرت الأمور فى صناعة البترول تسير على هذا النحو فان ليبيا ستصبح عما قريب «كويت شمال أفريقيا» وتصبح مالكة لمعظم موارد المنطقة باسرها من الثـروة الطبيعية ...

وبعد فان نفس كل عربى تتيه وتفخر كلما انبثق فى أرض العروبة بئر من هذه الآبار ، فهى حصيلة جديدة تضاف الى ثروتها ، تمدها بالقوة والجاه وبعوامل التقـــدم والحضارة . فما زال المال عصب الحياة ، يدنى البعيد ، ويذلل الصعب ويدفع عجلة السير الى الامام فى سـبيل العلم والمعرفة .

وبترول الأمة العربية فى ضوئه تبدل الجهالة وينكشف الطريق . وفى ناره ما يودى بالمعتدين ويرد عادية الظالمين ويشوى جلود الصهيونيين ، ويصنع دروعا سابغة نتقى بها رماح المستعمرين .

وحديث البترول شغلنا عن بعض المعالم والعـادات والتقاليد ، فلينتظر معنا القارىء الى العدد القادم .

ان الله مع الصابرين .

سياسة المال في الإسلام

الأستاذ وليد فهمي القدومي

عندما ينظم الاسلام سياسة المال فانه يلاحظ مصلحة الفرد ويحقق مصلحة الجماعة ، ويقف بين ذلك قواما ، لايضار الفرد ، ولا تضار الجماعة ، ولا يقف فى وجه الفطرة ، ولا يعوق سنة الحياة الأصيلة وغاياتها البعيدة .

ويتبع الاسلام فى عمله هذا وسيلتين وهما :

أولا : التشريع والتوجيه ، كالزكاة مثلا .

« وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة » الآية .

ثانيا : التوجيه وضمير الفرد ، فقد حبب الاسلام الى الناس الانفاق فى سبيل الله . « وماتنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون » الآية .

الملكية الفردية

يقرر الاسلام حق الملكية الفردية بوسائل التملك المشروعة « للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن » الآية .

ويرتب على هذا التقرير نتائجه الطبيعية فى حفظ هذا الحق لصاحبه وصيانته عن السرقة أو النهب أو الاختلاس « من قتل دون ماله فهو شهيد » الحديث .

« والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله » الآية .

وتقرير حق الملكية الفردية يحقق العدالة بين الجهد والجزاء فوق مسايرته للفطرة واتفاقه مع الميول الأصيلة فى النفس البشرية ، تلك الميول التى يحسب الاسلام حسابها فى اقامة نظام المجتمع ، وفى الوقت ذاته يتفق مع مصلحة الجماعة باغراء الفرد على بذل أقصى جهده لتنمية الحياة .

« وانه لحب الخير لشديد » الآية .

« قل : لو انتم تملكون خزائن رحمة ربى اذن لامسكتم خشية الانفاق » الآية .

طبيعة الملكية الفردية

أولا : يقرر الاسلام أن الفرد أشبه شىء بالوكيل فى هذا المال عن الجماعة ، وأن حيازته لهذا المال انما هى وظيفة أكثر منها امتلاكا ، وان المال فى عمومه انما هو للجماعة ، والجماعة مستخلفة فيه عن الله الذى لامالك لشىء سواه .

« آمنوا بالله ورسوله ، وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » الآية .

« ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم » الآية .

ثانيا : مبدأ آخر يقرره الاسلام وهو كراهيته ان يحبس المال فى أيدى فئة خاصة من الناس، يتداول بينهم ولايجده الاخرون .

« كى لايكون دولة بين الأغنياء منكم » الآية .

وسائل التملك الفردى

هناك وسائل شرعية للتملك الفردى أقرها الاسلام وهى:

أولا : الصيد ، ويشمل صيد البحر كصيد السمك واللآلىء والمرجان والاسفنج ، وصيد البر كصيد الطير والحيوان .

« أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة . وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما » .

ثانيا : استخراج مافى الارض ، ويكون من المعادن ويسمى « الركاز » ويكون ملكا لمستخرجه ولكن ليس جميعه بل اربعة أخماسه والخمس الباقى زكاة .

ثالثا : احياء الموات من الارض ، وهى الأرض البور التى لامالك لها ، تصبح ملكا للفرد بان يقوم باحيائها فى ظرف ثلاث سنوات والا سقط حق ملكيته لها .

رابعا : الغزو ، وينشأ عنه ملكية السلب ، وهو كل مال مع القتيل المشرك الذى يقتله المسلم .

« ومن قتل قتيلا له عليه بينة فسلبه له » الحديث .

كما تنشأ عنه ملكية الغنيمة ، وأربعة أخماسها للمحاربين وخمسها لله والرسول .

« واعلموا ان ماغنمتم من شىء فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل » الآية .

خامسا : العمل بالأجر ، الاسلام يحترم العمل ويعظمه ويدعو الى توفية العامل أجره معجلا غير منقوص .

« اعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه » الحديث

« فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه » الآية .

« ما أكل أحدكم طعاما قط خيرا من عمل يده » الحديث

والاسلام يقدس حق العامل فى الأجر فهو يدعو الى الوفاء به وينذر من يجور عليه من أصحاب العمل بحرب من الله وخصومة منه .

« قال الله عز وجل : ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ، رجل أعطى بى ثم غدر ، ورجل باع حرا فأكل ثمنه ، ورجل استأجر فاستوفى منه ولم يعطه أجره » الحديث القدسى .

سادسا : اقطاع السلطان ، كأن تكون أرضا لامالك لها مما آل الى بيت مال المسلمين من المشركين الذين لاورثة لهم فالامام وليهم .

سابعا : الحاجة الى المال للحياة ، فالاسلام شرع صرف الأموال فى الزكاة فى وجوه معينة .

« انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله ، وابن السبيل » الآية .

طرق تنمية الملكية الفردية

تمشيا مع نظرية الاسلام فى ملكية المال فانه يتدخل فى طريقة تنميته والتعامل به فلا يدع الحرية مطلقة لصاحب

المال أن يتصرف به فى هذا السبيل كيف شاء .

لكل فرد اذن الحرية فى تنمية أمواله ولكن فى الحدود المشروعة فله أن يفلح الأرض وان يحول المادة الخامة الى مصنوعات وله أن يتجر به ولكن هناك أمورا حرمها الاسلام :

أولا : يحرم الاسلام الغش فى المعاملة ، فلك أن تبيع وأن تشترى على أن لاتغش فى السلعة ولا فى المعاملة ، فان كان بها عيب فعليك بيانه ، والا فانت غاش وربحك حرام

« من غش أمتى فليس منى » الحديث .

« البيعان بالخيار مالم يتفرقا فان صدقا وبينا بورك لهما فى بيعهما ، وان كتما وكذبا محقت بركة بيعهما » الحديث .

ولن ينجيك من المؤاخذة ان تتصدق بهذا الربح الحرام

« الخبيث لايمحو الخبيث » الحديث .

ثانيا : احتكار ضروريات الناس وسيلة لايقرها الاسلام لما فيها من ضرر بالغ يعود على الجماعة والفرد .

« من احتكر طعاما أربعين يوما فقد برىء من الله ، وبرىء الله منه » الحديث .

ثالثا : الربا : وسيلة محرمة يكرهها الاسلام كراهية واضحة ، ويبشعها تبشيعا شديدا وينذر أصحابها باشنع مصير .

« يأيها الذين امنوا لا تاكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون » الآية .

« وأحل الله البيع وحرم الربا » الآية .

ويفرض الاسلام مقابل ذلك على المدين أن يجتهد فى رد دينه ابراء لذمته .

« من أخذ أموال الناس يريد اداءها ادى الله عنه ، ومن أخذها يريد اتلافها أتلفه الله » الحديث .

طرق انفاق المال فى الاسلام

مثلما يتدخل الاسلام فى تنمية المال فانه يتدخل فى طرق انفاقه ، فصاحب المال ليس حرا فى غل يده فيه كما يشاء أو فى الانفاق منه كما يشاء ، مع أن مثل هذا التصرف ذاتى الا أن الفرد ليس متروكا لذاته يصنع بها مايشاء فله حريته ولكن فى داخل اطار من الحدود .

أولا : فاليد المغلولة كاليد المسرفة كلتاهما لا يقبلها الاسلام لما فى كلتيهما من ضرر عائد على الفرد والجماعة .

« ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ، ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا » الآية .

« ولا تسرفوا ان الله لايحب المسرفين » الآية .

ثانيا : أما الاسراف فهو الطرف الآخر ، ونبادر فنقرر ان انفاق المال فى سبيل الله ولو أتى عليه كله ليس اسرافا لما ورد من حديث الرسول عليه السلام عن جبل الذهب وتمنيه ان لو كان له لما أبقى منه قدر قراطين ولأنفقه فى سبيل الله ، انما الاسراف فى الانفاق عن النفس وهذا ماعناه الاسلام .

« وما أرسلنا فى قرية من نذير ، الا قال مترفوها انا بما أرسلتم به كافرون » الآية .

والرسول عليه السلام يسمى بيوت المترفين ببيوت الشياطين لما ينبع فيها من فساد ولما يخرج منها من فتنة

« .. تكون ابل للشياطين ، وبيوت للشياطين ، فاما ابل الشيطان فقد رأيتها يخرج أحدكم بنجيبات معه قداسمنها فلا يعلو بعيرا منها ويمر بأخيه قد انقطع فلا يحمله . وأما بيوت الشياطين فلا أراها الا هذه الأقفاص التى تستر الناس بالديباج » الحديث .

لاجرم اذن أن يكون الترف سبب الهلاك على مدى التاريخ فالترف سبب البطر .

« وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين » الآية .

ولكن الهلاك والعذاب لايصيبان الفرد المترف وحده بل يصيبان الجماعة التى تسمح بوجود المترفين .

« واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » الآية .

فريضة الزكاة

الزكاة حق المال وهى عباده من ناحية ، وواجب اجتماعى من ناحية أخرى . والزكاة طهارة ونماء فهى طهارة للضمير والذمة باداء الحق المفروض .

وأما وسيلة الاسلام لفرض الزكاة :

أولا : لتكفل لطوائف من الرعية كفايتهم منها أحيانا وشيئا من المتاع بعد الكفاف أحيانا وبذلك يحقق الاسلام جزءا من مبدئه العام :

« كى لايكون دولة بين الأغنياء منكم » الآية .

ثانيا : كره الاسلام الفقر والحاجة للناس لانه يريد ان يعفيهم من ضرورات الحياة المادية ليفرغوا لما هو أعظم ولما هو ألين للانسانية والكرامة التى خص الله بها بنى آدم .

« ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات » الآية .

ثالثا : كره الاسلام أن يكون هناك فوارق بين الطبقات فى الأمة : بحيث تعيش جماعة فى مستوى الترف بينما تعيش جماعة أخرى فى مستوى الشظف .

« ايما أهل عرصة بات فيهم امرؤ جائعا فقد برئت منهم ذمة الله تعالى » الحديث .

« لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » الحديث .

لهذه المعانى شرع الاسلام الزكاة ووضع لها احكاما عامة تسير بموجبها . والمستحقون لها هم الذين شملتهم الآية الكريمة :

« انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل » .

١ ـ الفقراء : وهم الذين يملكون اقل من النصاب أو يملكون نصابا مفرقا فى الدين والله سبحانه انما قدمهم على المساكين لأنهم لايظهرون للناس كما يظهر المساكين : فالمسكين يعرف من منظره بعكس الفقير .

٢ ـ المساكين : وهم الذين لايملكون شيئا وهم بطبيعة الحال أجدر بالعطاء من الفقراء وسبب تأخيرهم ورد .

٣ ـ العاملون عليها : وهم جباتها وان كانوا أغنياء . يعطون جزاء العمل فهو راتب الوظيفة وذلك داخل فى نظام الجهد والأجر لا فى باب الحاجة وسدها .

٤ ـ المؤلفة قلوبهم : وهم الذين دخلوا الاسلام حديثا لتقوية قلوبهم واجتذاب غيرهم . ولكن هذا المصرف اقفل منذ أعز الله الاسلام .

٥ ـ وفى الرقاب : وهم الأرقاء المكاتبون والذين يستردون حريتهم نظير قدر من المال متفق عليه مع مالكيهم . وهذا قد انتهى بحكم الظروف .

٦ ـ الغارمون . وهم الذين استغرق الدين ثرواتهم على ان لايكون هذا الدين فى معصية .

٧ ـ وفى سبيل الله : وهو مصرف عام تحدده الظروف ومنه تجهيز الجيوش للجهاد ، وعلاج المرضى ، وتعليم العاجزين عن التعليم ، وسائر ماتتحقق به مصلحة المسلمين

٨ ـ وابن السبيل : وهو المنقطع عن ماله الذى لايجد ماينفق ، كالمهاجرين من الحروب ، والغارات ، والاضطهاد والذين خلفوا أموالهم وراءهم .

وهكذا فالزكاة وقاية اجتماعية وضمانة للعاجز الذى يبذل جهده ثم لايجد أو يجد بمجرد الكفاف .

فرائض غير الزكاة

الزكاة هى الحد الأدنى المفروض فى الأموال ، حين لاتحتاج الجماعة الى غير حصيلة الزكاة . فاما حين لاتفى

فان الاسلام لايقف مكتوف اليدين ، بل يمنح الامام سلطات واسعة للتوظيف فى رؤوس الأموال - أى الأخذ منهابمقدار معلوم - فى الحدود اللازمة للاصلاح .

« ان فى المال حقا سوى الزكاة » الحديث .

دائرة المصالح المرسلة وسد الذرائع

وهى دائرة واسعة تشمل تحقيق كافة المصالح للجماعة وتضمن دفع جميع الأضرار .

المصالح المرسلة : ان المصالح التى ليس لهـــا نص خاص يشهد لنوعها بالاعتبار تسمى المصالح المرسلة ... وكونها أصلا فقهيا موضع نظر بين الفقهاء . وقد ادعى القرانى أن الفقهاء جميعا أخذوها واعتبروها دليـــلا فى الجزئيات وان أنكر أكثرهم كونها أصلا فى الكليات وقدقال فى ذلك :

« المصلحة المرسلة ، غيرنا يصرح بانكارها لـكنهم عند التفريع تجدهم يعللون بمطلق المصلحة ، ولا يطالبــون أنفسهم عند الفروق والجوامع بابداء الشاهد لها بالاعتبار بل يعتمدون على مجرد المناسبة » ا هـ وهذا هوالمصلحة المرسلة وقد انقسمت أقوال العلماء فيها الى أربعة أقسام:

القسم الأول : الشافعية ومن نحا نحوهم وهــــؤلاء لاياخذون بالمصالح المرسلة لعدم وجود شاهد من الشارع

القسم الثانى : الحنفية ومن شاكلهم ممن يأخــذون بالاستحسان مع القياس ، فاما الاستحسان مهما يــكن قولهم فيه فلا يخلو من اعتماد على المصالح المرسلة .

القسم الثالث : الغلاة فى الأخذ حتى قدموا المصلحةعلى النص فى معاملات الناس واعتبروها مخصصــــة له بل اعتبروها مخصصة للاجماع .

القسم الرابع : المعتدلون وهم الأصح بصرا وأولئــك اعتبروا المصالح المرسلة فى غير موارد النص المقطوع به .

وكان الامام مالك رحمه الله فى أخذه بالمصالح المرســلة أصلا مستقلا متبعا لا مبتدعا :

أولا : فقد وجد أصحاب رسول الله عليه الصلاةوالسلام يقومون بأمورمن بعده لم تكن فى عهده فجمعوا القرآنالكريم فى المصحف ، ولم يكن ذلك فى عهد الرسول عليه السلام ، لأن المصلحة اقتضتهم ذلك الجمع ، اذ خشوا أن ينسى القرآن بموت حفاظه ، وقد أشار عمر على أبى بـــكر بجمعه واتفق الصحابة على ذلك وارتضوه .

ثانيا : واتفق أصحاب الرسول عليه السلام من بعده على حد شارب الخمر ثمانين جلده مستندين فى ذلك الى المصالح أو الاستدلال المرسل ، اذ رأوا الشرب ذريعة الى الافتراء وقذف المحصنات ، بسبب كثرة الهذيان .

ثالثا : واتفق الخلفاء الراشدون على تضمين الصناع ، مع أن الأصل أن أيديهم على الأمانة ، ولكن وجد انهم لو لم يضمنوا لاستهانوا بالمحافظة على أمتعة الناس وأموالهم وفى الناس حاجة شديدة اليهم . فــكانت المصلحة فى تضمينهم ليحافظوا على ماتحت أيديهم ولذلك قال عــلى كرم الله وجهه : « لايصلح الناس الا ذاك »

رابعا : وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يشـاطر الولاة الذين يتهمهم فى أموالهم ، لاختلاط أموالهم الخاصة بأموالهم التى استفادوها بسلطان الولاية ، وذلك من باب المصلحة المرسلة أيضا لأنه رأى فى ذلك صلاح الــولاة ، ومنعهم من استغلال سلطان الولاية لجمع المال من غيــر حل .

خامسا : وحكى عنهرضى الله عنه أنه أراق اللبن المغشوش بالماء تاديبا للغاش وذلك من باب المصلحة العامة لكيــلا يغشوا الناس .

ومن ملاحظةالمصلحة فى المسائل العامة انهاذا خلابيت المال وارتفعت حاجات الجند وليس فيه مايكفيهم ، فللامام أن يوظف على الأغنياء مايراه كافيا لهم فى الحال ، الى أن يظهر مال فى بيت المال ، أو يكون فيه مايكفى ، ثم له أن يجعل هذه الوظيفة فى أوقات حصاد الغلات وجنى الثمار ، لكيلا يؤدى تخصيص الأغنياء الى ايحاش قلوبهم . ووجــه المصلحة أن الامام العادل لو لم يفعل ذلك لبطلت شوكته ، وصارت الديار عرضة للفتنة وعرضة للاستيلاء عليها من الطامعين فيها ، وقد يقول قائل : أنه بدل أن ياخذ بفرض هذه الوظيفة يستقرض لبيت المال ، وقد أجاب عن ذلك الشاطبى قال : الاستقراض فى الأزمات انما يكون حيث يرجى لبيت المال دخل ينتظره ، واما اذا لم ينتظر شىء وضعفت وجوه الدخل بحيث لايغنى فلابد من جريانحكم التوظيف .

سد الذرائع :الذريعة معناها الوسيلة ، ومعنى ســد الذرائع رفعها ، ومؤدى الكلام ان وسيلة المحرم محرمة ووسيلة الواجب واجبة ، والقاعدة الشرعية تقول « مالايتم الواجب الا به فهو واجب » .

والأصل فى اعتبار سد الذرائع هو النظر فى مــآلات الأفعال وماتنتهى فى جملتها اليه فان كانت تتجه نحــو المصالح التى هى المقاصد والغايات من معاملات بنىالانسان بعضهم مع بعض كانت مطلوبة بمقدار مايحقق هذهالمقاصد وان كانت لاتساويها فى القلب . وان كانت مآلاتها تتجه نحو المفاسد فانها تكون محرمة بما يتناسب مع تحريم هذه المفاسد وان كان مقدار التحريم أقل فى الوسيلة .

مبدأ سد الذرائع لاينظر فقط الى النيات والمقاصــد الشخصيــة بل يقصــد مع ذلك الى النفع العـام أو الى دفع الفساد العام فهو ينظر الى النتيجة مع القصد أو الى النتيجة وحدها .

اصل الذرائع بالقرآن والسنة

لقد ثبت أصل الذرائع بالقرآن والسنة ، أما فىالقرآن « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم » الآية

وأما موقف السنة :

أولا : كفه صلى الله عليه وسلم عن قتل المنافقين لأنه ذريعة الى قول الكفار : ان محمدا يقتل أصحابه .

ثانيا : ومنها أنه عليه السلام نهى المقرض عن قبــول الهدية من المدين حتى يحسبها فى دينه وماذاك الا ليتخذ تلك ذريعة الى تاخير الدين لأجل الهدية فتكون ربا

ثالثا : ومنها أنه عليه السلام نهى أن تقطع الأيدى فى الغزو لئلا تكون ذريعة الى اتجاه المحدود الى المحاربين فيفر اليهم ، ولمثل ذلك لاتقام الحدود فى الغزو حتى لاتدفع حرارة الضرب الى الضلال وهو منه قريب .

وهكذا كثرت الآثار الواردة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام وعنالصحابة الكرام «ولقد عدت الذرائع فى شريعة الاسلام نصفها »

موقف الاسلام من الأموال الشائعة

هناك نوع من الأموال الشائعة التى لايجوز احتجازهــا للافراد عدد الرسول منها ثلاثة : الماء والكلأ والنــار .

««الناس شركاء فى ثلاثة: فىالماء والكلأ والنار» الحديث

فهذه لايتوصل الى امتلاكها فرديا لأنها اذا فقدت فان الجماعة باكملها تتضرر وتسعى للبحث عنها وهومايسمى اليوم بتأميم المرافق العامة .

وبعد فهذه هى الخطوط الرئيسية التى وضعها الاسلام لتنظيم سياسة المال فى المجتمع الاسلامى من خلال نظريته الى الانسان ومدى احتياجاته الى التنظيم والله الموفق .

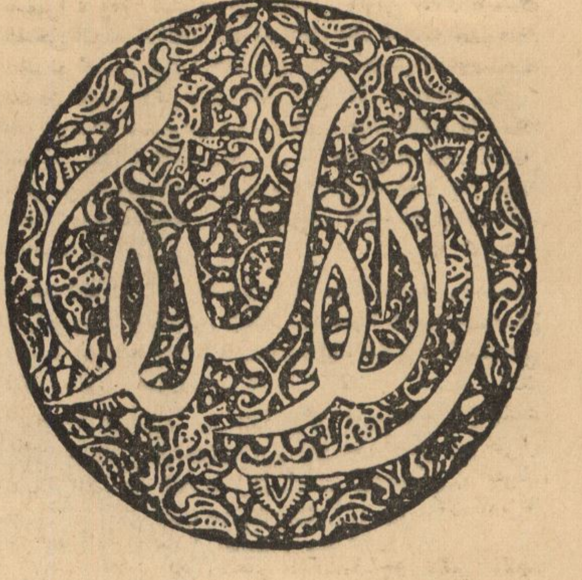

بين العقل والنقل

الأستاذ محمود أبو الفيض المنوفى

(افمن يمشى مكبا على وجهه اهدى أمن يمشى سويا على صراط مستقيم ، قل هو الذى أنشاكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون)

الدين ظاهرة انسانية لا تخلو منها أمة من الأمم منذ فجر التاريخ حتى اليوم . والتدين خاصة ميزة للانسان عن غيره من أنواع الحيوانات ، حتى لقد قيل فى تعريف الانسان . أنه حيوان متدين بجانب قولهم حيوان ناطق ، وغير ذلك . ويقتضى الدين معبودا وعبادا يتصلون بالعبادة والها مقدسا ومسبحا له يتوجه اليه بالتقديس والتسبيح . وقد تدرجت البشرية من عبادة مظاهر القوى الطبيعية من صنوف النبات والحيوان والحجارة الى عبادة الشمس والقمر والكواكب وجعل قوى الطبيعة آلهة الى عبادة الله الواحد القهار ، وهى عبادة قديمة منذ أرسل الله الرسل مبشرين ومنذرين ، لأن العقل لو ترك وشأنه ما اهتدى وحده الى وجود خالق الكون ومدبر العالم . فلابد له ازاء ذلك من دلائل عليا وآيات سماوية وان كانت غيبية وقد أرسل الله على مر التاريخ كثيرا من الأنبياء والرسل يدعون قومهم الى الهدى ويرسمون لهم طريق النجاة ، ولكن سرعان ما يعود الناس الى سيرتهم الأولى متبعين خطوات الشيطان ، منكرين للالوهية ، ومحرفين لكلام الله .

وجاء الاسلام خاتمة الديانات وكان حال العرب من جهة الدين ، أما من الدهرية المنكرين للخالق ، أو المقرين بوجود اله ولكن ينكرون البعث ، وهم الى ذلك يعبدون الأصنام . فهم امانصارى أو يهود أو صابئة ، أو ثنوية ، يحرفون ما أنزل الله عليهم من كتب سماوية ، ويشركون مع الله الواحد الها أو آلهة آخرين . وقد حاجهم الله فى القرآن ، وأبطل معتقداتهم الفاسدة بالحجة الصحيحة والبرهان الواضح : ويدور هذا الهدى القرآنى حول أمرين اساسيين من جهة العقيدة ، هما وحدانية الله وصفاته وارادته وأفعاله ، أو بمعنى آخر حول التوحيد والعدل . فالله واحد لا شريك له ، ليس كمثله شىء ، هو الكبير المتعال ، تعالى الله عما يصفون ، والله خالق كل شىء ، فعال لما يريد ، وكل شىء بقضائه وقدره ، وحكمته وتدبيره وهو الآمر الناهى ، يثيب المطيع ويعاقب العاصى كما وعد وأوعد . هذه هى جملة العقيدة الاسلامية التى دان بها العرب وارتضوها وآمنوا بها بعدشركهم وكفرهم .

ولما توفى النبى شغل المسلمون فى زمان أبى بكر وعمر وعثمان بالفتوحات عن النظر فى العقائد ووجدوا فى قرآنهم الموحى به ما يغنيهم عن البحث فى أصولها . ولكن أهل الشعوب المغلوبة ممن دخلوا حظيرة الاسلام لم يكفوا عن الدس له والانحراف به ، وبخاصة الفرس واليهود ، فظهرت منذ فجر الاسلام ، وعلى التحقيق منذ خلافة على بن أبى طالب مقالات منحرفة تسىء الى العقيدة الصحيحة، وذلك مثل مذهب عبد الله بن سبأ « الشيعة السبئية » الذى كان يهوديا فاظهر الاسلام ليثير الفتن بين المسلمين، وزعم ان عليا اله ، وأن الجزء الالهى الذى فيه يحل فى الأئمة ، فاضطر الامام على كرم الله وجهه الى نفيه الى ساباط المدائن وحرق بعض أتباعه • وعن السبئية ظهر غلاة الشيعة وتفرقوا فرقا ، وانتشرت فى عهد على فتنة الخوارج القائلين بتكفير الأئمة ووجوب قتل الأئمة وحربهم والخروج عليهم قائلين : ان الحكم الا لله ويحكموا بكفر مرتكب المعصية وقام المرجئة بعدهم يؤخرون الحكم على المسلم بالكفر الى يوم القيامة . وظل الأمر جاريا على هذه الحال • كلما ماتت فرقة نبتت فرقة اخرى • وتولى المفكرون من المسلمين الرد عليهم وابطال مزاعمهم .

ومنذ أواخر المائة الأولى ، وفى أثناء المائة الثانية ظهر « المعتزلة » أصحاب العدل والتوحيد فكان لهم فضل الدفاع عن العقيدة بالحجة العقلية ، وبما يناسب ما نقل الى الحضارة العربية من أفكار يونانية وفارسية وهندية ولكنهم يرجحون العقل على الوحى ، وقد نشأ الاعتزال بالبصرة على يد واصل بن عطاء الذى اعتزل حلقة الحسن البصرى ، وأخذ يدعو الى رأى جديد هو أن مرتكبالكبيرة ليس بكافر ولا مؤمن ، بل من منزلة بين المنزلتين . وتفرع المعتزلة فرعين احدهما بقى بالبصرة ، والآخر انتقل الى بغداد .ونبغ من المعتزلة أبو الهذيل العلاف والنظام والجاحظ والشحام الذى أخذ عنه الجبائى ، وعن الجبائى أخذ الأشعرى قبل أن ينفصل عنه ، ويخرج بمذهبه الجديد .

وقد لقى المعتزلة على يد الخلفاء العباسيين أيام المأمون والمعتصم تأييدا عظيما ، وحدثت فى خلافة المأمون فتنة القول بخلق القرآن وامتحان الامام ابن حنبل ، الى أن رفعت المحنة أيام المتوكل الذى أمر بترك الجدال . وقد أخذ على المعتزلة تطرفهم فى التأويل العقلى حتى بلغوا مع نفى الصفات الالهية الى التعطيل ، كما أخذ على الكرامية قولهم بالتشبيه والتجسيم ، وعلى الجهمية قولهم بالجبر . وكل ذلك ما سوف نبينه مفصلا فيما بعد .

ولما زال نفوذ المعتزلة مع انتشار مذهب الاشاعرة ، تبددت كتبهم وضاعت ، اللهم الا ما حفظه لهم ورواه عنهم الأشعرى فى كتابه « مقالات الاسلاميين » ، مع ما ذكره من مقالات غيرهم . ومن أجل ذلك كان كتابه هذا فى غاية الأهمية تاريخيا ، واقتدى به كل من ألف فى المقالات فيما بعد ، كالاسفراييني فى « التبصير فى الدين » والبغدادى فى « الفرق بين الفرق » والشهرستانى فى « الملل والنحل » .

وكان الأشعرى قوى الجدل ، صاحب مناظرة فى المجالس ذا اقدام على الخصوم ، تتلمذ على أبى على الجبائى أربعين عاما ، ولم يكن الجبائى صاحب مناظرة وربما ينقطع فى الجدل ، فكان يبعث الأشعرى فى المجالس نائبا عنه . وقد أفادته قوة الجدل فى الرد على المعتزلة بعد خروجه عليهم ، حتى قيل « كان المعتزلة قد رفعوا رءوسهم حتى أظهر الله تعالى الأشعرى فحجزهم فى أقماع السمسم » .

واخطر مسألة فى حياة الأشعرى انفصاله عن الجبائى، وانعزاله عن المعتزلة ، وخروجه بمذهب جديد قدرت له السيادة فى شطر كبير من العالم الاسلامى . وهى مسألة لم توضح توضيحا كافيا ، ولم يكشف الستار عن أسبابها الحقيقية . وفى كتب القدماء روايتان لا تمت احداهما الى الأخرى بصلة . الأولى رواية ابن عساكر أوردها بطرق مختلفة وجوهرها واحدا ، وخلاصتها أن الأشعرى تحير فى بعض مسائل لم يجدلها جوابا شافيا عند المعتزلة فسأل الله أن يهديه الى الطريق المستقيم ، ثم نام فرأى الرسول فى المنام ، فقال له ، عليك بسنتى ، فلما استيقظ رجع الى القرآن والسنة . وأضافت رواية أخرى أنه أخذ فى نصرة الأحاديث الخاصة بالرؤية والشفاعة والنظر . وفى رواية مطولة ثالثة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له فى المنام : « يا أبا الحسن ، كتبت الحديث ، فقلت بلى يا رسول الله . فقال : أو ما كتبت ان الله تعالى يرى فى الآخرة ؟ فقلت : بلى يارسول الله . فقال لى صلى الله عليه وسلم . فما الذى منعك من القول به ؟ قلت : أدلة العقول منعتنى ، فتأولت الأخبار . فقال لى : أو ما قامت أدلة العقول عندك على أن الله تعالى يرى فى الآخرة ؟

فقلت : بلى يا رسول الله ، فانما هى شبه . فقال لى تأملها وانظر فيها نظرا مستوفيا ، فليست بشبه ، بل هى أدلة .. الخ « وفى رواية رابعة أنه غاب عن الناس خمسة عشر يوما ، ثم خرج الى الجامع وصعد المنبر وقال: « معاشر الناس انى انما تغيبت عنكم فى هذه المدة ، لأنى نظرت فتكافأت عندى الأدلة ، ولم يترجح عندى حق على باطل ، ولا باطل على حق ، فاستهديت الله فهدانى الى اعتقاد الحق على ما أودعته فى كتبى هذه ، وانخلعت من جميع ما كنت أعتقده ، كما انخلعت من ثوبى هذا وانخلع من ثوب كان عليه ورمى به ، ودفع الكتب الى الناس . فالرواية الثانية كلامية ، أوردها التفتازانى فى شرح العقائد النسفية ، وكذلك ابن خلكان فى الوفيات ، خلاصتها أن الأشعرى سأل الجبائى عن ثلاثة اخوة : مات أحدهم مطيعه والآخر عاصيا ، والثالث صغيرا ؟ فقال الجبائى : الأول يثاب بالجنة ، والثانى يعاقب بالنار والثالث لا يثاب ولا يعاقب . قال الأشعرى : فان قال الثالث يا رب لما أمتنى صغيرا ، وما أبقيتنى الى أن أكبر فأومن بك وأطيعك فادخل الجنة ؟ فقال ــ يقول الرب : انى كنت أعلم منك أنك لو كبرت لعصيت فدخلت النار ، فكان « الأصلح » لك أن تموت صغيرا فقال الأشعرى : فان قال الثانى : يا رب لم لم تمتنى صغيرا لئلا أعصيك فادخل النار ، ماذا يقول الرب ؟ فبهت الجبائى وترك الأشعرى مذهبه واشتغل هو ومن تبعه بابطال رأى المعتزلة وبما وردت به السنة ومضى عليه الجماعة فسموا أهل السنة والجماعة . وقد أوردت هذه المحاورة لابطال قاعدة الصلاح والأصلح التى يقول بها المعتزلة .

ويروى ابن عساكر ان الأشعرى لم يكن راضيا كل الرضا عن طريقة الاعتزال لغلوها فى التأويل وترجيح المعقول على المنقول ، ولذلك أراد الأشعرى أن يسلك طريقة يوفق فيها بين المعتزلة وأصحاب الحديث ، فاهتدى الى مسلكه الجديد الذى يتمشى مع منهج الاعتزال فى النظر العقلى ، وفى الوقت نفسه يعتمد على القرآن والسنة ، رافعا السمع فوق العقل ، بعد أن كان المعتزلة يقدمون العقل على السمع .

وعندنا اما أن يكون العقل خالقا لمجال تفكيره الذى تسبح فيه قضاياه العقلية .

واما انه « وهو الواقع » يتناول نظرياته وقضاياه من أوليات يسميها المفكرون « بالأوليات العقلية » يستمدها العقل مما حوله من أصول الكائنات وفروعها ثم يفلسفها بتفكيره ويبرهنها بمنطقه العقلى .

فيجعل منها مقدمات ونتائج منها الموجبة ومنها السالبة. ومنها ما هو صواب صواب ــ ومنها ما هو ــ خطأ خطأ ــ فيناقش العقل من طريق البرهان والجدل قضاياه تلك فيستنتج منها نظريات وبحوث قد تتفق والحق فى نفسه وقد لا تتفق ولكنه بالجدل أو قل بالسفسطة يدعم العقل ما لا يتفق والحق فيزوره على الحقيقة زخرفا ــ والأصل فى التعقل أن تتداعى على الذهن معانى الأشياء من الخارج بواسطة الحواس « والحس المشترك » فياخذ من ذلك بداءة عقلية موجودة بالفعل ونظريات ظنية قد لاتكون موجودة .

وفى الحق أن العقل فى الواقع لا يخلق مجالا بل انه مخلوق ومجاله العقلى مخلوق أيضا وهو لا يعدو الطبيعة. وأما ما وراء الطبيعة ، أو ما فوق الطبيعة فهو شيء آخر. ندعه للبحث فى الوحى . وكيف يتم وأن يهبط من آفاق لا يصل العقل اليها .

والنتيجة أن العقل مخلوق وله قصوره الذاتى ككل مخلوق كما قدمنا فى غير هذا الموضع . والعقل ينسج من خياله أو مما يتناوله عن طريق الحواس من الخارج أفكارا وقضايا فمجاله دائما موضع الشك أو التحقيق اذا استقام. ولذلك قد يرتاب العقل حتى فى قضايا نفسه ويشكك فيها طفرة أخرى .

مما يدل على أن الكمال كله لله . والحق الواضح كله يأتى من عنده وقد يلمح العقل هذا الحق لما فيه من استعداد وقوة وحينئذ يتفق من الوحى وتكون وظيفته وظيفة المفسر والمعتبر فقط. وهذا لايضعف من شأن العقل ولا يخفض من قيمته. لأن الفارق بين العقل والوحى ان الوحى رسالة يرسل بها رسول موحى الى رسول بشرى عاقل. فالله هو المرسل والرسول واسطة فى الرسالة والعقل هو المرسل اليه المقصود بتلك الرسالة . فاذا كانت هذه قيمة العقل عند الله فانعم بها من قيمة ولكن للعقل حدوده كما قدمنا كمخلوق ولكل مخلوق قصوره ولن يكون الكمال الا لله وحده .

الأستاذ محمود لطفي عبد الكريم

لقد كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يخص شهر شعبان بعنايته ، ويؤثره باهتمامه ، ويظهر هـذا الاهتمام بصورة واضحة فى اكثاره ـ عليه الصلاة والسلام ـ من الصوم فيه .

أخرج البخارى ومسلم واحمد بن حنبل عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : لم يكن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يصوم أكثر من شعبان ، فانه كان يصومه كله .

وفى لفظ : ماكان يصوم فى شهر ماكان يصوم فى شعبان ـ كان يصومه الا قليلا ، بل كان يصومه كله .

وفى لفظ : مارأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ استكمل صيام شهر قط الا شهر رمضان ، وما رأيته فى شهر اكثر منه صياما فى شعبان .

ولأجل ان نفهم هذا الحديث برواياته الثلاث ، فانه يتعين أن نزيل مايثيره التعارض الظاهر بين هذه الروايات ونقول التعارض الظاهر ، لأنه لاتعارض فى الحقيقة ، اذ يمكن التوفيق بين هذه الروايات من عدة وجوه .

فيمكن مثلا أن يقال : ان المراد بالكل فى بعض روايات الحديث الأكثر والغالب ، وارادة الأكثر بلفظ الكل جائزة فى كلام العرب .

ويمكن أن يقال : ان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان فى بعض السنين يصوم جميع أيام شعبان ، وفى بعض السنين كان يصوم أكثر أيامه ، حتى لايتوهم المسلمون أن صيامه فرض كصيام رمضان .

وحكمة اهتمامه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بصـيام شعبان ـ كله أو أكثره ـ تتجلى فيما أخرجه أبو داود والنسائى عن أسامة بن زيد ـ رضى الله عنه ـ قال : قلت :

يا رسول الله ، لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان ، فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان ، وهو شهر ترفع فيه الأعمال الى رب العالمين ، فاحب أن يرفع عملى وأنا صائم » .

اى ان الناس يغفلون عن « تعظيم شعبان بالصوم كما يعظمون رمضان ورجبا ..

وقد وقع فى هذا الشهر العظيم حوادث هامة بعيدة الأثر ، سنذكر بعضها فى هذه الكلمة ..

فمن هذه الحوادث غزوة المريسيع ، التى حدثت فيها قصة الافك على السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ ، والتى تزوج فيها النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالسيدة جويرية بنت الحارث ، والتى أظهر الله فيها ماكان يبيته المنافقون لهذا الدين .

وبيان ذلك ، أنه فى شعبان من السنة السادسة للهجرة بلغ النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن الحارث بن أبى ضرار (سيد بنى المصطلق) خرج فى قومه لحرب المسلمين فندب ـ عليه الصلاة والسلام ـ الناس للخروج لملاقاتهم، فاسرعوا الى تلبية أمره ، وخرج معهم جماعة من المنافقين وكان ذلك فى يوم الاثنين ثالث يوم من شعبان .

وانتهى ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى المريسيع ، ومعه من امهات المؤمنين عائشة ، وكان من عادته ـ صلى الله عليه وسلم ـ اذا خرج فى سفر أن يضرب القرعة بين نسائه فمن أصابتها اصطحبها معه ، فاصابت القرعة فى هذه المرة عائشة .

وصف النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أصحابه ،وأعطى راية المهاجرين لأبى بكر الصديق ، وراية الأنصار لسعد ابن عبادة .

وانتهت الغزوة بانتصار المسلمين ، وهزيمة المشركين . وكان من جملة السبى جويرية بنت الحارث ـ سيد القوم ـ وقعت فى سهم ثابت بن قيس ، فكاتبها ، فادى عنها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتزوجها ، فكان ذلك سببا فى أن المسلمين أطلقوا سراح من كان معهم من السبى وقالوا : أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفى بعض المنازل التى نزل فيها المسلمون حين عودتهم الى المدينة اكتشفت عائشة أن عقدها سقط منها بينما كانت فى حاجتها ، فرجعت تلتمسه فى الموضع الذى فقدته فيه ، وفى فترة غيابها فى طلب العقد غادر المسلمون هذا المكان فى طريقهم الى المدينة ، ولم يفطن أحد لغياب عائشة ، وحملوا هودجها على بعيرها ظانين أنها فيه ،ولما رجعت عائشة بالعقد لم تجد أحدا ، فجلست فى مكانها ، اعتقادا منها أنهم سيفتقدونها ، وسيعودون الى طلبها حيث تركوها ، وغلبتها عيناها ، فنامت فى مكانها ، ولم يوقظها الا صوت صفوان بن المعطل وهو يسترجع ويقول: زوجة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فاناخ راحلته، وأدناها منها ، فركبتها دون أن يكلمها ، وقدم بها المدينة بعد وصول المسلمين ، وانتهزها عدو الله رئيس المنافقين فرصة للنيل منها ومن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فاشاع عنها السوء ، حتى صارت قصة الافك على كل لسان ، وعندئذ استشار ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ أصحابه فى أمرها ، فمنهم من اشار بفراقها ، ومنهم من اشار بامساكها وعدم التعويل على كلام المرجفين .

وأخيرا ، وبعد مضى شهر على ظهور هذه القصة نزلت براءتها بقوله تعالى فى سورة النور : « ان الذين جاؤوا بالافك عصبة منكم ، لاتحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم ، لكل امرىء منهم مااكتسب من الاثم ، والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم » ، الى أن قال : « ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة ، والله يعلم وأنتم لاتعلمون » .

وهنا يجدر بنا أن ننبه الى خطأ وقع فيه كثير من الناس ، اذ توهموا أن آية التيمم نزلت فى هذه الغزوة .

ومنشأ هذا الوهم أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ خرج فى غزوة أخرى بعد هذه الغزوة ، وفيها فقد عقد عائشة أيضا ، وحبس التماسه الناس ، وشفق عليهم البقاء فى هذا المكان لنفاد الماء منهم حتى أن أبا بكر قال لابنته عائشة : فى كل سفر تكونين عناء وبلاء وليس مع الناس ماء ، فانزل الله آية التيمم ، فالتبست على بعض الناس هذه القصة بما وقع فى غزوة المريسيع ، وذلك لسقوط العقد من عائشة فى الغزوتين .

وفى هذه الغزوة ظهر ماكان خافيا من أمر رئيس المنافقين بسبب ما وقع بين أجيره وأجير عمر على الماء ، اذ حرض قومه من الخزرج على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعاب المسلمين ، وأطلق لسانه فيهم . وطلب من أهل المدينة ألا ينفقوا على المهاجرين حتى ينفضوا عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويتركوه ، كما توعد المهاجرين بطردهم من المدينة ، وسمع زيد بن أرقم مقالة ابن أبى فاخبر بها النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأنكر عدو الله وأخذ يحلف أنه ماقال شيئا من هذا ، فانزل الله تكذيبه بقوله : « هم الذين يقولون لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ، ولله خزائن السموات والارض ولكن المنافقين لايفقهون ، يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لايعلمون » ، وعندئذ أمسك ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ باذن زيد بن أرقم وقال : « أبشر فقد صدقك الله»

وفى ليلة النصف من هذا الشهر المبارك تحولت قبلة المسلمين فى الصلاة من بيت المقدس الى المسجد الحرام ، ونزل قول الله تعالى : « قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيث ماكنتم فولوا وجوهكم شطره ، وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم ، وما الله بغافل عما يعملون ... الآيات » .

ولعل هذا هو السبب فى اجتماع المسلمين فى المساجد فى ليلة النصف من شعبان ، وترديدهم هذا الدعاء المشهور زاعمين أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يدعو به فى تلك الليلة .

ولاشك أن هذا جهل منهم بتلك المناسبة الكريمة ،وبهذا الحادث العظيم الذى وقع فى تلك الليلة المباركة ، حادث تحويل القبلة .

ومما يشرف قبلة المسلمين ـ زادها الله شرفا ـ أنها هى القبلة الوحيدة التى كانت بتوقيف من الله تعالى ، بخلاف بيت المقدس ـ قبلة اليهود والنصارى ـ فليس بالتوراة أمر باستقبال الصخرة ، وانما كان اليهود اذا خرجوا من بيت المقدس الى أى مكان آخر نصبوا التابوت أمامهم وصلوا اليه ، واذا عادوا الى بيت المقدس نصبوه على الصخرة وصلوا اليه ، فلما رفع التابوت صلوا الى موضعه وهو الصخرة ..

واقتفى النصارى أثر اليهود فى ذلك ، اجتهادا من رؤسائهم أن قبلة اليهود هى قبلة لهم أيضا .

ولاشك أن الكعبة المشرفة هى القبلة التى هدانا الله اليها ، كما قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « انهم لايحسدوننا على شىء كما يحسدوننا على يوم الجمعة الذى هدانا الله له وضلوا عنه ، وعلى القبلة التى هدانا الله لها وضلوا عنها ، وعلى قولنا خلف الامام : آمين » .

حول موالد السيد أحمد البدوى

الأستاذ حسن الشيخة

اقيم المولد الكبير للسيد احمد البدوى فى شهر جمادى الآخرة الماضى ، وقد رأيت ان هذه مناسبة اكتب فيها عن موالد السيد احمد البدوى بمشاهداتى ، وبما كتبه عنها المؤرخون ابن اياس ، والشيخ الشعرانى ، وعلى مبارك ، وكلوت بك ، وغيرهم ، وفى عناية هؤلاء المؤرخين بالكتابة عن هذه الموالد ما له دلالته الطيبة عن تجمعات قد تكون فى بعض حالاتها فريدة عن بقية التجمعات فى الموالد الاخرى ، اما مشاهداتى لها فانى من بلد هى من أقرب البلاد الى مدينة طنطا ، فانا بحكم البيئة من هذه المدينة ، التى تعد ثالثة المدن بعد القاهرة والاسكندرية ، وسبب اتساعها وجود السيد احمد البدوى بها ، ويقول على مبارك فى ذلك فى كتابه « علم الدين » :

« وسمعت من بعض المشايخ .. ان السيد لما توفى فى (ربيع الاول عام ٦٧٥ هـ) كان كثير من اتباعه متفرقين فى البلاد ، فلما سمعوا بوفاته حضروا .. الى طنطا ، ليعزوا فيه خليفته عبد العال ، وكانت طنطا وقتئذ قرية صغيرة ، فلم تكن تتسع لكل هذه الجموع ، فضربوا خيامهم خارجها ....»

موالد السيد البدوى

للسيد احمد البدوى ثلاثة موالد ، اذكرها كما يعرفها القوم ، ثم اتحدث عن كل واحد منها بوجيز من القول :

١ ـ المولد الكبير
٢ ـ المولد الصغير
٣ ـ المولد الرجبى

اما المولد الكبير فهو الذى اقيم فى جمادى الآخرة كما تقدم وفيه تتغير معالم مدينة طنطا فى الداخل والخارج ، اما فى الداخل فزحام لا يدع فيها شبرا من ارضها لا تغطيه اقدام الاقوام ، والتصاق بالاجسام لا يتحمله الا القادرون على مغالبته ، بحيث ان الضعيف لا يكون له محل يسير فيه وسط هذه الحشود التى يخطئها العد والاحصاء ، وعروض تجارة من كل نوع تغطى الدكاكين والمتاجر ، كما تستر افاريزها التى هى فى الاصل مهياة لسير الاقوام ، واما فى مسجد السيد احمد البدوى ومزاره وافنيته فتحدث عن التسابق العجيب الذى يخيل اليك ان الناس يتسابقون الى دخول الجنة .

أما خارج المدينة وطرقها من اطرافها التى ينفذ الناس منها الى القرى والبلاد فان مدنا جديدة تخلق فيها من خيم وسرادقات وأرائك مذهبة ، ومذياعات تذيع الوعظ والارشاد والاذكار وآى الذكر الحكيم ، وكل ما يحلو قوله ، ويلذ سماعه ، والناس ما بين وقوف وكأن على رءوسهم الطير ، او غادين ورائحين للتفرج على المدن التجارية ، التى أقيمت على الطرق الزراعية ، أو شراء ما عز عليهم شراؤه داخل المدينة ، لتعذر الشراء ، والاخذ والعطاء داخلها .

يقول كلوت بك فى كتابه « لمحة فى تاريخ مصر » ما يبين لنا حالة المولد الكبير فى أيامه ، ومعروف أنه كان فى عهد محمد على الكبير ، وهو فى ذلك القول يصف لنا عالمية هذا المولد ، لا مصريته لا غير ـ وصف مشاهد لا سامع .

« .. وفى هذا المولد تزدحم مدينة طنطا بالزائرين ، اذ يقصد اليها التجار من بلاد تركيا وفارس ، وكثير من بلاد افريقية ، يحملون اليها معهم الاقمشة المطبوعة ، والمناديل والثياب الحريرية ولعب الاطفال ، والاوانى الصلصالية ، والخزفية ، وريش النعام ، والارقاء للتجارة ، وهم يعرضون هذه البضائع على الانظار ، فى الدكاكين ، وتحت المظلات ، التى كثيرا ما تشغل متسعا من الارض طوله نحو أربعة فراسخ ، على صفين متوازيين .. » ، فاذا كان المولد فى اوائل القرن التاسع عشر هو ما وصفه كلوت بك المؤرخ ـ فما بالنا فى النصف الثانى من القرن العشرين ؟

أما اولية هذا المولد فتؤخذ من قول على مبارك :

« .. ان السيد البدوى لما توفى « وقد تقدم تاريخ وفاته » كان كثير من تلامذته متفرقين فى البلاد ، فلما سمعوا بوفاته حضروا بأتباعهم ومن معهم الى طنطا ليعزوا فيه خليفته عبد العال .. فلما ارادوا الرحيل شيعهم الخليفة .. فقالوا له : هذه عادة مستمرة نحضرها كل عام فى هذا الميعاد ، فلما كان العام القابل حضروا فى الميعاد ، ثم حضروا فى الذى بعده ، واستمرت هذه العادة ، فنشأ عن ذلك المولد الكبير .. » .

أما المولد الصغير فيذكر عنه المؤرخ كلوت بك أنه كان فى أصله هو مولد خليفة السيد البدوى : الشيخ عبد العال الفيشاوى ، ولكن شهرة السيد طغت عليه فصار يعتبر من موالده .

وأقول ان الشيخ عبد العال هذا هو من بلد بجوار طنطا اسمها « فيشا » ، وقد قربه السيد البدوى اليه ، وجعله أخص خواصه ، وله مزار كبير بجوار مزار السيد ، ويرى المغفور له الشيخ الاكبر مصطفى عبد الرزاق أن الفضل يرجع الى عبد العال فى صقل الطريقة الاحمدية بالمظهر المصرى ، وتخليصها من المظهر المغربى الذى كان قد صبغها به السيد ، والذى لم يبق منه الا أنحاء اللثامين ، ولبس أليشت الصوف ، ومعروف ان السيد كان يلقب بذى اللثامين .

ويروى بعضهم رواية اخرى فى شان المولد الصغير ، هى أن أحد أتباع السيد كان قد حضر مرة فى غير وقت المولد الكبير ليزور ضريح شيخه مع أتباع له ، فاقام بطنطا اياما كان يشغل لياليها بالاذكار ، ثم اتخذ ذلك عادة سنوية له ، وكان هذا هو منشأ المولد الصغير ، حيث يتجمع هو واتباعه ومعارفه كل عام

أما المولد الرجبى فانه ليس منسوبا الى شهر رجب كما هى عقيدة الكثيرين ، وانما هو منسوب الى رجب العسيلى الذى كان كبير اهل مدينة المحلة الكبرى ، أيام كانت المحلة هى عاصمة الغربية ، وكانت طنطا ـ او

البقية ص ١٦٠

طاووس اليمانى

الأستاذ محمد سيد جاد الحق

لما وجدت النفس تستروح الى مطالعة أخبار من تقدم ورأيت التاريخ للزمان مراة وتراجم العلماء للمشاركة فى المشاهدة مرقاة وأخبار الماضيين لمن عاقر الهموم ملهاة وربما أفاد التاريخ حزما وعزما وموعظة وعلما وهمة تذهب هما وبيانا يزيل وهنا سرحت طرفى فى تاريخ الأعيان الذين مد الله لهم فى الفضل وبسط حيث هم نجباء الزمان وأمجاده وأساطين كل علم وأوتاده وأبطال كل ملحمة وفرسان كل معركة فدخلت روضهم لأستنشق زهره وانشق رياه وأنخت مطيتى بمن تجلت

له العبر فى مرآة عقله بلبل الروض والسابق الى المعالى فى حلبة الفضل طاووس بن كيسان اليمانى الهمدانى البحر العجاج الذى ألقت اليه الشريعة زمامها وأعارته محاسنها فأسعد ببيانه وأسعف وواصل السير فى طريق المعرفة حتى استوى على عرشها ووصل الى الغاية من سرها .

مولده ونسبه : هو من أبناء الفرس الذين سيرهم كسرى الى اليمن فصار مولى بحير بن ريان الحميرى وأمه مولاة لقوم حمير . ولد رضى الله عنه باليمن ونشأ بها وتفقه على كواكبها فمهر فى علوم المعرفة حتى أصاب ذروتها فكان من أكابر التابعين تفقها فى الدين ورواية للحديث وجرأة على وعظ الخلفاء والملوك ولى قضاء صنعاء والجند وبها كان مسكنه يتردد على صنعاء ولكن فى عزلة عن الناس والملوك لم ير له نظير فى مسلكه ولا شبيه فى عبادته وشجاعته وقوته فى الحق وقدرته .

روايته وسماعه : ادرك خمسين من الصحابة وسمع من ابن عباس وجابر بن عبد الله وابن عمر وأبى هريرة وروى عنه مجاهد وعمرو بن دينار وقيس بن سعد والزهرى وابنه عبد الله بن طاووس وفى فضله يقول ابن عينية : قلت لعبد الله بن يزيد مع من تدخل على ابن عباس فقال : مع عطاء وأصحابه . فقلت وطاووس قال : ذاك يدخل مع الخواص .

عمر بن عبد العزيز وطاووس : لما ولى عمر ابن عبد العزيز الخلافة كتب اليه طاووس يقول ان أردت أن يكون عملك خيرا كله فاستعمل أهل الخير فقال عمر كفى بها موعظة .

نصيحة طاووس لعطاء : قال طاووس لعطاء ياعطاء لا تنزلن حاجتك بمن أغلق دونك أبوابه وجعل عليها حجابه ولكن أنزلها بمن بابه مفتوح لك الى يوم القيامة أمرك أن تدعوه ووعدك الاجابة .

الأسد يحبس الناس : حبس الاسد الناس ليلة فى طريق الحج فدق الناس بعضهم بعضا فلما جاء السحر ذهب عنهم فنزل الناس يمينا وشمالا فألقوا أنفسهم فناموا وقام طاووس يصلى فقال له ابنه ألا تنام فقد نصبت الليلة فقال ومن ينام السحر .

طاووس وابن الخليفة : جاء ابن لسليمان بن عبد الملك فجلس الى جنب طاووس فلم يلتفت اليه فقيل له جلس اليك ابن أمير المؤمنين فلم تلتفت اليه فقال أردت أن يعلم أن لله عبادا يزهدون فيما فى يديه .

عيسى ابن مريم وابليس : عن طاووس قال لقى عيسى ابن مريم ابليس فقال ابليس لعيسى - عليه السلام - أما علمت أنه لن يصيبك الا ما كتب الله لك . قال نعم . قال ابليس فأوف بذروة هذا الجبل فترد منه فانظر أتعيش أم لا ؟ قال عيسى أما علمت أن الله تعالى يقول ان العبد لا يختبر ربه ولكن الرب يختبر عبده .

طاووس وسليمان بن عبد الملك : لما حج سليمان بن عبد الملك قال انظروا لى فقيهـا أسأله عن بعض المناسك قال فخرج الحاجب يلتمس له فمر طاووس فقالوا هذا طاووس اليمانى فأخذه الحاجب فقال أجب أمير المؤمنين فقال أعفنى فأبى فأدخله عليه قال طاووس فلما وقفت بين يديه قلت ان هذا المقام يسألنى الله عنه فقال يا أمير المؤمنين ان صخرة كانت على شفير جهنم هوت فيها سبعين خريفـا حتى استقرت فى قرارها أتدرى لمن أعدها الله قال لا ويلك لمن أعدها الله قال لمن أشركه الله فى حكمه فجار .

عمر بن عبد العزيز وطاووس : قال عمر بن عبد العزيز لطاووس ارفع حاجتك الى أمير المؤمنين يعنى سليمان بن عبد الملك فقال طاووس مالى اليه من حاجة فكأنه عجب من ذلك قال سفيان وحلف لنا ابراهيم وهو متقبل الكعبة ورب هذا البيت رأيت احدا الشريف والوضيع عنده بمنزلة واحدة الا طاووس .

ابو جعفر المنصور وابن طاووس : استدعى المنصور عبد الله بن طاووس ومالك بن أنس ـ رضى الله عنهما ـ فلما دخلا عليه أطرق ساعة ثم التفت الى ابن طاووس وقال له حدثنى عن أبيك فقال حدثنى أبى أن أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل أشركه الله تعالى فى سلطانه فأدخل عليه الجور فى حكمه فأمسك ابو جعفر ساعة قال مالك فضممت ثيابى خوفا أن يصيبنى دمه ثم قال له المنصور ناولنى تلك الدواة ثلاث مرات فلم يفعل فقال له لم لا تناولنى فقال أخاف أن تكتب بها معصية فأكون قد شاركتك فيها فلما سمع ذلك قال قوما عنى قال ذلك ما كنا نبغى قال مالك فما زلت أعرف لابن طاووس فضله من ذلك اليوم .

ثناء العلماء عليه : قال قيس بن سعد كان طاووس فينا مثل ابن سيرين بالبصرة وقال عثمان الدارمى قلت لابن معين طاووس أحب اليك ام سعيد بن حبير ؟ فلم يخير وقال عمرو ابن دينار ما رأيت أحدا أعف عما فى أيدى الناس من طاووس وقال ابن عينيه متجنبو السلطان ثلاثة ابو ذر فى زمانه وطاووس فى زمانه والثورى فى زمانه .

طاووس واخو الحجاج : كان طاووس يصلى فى غداة باردة فمر به محمد بن يوسف أخو الحجاج بن يوسف فى موكبه وطاووس ساجد فأمر بساج أو طيلسان فطرح عليه فلم يرفع رأسه حتى فرغ من حاجته فلما سلم نظر فاذا الساج عليه فانتفض ولم ينظر اليه ومضى الى منزله .

حكم طاووس ـ قال طاووس: كان رجل فيما خلا من الزمان وكان عاقلا لبيبا فكبر فقعد فى البيت فقال لابنه يوما انى قد اغتممت فى البيت فلو أدخلت على رجالا يكلمونى فذهب ابنه فجمع نفرا فقال ادخلوا على أبى فحدثوه فان سمعتم منه منكرا فاعذروه فانه قد كبر وان سمعتم منه خيرا فاقبلوا قال فدخلوا عليه فكان أول ما تكلم به أن قال ان أكيس الكيس التقى وأعجز العجز الفجور واذا تزوج الرجل فليتزوج من معدن صالح فاذا اطلعتم على فجرة رجل فاحذروه فان لها أخوات وقال اللهم أحرمنى المال والولد وارزقنى الايمان والعمل.

وفاته رضى الله عنه ـ اصابته علة وهو فى طريق الحج فمرض بمنى ومات بمكة يوم التروية وكان هشام بن عبد الملك حاجا تلك السنة فصلى عليه بين الركن والمقام .

وحين حضرته الوفاة قال لولده اذا وضعتنى فى اللحد ونصبت على اللبن ولم يبق غير يسير فانظرنى فان وجدتنى فانا لله وانا اليـه راجعون وان لم تجدنى فاحمد الله فافعل .

واستمر طاووس فى الأرض بضعة وتسعين سنة قضى أكثرها منقطعا للدرس يحصل ويلم باطراف العلم من كل جانب متفرغا للعبادة فجمع الى حذق العلم صفاء الروح فى العبادة حتى انفرطت آخر حبة من عقد عمره وحين مات لم يتهيأ اخراج جنازته لكثرة الناس ولما تعذر الأمر وجه ابراهيم بن هشام المخزومى أمير مكة الحرس لحفظ الجنازة فى سيرها حتى يتم دفنها ورؤى عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب يحمل السرير على كاهله وقد سقطت قلنسوة كانت على رأسه ومزق رداؤه من خلفه وبهذا انتهت حياة سيد التابعين الزهد والعبادة والجهر بالحق .

باليمن بعدما ضرب للناس أروع الأمثال فى

جهاز المخابرات في حرب الرسول

الأستاذ عبد المنعم حسن الأدفوي

اعرض مشركو قريش عن دعوه الاسلام ثلاثة عشر ه ، أمضاها الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه في مكة بدعوهم الى توحيد الله والايمان برسالته ، ووصل موقفهم منه الى محاولة شل حركته أو قتله أو اخراجه من بلده « واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين»

عند هذه النقطة .. امر الله رسوله بالهجرة الى المدينة واذن له فى قتال مشركى قريش « اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير » .

واقتصرت حرب الرسول فى أول الأمر على مشركى قريش ، فلم يتعرض لمحاربة القبائل الأخرى من العرب الا بعد أن وقفوا مع قريش يساندونها « وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة » ويقول الرسول « أمرت ان أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ، فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله » .

ولما وقف اليهود ، وهل أهل الكتاب ، مع المشركين حاربهم الرسول « واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لايحب الخائنين » .

وعلى هذا كانت المبادىء التى التزمها الرسول فى قتال اعدائه تقضى بمحاربة مشركى قريش واليهود الخائنين ، وقبائل العرب التى تعتدى على المسلمين ، أو ساند قريشا ، وكل من بدأ بعدوان من اهل الكتاب كالنصارى

وكان طبيعيا ، وقد أذن للرسول فى قتال أعداء الله ، ان يعد للأمر عدته من مختلف الوجوه « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » ، فكان صلوات الله وسلامه عليه يزود جيوشه بعوامل النصر التى تعتمد على القوى المادية والمعنوية ، كما يستقرىء الفروض والاحتمالات ، ويعد لها أسباب مواجهتها .

و « كان يعول فى استطلاع اخبار كل مكان على أهله واقرب الناس الى العلم بفجاجه ودروبه » ففى سرية عبد الله بن جحش بعث معه ثمانية رهط من المهاجرين ليس فيهم من الانصار احد ، وكتب له كتابا ، وامره الا ينظر فيه حتى يسير يومين ، ثم ينظر فيه ، فيمضى لما امره به ، ولا يستكره من اصحابه احدا .. ولما سار عبد الله بن جحش يومين فتح الكتاب ، فنظر فيه ، فاذا فيه : « اذا نظرت فى كتابى هذا ، فامض حتى تنزل (نخلة) بين مكة والطائف ، فترصد بها قريشا ، وتعلم لنا من أخبارهم » .

فلما نظر عبد الله بن جحش فى الكتاب قال ، سمعا وطاعة ثم قال لأصحابه قد أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أمضى الى نخلة ، أرصد بها قريشا حتى آتيه منهم بخبر ، وقد نهانى أن أستكره أحدا منكم ، فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق ، ومن كره فليرجع ... ومضى ومعه اصحابه ، لم يتخلف عنه احد وأدوا مهمتهم .

فالرسول اذن كان يهتم بترصد قريش وتتبع اخبارها لانه على يقين من ان أعينها لن تنام عن التفكير فى محاربة الاسلام ، واللجوء الى أقذر الوسائل وأخبثها للقضاء عليه ، ومن ثم فهو يعمل دائما على أن يحيط علما بحركاتها وتحركاتها ، وذلك ليتخذ فى الوقت المناسب من الوسائل مايحبط مؤامرتها .

هذه واحدة من الأغراض التى استهدفها كتاب الرسول الى عبد الله بن جحش .. اما الثانية فهى أمره بأن لايفتح الكتاب الا بعد مسيرة يومين ، وفى ذلك اخفاء لمقاصده عن الأعداء من اليهود والمشركين والمنافقين .. وطبيعى ان يكون الباعث للرسول على بعث هذه السرية ، أن يكون قد وصل اليه أن قريشا تحاول أمرا ضده أو اتخذ هذا الاجراء من قبيل الاحتياط .

وحرص الرسول فى هذا الكتاب ، على ان يامر عبد الله بن جحش ، بألا يستكره أحدا من الرهط ، لأن الاكراه وبخاصة اذا كان الأمر يتصل بحياة الانسان وموته ،لايفيد بل قد يحدث نتيجة عكسية ، كما أن عدم الاكراه يدل بصدق ويقين على مدى الايمان بالعقيدة ، ولذلك قال عبد الله بن جحش لمن كانوا معه . « وقد نهانى الرسول أن أستكره أحدا منكم ، فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق ومن كره فليرجع » ، وقد انطلقوا جميعا .

ثم ان اختيار الرهط من المهاجرين دون الأنصار يعنى فى نظرنا أنه روعى فيه أن المهاجرين أعرف بقريش من الأنصار وبخاصة فى الوقت الذى أوفد فيه الرهط.

عير قـــريش

وفى غزوة بدر الكبرى ترقب الرسول رجوع عيرا لقريش من الشام يتقدمها أبوسفيان بن‌حرب،وكانت قبلا قدافلتت منه ، وهى ذاهبة الى الشام ، ولما علم بقرب رجوعها ندب اليها أصحابه ، ثم خرج فى ٣١٣ رجلا ، وفى الطريق الى بدر سلك طرقا راعى فيها الحيطة والحذر حتى لا يصل أمره الى قريش عن طريق اليهود والمنافقين وحلفـــاء قريش .

واستمر الرسول وأصحابه فى سيرهم ، حتى اذا كانوا قريبا من الصفراء بعث الرسول بسبس بن عمرو الجهنى حليف بنى ساعدة وعدى بن أبى الزغباء الجهنى حليف بنى النجار الى بدر يتحسسان الأخبار عن أبى سفيان بن حرب وغيره ، ثم ارتحل رسول الله ، وقد قدمهما ، فلما استقبل الصفراء ثم واديا يقال له ذفران ، وهنا أتاه الخبر بمسير قريش ليمنعوا عيرهم ، فاستشار الناس وأخبرهم عن قريش .

ثم ارتحل الرسول ، ومعه رجل من أصحابه الى بدر ، حتى وقف على شيخ من العرب يقال له « سفيـــان الضمرى » فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه ومابلغه عنهم فقال الشيخ : لا أخبركما حتى تخبرانى ممن أنتما فقال رسول الله : اذا أخبرتنا أخبرناك قال: أو ذاك بذاك ؟ قال : نعم . قال الشيخ : فانه بلغنى أن محمدا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا ، فان كان صدق الذى أخبرنى ، فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذى به رسول الله ، وبلغنى أن قريشا خرجوا يوم كذا وكذا ، فان كان الـذى أخبرنى صدقنى فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذى به قريش .. فلما فرغ من خبره قال : ممن أنتما فقال رسول الله : نحن من ماء ثم انصرف عنه .

فالرسول يرتحل بنفسه لمعرفة أخبار قريش ، وهـذا يدل على شجاعة فوق التصور ، وعلى حرصه على كتمان أمره ، وذلك كله ليتأكد : هل هو سيلاقى أبا سفيـــان ومن معه ، أو يلاقى قريشا جميعا ؟

وقد كان دور الرسول فى الاستطلاع لغزوة بدر كشأنه دائما القائد الملهم ، بل القائد الذى يعتمد على الحقائق ويستشفها من خلال الأخبار ، وسنوضح لك ذلك فيمـا يأتى ..

ثم رجع رسول الله الى أصحابه، فلما أمسى أراد زيادة فى التأكيد ، فبعث على بن أبى طالب والزبير بن العوام ، وسعد بن أبى وقاص ، فى نفر من أصحابه الى ماء بدر ، يلتمسون الخبر له عليه ، فلقوا فيه غلامين لقريش : « أسلم » غلام بنى الحجاج » و « عريض أبو يسار » غلام بنى العاص بن سعيد ، فأتوا بهما ، وسألوهما ، ورسول الله قائم يصلى فقالا : نحن سقاة قريش بعثونا نسقيهم من الماء ، فكره القوم خبرهما ، ورجوا أن يكونا لأبى سفيان فضربوهما ، فلما بالغوا فى ضربهما قالا نحن لأبى سفيان فتركوهما وركع رسول الله وسجد سجدتين ثم سلم وقال: اذا صدقاكم ضربتموهما واذا كذباكم تركتموهما ، صدقا والله انهما لقريش، أخبرانى عن قريش ؟ قالا هم والله وراء هذا الكثيب الذى ترى بالعدوة القصوى ، فقال لهمـا رسول الله : كم القوم ؟ قالا : كثير .. ماعدتهم ؟ قالا : لاندرى .. قال : كم ينحرون كل يوم ؟ قالا : يوما تسعا ويوما عشرا . قال رسول الله : القوم فيما بين التسعمائة والألف ، ثم قال لهما : فمن فيهم من أشراف قريش ؟ قالا: عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة وأبو البخترى بن‌هشام وحكيم بن حزام ، ونوفل بن خويلد ، والحارث بن عامر ابن نوفل وطعيمه بن عدى بن نوفل ، والنضر بن الحارث وزمعة بن الأسود وأبو جهل بن هشام ، وأميه بن خلف ونبيه ومنبه بن الحجاج وسهيل بن عمرو وعمرو بن عبدود

قال رسول الله : هذه مكة قد ألقت اليكم أفلاذ كبدها.

فانت ترى من سرد هذه الوقائع أن الرسول توصل فعلا الى أن الحرب ستكون بين المسلمين وقريش كلها ، وأن الأمر لن يكون كما يشتهى المسلمون ، فيقاتلون أبا سفيان دون قريش « واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة ، تكون لكم ، ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين »

غزوة الخنـدق

وفى غزوة الخندق أجمعت على حرب الرسول قريش وغطفان وبنو مرة وأشجع وسليم وأسد ، وعدة الجميـع عشرة آلاف محارب يقودهم أبو سفيان ، وذلك بتحريض من يهود بنى النضير ، بعد أن أجلاهم المسلمون عن ديارهم لنقضهم العهود والمواثيق ومؤازرتهم لمشركى قريش ، وكان عدد المسلمين فى هذه الغزوة ٣٠٠٠ محارب .

ومن أسباب انتصار المسلمين فى هذه الغزوة بهذا العدد القليل على العدد الكثير من أعدائهم أن جاء الى رسول الله نعيم بن مسعود الأشجعى من غطفان ، وهو صـديق قريش واليهود ، فقال يارسول الله انى قد أسلمت وقومى لايعلمون باسلامى فمرنى بأمرك حتى أساعدك فقال انت رجل واحد ، وماذا عسى أن تفعل ، ولكن خذل عنـــا ما استطعت فان الحرب خدعة .

فخرج من عند رسول الله وتوجه الى بنى قريظه ، فلما رأوه أكرموه لصداقته معهم فقال يابنى قريظه : تعرفون ودى لكم وخوفى عليكم . وانى محدثكم حديثا فاكتموه عنى قالوا : نعم .. قال رأيتم ماوقع لبنى قينقاع والنضير من اجلائهم وأخذ أموالهم وديارهم ، وان قريشا وغطفان ليسوا مثلكم ، فهم اذا رأوا فرصة انتهـــزوها ، والا انصرفوا لبلادهم ، وأما أنتم فتساكنون الرجل - يريد الرسول - ولا طاقة لكم بحربه وحدكم ، فارى ألا تدخلوا فى هـذه الحرب حتى تستيقنوا من قريش وغطفان ، انهم لن يتركوكم ويذهبوا الى بلادهم ، بان تأخذوا منهم رهائن سبعين شريفا منهم ، فاستحسنوا رأيه ، وأجابوه الى ذلك ، ثم قام من عندهم وتوجه الى قريش ، فاجتمع برؤسائهم وقال أنتم تعرفون ودى لكم ومحبتى اياكم ، وانى محدثكم حديثا فاكتموه عنى ، قالوا نفعل ، فقال لهم ان بنى قريظة قد ندموا على مافعلوه مع محمد ، وخافوا منكم أن ترجعو وتتركوهم معه فقالوا له أيرضيك أن ناخذ جمعـــا من أشرافهم ، ونعطيهم لك وترد جناحنا الذى كسرت (يعنى بنى النضير) ، فرضى بذلك منهم وهاهم أولاء مرسلون اليكم فاحذروهم ، ولاتذكروا مما قلت لكم حرفا ، ثم أتى غطفان فأخبرهم بمثل ما أخبر به قريشا ، فارسل أبو سفيان وفدا لقريظة يدعوهم للقتال غـدا ، فاجابوا انا لايمكننا أن نقاتل فى السبت (وكان ارساله لهم ليلة سبت ولم يصبنا ما أصابنا الا من التعدى فيه) ، ومع ذلك فلن نقاتل حتى تعطونا رهائن منكم ، حتى لاتتركونا وتذهبوا الى بلادكم ،فتحققت قريش وغطفان كلام نعيم بن مسعـود الأشجعى فتفرقت القلوب ، فخاف بعضهم بعضا .

فانت ترى كيف استطاع نعيم بن مسعود أن يقوم بدور ايجابى فى هزيمة الأحزاب ، وذلك بعد أن رسم هـذا التكتيك الناجح ، ثم عرض مساعدته على رسول الله بعد أن أعلن اسلامه ، ولكن لاتنسى أن الرسول قال له : خذل عنا فان الحرب خدعة .

مقومات الدولة الإسلامية

الاستاذ عبد العال السيد شعيب

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم هاديا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، وكانت الامة العربية آنئذ قبائل متفرقة ، وجماعات مختلفة لا يربطها الا العصبية المحدودة ، التى كانت كثيرا ما تتسبب فى الحروب والغارات واهراق الدماء ، وكثيرا ما انشد شعراؤهم الشعر . مفتخرين بقبيلتهم معتزين بها أشد الاعتزاز .

سل الرماح العوالى عن معالينا
واستشعر البيض هل خاب الرجا فينا
انا لقوم أبت اخلاقنا شرفا
ان نبتدى بالاذى من ليس يؤذينا
قوم اذا استخصموا كانوا فراعنة
يوما وان حكموا كانوا موازينا
اذا ادعوا جاءت الدنيا مصدقة
وان دعوا قالت الايام آمينا

وهذا هو الشاعر السموءل أيضا يقول معتزا بقومه وعشيرته :

وانا لقوم لا نرى الموت سبة
اذا ما رأته عامر وسلول
يقرب حب الموت آجالنا لنا
وتكرهه آجالهم فتطول
وما مات منا سيد حتف أنفه
ولا طل منا حيث كان قتيل
وننكر ان شئنا على الناس قولهم
ولا ينكرون القول حين نقول
اذا سيد منا خلا قام سيد
قؤول لما قال الكرام فعول
سلى ان جهلت الناس عنا وعنهم
فليس سواء عالم وجهول

وكانت الوثنية هى السائدة فى ذلك الزمان ، فكان الرجل يعفر جبهته بالسجود لاصنام لا تنفع ولا تضر ، ولا حجة لهم الا انهم متبعون لآبائهم فى عبادة هذه الاصنام ، « واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا او لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون » وكانوا يعتقدون كذلك بان هذه الاوثان تقربهم من الخالق فهم يعبدونها تقربا الى الله « ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى » ولقد أراد الله ان يضع حدا لهذه الفوضى فى التصور والسلوك فبعث رسوله الكريم بذلك الدين القيم « فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون » ..

وحدد الاسلام مقومات دولته فى مبدأين خالدين :

المبدأ الاول ـ عقيدة التوحيد ، ومعنى ذلك : الاعتراف للفرد بحقه فى الحياة وعدم اهدار آدميته ، وحقه فى الحرية والكرامة ، ان عقيدة التوحيد ثورة على الاستبداد والاستغلال والاستعباد ، انها تحرير للفرد من استغلال فرد آخر ، مهما كان وصفه فى الحياة ، فالكل فى حق الحياة سواء .. وكان صاحب الرسالة محمد صلى الله عليه وسلم اول من طبق على نفسه مبادىء الاسلام ، فها هو ذا رجل من البادية يقدم عليه ، وتصيبه رعدة من هيبة رسول الله ، فيمسك الرسول بيده ويقول له : هون على نفسك يا أخى فانما أنا ابن امراة من قريش كانت تاكل القديد بمكة .. وكثيرا ما كان يحذر أصحابه من ان يرفعوه عن بشريته فهو يقول لهم : « لا تطرونى كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم فانما أنا عبد الله ورسوله» .. وقد تخيل بعضهم ان الرسول لا يكون رسولا من عند الله الا اذا تميز بخوارق العادات وعجائب المعجزات ، فاجابهم الله تعالى فى القرآن بقوله : « وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا ، أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتى بالله والملائكة قبيلا . أو يكون لك بيت من زخرف او ترقى فى السماء ، ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ، قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا » .

وجاء فى سورة الفرقان : « وقالوا مال هذا الرسول ياكل الطعام ويمشى فى الاسواق لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا » وبعد ان سرد القرآن الكريم دعوى الكافرين ، وفند ما فيها ، قال جل شانه فى هذه السورة «وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق ، وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون ، وكان ربك بصيرا »

وفى آخر سورة الكهف قوله تعالى « قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا » ومع رعاية الاسلام للفرد ، وتقرير هذه الحقوق له ، صنع منه انسانا مثاليا لا يخضع لانسان مثله ، ولا يسجد لشجر او حجر أو صنم ، بل وجهه الى عبادة الله الواحد ، والى الايمان برسالة محمد عبده ورسوله ، هذا الايمان يطهر النفوس البشرية من الآثام ، ويطهرها ويعلى شانها .. ويؤكد تكريم الله للانسان « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » هذا الايمان

جعل من اتباعه فدائيين يستعذبون الموت فى سبيل مبادئهم ، واهدافهم ، ولا يبالون فى وقت الشدائد ان وقعوا على الموت او وقع الموت عليهم ، وفى سير سلفنا الصالح مثل رائعة للتضحية ، والفدائية ، واستعذاب الاذى فى سبيل العقيدة ، .. كان عمار بن ياسر وصهيب وبلال وامثالهم يعذبون ليرجعوا عن دينهم ، فمنهم من كان يكوى بالنار حتى لتحسب ان تلك الاجسام قد تعاظمت على النواميس الطبيعية فيمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أباة صابرون لا يشكون ولا يجزعون فيقول لهم : صبرا صبرا ، فان موعدكم الجنة ، وقد بلغ من فداحة التنكيل ان مات ياسر ابو عمار فى اثناء العذاب . وكان امية بن خلف يعذب بلالا عذابا ينضج الجلد ويشوى اللحم ، ثم يضع على ظهره صخرة عظيمة ويقول له ، لا تزال هكذا حتى تموت او تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى ، فلا يزيد بلال على ان يقول : الله احد ـ الله احد ..

وعقيدة التوحيد تتطلب من معتنقيها ان يعملوا وينتجوا ، وان يسعوا فى الارض وينتشروا فيها ويمشوا فى مناكبها ، ليهيئوا لانفسهم حياة حرة عزيزة كريمة ، وكثيرا ما تقرن آيات القرآن الكريم الايمان بالعمل الصالح « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع أجر من احسن عملا » « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا » « ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين » والعمل شامل للعمل الدينى اى تنفيذ احكام الشريعة ولغير العمل الدينى من السعى فى الحياة ، ولهذا يقول الرسول الكريم « ان اشرف الكسب كسب الرجل من يده » ويرى التاريخ الصادق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا مع اصحابه يوما ، فنظروا الى شاب ذى جلد وقوة قد بكر ليسعى ، فقالوا : ويح هذا ، لو كان شبابه وجلده فى سبيل الله ، فقال الرسول : لا تقولوا هذا ، فانه ان كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو فى سبيل الله ، وان كان خرج يسعى على ابوين شيخين كبيرين فهو فى سبيل الله ، وان كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو فى سبيل الله ، وان كان خرج يسعى رياء ومفاخرة ، فهو فى سبيل الشيطان » .

لقد كان المسلم يرى نفسه أكرم عليه من ان تذل لمتكرم ، او تهون امام معط ، مهما علت سماحته وعظمت مروءته ، ويروى فى ذلك مثل رائع من سلفنا الامجاد.. هذا هو ابو ذر الغفارى رضى الله عنه وهو المقل الزاهد يابى عطية من عثمان بن عفان رضى الله عنه ، فقد بعث اليه بصرة مع عبد له وكان فى الصرة اموال كثيرة لينفق منها ابو ذر ، وقال حامل الصرة لابى ذر ، ان قبلتها فانا حر لان سيدى عثمان بن عفان وعدنى بذلك ، لكن ابا ذر لم يقبلها . فقال له الرقيق : اقبلها يرحمك الله ، فان فيها عتقى ، فقال ابو ذر : ان كان فيها عتقك ففيها رقى ، وابى ان يقبلها » .

المبدأ الثانى من المبادىء التى قامت عليها الدولة الاسلامية : العدالة ، لقد وضع الرسول أسس المساواة والعدالة فى قوله « لا فضل لعربى على عجمى ، ولا لابيض على أسود الا بالتقوى » ودعا الى الاخاء بقوله « لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه ».

ومما يروى فى ارساء الرسول لقواعد العدالة ، حادث المرأة ، المخزومية التى سرقت وسيقام عليها حد السرقة ، فاهم قريشا شانها ، وقالوا : من يكلم فيها رسول الله ؟ فقالوا : ومن يجترىء عليه الا اسامة بن زيد حبه ؟ فكلمه اسامة ، فغضب الرسول وقال : اتشفع فى حد من حدود الله تعالى ؟ ثم قام فخطب فقال : انما اهلك الذين من قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه ، واذا سرق فيهم الضعيف اقاموا عليه الحد ، وايم الله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها .. وقد جاءت نصوص القرآن صريحة فى ذلك قال تعالى : « ان الله يامركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » وقال : « يايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين » وقال « ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، أعدلوا هو أقرب للتقوى » وقال : « فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله »

وقد خطب عمر بن الخطاب الناس يوما ، فنصحهم ثم قال لهم : « ألا وانى والله ما أرسلت عمالى اليكم ليضربوا ابشاركم ـ ولا لياخذوا اموالكم ، ولكن ارسلتهم اليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم ، فمن فعل به سوى ذلك فليرفق الى ، فوالذى نفسى بيده اذن لاقصنه » فوثب عمرو بن العاص فقال : « يا امير المؤمنين ، أفرأيت ان كان رجل من المسلمين على رعيته فادب بعض رعيته انك لمقصه ؟ » فقال عمر : « اى والذى نفس عمر بيده ، اذن لاقصنه منه ، وكيف لا اقص منه ، وقد رأيت رسول الله يقص من نفسه ، ألا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم ، ولا تنزلوهم الغياض فتضيعوهم » .

ويتسع معنى العدالة ليشمل العدالة الاجتماعية ، التى توفر للانسان الكرامة الانسانية الحقيقية ، وهى ان يعيش الانسان فى مجتمعه موفور الحرية مصون المنزلة ، اذ لا كرامة للجائع ولا للمريض ولا للفقير فى مجتمع تطغى فيه القسوة والاثرة على الرحمة والايثار ، والعناية باولئك البؤساء من ابناء المجتمع . وقد كان المسلم الاول يؤثر اخاه على نفسه ، وينزل القرآن الكريم مثنيا على الانصار فى حسن استقبالهم لاخوانهم المهاجرين حيث يقول « والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون »

وان ابا بكر الصديق رضى الله عنه هو الذى اذاع القانون الدولى عند مقاتلة الاعداء . كما سنها من قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلقد قال عليه السلام وهو يشيع جيش اسامة ، لا تخونوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا الا للاكل ، وسوف تمرون باقوام قد فرغوا أنفسهم فى الصوامع ، فدعوهم وما فرغوا انفسهم له »

هذه هى تعاليم الاسلام . وهذه دعائم ذلك الدين التى قام عليها ، والتى جعلته يشرق فى الارض ويغرب ، ويدخل الناس فيه أفواجا أفواجا طائعين مختارين لهديه وتوجيهه ، فهم النور والسلام . وانتشرت راية العدل والحق، وساد الخلق النبيل والمثل العليا الرفيعة .. وشيد المسلمون حضارة اتفق المؤرخون على انها ارقى الحضارات ، فالقاهرة ودمشق وبغداد وحلب وسمرقند واصفهان وقرطبة وغيرها ما تزال آثار الاسلام فيها شاخصة تدل على عظمة المسلمين وتفوقهم فى كل مجال من مجالات الحياة ، وقد أثرت هذه الحضارة فى اوربا ، حيث أخذت عنها العلوم والفنون والمعارف ، ولهذا قال احد فلاسفة الغرب « احذف العرب من التاريخ يتاخر عصر التجديد والحضارة فى اوربا بضعة قرون »

مؤلف أكبر موسوعة عربية إسلامية في الجغرافيا والتاريخ والأدب

٧

الأستاذ
محمد عبد الجواد الأصمعي

تتمة وصف مسجد دمشق أو المسجد الاموى وصف « ابن فضل الله العمرى » لعمار هذا المسجد بالناس دائما

(قلت) : وهذا المسجد معمور بالناس كل النهار وطرق الليل ، لأنه ممر المدارس والبيوت والأسواق . وفيه ما ليس فى غيره من كثرة الأئمة والقراء ، ومشايخ العلم والاقراء ، ووجوه أهل التصدير والافتاء ، ووظائف الحديث وقراء الأسباع ، والمجاورين من ذوى الصلاح ، فلا تزال أوقاته معمورة بالخير ، آهلة بالعبادة ، قل أن يخلو طرفة عين فى ليل أو نهار من مصل ، أو جالس فى ناحية منه لاعتكاف ، أو مرتل لقرآن ، أو رافع عقيرته بآذان ، أو مكرر فى كتاب علم ، أو سائل عن دين ، أو باحث فى معتقد ، أو مقرر لمذهب ، أو طالب لحل مشكل : من سائل ومسئول ، ومفت ومستفت .

هذا الى من يأتى هذا المسجد مستأنسا لحديث ، أو مرتقبا لقاء أخ ، أو متفرجا فى فضاء صحنه ، وحسن مرأى القمر والنجوم ليلا فى سمائه ، هذا الى فسحة الفضاء وطيب الهواء وبرد رواقاته ، أوقات الهجير ، وحسن مرائى ميازيبه ، أحيان المطر ، وفى كل ناحية من وجهها قمر .

ملاحظة ـ : وصف « ابن فضل الله العمرى » لهذا المسجد ، ينطبق تماما على « المسجد الحسينى » بالقاهرة . و « المسجد الزينبى » . فكلا المسجدين لا يخلوان من الزوار من أنحاء الجمهورية العربية المتحدة طول شهور السنة .

أوقافه ومرتباته :

وعلى هذا الجامع من الوظائف المرتبة ما لا يستقل به الا ديوان ملك ، وعليه جلائل الأوقاف . الا أن الأيدى العادية قد استولت على كثير منه لسبه الاكابر والمناصبات ، وغير ذلك مما عمل عليه على سبيل النصبات .

كتب أستاذنا العالم الباحث المحقق المدقق المرحوم أحمد زكى باشا تعليقا على عبارة : « لسبه الأكابر والمناصبات » يقول ـ رحمه الله تعالى : « أراد أن يقول : لشبه المكابرات والمناصبات » .

ملاحظة ـ : ويريد أستاذنا المرحوم زكى باشا فى تعليقه الذى كتبه : ما كان يجرى فى صحنه من المجالس التى يدور فيها المجادلات والمناقشات والمهاترات والمشاحنات

! الشئون الدينية والمذهبية التى تدعو الى العـــداوة والبغضاء والتفرقة ، فحاق به ما ذكره ابن فضــل الله العمرى .

وقد أضيف اليه وقف الصالح . وقد كان أفرد زمن نور الدين ــ رحمه الله ــ وهو لا يجاوز تسعين ألفــا فى السنة .جعل لها مصارف أخذ بحجتها كل مال المسجد يغل بالباطل ، ورتب منه لغير ذوى الاستحقاق ، وحمل حتى كل مطاه ، وأخذت حتى قصرت خطاه ، وها هو الآن « عصر ابن فضل الله العمرى » قد اختلت أحواله ، وأكلت وشربت أمواله . واصبح نهبا مقسما ، وسواما صيح فى حجراته . وآل حال مباشريه الى أسوأ الحال، وشر المآل !

وكانوا غيــاثا ثم أضـحوا رزية
ألا عظمت تلك الرزايا ، وجلت !

وقد اتفقت كلمة الســفار فى الآفاق الى أنه فرد فى محاسنه ، بديع فى نظرائه .

« ملاحظة ــ : ما قاله المقر الشهابى ابن فضل الله العمرى فىموسوعته الخطيرة «مسالك الابصار» بالسطور المؤشر تحتها ، هو ينطبق تماما بعد مئات السنين ــ ولما كان الشىء بالشىء يذكر والتاريخ يعيد نفسه ــ على ماوقع فى الأراضى الزراعية التى كانت موقوفة ويعرف من ريعها على مساجد مصر والحرمين الشريفين : فى مكة المكرمة ، والمدينة المنورة ، فقد اغتصب « محمد على باشا » رأس الاسرة الدخلية ، هذه الاراضى ونهبها من أصــحابها الموقوفة عليهم ظلما وعدوانا ، ووزعها على أفراد أسرته الملعون اسمها فى الارض والسماء ، والذين جاءوا معه من الجنود الجبابرة الاتراك الارناؤوط ــ وهم أشبه الآن بالجنود المرتزقة الذين يقومون بالظلم والعـدوان على الامم والشعوب ــ وعاونوه فى ظلمه وطغيــــانه وجبروته .

ولكى يستقر فى اعتلاء عرش مصر ، قام بحيلة شيطانية، وتضليل بين ، فدعا « المماليك » الذين كانت لهم السـطوة والجاه والجبروت فى ذلك العصر ، وهم الذين كان « محمد على باشا » يخشى بطشهم ويرتعش من سطوتهم الجبروتية، وقوة بطشهم الى « وليمة مشئومة » بقلعة صلاح الدين ، وكانت مقر ملكه فى عصره الأسود ، الذى ذاق فيه أبناء مصر ، الذل والهوان ، وأنواع الظلم الفاحش ، وألوان الطغيان : من قتل فى الشيوخ والنساء والأطفال ، وهتك للاعراض الشريفة ، ونهب فى الأموال والأرزاق ، وجلــد بالسياط لمن لم يدفع الضرائب التى تفرض على أصحاب الأراضى ، حتى خرجـــوا من دورهم وديارهم ، وتركوا أراضيهم ومواشيهم ، وما يمتلكون فى ديارهم ، ونزحوا الى مدن أخرى مشردين ــ وكان جدنا الأعلى العربى الصميم مقيما بمدينة الفيوم وقتئذ ، أحد ضحايا ذلك الظــلم الشنيع ، وهذا الطغيان الغاشم ، فقد ترك هذه المدينة هو واخوته وأولادهم ، فرارا من بطش هؤلاء الجنـــود الأتراك الجبابرة ، فمنهم من أقام بالقاهرة ، وكاتب هذه السطور أحد ذراريه ، وانتقلوا الى رحمة مولاهم ، وتركوا أثرا مكتوبا بالنقش على الرخام بمدفنهم منــذ عشرات السنين أنهم من مدينة الفيــوم من « أسرة شرابى » . ومنهم من نزح الى الاسكندرية . هذا على وجه التأكيد للمكاتبات والزيارات التى كانت متبــادلة بينهم . وكنا أطفالا فى ذلك المهد ، ثم انقطعت الصلة وأصبحنا فى سن الشيخوخة ولا يعرف بعضنا بعضا . فاللهم اهدنا الى لقاء أبناء عمومتنا وان نأت الدار ، وبعدت الديار :

وقد يجمع الله الشـتيتين بعـد ما
يظنان كل الظـــن ألا تلاقيــا

فلبوا دعوته الغادرة ، وبعــد حضورهم على خيولهم العربية الأصيلة ، وسيوفهم البراقة ، وأثوابهم المزركشة المذهبة اللامعة ، ومناطقهم الذهبية الزاهية ، أغلقت أبواب القلعة ــ وهنا ظهرت النية الخبيثة ، والخيانة الدنيئة ــ ــ فقد قام جنوده المرتزقة الأشرار بقتلهم جميعا والتنكيل بجثثهم شر تنكيل . ما عدا أحدهم « وهو المرحوم أمين بيك » ، فقد لجأ بحصانه الذى يمتطيه الى سور القلعة وقفز من أعلاه الى الأرض ، فنفق الحصان ، ونجا هــو بحياته وهرب الى الشام ، كما هو مشهور فى كتب التاريخ، وسميت هذه الكارثة : « بمذبحة المماليك » .

وقد أخبرنا صديقنا الفاضل ، وأخونا فى عهد التلمذة فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ أحمد عبدالله عضو المحكمة العليا الشرعية أن أحد ذرارى هذا المملوك البطل الشجاع كان أحد أساتذة مدرسة القضاء الشرعى ، وكان يحسن عدة لغات وتلقى عليه دروس التاريخ الاسلامى . وقد سافر الى الآستانة عندما أعلنت الحرب العالمية الأولى ، ولم يعد الى الآن .

ولم يكتف بذلك ، بل قام بما هو أدهى وأمر ، فقد دعا السادة المشايخ علماء الأزهر الشريف البارزين فى عهده الاسود ، وطلب منهم الموافقة على اصدار فتوى شرعية تجيز له ضم الاراضى الزراعية المرصــود والمشروط ريعها باسم مساجد مصر والحرمين الشريفين الى أملاكه، ليقوم بتوزيعها أيضا على افراد اسرته الدخيلة ، ومن عاونه من الضباط والجنود المرتزقة الارناؤوط الذين نزحوا معه من بلدته « قوله » ، وكذلك من التف حوله وعاونه من رجالات مصر الخائنين فى ذلك العهد . فبعض ضعاف القلوب من هؤلاء السادة العلماء وافق . ومنهم من يخشى الله تعالى ، ويرعى حقوقه ليرضيه ويريح ضميره لم يوافق ورفض طلبه ، فقام ببث العـداوة والبغضاء والتفرقة ، وعرفت هذه الواقعة « بفتنـــة العلماء » . ونسأل الله تعالى لهم الرحمة والرضوان . ومن أمر بالتفرقة بينهم جهنم وبئس المصير .

وكان سفاكا للدماء ، فأمر بقتل من عاونه من سادات مصر الذين ساعدوه فى استقرار ملكه ، وتثبيت عرشه .

* * *

تنكيله بابن العلامة المؤرخ الجليل « الجبرتى » :

ومن مساوىء « محمد على باشا » هذا الطاغى الباغى، الذى لم يخش الله تعالى القاهر فوق عباده ، أن وشى اليه أحد بطانة السوء ، أن العلامة المؤرخ الجليــل « الجبرتى » وضع جزءا من تاريخه المشهور ، وهو المرجع الوحيد للعلماء والباحثين لعصر من عصور تاريخ مصر ، فى مثالبه ومساويه ، فجن جنونه ، وأمر باغتيال ابنــه الوحيد ، فقام أحد الأشرار من جنوده غلاظ القلوب ، فقتله شر قتلة فى « شارع شبرا » ونكل به شر تنكيل ، فقد ربطه بذيل مطيته التى كان يركبها ، وظلت تجره من هذا المكان الى أن وصل الى منزله « ببولاق » ، فما أن رأى هذا المنظر الفظيع البشع ، حتى ظل يبكى ويواصل بكاءه ليلا ونهارا ، فكف بصره ، وابيضت عيناه من الحزن وهو كظيم ، كحزن يعقوب على يوسـف ، أو الخنساء على أخيها صخر .

وظل هذا الجزء مفقودا حتى الآن ، ولا ندرى هل لايزال موجودا الى اليوم ، أم عبثت به الأيدى ، وضـــاع مع ما ضاع من الكتب النادرة المثال .

* * *

فخلف من ذرية هذا الظالم الطاغى خلف أضــاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ، فقد قام أحد ذراريه الظالمين بالنهب والسلب واغتصــاب الاراضى من أصحابها ظلما وعدوانا ، كما وضع يده على الأطيان الزراعيـــة الموقوفة والمشروط ريعها على مســـاجد مصر أيضا والحرمين الشريفين ، وأبواب الخير والبر للفقراء والمســاكين ، وضمها الى أطيانه وتفاتيشه الشاسعة ، وهو « الملك

فاروق » الفاسق الفاجر ، الذى تولى « عرش مصر » بعد والده « فؤاد » السكير العربيد ، وأطلق عليه بطانة السوء ، والذين لا يخافون الله تعالى « الملك الصالح » وهو منه برىء . ومما يزيد الطين بلة والجرح الما انهم الحقوا نسبه الدنىء بالنسب النبوى الشريف . وكانت هذه المصيبة الكبرى ، والطامة العظمى . وكان الكثيرون من امراء وافراد هذه الاسرة الدخيلة ــ رجالا ونساء ــ لهم المرتبات الضخمة وقد تعد بالمئات من الجنيهات يصرفونها من خزانة « وزارة الاوقاف » لبذلها بسخاء فى « الليالى الحمراء » لملذاتهم وشهواتهم الدنيئة . ومحروم منها من يستحقها من افراد الاسرة المصرية الفقيرة . ومن يستحقها منهم فجنيهات مصرية تعد على الاصابع ــ ولا حول ولا قوة الا بالله .

وظل الأمر كذلك الى أن جاء اليسر بعد العسر ، والفرج بعد الشدة والنصر بعد الخسر ، فقام الضباط الاحرار، الميامين الاطهار ، بثورة ٢٣ يوليه سنة ١٩٥٢ المباركة المجيدة ، الميمونة الطالع ، فطهروا أرض الكنانة من رجس وظلم هؤلاء الطغاة ، وأطاحوا بالملك الفاسق الفاجر « فاروق » وخروج بل وطرد هذا الملك اللعين ، الشاب الطائش الذى كان يعيث فى أرض مصر الطاهرة فسادا : من هتك للاعراض الشريفة ، واقتحام البيوت الكريمة لينال من نسائها الأطهار اشباع شهواته الخسيسة الدنيئة !! وويل لمن يعترض طريقه من أزواجهن الاحرار الأطهارفيقتل فورا من بطانته الملعونة من القوادين الذين كانوا يلازمونه فى ارتكاب هذه المآثم السافلة .

وكانت « الاميرة شويكار » تقيم له فى قصرها الفخم « الليالى الحمراء » ، وفيها ما لذ وطاب من المشروبات المسكرة التى حرمها الله تعالى . وتقدم لهذا اللعين من نساء الأسر ليختار منهن ما يشبع شهواته وارتكاب الفاحشة معهن . وغير ذلك من الملذات التى تأباها الشريعة الاسلامية . ولذا اعتبر خروجه مطرودا من « سراى رأس التين » فى ٢٦ يوليه سنة ١٩٥٢ عيدا وطنيا فى مدينة الاسكندرية ، وتقام فى هذا اليوم السعيد من كل سنة الاحتفالات الشعبية الرائعة ، والزينات العديدة الباهرة ، ويحضرها القائد المظفر ، ورائد العروبة الموفق ، ورسول السلام الملهم « جمال عبد الناصر » رئيس الجمهورية العربية المتحدة . ويلقى فى هذا اليوم الخالد خطابا وطنيا سياسيا هاما .

وكانت ثورة ٢٣ يوليه سنة ١٩٥٢ ميمونة الطالع لأنها قضت على الفساد الذى استشرى فى أرض مصر ، والاقطاع ، والرأسمالية . وقد ردت جميع الاراضى التى كانت مملوكة للاقطاعيين ، ووزعت على صغار الفلاحين المعدمين .

وقد اعتلى عرش مصر احد أبناء الشعب الأحرار الأطهار المخلصين الذين يخشون الله تعالى ، ويراعون حقوقه . وهذا الابن البار ذو القلب الرحيم على اخوته من أبناء مصر ، وهو الذى اختاره الشعب بالاجماع القائد المظفر الشجاع « جمال عبد الناصر » رئيسا للجمهورية العربية المتحدة . وهو الذى ــ حفظه الله برعايته وعنايته ، وأبقاه ممتعا بموفور الصحة وتمام العافية ــ رفع راية مصر فى انحاء العالم ، وأصبح اسمها مقرونا باسمه الكريم الميمون يردده كل فرد فى شعوب العالم بصفة عامة ، والشعوب العربية بصفة خاصة .

ونسأل المولى جلت قدرته أن يؤيده بالنصر الدائم فيرد أرض « فلسطين » التى اغتصبها اليهود الأشرار بمعاونة الدول الاستعمارية ، لتكون حربة موجهة فى قلب الدول العربية ، ونهبوها من أصحابها الشرعيين الذين أصبحوا مشردين فى كثير من الدول العربية خصوصا « قطاع غزة » لتحقيق ما قاله فى خطابه التاريخى الخطير امام اجتماع السادة الملوك ورؤساء الدول ، وهم ٥٨ ملكا ورؤساء حكومات فى المؤتمر الكبير الذى أقيم فى قاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة . وقد اخذوا على انفسهم عهودا ومواثيق باسترداد أرض « فلسطين » المغتصبة لأصحابها الشرعيين بقوة الجيوش العربية الموحد . حقق الله الآمال لبلوغ الغرض المراد .

* * *

الوصف الرائع ، واللوحة التذكارية «لمذبحة المماليك» :

وقد وصف العلامة المؤرخ الجليل « الجبرتى » هذه « المذبحة الشنيعة » فى تاريخه (ج ٤ ص ١٢٧ بولاق) فى حوادث شهر صفر سنة ١٢٢٦ هـ فقال :

« فلما كان يوم الخميس (خامس صفر) طاف الآلاى جاويش بالاسواق على صورة الهيئة القديمة فى المناداة على المواكب العظيمة ، وهو لابس الضلمة والطبق على رأسه ، وراكب حمار هال ، وأمامه مقدم بعكاز ، وحوله قابجية ينادون بقولهم : يارن الاى ، ويكررون ذلك فى أخطاط المدينة ، وطافوا بأوراق التنابيه على كبار العسكر والبينيات والامراء المصرية الالفية وغيرهم ، يطلبونهم للحضور فى باكر النهار الى القلعة ، ليركب الجميع بتجملاتهم وزينتهم أمام الموكب .

فلما أصبح يوم الجمعة (سادس صفر) ركب الجميع وطلعوا القلعة ، وطلع المصرية بمماليكهم وأتباعهم وأجنادهم فدخل الأمراء عند الباشا وصبحوا عليه ، وجلسوا معه حصة وشربوا القهوة ، وتضاحك معهم . ثم انجر الموكب على الوضع الذى رتبوه . فانجر طائفة الدلاة وأميرهم المسمى « أزون على » ومن خلفهم الوالى والمحتسب والاغا والوجاقلية والالداشات المصرية ومن تزيا بزيهم ومن خلفهم طوائف العسكر الرجالة والخيالة والبيكباشيات وأرباب المناصب منهم . وابراهيم أغا أغات الباب،وسليمان بيك البواب يذهب ويجىء ويرتب الموكب .

وكان الباشا قد بيت مع حسن باشا وصالح قوج والكتخدا فقط (غدر المصرية وقتلهم) ، وأسر بذلك فى صبحها أغا أغات الباب . فلما أنجز الموكب وفرغ طائفة الدلاة ومن خلفهم الوجاقلية والالداشات المصرية، وانفصلوا من « باب العزب » ، فعند ذلك أمر صالح قوج بغلق الباب ، وعرف طائفته بالمراد ، فالتفتوا ضاربين بالمصرية ، وقد انحصروا بأجمعهم فى المضيق المنحدر الحجر المقطوع فى أعلى « باب العزب » مسافة ما بين الباب الاعلى الذى يتوصل منه الى « رحبة سوق القلعة » الى الباب الاسفل . وقد أعدوا عدة من العساكر أوقفوهم على علاوى النقر الحجر والحيطان التى به .

فلما حصل الضرب من التحتانيين أراد الأمراء الرجوع القهقرى فلم يمكنهم ذلك لانتظام الخيول فى مضيق النقر وأخذهم ضرب البنادق والقرابين من خلفهم أيضا . فلما نظروا ما حل بهم سقط فى ايديهم وارتبكوا فى انفسهم وتحيروا فى أمرهم ، ووقع منهم أشخاص كثيرة ، فنزلوا عن الخيول ، واقتحم شاهين بيك وسليمان بيك البواب وآخرون فى عدة من مماليكهم راجعين الى فوق، والرصاص نازل عليهم من كل ناحية ، ونزعوا ما كان عليهم من الفراوى والثياب الثقيلة ، ولم يزالوا سائرين وشاهرين سيوفهم حتى وصلوا الى «الرحبة الوسطى» المواجهة « لقاعة الاعمدة » ، وقد سقط اكثرهم ، وأصيب شاهين بيك وسقط الى الارض ، فقطعوا رأسه وأسرعوا بها الى الباشا ليأخذوا عليها(البقشيش).

وكان الباشا عندما ساروا بالموكب ركب من « ديوان السراية » وذهب الى البيت الذى به الحريم ، وهو بيت (اسماعيل افندى الضربخانة) . وأما سليمان بيك البواب فهرب من حلاوة الروح ، وصعد الى حائط

« **البرج الكبير** » ، فتابعوه بالضرب حتى سقط وقطعوا رأسه أيضا . وهرب كثير الى (**بيت طوسون باشا**) بظن الالتجاء به ، والاحتماء فيه فقتلوهم .

وأسرف العسكر فى قتل المصريين وسلب ما عليهم من الثياب ولم يرحموا أحدا ، وأظهروا كامن حقدهم وضبعوا فيهم ، وفيمن رافقهم متجملا معهم من أولاد الناس وأهالى البلد الذين تزيوا بزيهم ، لزينة الموكب ، وهم يصرخون ويستغيثون ، ومنهم من يقول : أنا لست جنديا ولا مملوكه وآخر يقول : أنا لست من قبيلتهم ، فلم يرقوا لصارخ ولا شاك ولا مستغيث !!

وتتبعوا المتشتتين والهربانين فى نواحى القلعةوزواياها، والذين فروا ودخلوا البيوت والأماكن ، وقبضوا على من أمسك حيا ولم يمت من الرصاص ، أو متخلفا عن الموكب وجالسا مع الكتخدا : كأحمد بيك الكلارجى ، ويحيى بيك الألفى ، وعلى كاشف الكبير ، فسلبوا ثيابهم وجمعوهم الى (**السجن**) تحت (**مجلس كتخدا بيك**) ثم أحضروا أيضا « المشاعلى » ـ المعروف الآن بعشماوى لرمى اعناقهم فى « حوش الديوان » واحدا بعد واحد ، من ضحوة النهار الى ان مضى حصة من الليل فى المشاعل حتى امتلا الحوش من القتلى ، ومن مات من المشاهير المعروفين وانصرع فى طريق القلعة، قطعوارأسه وسحبوا جثته الى باقى الجثث حتى انهم ربطوا فى رجلى شاهين بيك ويديه وسحبوه على الارض مثل الحمار الميت الى حوش الديوان . هذا ما حصل بالقلعة .. الخ » .

* * *

وذكر أنه قتل فى هذه المذبحة الشنيعة الغادرة التى كانت وصمة ونقطة سوداء فى تاريخ هذا المجرم السفاك ، أكثر من الف انسان : أمراء وأجناد وكشاف ومماليك ثم قال :

« ثم صاروا يحملون رممهم على الأخشاب ويرمونهم عند (**المغسل**) بالرميلة (هو الآن مصلى لاقامة الشعائر ، وهو على يسار السائر بأول شارع السيدة عائشة بجوار بوستة وتلغراف القلعة) ، ثم يرفعونهم ويلقونهم فى حفر من الارض فوق بعضهم البعض ، لا يتميز الأمير عن غيره ، وسلخوا عدة رؤوس من رؤوس العظماء وألقوا جماجمهم المسلوخة على الرمم فى تلك الحفرة . فكانت هذه الكائنة من أشنع الحوادث التى لم يتفق مثلها .. الخ »

ولم ينج من الألفية الا أحمد بيك زوج عديلة هانم بنت ابراهيم بيك الكبير ، فانه كان غائبا بناحية بوش ، وأمين بيك تسلق من القلعة ، وهرب الى ناحية الشام ، وعمر بيك أيضا الألفى ، كان مسافرا فى ذلك اليوم الى الفيوم فقتلوه هناك ، وبعثوا برأسه بعد خمسة أيام ، ومعها نحو خمسة عشر رأسا . وأرسل « دبوس أوغلى » حاكم المنية خمسة وثلاثين رأسا . وحضر من ناحية بحرى غير ذلك كثير ... الخ » .

أسماء ضحايا وشهداء هذه المذبحة الشنيعة ، وتلك المجزرة الشنيعة :

وذكر العلامة المؤرخ « **الجبرتى** » أسماء هؤلاء المماليك الشجعان ، والابطال المغاوير الذين قتلوا فى هذه المذبحة الشنيعة غدرا وخيانة ، وذهبوا ضحايا وشهداء تلبية لدعوة المجرم السفاك « **محمد على باشا** » وسجلها فى هذه « **اللوحة التذكارية** » فقال :

« وأما من قتل فى ذلك اليوم فمن له ذكر وبلغنى خبره فهم :

* * *

شاهين بيك كبير الألفية ، ويحيى بيك ، ونعمان بيك، وحسين بيك الصغير ، ومصطفى بيك الصغير ، ومراد بيك ، وعلى بيك ، هؤلاء من الألفية .

ومن غيرهم : أحمد بيك الكيلارجى ، ويوسف بيك أبو دياب، وحسن بيك صالح، ومرزوق بيك بن ابراهيم بيك الكبير ، وسليمان بيك البواب ، وأحمد بيك تابعه ، ورشوان بيك ، وابراهيم بيك تابعاه ، وقاسم بيك تابع مراد بيك الكبير ، وسليم بيك الدمرجى ، ورستم بيك الشرقاوى ، ومصطفى بيك أيوب ، ومصطفى بيك تابع عثمان بيك حسن ، وعثمان بيك ابراهيم ، وذو الفقارتابع جوجر ، وهو رجل كبير من الأقدمين البطالين ، هرب هو ومصطفى بيك الجداوى وآخر عند صالح بيك السلحدار والتجأوا اليه وطمنهم ، وارسل يخبرهم ، فحضر الامر بقطع رؤوسهم ، فأحضر « المشاعلى » وقطع رؤوسهم وأرسلها .

ومن الامراء الكشاف الألفية ، فهم ،

على كاشف ، ورشوان كاشف ، وسليم كاشف ططر ، وقايد كاشف ، وجعفر كاشف ، وعثمان كاشف ، ومحمد كاشف أبو قطية ، وأحمد كاشف الفلاح ، وأحمد كاشف صهر محمد أغا ، وخليل كاشف ، وعلى كاشف قيطاس ، وأحمد كاشف ، وموسى كاشف ، وغير ذلك ممن لم يحضرنى أسماؤهم ، وهم كثيرون .

وختم الله للجميع بالخير ، فانه بلغنى ممن عاينهم بالحبوس ، وفى حال القتل أنهم كانوا يقرءون القرآن ، وينطقون بالشهادتين والاستغفار ، وبعضهم طلب ماء وتوضأ وصلى ركعتين قبل أن يرمى عنقه ، ومن لم يجد ماء تيمم » .

« **بقية حول موالد السيد البدوى** »

طنطا ـ تابعة لها ، وقد جهز العسيلى كسوة وعمامة لضريح السيد البدوى ، وحضر الى طنطا فى موكب كبير ، واتخذ من الموعد الذى حضر فيه زيارة لمقام السيد كل عام ، ووقف من أملاكه اوقافا على هذه الزيارة السنوية ، فنسب هذا التقليد اليه وسمى المولد الرجبى ، ولكنه مولد ليس به سرادقات ولا احتفالات ، اللهم الاتوزيع الصدقات والهبات والاحسانات حول مزار السيد وفى المنازل .

مواعيد الموالد

روعى فى اقامة هذه الموالد أوقات الفراغ عند طبقات الشعب ، حتى لا تتعطل مصالح الناس ليكون السرور بها أعم وأشمل ، ويقول على مبارك فى ذلك :

« وقد قررت مواعيد هذه الموالد باعتبار الشهور القبطية » لكى لا يتغير ميعاد كل منها من وقته منفصول السنة ، رعاية لاوقات النيل والرى ، حتى لا يقع المولد فى وقت قلة الماء بتلك الجهة ، أو كثرته وانغمار الارض به للرى ، ولمثل هذه الاسباب قدمت وأخرت مواعيدها فى بعض الاوقات .. رعاية لمقتضيات المصالح والاحوال »» ولذلك اصبحت مواعيد الموالد تحدد حسب الظروف القائمة ، اذ تجتمع لذلك لجنة رسمية .. وبعد أن تتخذ قرارها فى هذا الشأن تبلغه الى الجهة المختصة ، الا اذا كان صحيا ما يستدعى تأجيلها من تفشى بعض الامراض المعدية ، فانها تؤجل الى أن تسمح الظروف الطبية باقامتها ، لاسيما المولدان الكبير والصغير .

مواقيت الصلاة

الأيام	شعبان ١٣٨٤	ديسمبر ١٩٦٤	فجر ق	فجر س	شروق ق	شروق س	ظهر ق	ظهر س	عصر ق	عصر س	مغرب ق	مغرب س	عشاء ق	عشاء س
السبت	١	٥	٤	٥	٣٦	٦	٤٥	١١	٣٦	٢	٥٥	٤	١٧	٦
الأحد	٢	٦	٥		٣٧		٤٦		٣٦		٥٥		١٧	
الاثنين	٣	٧	٦		٣٨		٤٦		٣٦		٥٥		١٧	
الثلاثاء	٤	٨	٦		٣٩		٤٧		٣٧		٥٥		١٧	
الأربعاء	٥	٩	٧		٣٩		٤٧		٣٧		٥٥		١٧	
الخميس	٦	١٠	٧		٤٠		٤٧		٣٧		٥٦		١٨	
الجمعة	٧	١١	٨		٤١		٤٨		٣٨		٥٦		١٩	
السبت	٨	١٢	٩		٤١		٤٨		٣٨		٥٦		١٩	
الأحد	٩	١٣	٩		٤٢		٤٩		٣٨		٥٦		١٩	
الاثنين	١٠	١٤	١٠		٤٢		٤٩		٣٨		٥٧		٢٠	
الثلاثاء	١١	١٥	١١		٤٣		٥٠		٣٩		٥٧		٢٠	
الأربعاء	١٢	١٦	١١		٤٤		٥١		٣٩		٥٧		٢٠	
الخميس	١٣	١٧	١٢		٤٥		٥١		٤٠		٥٨		٢١	
الجمعة	١٤	١٨	١٣		٤٦		٥٢		٤١		٥٨		٢١	
السبت	١٥	١٩	١٣		٤٦		٥٢		٤١		٥٩		٢٢	
الأحد	١٦	٢٠	١٤		٤٧		٥٣		٤٢		٥٩		٢٢	
الاثنين	١٧	٢١	١٤		٤٧		٥٣		٤٢		٠٠	٥	٢٣	
الثلاثاء	١٨	٢٢	١٥		٤٨		٥٤		٤٣		٠٠	٥	٢٣	
الأربعاء	١٩	٢٣	١٥		٤٨		٥٤		٤٣		١	٥	٢٣	
الخميس	٢٠	٢٤	١٦		٤٩		٥٥		٤٤		١		٢٤	
الجمعة	٢١	٢٥	١٦		٤٩		٥٥		٤٤		٢		٢٥	
السبت	٢٢	٢٦	١٦		٤٩		٥٦		٤٤		٢		٢٥	
الأحد	٢٣	٢٧	١٦		٤٩		٥٦		٤٤		٣		٢٦	
الاثنين	٢٤	٢٨	١٧		٥٠		٥٧		٤٥		٣		٢٦	
الثلاثاء	٢٥	٢٩	١٧		٥٠		٥٧		٤٥		٤		٢٧	
الأربعاء	٢٦	٣٠	١٨		٥١		٥٧		٤٦		٥		٢٨	
الخميس	٢٧	٣١	١٨		٥١		٥٨		٤٧		٥		٢٨	
الجمعة	٢٨	يناير ١	١٨		٥١		٥٨		٤٧		٦		٢٩	
السبت	٢٩	٢	١٩		٥١		٥٩		٤٨		٧		٣٠	
الأحد	٣٠	٣	١٩		٥١		٥٩		٤٩		٨		٣١	

شركة مصر لتجارة السيارات

احدى شركات المؤسسة المصرية العامة للتجارة

١٢ شارع عبد الخالق ثروت .. القاهرة

تعتبر أولى شركات القطاع العام المصرح لها بالاستيراد والوكيلة عن الشركات العالمية الآتية :-

توكيلات عالمية

مصانع سيارات فولكس واجن — مصانع أوفاش بيل
مصانع سيارات مرسيدس — مصانع موتورات كمنز
مصانع سيارات فولفو — مصانع موجارت بالجر
مصانع س.أ.ف — دلوكاس — مصانع موتوكوف بتشيكوسلوفاكيا
مصانع جرارات داقيد براون

MERCEDES-BENZ

محطات الخدمة :

• ورشة مرسيدس
١٠ شارع الجلاء ت ٧٣١٣٢ - ٢١ - ٧٣٠
بالقاهرة

• محطة خدمة سيارات نصر
بالقاهرة
١٢ شارع عبد الخالق ثروت - ت ٤٩٧١٠

ورش فولكس فاجن
٥ شارع النيل بإمبابة ت ٨٠٠٦٨٢ - ٨٠٩٨٤٩ - ٨٠
٤ شارع الادريسي بمنشية البكري بمصر الجديدة
تليفون ٦٠٤٠٦
٣ شارع رياض بالأزاريطة بالإسكندرية
تليفون ٢٥٨٩٦

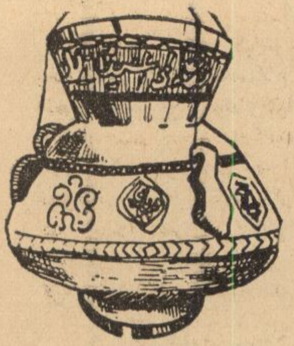

باب الفن

اللؤلؤ والمرجان

الأستاذ أحمد سعيد الدمرداش

تمهيد

انبلجت من بين طيات الزمان الغابر ، مـــدنيات وحضارات شتى ، انبلاج النوء عن مطره ، وابتسمت الحياة لكثير من الملوك والاباطرة ،ابتسام الروض عن زهره فكانت هناك أمجاد ، وكانت هناك ثروات أرادوا لبعضها اكتنازا لعلهم يلوذون بها اذا ما الزمان بسر ، وهـــوت نجوم ثم أودت أطنابها ، أو أضحى لونها وهو أسفـــع فلم يجدوا خيرا من الجواهر واللآلىء يركزون فيهـــا ثرواتهم ، فهى يسيرة فى حملها ، أكيدة فى أسعارها فى كل زمان ومكان ، نظرا لندرتها النسبية .

ولقد ذكر اللؤلؤ والمرجان فى الكتب الســـماوية وخصهما القرآن الكريم بآيات بينات « يخرج منها اللؤلؤ والمرجان ، فبأى آلاء ربكما تكذبان » وقال تعالى فى آيــة أخرى « ويطوف عليهم ولدان مخلدون ، اذا رأيتهـــــم حسبتهم لؤلؤا منثورا » وفى آية أخرى « ويطوف عليهم ولدان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون » . وشـبه بهما ساكنات الجنة فقال « كأنهن الياقوت والمرجان » .

وفى موضوع آخر عن البحر قال تعالى « وتستخرجون منه حلية تلبسونها »

وفى الصورة رقم ١ أحد أفيــال الهند وهو يتزين باللآلىء والاحجار الكريمة واقـد تغنى شـعراء العرب بالجواهر فقال النابغة :

بالدر والياقوت زين نحرها
ومفصل من لؤلؤ وزبرجد

وقال ابراهيم النظام :

يسقى بلؤلؤة فى جوف لؤلؤة
من كف لؤلؤة فاللـــــون حسى

ماء وماء وفى ماء يديرهمـــا
ماء جرى فيهما والفكر وهمى

أما أبو نواس فهو يتغزل فى الخمر فى البيت الآتى :

فالخمر ياقوتة والكاس لؤلؤة
فى كـف لؤلؤة ممشوقة القد

اسماء اللآلىء .

تكثر أسماء اللآلىء فى العربية ككثرة اسماء الاسد فيها ومن أسمائها المشهورة اللؤلؤة والدرة والمرجانة والنطفة والتومة والتوامية واللطيمة والصدفية والسفانة والجمانة والونية والهيجمانة والخريدةوالحوصةوالثعثمة والحضل

واللؤلؤ جنس يشتمل على نوعيه من الدر الكبـــار والمرجان الصغار كما قال ابو عبيدة بأن الدر كبار الحب والمرجان صغاره واللؤلؤ يجمعهما .

وقال احمد بن على الرمانى المتوفى سنة ٤١٥ هـ « سمى الليل لانه يلالىء حتى يتشــكك فيه الناظر الى الشىء فيقول هوهو ثم يقول لا لا فقد لا لا الاشـــياء عليه ، وبذلك زعم .. سمى اللؤلؤ لان الجوهريين يقولون انه ليس من مرة يقع بصرك عليه ثم تراه مرة أخرى الا تراءى لك على هيئة غير هيئته الاولى »

وأجود الدر المدحرج الصافى الشفاف الكبير الحجم الرزين النقى ، ويتفاوت فى الوزن من نصف المثقـــال الى مثقال ونصف وأجود اللؤلؤ النقى المستدير ،واللؤلؤ ألوان فمنه أصفر مستدير ومنه اخضر ومنه أزرق ،وهذه الالوان لملاصقتها لاعضاء الحيوان الذى جاوره هذا ما قاله ارســـطو .

أما الكندى فيقول « ان موضع اللؤلؤ من حيوانه داخل الصدف ، وما كان منه يلى الفم ، فهو الجيد منه ، وقالوا ان الحب الكبير ، انما يتكون فى حلقومه ويزداد بالتفاف القشور عليه ، والدليل على ذلك انه يوجـــد طبقات والداخلة منها شبيهة بالخارجة ، وكلها تشابــه باطن الصدف « لقد كان الكندى فيلسوفا وخبيرا فـى الاحجار الكريمة ورث الخبرة عن أبيه وكان يشتغل فـى تجارة الجواهر .

التركيب الكيمائى للؤلؤ :

يتوالد اللؤلؤ فى داخل نوع من الرخويات ذوات المصراعين : وهذا الحيوان قادر على اجتذاب كربونات الكلسيوم من مياه البحار والمحيطات ثم استخدام هذا المركب فى بناء أصدافها التى تتكون من ثلاثة قطاعات

(١) مادة عضوية قرنية تعرف باسم كونكيولين $\text{ك}_{٣٠}\ \text{يد}_{٤٨}\ \text{ن}_{٢}\ \text{ا}_{١١}$ ولونها يتراوح بين البنى والاسود ، وهذه المادة تفرزها خلايا المحار

(٢) بللورات منشورية من كربونات الكلسيوم فى صوره كالسيت أو ارا جونيت

(٣) والمنطقة الداخلية وهى التى تفرز كربونات الكلسيوم على هيئة قشور وهى التى تضفى الوهج فى اللآلىء

وبناء اللؤلؤة يتم على ثلاث مراحل مستمره ، فعندما تتمدد شبكة اللؤلؤة تحتضنها طبقة من الكونكيولين ثم تترسب تحتها بللورات منشورية من كربونات الكلسيوم ثم افرازات اخرى من الطبقة القرنية وهكذا

واذا وجد جسم غريب عضوى طريقه الى داخل صدفة الرخو ، فسرعان ما يسبب الالتهاب الناتج فى جسم المحار افرازات تتجمع حول الجسم الغريب وتتجه للدفاع ضد هذا العدو المهاجم ، وهكذا يتم تدريجيا بناء الدرة أو اللؤلؤة طبقة طبقة .

واللؤلؤ الطبيعى له عدة الوان ترتبط بنوع الماء الذى تعيش فيه المحار ، فاللؤلؤ الناتج من الخليج الفارسى لونه كالقشدة والناتج من جزيرة سيلان باهت قليلا ، أما اللؤلؤ الاسترالى فلونه أبيض فضى ، واللؤلؤ المتولد من جزر الهند الغربية فلونه احمر وردى مخطط بخطوط بيضاء ولؤلؤ بنما لونه ذهبى بنى واللؤلؤ المكسيكى بنى يميل الى الاحمرار وقد يكون اسود ، اما اللؤلؤ اليابانى فهو أبيض يميل الى الخضرة ، وجميع أنواع اللآلىء اذا عرضت للاشعة الفوق البنفسجية تظهر وميضا ذا لون أزرق سماوى بدرجات من الحدة مختلفة .

استخراج اللؤلؤ من البحار

يقول البيرونى فى كتابه الجماهر فى معرفة الجواهر « ان من أراد تعلم الغوص يقوم بحشو اذنيه على غاية الاحكام حتى تتعفن وتتدود ، وينفتح له الى الحلق طريق يتنفس منه تنفسا ضعيفا داخل الماء »

ويذكر المسعودى أن الغوص على اللؤلؤ فى بحر فارس انما يكون فى أول نيسان الى آخر أيلول ، وما عدا ذلك من شهور السنة فلا غوص فيها ثم يقول :

« وتعلم حرفة الغوص فى فارس ،ويدفع للتمرين عليها بعض المال ، فان الغواص يتعلم كيف يتنفس من آذانه ويحدث فى بدء تعليمه أن تصاب الآذان بالتهاب حاد ، ويخرج منها صديد وتعالج بالعقاقير ،وتدفع أحسن الاجور للغواص الذى يبقى فى الماء أكثر من غيره ، وهم يعرفون بعضهم تحت الماء ، ولا يعتدون على حدود بعضهم البعض ، ولا يدعون التميز على غيرهم ، ولكنهم يتبارون فى نشاطهم ، وأغلب مغاصات اللؤلؤ فى بحر فارس ، وبها نحو ثلاثمائة مشهورة مطروقة ، ومغاصات هذا البحر أغنى وأكثر غلة من مثيلاتها بالهند واليمن »

والصورة رقم ٢ تبين لنا بعض الغواصين فى مياه المحيط الهندى

وذكر يوحنا بن ماسويه فى كتابه فى الاحجار « ان الغائص لا يعد فى الغاصة حتى يخرق ما بين اذنيه وحلقه فيبعث دما ثم يتمرن ويستمر ، فيكون تنفسه منه تنفسا ضعيفا ، فاذا غاص جعل على نفسه موضع نفسه ملزم عاج أو قرون لئلا يدخله الماء . ويصير تحت الماء مقدار نصف ساعة ، ويغوص فى اليوم ثلاث غطسات من بكرة الى انتصاف النهار ، وغذاؤهم السمك والتمر »

ويقول احمد بن يوسف التيفاشى فى كتابه عن الأحجار فى باب اللؤلؤ « يوجد فى معادن كثيرة الا أن مكان الجيد منه الفاخر النفيس سرنديب ، ثم كيس وعمان والبحرين وجزيرة طرد بين كيس والبحرين من أرض فارس ،وجوهرها أفخر أصناف الجوهر ، وما يوجد منه بغير هذه المواضع فلا اعتبار به ، وكذلك ما يوجد منه ببحر القلزم وسائر بحار الحجاز واليمن فردىء ، ولو كانت منه فى نهاية الكبر فانه لا يكون لها طائل ثمن ، اذ ليس فيها شىء من أوصاف الدر النفيس ، وما يوجد منه فى الاعماق والمواضع النقية من الحماة أنقى وأنور وألون ، وسببه ذلك أن ما قرب من سطح الماء نفذت اليه حرارة الشمس فأثرت فيه صفرة ، وما كان فى المواضع الحمية غيرته ابخرتها الردية ، ولا تتجلى صفوته لانها اصلية له من اول تكونه » .

ويقول التيفاشى عن قيمة اللؤلؤ وثمنه « العقد المتعارف عند أهل بغداد ست وثلاثون حبة أقل العقود ، زنته سدس مثقال ، وهى اربعة قراريط ، قيمته عشرة عقود من هذا العقد ثلاثة أرباع دينار ، عقد ربع مثقال عشرة عقود بدينار وربع ، عقد نصف مثقال عشرة عقود بدينار ، عقد ثلاثة أرباع مثقال عشرة عقود بأربعة دنانير .. وقيمة العقد الواحد الذى يكون زنته أربعة مثاقيل ونصف اربعون دينارا »

وثقب اللآلىء يحتاج الى خبرة كبيرة ثم يوصلونها بالسلوك كما يقول ابن الرومى

قل ما يوجد الفضائل الا
فى ضفاف الرجال دون الثقال
ينظم الدر فى السلوك ويأبى
عزة الدر نظمه فى الحبال

انتاج أصداف اللؤلؤ وتزريعها :

لقد اصبحت عملية انتاج أصداف اللؤلؤ مربحة ، وتنتج على نطاق واسع فى بلاد كثيرة مثل اليابان ، وتتلخص الطريقة فى تجميع يرقاتها اثناء موسم التكاثر ، وذلك بوضع حواجز أو قوائم خشبية من سيقان وفروع الاشجار ، أو اخرى خزفية عبارة عن قراميد اسطوانية بعد تغطيتها بطبقة رقيقة من مخلوط الرمل والجير كل ذلك فى اماكن خاصة قريبة من مصاب الانهار فى مياه البحار والمحيطات ، وبعد ان تستقر اليرقات على المجمعات المختلفة المشار اليها ، تفصل الاصداف الصغيرة بعد فترة معينة وتنقل الى مزارع خاصة على شواطىء البحار حيث تستكمل الأصداف نموها وتصل الى حجم معين فى بحر سنتين أو ثلاثة ، يجرى خلالها عمليات نقل وتنظيف مختلفة تساعد الاصداف على النمو السريع السليم .

ومن جهة أخرى تزرع اللآلىء فى هذه الاصداف او فى الاصداف القديمة بوضع خرزات من عروق اللؤلؤ فى الشبكة الداخلية فيقوم المحار بالدفاع عن نفسه ضد هذا الجسم الغريب مكونا لآلىء حولها

وقد مهر اليابانيون فى هذه الصناعة منذ عام ١٩١٤ ويلاحظ أن اللؤلؤة التى تنسج حول هذه الخرزات يتم نضوجها فى مدة ثلاث سنوات وقد تصل الى سبع سنوات حتى يصبح النسيج كرويا منتظم التكوين ، وأحواض المحار الصناعية هذه تتكون من اقفاص داخلها محار اللؤلؤ الذى تجرى بداخله التجارب ، وهى مثبتة بعوامات خشبية تنقلها المراكب البخارية من مكان لآخر لتغيير بيئة التغذية حتى تلائم نمو هذه اللآلىء وقد تصل عدد الاقفاص الى ثلاثة ملايين فى حوض واحد ، وأحسن النتائج ما يحصل فيها نجاح التزريع على نسبة ٢٥٪ من عدد الخرزات التى اقحمت داخل المحار .

وكان من نتيجة هذه العمليات الصناعية أن انخفض سعر اللؤلؤ فى الاسواق رغم وجود اختلاف ظاهر فى القيمة الجمالية له عن اللؤلؤ الذى تكون طبيعيا ، وقد يحتوى المحار على لؤلؤة واحدة أو اثنتين أو اكثر كما يقول الشاعر العربى :

قل توجد الدرتان فى الصدفة
والدر يختاره الذى عرفه
الواحدة لم تحط بقيمتها
واختها دون قيمة الصدفة

المرجان

يقول التيفاشى فى كتابه عن الاحجار « المرجان يكون متوسطا بين حالتى الحجارة والنبات ، وذلك أنه يشبه الحجارة بتحجره ، ويشبه النبات بتكون اشجار نابتة فى قعر البحر ذات عروق واغصان خضر متشعبة .. وكذلك يتكون فى الماء حيوانات من عالمى الحيوان والنبات كالاسفنج البحرى فانه ينبت على الاحجار لازما لمكانه ، فاذا لمس واحس باللمس انقبض ، وليس له حركة انتقالية كما للحيوان ، وببحر المرجان خاصة يتخذون شباكا قوية من نصب مثقلة بالرصاص يلقونها على حجر المرجان ، ويديرون الشبكة حول الشجرة حتى يلتف بها ، ثم يجذبونها حتى تنقلع ، ويخرج الماء أبيض لينا فاذا ضربه الهواء جف واحمر ، فتزال اصوله حية وتفصل اغصانه قطعا كبارا وصغارا على قدر العقد والشب الذى تكون فيه فهى المرجان ، فينحك عند ذلك على مسن بالماء ، ويجلى بالسنباذج ويثقب ان أريد ثقبه بالحديد الفولاذ المسقى »

واصناف المرجان الجيدة نادرة، وهو يوجد اما أحمر أو أسود وأحيانا ابيض ، ويتدرج اللونان الاولان من خفيف الى غامق ، وفى اليابان يوجد منه نوع أصفر اللون ، والمرجان ناعم الملمس وبعض أنواعه شديدة الصلابة ، وكذلك تصنع منه الجواهر المنقوشة والخواتم والاقراط وهو اما شفاف او نصف مشف

والمرجان شديد التأثر بالاحماض او عرق الانسان مثله فى ذلك مثل اللؤلؤ نظرا لتشابه تكوينهما من مادة كربونات الكلسيوم

ويوجد المرجان عند بعض شواطىء البحر المتوسط بالقرب من سواحل تونس والجزائر ومراكش وسردينية وكورسيكا واسبانيا
ومقاطعة بروفانس جنوب فرنسا ، كما يوجد ايضا فى الخليج العربى

ودرجة صلابة المرجان ٣ ونصف اما درجة صلابة اللؤلؤ فتتراوح بين ٢ ونصف الى ٣ ونصف فالمرجان اصلب قليلا من اللؤلؤ ، ويقدر الصينيون المرجان حيث يصنعون منه الازرار كما يصنعون منه علب السعوط والحلى وفى بلاد التبت يصنعون منه الحلى فهو فى نظرهم افضل الاحجار الكريمة .

يصدر قريبا
في أول رمضان
القرآن المرتل
رواية ورش عن نافع
تلاوة فضيلة الشيخ محمود الحصري
شيخ عموم المقارئ بالجمهورية العربية المتحدة
في ٦٨ إسطوانة
كل اسطوانة في اربعين دقيقة تقريبا
وذلك تلبية لرغبة شمال افريقيا
مقر البيع ٧٦ شارع الجمهورية القاهرة

ندوة الشهر

الحريات فى الإسلام

إعداد : عبد الرحمن الشربينى

مفهوم الحرية فى الاسلام انما يقوم على نظرة الاسلام لمن يولدون أحرارا .

وأن العبودية لله انما هى قمة الحرية .

وان قضية الحرية كل لا يتجزأ وقد اجتمع عليها العرب والمسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها ..

وندوة اليوم عن الحرية الدينية والحرية السياسية فى الاسلام .. ثم عرض لبعض صور التكامل فى المجتمع الاسلامى سواء فى المجال الاقتصادى ، أو فى مجال العمل

يتحدث فى الندوة :

١ ـ الدكتور عبد العزيز كامل الاستاذ بكلية آداب جامعة القاهرة .

٢ ـ الدكتور احمد كمال أبو المجد الاستاذ بكلية حقوق جامعة القاهرة

الدكتور عبد العزيز كامل : وتحدث عن الحرية الدينية فبدأ بذكر واقعة حدثت فى المانيا عند زيارة لها حينما سمع رئيس مجلس النواب الألمانى يذكر أمام مندوبى الدول الاسلامية أن هناك ظاهرة تثبت اقبال الشباب العالمى على الاسلام ، وأن غالبية المترددين على المساجد من شباب المسلمين . وعقب على ذلك بانها شهادة من بلد غربى تدل على مدى المجهود الذى تبذله الدول لاقبال الشباب على الدين والاسلام .. ليس ذلك عن ضغط واجبار وانما عن ترغيب فى الاسلام .

وأخذ يربط بين ذلك وبين حديث النبى صلى الله عليه وسلم أذ يقول سبعة يظلهم الله تحت ظله يوم لا ظل الا ظله .. ومن هؤلاء السبعة شاب نشأ فى طاعة الله فعصم نفسه فكان فى ظل الرحمن .

ثم يستطرد فيذكر أن من بين نواحى الاقبال على الاسلام .. التأمل ..

« ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب .. ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار .. »

هذا التأمل فى ملكوت الله يدعو الانسان أن يعلم أن وراءه الها قادرا .

« وماقدروا الله حق قدره » الله يدعوك الا تتبع أمرا بدون معرفة ..

« ولا تقف ماليس لك به علم ، ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » .. حواسك وقلبك وفؤادك اذا ضمت جميعا حدث التكامل بين العقل والقلب ..

« وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ماكنا فى أصحاب السعير » كانوا لايتدبرون ولا يفكرون .. اذن فالاسلام يدعونا الى أن نفكر ونتدبر .. ونتأمل ..

الدكتور كمال أبو المجد وتحدث عن الحرية السياسية فقال لو رددناها الى مفهوم الحرية فى الاسلام لوجدنا أن الناس جميعا متساوون .. أمورهم فى السياسة والحكم نسمع فيها آراؤهم .. كل يدلى برأيه فتفتح ابواب الحرية أمام الجميع ..

والحديث عن الحرية السياسية له صورتان هما :

١ ـ اختيار الحاكم وتقدير الحكم .

٢ ـ حرية النقد والتعبير .

فالأولى مقررة فى نصوص قرآنية أكيدة مثل قوله تعالى : « فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر ». « وأمرهم شورى بينهم » .

وفى قول عائشة رضى الله عنها « ماكان احد أكثر مشورة من رسول الله » .. وتساءل البعض لما هذا وهو المعصوم فقيل فعل ذلك ليستن به من بعده .. فان كان الرسول صلى الله عليه وسلم لايفعل شيئا دون أن يستشير فاولى بمن بعده أن يستشير كذلك .

والثانيا فى حرص الاسلام على حرية النقد « ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن » .. « قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين » .. « وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم » فاذا كان هذا هو طريق الله فى اثبات العقيدة فاولى أن يكون فى اثبات الرأى .

واستشهد فى هذا الصدد بقول على رضى الله عنه حينما انتقل عمر بن الخطاب الى جوار الله حيث قال « انه يحتفظ للأولين بحرية رأيهم .. ويحتفظ لنفسه بحرية الاجتهاد .. »

وخلص من ذلك الى ان الاسلام عقيدة ونظام .. حينما يقرر حرية الفرد فى الرأى ، يحتفظ للاقلية فى معارضتها بوجهة نظر سليم .

ويعود الدكتور عبد العزيز كامل فيعقب بان الجانب الاقتصادى فى الاسلام متكامل مع جميع الجوانب الاخرى .. فحين اعتبر المرتدون أن المال منفصل عن العبادة ورفضوا تقديم الزكاة الى أبى بكر بعد موت النبى فكانت قولته الخالدة : « والله لو منعونى عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه .. والله لاقاتلن قوما يفرقون بين الصلاة والزكاة » . وفى ذلك دليل واضح على أن التكامل واضح بين الاسلام والاقتصاد .

كذلك يعقب بأن الاسلام قد اعتبر العمل تكريما ... وهذا حديث النبى « من أمسى كالا من عمل يده بات مغفورا له » وبهذا يكون العمل مقربة من الله يتكافل بها المجتمع الواحد .. فالعامل فى هذا المجتمع له الأجر .. وعليه القوة ن العمل ..

لقد أوصى النبى صلى الله عليه وسلم أن نعطى الأجير أجره قبل أن يجف عرقه .. كما أوضح الله أجر العامل فى القرآن كتعاقد بين صاحب العمل والعامل .. وفى قصة موسى حينما سقى لبنات شعيب فعرض عليه أن ينكحه احدى ابنتيه على أن يأجره ثمانى حجج ، هنا نجد ان القرآن الكريم يعطينا صفة للعامل « يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الأمين » .. والأمانة هى قوة النفس .. فكأنما العامل مطالب بأن يكون قويا فى عمله ، مثلما يطالب بأن يدفع الأجر له .. وماذا يحدث اذا ضعف؟ على المجتمع أن يحمل هذا الضعيف فيكون هناك تكافل بين أفراد المجتمع مع اتاحة الفرصة للجميع أن يعملوا ، وحينما يصير المجتمع الى تكافل فانما ينفذ احكام الله تعالى .

باب

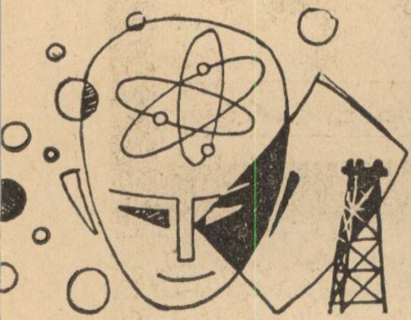

لم يثبت حجم الكون على حال منذ راح العلماء يقيسون أبعاده . وقررت النسبية أن الكون يتمدد . وفى ظل القياسات الحديثة التى استخدمت فيها المناظير الفلكية المكبرة امكن التوصل الى نتائج مثيرة ، ربما تفسر لنا قوله تعالى : « والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون » (الذاريات) .

وبصرف النظر عن الآراء البدائية الاولى التى اعتبرت فيها الارض مركزا للكون واعتبرت النجوم بمثابة الفوانيس أو الحلية التى تحلى سماءها ، ثم ما حدث بعد ذلك من جعل الشمس هى مركز الكون ممثلا فى المجموعة الشمسية ، فان وحدات الكون العظمى هى المجرات المكونة من النجوم ومجموعاتها .

وللنجوم اقدار معينة بحسب درجات بريقها أو لمعانها . واقل النجوم اضاءة مما يمكن ان تميزه العين المجردة تحت احسن الظروف هى التى من القدر ٥ر٦ . ولكن عدد النجوم التى ترى فى القبة السماوية وتلمع بدرجات متفاوتة القدر بالنسبة للعين المجردة لا يزيد على ستة آلاف نجم فقط .

ونحن لا نرى من القبة السماوية فى اية لحظة اكثر من نصفها فقط ، وعلى ذلك فان ما نراه من نجوم السماء لا يزيد على ٣٠٠٠ نجم تقريبا .

وعندما نعمد الى تغيير أوضاعنا داخل المجموعة الشمسية ، كأن نصعد الى القمر مثلا ، أو نرحل فى احدى سفن الفضاء ، تعانى أوضاع النجوم ازاحات صغيرة جدا بالنسبة الى مواقفها النائية ، وتظل تجمعاتها المعروفة باسم الكوكبات على ما هى عليه من حيث أوضاعها النسبية ! لا ان عدد النجوم يزداد سريعا بالتخلص من غلاف الارض الجوى الذى يحجب عنا اضواء النجوم الخافتة .

والحق ان عدد النجوم الخافتة يفوق الى حد كبير جدا عدد النجوم البراقة ، كما ان اكداس النجوم الصغيرة التى لا ترى الا بالمنظار الفلكى المكبر ، يفوق اعداد النجوم الكبيرة التى نراها بالعين المجردة ، مما يجعلنا عندما نبرح الارض نودع فى نفس الوقت البروج والكوكبات كما نألفها .

ولقد دلت القياسات الاولى للنجوم القريبة من شمسنا والموجودة فى الاذرع اللولبية لمجرتنا على انه يوجد فى المتوسط نحو اربعة نجوم ونصف لكل ٣٢٦ بنسبة ضوئية مكعبة من الفضاء الكونى ، وان متوسط البعد بين اى نجمين او مجموعتين من مجموعات النجوم هو ٩ر٢ سنة ضوئية .

اما فى مركز المجرة ، حيث تتكدس النجوم فان متوسط البعد بين اى نجمين انما يصل الى سنة ضوئية واحدة فقط ، وتبعا لذلك كان أول تقدير للنجوم فى مجرتنا هو ٢ مليون نجم .

وصور الفلكيون مجرتنا على هيئة عدسة تقع الشمس فى مركزها ، ويبلغ طول قطرها ٢٣ الف سنة ضوئية ، اما سمكها فيبلغ نحو ستة آلاف سنة ضوئية ، كما اعتقدوا فى بادىء الامر انه لايوجد عالم آخر خارجها. اما الطريق اللبنى أوطريق التبانة فهو اكداس من نجوم مجرتنا ، تبدو بسبب بعدها عنا على هيئة سحابة رقيقة خافتة الضوء .

وتتضمن المجرة كما بدت كذلك نحو ٢٠٠ مجموعة من تجمعات النجوم الكرية التى لا توزع بانتظام وانما تتزاحم فى كوكبتى القوس والعقرب . وفتحت هذه الظاهرة وجهات نظر جديدة عن الكون ، عاونت على دراستها ما يسمى بالنجوم المتغيرة من حيث البريق واللمعان ، وهى نجوم متعددة الصفات تتميز فيما بينها بالطراز الدقيق لتغيرات الضوء ، اما لاسباب خارجية ، أو لأسباب داخلية فى نفس ذات النجم بسبب التغير فى تركيبه الداخلى ، مثل النجم دلتا قيفاوس الذى يبلغ زمنه الدورى ٣٧ر٥ يوما، يتغير فيه وزنه كما تتغير درجة حرارته .. وهناك العديد من النجوم التى تتصرف بنفس الطريقة وتعرف باسم المتغيرات القيفاوية ، الا انها تتباين فيما بينها من حيث اطوال دوراتها الزمنية .

واكبر والمع متغير قيفاوى بالنسبة الينا هو النجم الشمالى الذى تبلغ فترته الزمنية اربعة ايام .

ومن هذه المتغيرات ما يوجد بين التجمعات الكرية ، الا ان فتراتها الدورية فى غاية القصر ولا تزيد على يوم واحد .

وبدات معالم الكون الحقيقية تتفتح عندما اعترضت سحب مجلان سبيل هذه المتغيرات. ويمكن ان نحلل سحب مجلان بواسطة المناظير الفلكية الكبيرة ، مثل منظار جبل ولسون ، ومنظار القطمية بطريق السويس ، الى اكداس من النجوم .

ونظرا لان سحب مجلان بعيدة عنا بعدا عظيما جدا فانه لا دخل للمسافة فى امر تغيرات نجومها ، بمعنى انه اذا ما ظهر نجم فى سحابة مجلان فى مثل نصف بريق نجم آخر فان هذه تكون هى الحقيقة والواقع .

ووجد الفلكيون علاقة طريفة فحواها انه كلما كانت المتغيرات القيفاوية اكثر بريقا كلما طالت فتراتها . وبمجرد ان تم رسم منحنى فترة الاضاءة استطاع الفلكيون ان يبنوا انموذجا لقياس الكون ، اذ انه عندما يظهر بريق المتغير القيفاوى ا مثلا قدر ربع بريق المتغير القيفاوى ب ، يعتبر السبب هو ان بعد

ا يبلغ ضعف بعد ب ، بفرض تساوى البريق مثلا .

ويلزم بطبيعة الحال ان يعرف بعد ا بالسنين الضوئية وحتى يمكن تحديد بعد ب . وقبل ذلك كانت أبعاد النجوم تعين بطريقة تغير الوضع الظاهرى ، وهى طريقة عقيمة خصوصا عندما تزيد المسافة على ١٠٠ سنة ضوئية مثلا .

واخيرا عمد الفلكيون الى عمل تحليلات احصائية مطولة ومعقدة لتجمعات النجوم التى على ابعاد متوسطة ، وامكن بذلك تعيين ابعاد بعض هذه التجمعات بارقام سليمة . وهنا اتسعت رقعة المجرة الى حد كبير ، كما ان أغلب التجمعات الكرية وجدت فى اتجاه كوكب القوس على بعد عشرات آلاف السنين الضوئية منا . ومعنى ذلك أن مركز هذه السدم ليس هو مجرتنا كما كان يعتقد من قبل .

وتنتشر سحب الغبار الكونى فى اطراف المجرة بحيث تحجب عنا اضواء المركز ، ولذلك فنحن لا نرى الا أطراف المجرة التى قدر طولها بنحو ١٠٠ الف سنة ضوئية وسمكها بنحو ٢٠ الف سنة ضوئية . اما الشمس فهى تبعد عن مركز المجرة بمقدار ٣٠ الف سنة ضوئية .

ويمكن حساب كتلة مركز المجرة من المعدل الذى تجرى به شمسنا والنجوم التى تجاورها حول هذا المركز : والارقام التى تم التوصل اليها هى أن كتلة المركز تبلغ ٩٠ بليون مرة قدر كتلة الشمس ، أى أن المجرة مكونة من ١٠٠ بليون نجم .

وتم التصرف على العديد من السدم التى يعتقد انها اجزاء من مجرتنا مثل سديم المرأة المسلسلة وسديم الجبار ، الا ان المناظير الفلكية المكبرة حللتها الى نجوم واظهرت انها مجرات عظمى على غرار مجرتنا سواء بسواء. واتضح ان بعد سديم المرأة المسلسلة عنا يبلغ نحو ٧٥٠ الف سنة ضوئية . وهكذا قفز حجم الكون من قطر يقدر بمئات آلاف السنين الضوئية الى قطر يقاس بمئات ملايين السنين الضوئية .

واخيرا زادت مقاييس المتغيرات القيفاوية الى نحو ثلاثة اضعاف اطوالها ، وبذلك أزيحت المجرات والسدم الى مثل ثلاثة اضعاف ما كانت عليه نحو الفضاء الخارجى ، وهكذا أصبح نصف قطر الكون اكثر من بليون من السنين الضوئية .

وتتباعد المجرات عن بعضها البعض بسرعة متزايدة كلما زاد بعدها عنا وبذلك يتمدد الكون او هو يتسع . والمتفق عليه علميا انه كلما خرجت بعض المجرات وراء حدود الكون المرئى الذى وضحناه تولدت مجرات جديدة من الغاز الكونى (أو الايدروجين) المنتشر فى فضاء الكون المرئى المترامى الاطراف : وبذلك يظل كوننا على ماهو عليه يعج ببلايين المجرات الى ما شاء الله .

اما الغاز الكونى فهو يتولد — او يخلق — باستمرار فى الفضاء . فعملية الخلق ما زالت مستمرة على هذا النحو .

ولعل مثل هذا التفصيل العلمى يوضح لنا تماما معنى (وانا لموسعون) أى لدينا ما لا ينفد من المادة ، بالاضافة الى اتساع الكون باستمرار .

باب الشعر

الشعر الديني

شعر الإمام الشافعي

الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل

من قافية الميم :

عفو الله

عن معجم الأدباء وايقاظ الهمم وآثار البلاد وآداب الشافعى وصفة الصفوة والروض الفائق ، ونور الأبصار •

وقد جاءت المقطعة بروايات مختلفة فى كلماتها وترتيب أبياتها ، وقد أوردها الشبلنجى كاملة منقولة عن الروض الفائق • وقد أثبتنا أجود الروايات وأحسنها ترتيبا •

قال المزنى : دخلت على الشافعى فى مرض موته فقلت له : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت من الدنيا آيسا ، ولاخوانى مفارقا ، ولكأس المنية شاربا ، ولسوء أعمالى ملاقيا ، وعلى الله واردا • فوالله ما ادرى اروحى تصير الى الجنة فأهنيها أم الى النار فأعزيها ؟ ثم رمى بطرفه الى السماء واستعبر وأنشد :

اليك اله الخلق أرفع حاجتى
وان كنت يا ذا المن والجود مجرما
تعاظمنى ذنبى فلما قرنته
بعفوك ربى كان عفوك أعظما
ولما قسا قلبى وضاقت مذاهبى
جعلت رجائى نحو عفوك سلما

ومازلت ذا عفو عن الذنب لم تزل
تجود وتعفو منة وتكرما
فلولاك لم يقدر بابليس عابد
فكيف وقد أغوى صفيك آدما
فيا ليت شعرى هل أصير لجنة
أهنا واما للسعير فأندما
فلله در العارف الندب انه
تسح لفرط الوجد أجفانه دما
يقيم اذا ما الليل جن ظلامه
على نفسه من شدة الخوف مأتما
فصيحا اذا ما كان فى ذكر ربه
وفيما سواه فى الورى كان معجما
ويذكر أياما مضت من شبابه
وما كان فيها بالجهالة أجرما
فصار قرين الهم طول نهاره
ويخدم مولاه اذا الليل أظلما
يقول : حبيبى أنت سؤلى وبغيتى
كفى بك للراجين سؤلا ومغنما
ألست الذى غذيتنى وكفلتنى
وما زلت منانا على ومنعما
عسى من له الاحسان يغفر زلتى
ويستر أوزارى وما قد تقدما

وهذا خوف الشافعى ووصفه لنفسه بأنه قد أجرم فما بال غيره من عامة الناس !

ويريد الشافعى بقسوة قلبـه جرأته على المعاصى ، وفى رواية : ضاقت مسـامعى ، فيكون المعنى أنها لم تسمع المواعظ . ويريد بضيق مذاهبـه ، بعده عن سـلوك طرق النجاة !

وفى البيت الثالث يشير الشـافعى الى معنى صوفى ، وهو أن الله يبتدىء عبده المذنب بالعفو كمن لا يذنب دون حسابه وهو عفو المنة والتكرم الذى هو من باب الاجتباء .

ولم يقدر فى البيت الرابع مع بناء الفعل للمفعـول أى لم يقس به . والمعنى انه لولا فضل الله على العباد لغلب ابليس النـاس جميعا ، ومن قبل غلب آدم وكان صفيا من أصفياء الله فغيره وغير الأنبيـاء كان يهون عليه لولا فضل الله .

ويلاحظ أن فى هذا البيت الرابـع الف سناد لم ترد فى كل القصيدة ومن العسـير أن يرمى الشافعى بأنه ساند فى شـعره مع علمه بالصناعة وتعليمها كما أشرنا فى المقدمة .. كما أن نسج البيت الخامس ضعيف .. ويبدو أن القصيدة دخلتهـا زيادات من غير شعر الشافعى ويشفع لهـذا الرأى أنه قال هـذا الشعر فى مرض موته وهو طـويل لم تجر به العادة .

ومن البيت السابع لآخر المقطعة نبدا زيادة الشبلنجى صاحب نور الأبصار . والندب فى هذا البيت معناه الخفيف الذى يستجيب لنداء ربه . والمعجم فى البيت التاسع معناه الذى لا ينطق الا بذكر ربه ويصمت عما سوى ذلك وهو أهم أعمـال الصوفية وحركاتهـم اللسانية .

والهم فى النهار وخدمة الليل يريد بهمـا فى البيت الحادى عشر الاهتمام والخوف من الله والسهر والقيام فى عبادته والاول حين الاجتماع بالناس والثانى حين الانفـراد عن الناس .

وفر نصحك

عن آداب الشافعى ومناقبه : قال الربيـع ابن سـليمان واسماعيل بن يحيى المـزنى « حدثوا الشافعى فى بعض ما يراد منـه فأنشأ يقول » :

ولقد بلوتـك وابتليت خليقتى
ولقد كفـاك معلمى تعليمى

ويعنى الشافعى بذلك أن لا تتعب نفسك فى ابداء رأيـك فأنا على بينة منـه ولن أعمل به .

الشىء فى موضعه

عن نور الأبصـار ومعجم الأدباء وحيـاة الحيوان والمناقب . وقد أورد الغزالى البيت الرابع فى مشكاة الأنوار من غير أن ينسـبه لقائل ، قال الشافعى :

سأكتم علمى من ذوى الجهل طاقتى
ولا أنثر الدر النفيس على الغنم
فان يسر الله الكريم بفضـله
وصادفت أهـلا للعلوم وللحكم
بثثت مفيـدا واستفدت ودادهم
والا فمخـزون لدى ومكتتم
فمن منح الجهال علما أضـاعه
ومن منع المستوجبين فقـد ظلم

يلاحظ أن الشافعى فى هذه المقطعة يقسو على الجهال فيحرمهم العلم ، وليس من محتاج الى العلم أكثر من الجاهـل به . هـذا هو ظاهـر الكلام .. ولكن الشـافعى يريد نوعا من الجهـال وهم من لايعملون بالعلم ولا ينتفعون به ، ولا يكرمونه اذا حصـلوا عليـه ، والا فالامام أولى من يعلم أن الشرع يحرم كتمان العلم وخزنه .

وفى رواية أخرى عن معجم الأدباء وغيره : حدث الربيع بن سـليمان قال : لمـا دخل الشافعى مصر أول قدومه اليها جفاه النـاس فلم يجلس اليه احد . قال : فقال له بعض من قدم معه : لو قلت شيئا يجتمع اليك الناس! فقال : اليك عنى ثم انشد :

أأنثر درا بين سارحة النعم
وأنظم منثورا لراعية الغنم
لعمرى لقد ضيعت فى شر بلدة
فلست مضيعا فيهم غرر الكلم ••

الابيات

والبث النشر والاذاعة حتى يعم ••
والمستوجبين المستحقين لتلقى العلم ، كأنهم يوجبون على المعلم أن يعلمهم •

قافية النون

الطمع والقناعة

عن نور الأبصار والمخزون فى تسلية المحزون ، وحاشية الصاوى على الجلالين ، قال الشافعى - رضى الله عنه - :

أمت مطامعى فأرحت نفسى
فان النفس ما طمعت تهون
وأحييت القنوع وكان ميتا
ففى احيائه عرضى مصون
اذا طمع يحل بقلب عبد
علته مهانة وعلاه هون

وهذا المعنى كرره الشافعى فى شعره ، ويفهم من كلامه هنا أن نفسه ما زالت تتقاتل فيها المطامع والقنوع حتى يغلب الأخير على الأولى ، ومعنى ذلك أنه اكتساب ، وعلى كل انسان أن يفعله كما فعله الشافعى •

وقد جاءت هذه النصيحة منه للناس فى البيت الثالث ، وليس فيه تضارب اذ يقول : «يحل بقلب عبد» أى لا حلول اقامة واستدامة الا اذا لم يحاربه الانسان بالقنوع فانه يحل ويقيم •

وفى الكلام كله اشارة الى المجاهدة الباطنية للنفس والهوى والشيطان بالامتناع عن الشهوات وهو ما سمى بالجهاد الأكبر ، ووجه ذلك أن الأعداء الظاهرية تحضر وتغيب ويمكن الصلح معها ، اما هذه فلا تغيب أصلا ولا تمكن مصالحتها أبدا ••

التواضع

عن آداب الشافعى ومناقبه ، وقد لا يكون البيت له وانما أنشده : قال أبو يعقوب البويطى : لم أزل أسمع الشافعى كثيرا يردد هذا البيت :

أهين لهم نفسى لأكرمهم بها
ولن تكرم النفس التى لا تهينها

ابو يعقوب البويطى من أصحاب الشافعى، وقد حبسه الواثق فى فتنة القرآن وقد كثرت الروايات فى شطر البيت الأول •

عباد الله

عن مجانى الأدب : ومما ينسب الى الشافعى رضى الله عنه :

ان لله عبادا فطنا
طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا
أنها ليست لحى وطنا
جعلوها لجة واتخذوا
صالح الأعمال فيها سفنا

يريد الشافعى بخوف الفتنة الابتعاد عن اتباع الأهواء والاغترار بالدنيا ، ويريد بالوطن الاستمرار والاقامة فى الزمان والمكان وقد صور عباد الله الأذكياء بخائضى لجة تصوروها غمرا لا يدرك له سر ولا قرار ، فطفوا عليه بصالح اعمالهم كى ينجوا من الغرق • وقد شبه صالح الأعمال بالسفن ، والوجه الانجاء من الهلاك فى كل ، وهو تشبيه رائع وقول ناصح •

العلم والهدى

عن حاشية الصاوى ، قال الشافعى رضى الله عنه :

اذا لم يزد علم الفتى قلبه هدى
وسيرته عدلا واخلاقه حسنا
فبشره أن الله أولاه نقمة
يساء بها مثل الذى عبد الوثنا

يرى الشافعي في قوله هذا أنه لا بد من أثر للعلم في النفس والسلوك والأعمال فاذا لم يظهر على المتعلم من هذه الآثار شيء كان مصابا بنقمة الله مستحقا عقابه كمن جاءه الدين وأبصر هداه ولكنه ظل عاكفا على الأصنام يعبدها فلم ينتفع بدين ولا هدى .

والوثن في البيت الثاني بضم الواو وتسكين الثاء جمع وثن . وقد جاء البيت مشوها في حاشية الصاوي فأصلح هكذا اجتهادا .

بحر العلم

عن الجواهر الزكية ، قال الامام الشافعي رضي الله عنه :

لن يبلغ العلم جميعا أحد
لا ولو حاوله ألف سنه
انما العلم عميق بحره
فخذوا من كل شيء أحسنه

في هذين البيتين وعظ بأن يتخير الانسان من العلم ما يكفيه وما يحسنه ، أما الحرى وراءه لتحصيله كله والنهم في الاحاطة به فمن المحال لا ان عاش ألف سنة ولا مائة ألف .. وليس قول الشافعي « ألف سنة » تحديدا ، ولكن المراد طول المدة وتصوير الاستحالة ، فحيث لا يعيش أحد ألف سنة فهو محال .

شوق الى غزة

عن معجم البلدان : يروى للشافعي يذكر غزة مولده قال :

واني لمشتاق الى أرض غزة
وان خانني بعد التفرق كتماني
سقى الله أرضا لو ظفرت بتربها
كحلت به من شدة الشوق أجفاني

يريد الشافعي بخيانة كتمانه أن الكتمان يتعب ضميره فلا يجعله يظهر شوقه ولا يحثه على الرجوع .

ويتمنى في البيت الثاني ان يكحل أجفانه بتراب غزة لو رجع اليها ، ويحتمل أنه يتمنى أن يكحلها بذلك التراب لو نقل اليه ، وترك المعنى للاحتمالين عجيب بديع .

مداخل العلم

عن حاشية الصاوي والمجموعة المباركة ومجاني الأدب: نظم الشافعي ـ رضي الله عنه ـ شروط تناول العلم فيما يلي :

أخي لن تنال العلم الا بستة
سأنبيك عنها مخبرا ببيان
ذكاء وحرص واصطبار وبلغة
وصحبة أستاذ وطول زمان

بين الشافعي في البيتين ستة شروط لتحصيل العلم وقد ذكرها كلها في البيت الثاني ، أربعة فيها من طالب العلم واثنان منه ومن غيره ، فأما التي هي من الطالب فالذكاء والحرص و الصبر والاستعداد بالمال والجهد ، وأما التي منه ومن غيره فصحبة الأستاذ وطول الزمان ، والناظر في هذا الأمر يرى بعد نظر الشافعي فيما اشترط ، اذ لو فقد شرط واحد من هذه الشروط لم يحصل للطالب كمال العلم .

والخمسة ما عدا صحبة الأستاذ هي كل ما يمكن الطالب من جهد وقوة وزمن ، والعلم ـ كما يقولون ـ ان أعطيته كلك أعطاك بعضه ، وان أعطيته بعضك لم يعطك شيئا .

نشودة للضياء

الشاعر عبد الله شمس الدين

إيه . يا شَمْسَ اليقينْ
أَدخلى قلبى الحزينْ
بدّدى ليْلَ الظنونْ
وانشرى صُبْحَ الصفاء
واغمرينى بالضِّياء

* * *

أَنا فى ليْلِ حياتى
نجْمةٌ حيرى شريدهْ
أَجْهَدتْنى سبحاتى
فى متاهاتى البعيدهْ
أَرقُب الفجْرَ بأُفْقى
بانطلاقاتى وشوْقى
فاطلعى : شمسى . ودُقِّى

باب قلبى بالضياء
وانشرى صبح الصَّفاء

* * *

أَنا فى بُسْتَانِ قلْبى
بلبُلٌ شاد غريبْ
أَنا أَدعوهُ لحُبِّى
وهو يأَبى أَن يُجيبْ
أَنا مِنْهُ . وهو منِّى
ماله يجهل لحْنِى
ربّما أَقْصاه عنِّى
أَنَّه طينٌ وماء
وأَنا أَهوى الضياء
أَنا فى صحراء ذاتى

حيَّرتْنى خطواتِّى
وطوتْنى ظلماتى
لست أدرى ما حياتى
لست أَدرى كُنْهَ سرى
وأَنا قلبٌ ورُوحْ
أَعْيَت الأَقدارُ سيْرى
فى فَضَاءٍ مِنْ طموحْ
فاسطعى : يا شَمْسُ فِيَّا
واسكبى النورَ علَيَّا
ودعينى بلكِ أَحْيَا
إنَّ خُلْدى فى الضيَاء
وأَنا أَخشى الفنَاء

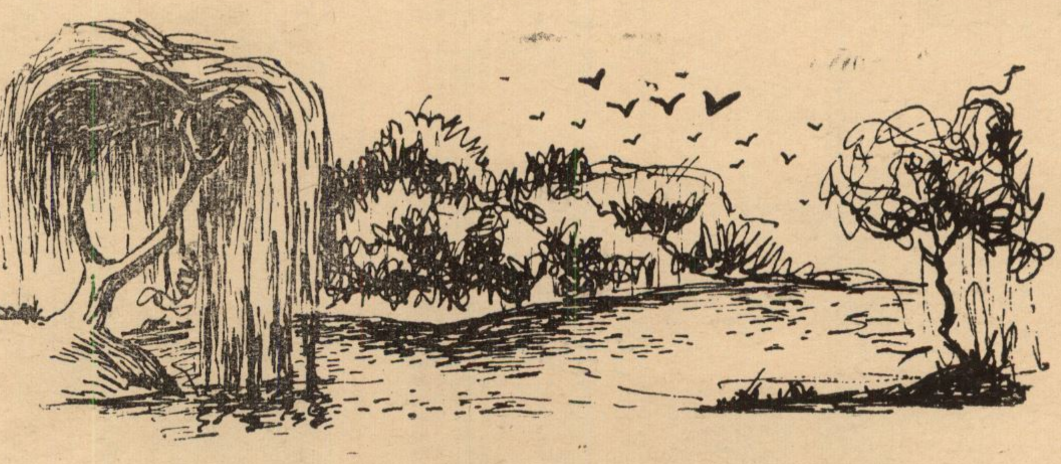

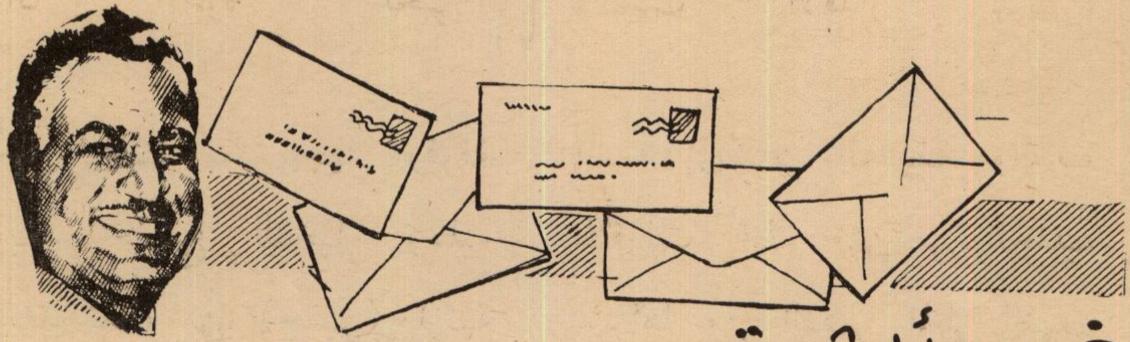

خمس رسائل شعرية مهداة للرئيس جمال عبد الناصر

الشاعر محمد السيد الجبالى

(١)

ذهبت إلى اليمن الشقيق مناضلا ... فانت وأيم الله للحق ناصر

وخلفك أَبطال تصول على العِدَا ... و (أنت) بعون الله للظلم قاهر

وعدت إلى أَرض الكنانة ظافرا ... وقولك مسموع وسيفك باتر

وإنا جميعا من محبة ناصر ... نخوض بحار الموت أَن جاءَ ماكر

يريد أَذًى للعُرْبِ والله ناصر ... جمالا وإنَّا به لَنفَاخِرُ

جميع بنى الدنيا ومن كان قبلنا ... سوى الرسل والتاريخ يروى ويذكر

بان جمالا حارب الظلم وحده ... رعاك الهى أنه لك ناصر

وما قولتى الا صدى لفعالكم ... «فما انا مداح ولا أَنا شاعر»

* * *

(٢)

أَطَلَّ علينا بعد جهل وفرقة — أساءَ إلى عز الحنيفة والعرب
وبعد خضوع للدخيل وسلبه — لأَقوات أَقطار تئن من الجدب
وبعد تعال من (حقير) لرتبة — شراها من القصر المعلم للنهب
جمالٌ حَمَاهُ الله إنا نعده — أَبا العُربِ من شرق الخليج إلى الغرب
أَطاح بعهد الظلم فاندك ركنه — وخارت قوى الفاروق من شدة الرعب

(وما هو فاروق بيثرب إنما — اراه أَخا الفحشاء جنبا إلى جنب)
وامم للشعب القناة مفاجئا — قوى الشر جيّاشَ العزيمة كالصلب
بنى السد فى وجه الطغاة بعزمه — وأَلْبَسَ وادى النيل ثوبا من الخصب
بَعَثْتَ إلى أَرض الجزائر جحْفَلَا — وآخر للسلال فى طاعة الرب
فانت لنا المعوان فى البأْس والندى — وانت المرجى من بعيد ومن قرب
أَطعنا إلٓه العرش ثم رسوله — وأَنت مطاع بالجوارح والقلب

وأنت من الرحمن نور ورحمة … وأنت غياث فى الملمات للشعب
أمامك حرب أنت موقد نارها … فلسطين ترجونا خلاصا من الكرب
يحق علينا أن نشرد عصبة … أُقِيمَت على أرضا لعروبة بالغصب
وهأنا وابنى وابن ابنى فَعُدَّنَا … جنودك يا مقدام فى ساحة الحرب
ولا عاش من يلقى الحمام بذلة … ولم يرغم الأعداءَ من شدة الضرب
ولم يمتط ضمر الجياد مجاهدا … لنصرة دين الحق مجتنب الرهب
تهون علينا النفس مادام ناصر … يدير رحى الهيجاء ينصره ربى
نفديك بالأرواح أنت ملاذنا … إذا هَمتْ الاحداث فى الليل كالشهب

وما أنا من أهل القريض وإنما … ابو خالد ارسى القلوب على الحب
ويا رب هذا الشهم آمال أُمة … فصنه لإعزاز الحنيفة والعرب

* * *

(٣)

جَمَعْت على الحب القلوب فَعِيْدُنَا … لنا ولأهل السلم شرقا ومغربا
وهَابَك الاستعمار فارتد خَاسِئًا … ورويت من دم الطغاة القواضبا
نبايع راعى العرب فى كل حجة … ونزهو ا به حتى نسامى الكواكبا

* * *

(٤)

نضوت من الايام ستين حجة وسبعا تباعا والحوادث تفعل
وعشت بعهد الظلم حتى كأنني أرى الليل موثوقا فلا يتحول
وذقت من الحكام كل مرارة فلا العيش يحلو لى ولا العمر يرحل
فناديت يا ربى بجاه محمد أغث امة الاسلام أنت المؤمل
فجادت يد المولى الكريم بناصر يبين أسباب الخلاص ويعمل
فابعد عن أرض الكنانة ظالما يصول على قوت الفقير ويأكل
(ويهتك أستار العباد بخسة ويسطو كما تسطو الذئاب وجيأل)
وقلت لاتباع اللعين ترحلوا فليس لكم فينا أشراب ومأكل
وقلت بأن الأرض لله وحده ونحن عباد كلنا نتمول
فلا يسكن الفقرُ البلادَ وناصر يدبر حاجات البلاد ويعدل
وقررت حقا للمواطن كلما شكا الداءَ لامَنَّ بها وتَفضلُ
وقلت بان العلم حق مقرر مباح لمن يرجو الفلاح ومنهل
بنى مر - ءأنتِ مثل مَكَة أنبتت نديد ابن مخزوم عليه المعول
إذا جاءَت الأعداءُ تبغى حياضنا وليس لهم الا شجاع مقاتِل
يروى سنان الرمح من دم جائر على راس خيل فى المعامع تصهل
أهبت باشياخ العروبة معلنا حقوق فلسطين فانت المناضل
لنصرة دين الحق والكل شاهد بان جمالا فى الملمات يبذل
فحلوا ضيوفا مكرمين بربعكم وشعبك مزهو بما أنت فاعل

فيا سيف رب العرش مُرْنَا فاننا نخوض غمار الحرب والموت ماثل
وإنى لارجو أن أسير وراءكم إلى ساحة فيها الاسود البواسل
تضم جميع العرب تحت لوائكم تظللنا فيها الرماح العواسل
ونسكن فى ظهر العدو رماحنا ونسعى إلى حصن العدو وننزل
وما قلت إلا ما الضمير يكنه فما رضيت نفسى بما ليس يجمل

* * *

(٥)

وقفت لأهل الشر وقفة زاجر وأنت لأهل الخير عون وناصر
وأَذَّنْتَ فى أهل السلام فاقبلوا إلى موطن الأحرار والكل شاكر
لسعيك يا شيخ العروبة للهدى فأنت على النهج المبين لسائر
تؤم رجالا لا انحياز لديهم وأنت بما تقضى الشرائع آمر
وتبدأ بالحسنى فان كان جائر فسيفك يفرى فى الجسوم ويبتر
وتمقت الاستعمار والجور فى الورى وأنت لأهل الجور غاز وقاهر
أسرت قلوب الناس من حسن فعلكم فقالوا (جمال للعدالة ناصر) .

فلسطين يا حماة العرب

للشاعر نجاتي عبد الرحمن

عواهل الشرق لا تنسوا فلسطينا
مهد السلام ومحراب النبيينا

أَرض مقدسة ما مسَّها دنس
مزرٍ ولا حملت يومًا شياطينا

لم يغش أَرجاءَها إلا ملائكة
طهرٌ بها هبطوا للناس هادينا

هبَّت عليها من الصهيون عاصفة
هوجاءُ أَقطابها صاروا مجانينا

جاءُوا ليتخذوا من أَرضها وطنًا
وليسلبوا العرب الغُر الميامينا

لا حقق الله حلمًا بات يشغلهم
بها ويضرمها فيهم براكينا

إن العروبة لم تخمد حميتها
ولا استكانت لبغى المعتدى لينا

الله أَكبر إنَّ الأُسد رابضة

لا ترهب الموت أَو تخشى الخوافينا

باب العرين على السرحان ممتنع

والنسر يفزع فى الجو الشواهينا

تضافر العرب الأَمجاد واتحدوا

وخاب مَنْ ظنهم عن ذاك لاهينا

(قوم إذا استخصموا كانوا فراعنة

يومًا وإن حُكِّموا كانوا موازينا)

وأَظهر الشرق للباغين نخوته

جَدًا فروَّعَ أَطماع المضلينا

لا تحسبوه إذا ما نكبة نزلت

يعيش فى الضَّيم والعدوان مغبونا

إن الأَبيَّ يرى فى الموت راحته

ويجرع الكأْس دون الذل غسلينا

إنا بنى الشرق لا نرضى الهوان ولا

نعنو له ونواسى من يواسينا

نُجرى الدماءَ على ماضى صوارمنا

ونبتنى المجد فى الدنيا بأَيدينا

(لا يظهر العجز منا دون نيل منًى

ولو رأَينا المنايا فى آمانينا)

من خمر التوحيد

الشاعر حسن جاد

« من وحى الفتح الربانى الذى يفيضه الله على بعض عباده المخلصين »

ساقٍ من الخُلْدِ ، رُوحى مِن نَداماهُ   قد أَسْكرتْ نشوةَ الأَرواح ريَّاهُ
يَطوفُ بالكأس سَكْرَى مِن أَنامله   ويسكبُ الراحَ نَشْوَى مِن سَجاياهُ
دَعْ شاربَ الإثم مُغترًّا بنشوته   وخَلِّ ساقيه مفتونًا بدنياهُ
صَرْعَى السُّلافةِ أَشتاتٌ وإن ظَهروا   كأَنهم مِن حُمَيَّا الراح أَشباهُ
والحبُّ جَمَّع أَهلَ العشق فى وَله   وكلُّهم فى الهوى غَنَّى بليلاهُ
للروح خَمرٌ ، وللأَجسام خَمرتُها   شتان بينهما ، والكلُّ قد تاهُوا
فخمرةُ الروح توحيدٌ يَخِفُّ به   شوقٌ إلى حضرةِ الرَّحمن مَرْقَاهُ
وخمرةُ الفم كم تُهْوِى بشاربها   إلى حَضيض من الأَرجاس مَهْواهُ
قُمْ هاتِها يا نديم الروح واسْقِ بها   مِن كَرْمة الله وانْهَلْ من عطاياهُ
واسْتَجْلِ فى ملكوت الله ما شهدتْ   آياتُه أَنه لا ربَّ إلا هو
واتْلُ الضراعاتِ ، لم يَجْرِ اليراعُ بها   يومًا ، ولا ردَّدَتْها قبلُ أَفواهُ
إنى لأَعذرُ مأْخوذًا بروعتِها   وقد تولَّاهُ منها ما تولَّاهُ
لم يَدْرِ إلهامَ أَهلِ الحب غيرُ فتًى   قد ذاق من كأسه يومًا وعَاناهُ

هى الفيوضاتُ تجرى بالفتوح على فَمِ المحبِّينَ مِمَّا أَلْهمَ اللهُ
سبحانه يَمنح الفضلَ الجزيلَ ، ولا يُعْطَاهُ إلا مُنيبُ القلب أَوَّاهُ

* * *

بحرُ الحقيقةِ أسرارٌ مُحَجَّبَةٌ مَن خاض لُجَّتَه يَعرفْ خفاياهُ
وكم على الشَّطِّ مِن صَاد لموردهِ الوجدُ أَرَّقَهُ والشوقُ أَضناهُ
تحرَّقَتْ روحُه اللَّهفَى فراحَ على شوقٍ تُلَوِّحُ للرُّبَّان كَفَّاهُ
ربَّاهُ خذْ بيدى وارحم ضراعتها أنا الغريبُ بدنيا الناس .. رَبَّاهُ
أنا الغريقُ ونارُ الشوق تَلْفَحُنى أَوَّاهُ من لفحاتِ الشوق أَوَّاهُ
رَفَّ الشراعُ على فُلْكِ النجاةِ وقد جَرى ، وباسمكَ مَجْرَاه ومرساهُ
فخُذْ مع الرَّكْبِ مشتاقًا لصحبتهم وإن تناءَتْ به عنهم خَطاياهُ
إن لم يكنْ لىَ مِن جاه ليجمعنى بالسالكينَ ففى حُبِّى لهم جَاهُ
أو كان لى مِن ذنوبى ما أَنُوءُ به فرُبَّ ذنبٍ كريمُ الصفح غَطَّاهُ
وإن ذَوَى أملى يأسًا تَدَارَكَه مِن غيث لطفكَ إحسانٌ فأَحياهُ
كم معدم مِن غَناءِ الصالحاتِ أَتَى لبحر عفوكَ يا ربِّى فأَغناهُ
وغارقٍ فى خِضَمٍّ مِن مآثمِهِ قد لاذَ بالمرفإِ الأَسْنَى فَنَجَّاهُ
ورُبَّ مُسْتَوْحِش بالإِثم كنتَ له أُنْسًا ، وَأَفْعَمتَ بالأَضواءِ مَغْنَاهُ

* * *

وَمْضًا مِن الشعلة الكُبرى تُضِىءُ به نفسى ، وتعرُج روحى فوقَ مَسْرَاهُ
ونَفْحةً مِن عَبيرِ القُدْس تَنفَحنى فأَنْثَنِى وأنا بالعِطر تَيَّاهُ
ورشْفَةً مِن رحيقِ الحبِّ تُسْكِرُنى وجْدًا ، وتُذْكِرُنى ما كنتُ أنساهُ
ونَبْرةً مِن أَغانى الخُلْدِ تجعلُنى صَدَّاحَ أَيْكٍ على أَفنانِ طُوباهُ
يا ربِّ بابُك جاهُ مَن يَلُوذُ به يَنْجُو ، وتُؤمَن فى الدارَيْن عُقْباهُ

قصة العدد

لقاء ذات ليلة

بقلم حسين الطوخى

* بدأت دولة الأمويين تلفظ آخر أنفاسها المتعبة ، وأخذت شمس خلافتهم تؤذن بالمغيب منذ خلافة « يزيد الثالث » ومن بعده « مروان الثانى » آخر خلفـــاء بنى أمية ، وكانت خلافتهما تضطرب بالفتن وتموج بالتوجس من مستقبل يحس المسلمون بدبيبه يحـث الخطى نحو تغيير كبير .

والقلق من حاضر مضطرب يرتعد ، والتوجس من مستقبل يلوح فى أفق الحياة ، كلاهما سمة من سمات النهاية ، ونذير بأفول نجم يتهاوى وبشير بطلوع فجر جديد .

كذلك كانت حال المسلمين فى خـلافة « مروان الثانى » الخليفة الأموى الثـالث عشر والأخير الذى انتهت بمقتله فى أواخـر العام الثانى والثلاثين بعد المائة للهجرة أيام دولة بنى أمية ، وبدأت شمس جديدة ، تسطع فى الأفق لتواكب الميلاد الجديد لدولة فتية . دولة بنى العباسى .

ومهما تناقل على ألسنة الرواة أو سطـر بأقلام المؤرخين عن دولة بنى أمية التى دامت خلافتها قرابة قرن من الزمان عن زلات جرفت بعض خلفائهم وعمالهم ، **فقد أجمعت أقوالهم وكتبهم على أنها كانت خلافة عربية خالصة ، ويكاد أن يكـون مذهبها السياسى .. العرب للعرب .**

والملوك والحكام من قبل ومن بعد ، ومنـذ تكونت الأجناس والممالك والشعوب ، يختلف ويتباين السلف عن الخلف فى طرائق الحكم ، فيكون السلف صالحا عادلا ، ثم يأتى خلفـه من بعده ظالما وغشوما ، أو يكون السابق من الملوك والولاة مستبدا عاتيا ، ثم يخلفه من يعمل على محو ظلمة وينشر فوق الناس ظلال العدل ورغد الحياة ..

هى أيام يداولها الله بين الناس ، فحينـا هى لولى على العدل قائم ، وحينا آخر لمستبد ظالم ..

ولقد اصطخبت أيام الدولة الأموية بالاضطرابات والفتن المتشابكة التى ما انفك الطالبيون والخوارج يثيرونها بين الفينة والفينة فى أرض الحجاز والعراق ، وفى أطراف الامبراطورية الاسلامية التى ترامت شرقا حتى بلغت مشارف الصين ،وامتدت غربا حتى لامست شطآن اسبانيا ٠

ولعل من الأخطاء الكبيرة لدولة بنى أمية ، انعزال أمرائهم عن القاعدة العريضة لشعوب المسلمين وحجب أنفسهم عن لقائهم ، على خلاف ما كان يفعله الخلفاء الراشدون ، ثم نزوعهم بعد ذلك الى سكنى القصور الباذخة فى دمشق بعد أن هجروا موطنهم الأول فى أرض الجزيرة العربية ٠

ولعل من أخطائهم كذلك ، الاعتماد على عمالهم فيما عظم وهان من الأمور ، اكتفاء بالاطلاع على رسائل بريدهم ثم موافقتهم دون حساب أو مناقشة ، على أغلب ما يصدر عنهم من تصرفات وأحكام ٠

ثم جاء زمن أصبحت فيه قصور بنى أمية ودورهم مواطن لهو وعبث ، بعد أن تزعزع سلطان الدين على النفوس أمام مفاتن الحياة الرخية فى العراق وأرض مصر الخضراء ، وفى رياض الشام وبساتينها الفيحاء ، وبما كان يستجلب من الأمصار القريبة والبعيدة من اسباب الترف واساليب المجون والبذخ ٠

ومنذ اللحظة الأولى التى استشعر فيها ((**بنو العباس**)) دبيب الضعف فى صفوف الأمويين وهم يلمحون ظلهم ينحسر رويدا يوما بعد يوم منذرا بزوال أيامهم ، أخذوا يجمعون صفوفهم ، ويوحدون كلمتهم ويرسمون

خططهم ، ويستعدون لليوم الكبير الذى يئول فيه اليهم زمام خلافة المسلمين ٠

فى الكوفة بأرض العراق ، كان همس يدور على الشفاة ثم يتطاير الى الاسماع عن دعوة بنى العباس وحقهم فى خلافة المسلمين ،وهناك فى خراسان كان ((**ابو مسلم**)) صاحب دعوتهم يبذل جهده ليهيىء القلوب لتلقى هذه الدعوة ويمهد للانقضاض على حكم ينخر فيه السوس ويوشك أن يتهاوى أشلاء تذروه صفحات التاريخ ٠

ولم يكن الامويون فى غفل عن الهمس الذى يدور فى الكوفة ، ولا عن التدبير الذى يجرى فى خراسان ، لكنهم كانوا أضعف من ان يجابهوا الهمس بالعمل الصالح وان يصدوا التدبير برتق الثوب الذى بدأ يتمزق ٠ كان أقصى جهد للامويين فى تلك الفترة الحرجة ، فزع يؤرق نومهم ، وتوجس يحيل النهار لأبصارهم ليلا واظلاما ٠

كل ما استطاعه « يزيد الثالث » وأعوانه هو بث العيون والاسماع على كل دار ، ودس الأنوف فى مجالس العامة والخاصة يتشممون رائحة الشكوك والريب ، ثم يزجون فى الحبس بكل من يتوجسون منه أو يحسون بأنه ضالع فيما يدبر بليل ٠٠

ومنذ أيقن بنو العباس أن الخلافة صائرة يوما الى بيتهم ، أخذ كبيرهم وصغيرهم يتزود الى جانب حذقه لفنون القتال والحرب ،بسلاح من نوع جديد ٠٠ سلاح ذى حدين من الثقافة والمعرفة ، فليس مثله سلاح يضىء دياجير الغفلة ، وينير ظلمات العقل والقلب ٠٠

وحلقات الدروس والتثقيف فى كل زمان ومكان لها المقام العزيز فى أفهام الملوك والشعوب على السواء ، وعلماء الاسلام والمسلمون منذ أيام الرسول صلوات الله عليه ما فتئوا يجلسون الى طلاب العلم والفقه والحديث ولا يألون جهدا فى اذكاء نور المعرفة ليذاع فى اقطار الأرض هاديا للبشر وعاصما لهم من شرور الجهالة والضلال ٠

ومدينة الكوفة بأرض العراق ، كان لها القدح المعلى فى تخريج الفقهاء والعلماء ، وهى بعد كعبة القصاد لطالبى العلم والتثقيف على مختلف هواياتهم ومقاصدهم ، وفيها العلماء الأكفاء فى كل فنون المعرفة يعقدون حلقات الدروس فى الدور وفى المدارس وفى المساجد بعد أن وقف المسلمون على حضارات الدول التى دانت لحكمهم وعلى ما يذخر به ماضيهم من امجاد عريضة ٠

وقد اشتهرت حلقة « **أزهر السمان** » فى أيام الخليفة الاموى « يزيد الثالث » بأنها اكثر حلقات الكوفة قصادا من الأطراف البعيدة والقريبة للامبراطورية الاسلامية ٠ فهو امام فى علمه ، بارع فى حديثه ، مذخور القلب والروح بالايمان القوى ، مشحوذ العقل والحافظة بكل ما دعاه الاسلام وقرآنه من فضائل واخلاق وآيات بينات ٠

كان درس الليلة من شهر رجب لعام ١٢٦ للهجرة يدور حول خلافة «أبى بكر الصديق» وحرب الردة التى صارت مفخرته الخاصة انفرد بها فى تاريخ الدعوة الاسلامية بغير شريك ٠

وتناثر حديث « أزهر » مثلما يتناثر اللؤلؤ فوق بساط من المخمل ، وامتد وقت الدرس الى ما بعد الغروب ، ، فلا الشيخ العالم كف عن حديثه ودرسه ، ولابارح الحلقة واحد من طلاب علمه ، وأصبح درس الليلة متعة ذهنية للامام وتلاميذه على السواء ٠٠

وزحفت ظلمة الليل على المدينة والشيخ ما انفك يحاضر تلاميذه ويجادلهم ويستقرىء أفكارهم وفجأة اقتحم انتباههم صوت طرقات على باب الدار ، فبعث الشيخ بولده ليرى من يقصده فى هذه الساعة ٠

وعاد ابن الشيخ الى حلقة الدرس يصحب تلميذا جديدا يلتمس موافقة الشيخ على ضمه الى حلقته ، فوافق من فوره حتى لاينقطع حبل الحديث عن « الصديق » ومكرمات صحابة الرسول ٠

ثم آن لحلقة الدرس أن ينفرط عقدها النضيد ليئوب كل الى داره قبل أن يوغل الليل ، فأخذ تلاميذ الشيخ يسلمون عليه وينصرفون واحدا اثر واحد من داره ، ولم يبق فى النهاية غير « أزهر » الفقيه وولده وطالب العلم الجديد ٠

واستحى الشيخ ان ينبه الشاب الضامر الى مبارحة داره ، فأخذ يتفرس فى هيئته ورآه حسن الثياب وينتعل خفا مما ينتعله سراة القوم ، وبدت لحيته السوداء مشذبة كأن موسى الحلاق قد فارقتها منذ قليل ٠
تعجب الشيخ فى نفسه وهو يرى آثار النعمة تكسو ملامح الشيخ وهيأته ، وعهده بطلاب العلم والعلماء فى شظف من العيش ، وللفقر والمسغبة معهم صلات وأواصر !

وطال صمت ثقيل شمل قاعة الدرس لم يكن يقطعه غير هرولة ابن الشيخ ليجمع الأوراق المبعثرة هنا والكتب الملقاة هناك غير عابىء بما يدور فى قاعة الدرس ٠

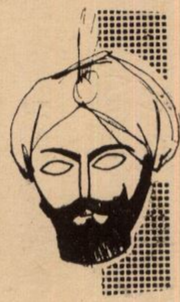

وشق الشيخ حجاب الصمت بينه وبين تلميذه الجديد فسأله : من أين يافتى ؟ قال متئدا : من هنا ٠٠ من الكوفة وقد قصدت تحصيل العلم على يديك ، أردف الشيخ سائلا : أهلا بك وبشرف قصدك يافتى العرب ترى من أرشدك الى ؟ أجاب الشاب وعلى شفتيه بسمة يسيرة : وهل من حاجة لأن يرشدنى أحد اليك بعد أن ذاع صيتك وشاع ذكرك ؟ قال الشيخ : نسأل الله حسن العاقبة والذكر الجميل ٠ لأى قوم تنتسب يا أخا العرب ؟

وكأن الشاب الذكى كان يتوقع هذا السؤال فقال للشيخ دون تردد : اننى وقومى ننتسب الى بيت الرسول عليه السلام واقيم بالكوفة وقد قصدتك طالبا الاستزاده من علم الحديث وآثار السلف الصالح فى حلقتك المباركة ٠

وعاود الشيخ سؤاله بعد أن بهرته اناقة الحوار : حبا وكرامة يابنى ، غير أننى ألحظ عليك سمات الأثرياء ممن لا يأتون الى حلقتى، فلعك جاد فى الاستماع وصاحب جلد على الحفظ ٠ قال الشاب بعد أن ظن ان اسئلة الشيخ ستقف عند هذا الحد : ستجدنى ان شاء الله من خيرة الحفاظ واعيا لكل ما تقول٠

واستأنف الشيخ حملقته فى هيئة الشاب وهو يحاول أن ينفذ الى ماوراءها : اذن يكون قدومك الينا بعد صلاة العصر من كل يوم على ذهن حاضر وقلب صاغ ٠٠ ولكن خبرنى ٠٠ من أى فرع من الدوحة النبوية العطرة تنتسب يافتى العرب ؟

وبدأ الشاب يتململ من وطء اسئلة الشيخ المدققة وأحس بثقل حصار أسئلته وأن حاول ان يغلفها بكساء من البساطة وافتعال السذاجة فقال للشيخ فى غضب كظيم : اننى من بيت بنى هاشم ياسيدى الشيخ ومامن حاجة لأن تقف من أمرى على اكثر مما ذكرت ، وقد جئتك طالب علم لا طالب مصاهرة !
وراق للشيخ الفقيه ان يثيرها معركة ذهنية بينه وبين الشاب ، فأخذ يداعب لحيته التى خالط الشيب سوادها ، ويصوب نظرة الى وجه الشاب ولم يلبث أن ابتسم فى مكر مفضوح ثم قال : لا عليك يابنى مما سألتك عنه مادمت ضائقا به ، انما احببت أن احذرك من عيون بنى أمية ٠ ولربما ظنوك واحدا من العباسيين ٠

وكاد الغضب أن يأخذ بمجامع الشاب لكنه آثر ان يكتمه حتى يستشف مقاصد الفقيه فقال فى احتداد مكتوم : وماذا يأتيه بنو العباس من أثم ياسيدى ؟ ألأنهم يبغون ان ترفرف أعلام الاسلام خفاقة بعد ان نكست على يد الأمويين ؟ أم لأنهم ٠٠
وقطعت قهقهة الشيخ العالية حديث الشاب فسكت عن الكلام وأخذ يحملق فى الشيخ وهو

يمسح الدموع التى طفرت من عينيه من شدة بهجته بوقوعه فى الفخ الذى نصبه له ، ولم يلبث ان قال للشاب المغيظ : فهمت ٠٠ فهمت يافتى العرب وكانت فراستى صادقة فى كشف خبيئتك . أنت عباس وأقسم أنك ضالع فيما يدبرون ولكن ٠٠ كيف بالله طاوعك قلبك على تعريض شيخ فى مثل سنى لبطش الخليفة الأموى لو علم رجاله وعسسه انك واحد من طلاب حلقتى ؟

وهنا تهيأ الشاب لمغادرة دار الفقيه فقام من مجلسه وانتصب الشيخ واقفا بدوره دون أن يقول شيئا للشاب الذى مد يده مودعا وهو يقول : أما وقد بلغ السوء بالأمويين ان يحرجوا على العلم والعلماء ويصيرونهم مطية لأهوائهم ، فلا مقام لى فى حلقة علم هى وقف على فئة دون فئة ، خلافا لما أمر به دين الاسلام الحنيف ٠٠ استودعك الله ياسيدى أزهر السمان ٠

ومد الشيخ يده وأمسك بيد الشاب الرقيقة وأبى ان يفلتها من يده الكبيرة ثم اندفع يقول وبدنه يرتعش : لا ٠٠ لا ورب الكعبة ٠ سأقبلك فى حلقتى ولو قطع الخليفة رأسى ٠ سأقبلك ولو كنت أنت **«أبا العباس»** نفسه ٠

واندفع الشاب يقهقه ملء قلبه وجاوبت جدران القاعة أصداء قهقهته المدوية ثم قال للشيخ على غرة : اننى وأبا العباس شقيقان ٠

ولم يقو الشيخ على كبت دهشته فصاح منفعلا : اذن أنت **« أبو جعفر عبد الله »** قال الشاب على الفور : نعم ٠ أنا « ابو جعفر » العباسى يا أزهر ٠ قال الشيخ : قد شرفت وشرفت دارى وحلقتى ٠ اللهم انى اسألك ان تحشرنى فى ساحة رضائك وان تلحقنى بالصالحين من عبادك ٠ غدا بأمر الله ومشيئته يكون حضورك الينا بعد صلاة العصر ، واذا سئلت من تكون ، قل انك ابن شقيقة أزهر السمان وانك كنت تقيم فى مدينة البصرة ٠

وقبل ان يكمل الشيخ وصيته للشاب اقتحم سمعهما صوت طرقات غليظة على الباب تبعه صوت واحد من شرطة الليل يقول : افتح الباب يا أزهر ٠

ونظر الشيخ الى الشاب العباسى كأنه يذكره بما أوصاه به وأومأ اليه ان يعود الى جلسته وان يلزم الصمت ، ولم يلبث ان قال بصوت مرتفع سمعه الشرطى من الخارج : تفضل مكرما ٠ الباب غير موصد ٠

ودخل القاعة رجل الشرطة وأخذ يجيل بصره فيما حوله ثم سأل الفقيه : من ذلك الرجل القابع هناك ياأزهر ؟ قال الشيخ على الفور : هذا ابو جعفر ابن شقيقتى قدم لتوه من البصرة لزيارتنا ٠ لهفى عليه قد دهمه النوم وهو جالس بعد عناء السفر ٠ قال الشرطى وهو يغادر القاعة : احذر يا أزهر أن اضبط عندك عباسيا فيكون فى ذلك حتفك قال أزهر وهو يضاحك الشرطى : ومتى علمت عنى أننى أهتم بهذا أو ذاك قاتلهما الله ٠ اننى لست الا واحدا من المخرفين الذين لاخطر منهم ٠٠ ولكن ألا تبقى حتى نجهز طعام العشاء ؟ وهنا ضج الشرطى بالضحك وهو يقول قبل أن يخطو الى خارج الدار : اصلحك الله يا أزهر ٠٠ ليتك تكفى نفسك وعيالك

ومضت شهور وسنون ظل خلالهما « ابو جعفر عبد الله » يحضر حلقة « أزهر السمان » دون أن يكشف أحد عن شخصيته المستورة ، واحبه الفقيه حب الوالد لولده ، واحس ابو

جعفر انه يرشف العلم مثلما يرشف الصادى من ماء عذب زلال ٠

ويوم ان طاف المنادون فى شوارع الكوفة يعلنون موت الخليفة « يزيد الثالث » واتمام البيعة لمروان الثانى ، نظر أزهر الى ابى جعفر وهو فى حلقة الدرس ، ونظر ابو جعفر الى شيخه ثم ابتسم ٠٠

وانقضت أيام مروان الثانى ، وكانت أياما عصيبة وثقيلة ظل المسلمون خلالها يرفعون أكف الضراعة بعد كل صلاة الى فاطر السموات والأرض ، ليعجل بانقضائها حتى يشهدوا مولد الفجر الجديد الذى حلموا بطلوعه وتشوقوا اليه ٠

وبدأت نهاية الامويين تقترب حثيثة ،وبويع « **ابو العباس عبد الله** » فى خراسان أول خليفة للمسلمين من بيت بنى العباس ،وحملت أجنحة الرياح بيعته الى الكوفة فى ربيع الأول لعام ١٣٢ للهجرة ، ولم يبق الا الظفر بمروان الثانى هناك فى أرباض دمشق ٠

وغاب ابو جعفر عن حلقة أزهر السمان ، فلم يعد الموقف يحتمل ابتعاده عن أخيه أمير المؤمنين الذى وفد الى الكوفة وارتضاها عاصمة للخلافة العباسية ٠

وأمسى الناس واصبحوا ذات يوم على نبأ عظيم ٠ ٠لقد ظفر رجال ابى العباس بالخليفة الأموى الثالث عشر والأخير « مروان الثانى » وانتهت بمقتله على مشارف أرض مصر ، آخر أيام الامويين ، وانطوت صفحتهم بما حفلت من خير وشر ، وفضائل ونقائص ٠

وافتقدت حلقة أزهر ذلك الشاب الصامت، ابن شقيقة الشيخ الذى قدم من البصرة ،ويوم قدم ابو العباس الى الكوفة بدأ الفقيه درسه بالآية الكريمة « قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير »

ولم تطل أيام أول خلفاء العباسيين « ابى العباس » بعد أن أنهكته الحروب مع فلول الامويين ونزع الاشواك من الطريق ليعبده لمن سيخلفه من بعده ، وانتقل الى رحمة ربه بعد مرض لم يمهله الا قليلا ٠

وبويع بالخلافة لأبى جعفر عبد الله شقيق أبى العباس الذى لقب باسم « المنصور » فى شهر ذى الحجة لعام ١٣٦ للهجرة ٠

ووقف « أزهر السمان » ذات يوم على باب أمير المؤمنين « أبى جعفر المنصور » وحين سأله الحاجب عن حاجته قال :

بلغ أمير المؤمنين اننى شقيق أمه التى تعيش فى مدينة البصرة !

وابتسم أمير المؤمنين وهو يسمع ما نقله اليه حاجبه ثم قال : أدخل الينا خالنا « أزهر السمان » وهيىء له فى مجلسنا اطيب مقام !

عشرة من أبناء الشيخ ابراهيم ايناس زعيم مسلمى السنغال وغرب افريقيا ، وصلوا الى القاهرة للتعليم فى الجمهورية العربية المتحدة على نفقة المجلس الأعلى للشئون الاسلامية يبدأ اسمهم جميعا بمحمد ، قال ابراهيم ايناس انه اختار القاهرة لتعليم أبنائه فيها لأنها حاملة راية الاسلام وبلد الزعيم جمال عبد الناصر محرر افريقيا ومحطم الاستعمار ، وقد أعدلهم المجلس التدابير اللازمة لتلقى علومهم فى جامعات ومعاهد الجمهورية العربية المتحدة

نجل زعيم مسلمى الفيلبين بالقاهرة

وصل نجل السيد أحمد ألنتو زعيم مسلمى الفيلبين الى القاهرة للحصول على درجة الدكتوراه فى الاقتصاد الزراعى من جامعة القاهرة على نفقة المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ٠

بقيـة معـالم الطريـق ص ٥

بقية معالم الطريق ص ٥

نقدر نحصل على قروض كنا نضطر ان نطوى أنفسنا فى حدود قدرتنا ، اذن عملنا الخارجى لا يهدف الى المباهاة والى الادعاء ابدا عملنا الخارجى يهدف الى حاجتين ٠

أولا : ان احنا نكون فى عالم لا تسود فيه سياسة القوة لأن العالم اذا سادت فيه سياسة القوة ، احنا كدولة صغيرة نتأثر ونتعرض دايما للمخاطر ٠

النقطة الثانية : ان احنانستطيع ان نتعاون مع الدول النامية حتى نعوض التخلف اللى قاسينا منه قبل الثورة وزى ماقلنا دائما ان احنا واجبنا أن نسير فى سرعات مضاعفة حتى تحقق للوطن وللمواطن الحياة الكريمة والحياة الشريفة ٠

من أجل السلام والقضاء على الاستعمار

الاستعمار العادى ٠٠ لو نستثمر الدخل دخلنا أو مدخراتنا لا نستطيع بأى حال من الاحوال أن نحقق الخطة اللى احنا عايزين نحققها ٠٠ لا نستطيع أن نضاعف الدخل فى عشر سنوات ٠

اللى أنا بدى أقوله ان كل واحد لازم يفهم ان احنا فى سياستنا الخارجية نعمل من أجل السلام العالمى ، ونعمل من أجل القضاء على الاستعمار ونعمل من أجل القضاء على سياسة القوة ونعمل على أن تكون الدول جميعها متساوية فى الحقوق وفى الواجبات ونعمل فى نفس الوقت من اجل تحرير جميع الشعوب المستعمرة والمستعبدة ونعمل فى نفس الوقت على أن نتعاون مع العالم كله من أجل ان نفيد ومن اجل ان نستفيد ٠٠ نفيد يعنى ايه يعنى احنا اما ناخد قروض مثلا ٠٠ ب ٤٠٠ مليون جنيه اذا طلب منا قروض بعشرة مليون جنيه بندى قروض بعشرة مليون جنيه ليه بقه لأن احنا ما احناش أنانيين ٠

القروض ليست اعانات

احنا أخذنا القروض من امريكا وخدنا من الاتحاد السوفيتى وخدنا قروض من اليابان وخدنا قروض من المانيا ومن تشيكوسلوفاكيا ومن يوغوسلافيا ومن رومانيا الى آخر هذه البيانات اللى بتطلع فى الجرايد بعد كده احنا ادينا قروض ٠ ادينا قروض لمالى واحنا بنبنى لمالى لوكاندة وبنبنى لمالى ايضا طرق ادينا ٦ مليون جنيه أو ٧ مليون ٧ قروض ادينا ٧ مليون جنيه قروض لغينيا ، بنشتغل ٠٠ هل هذه القروض اعانات أو هبات هى ليست اعانات وليست هبات احنا مابنخدش من أحد اعانة ولا هبة وما بنديش حد اعانة ولا هبة ٠٠

ونحن نتعاون مع دول العالم جميعها مع الدول المتقدمة عشنا ناخد قروض وتسهيلات ائتمانية وتستفيد الدول اللى تجد ان احنا عندنا القدرة لأن نفيدها ٠٠ لابد ان نعطيها والا نتصف بالأنانية ٠

واحنا القروض اللى بنديها بتفتح لنا السبيل لاول مرة فى تاريخنا أن احنا نطلع بره بلادنا نشتغل لأول مرة بنطلع ٠

اشتراكيتنا قائمة على العلم

نحن لا نأخذ من أحد إعانات وهبات

كنا زمان بيجيبوا شركات اجنبيه تعمل لوكاندات وبيجيبوا شركات أجنبية تشتغل فى مقاولات مختلفة احناالنهاردة بنطلع بنشتغل بره لأول مرة بنبنى طرق فى مالى فى مجاهل الصحراء فى أواسط افريقيا ٠٠ بنبنى لوكاندة فى مالى ٠٠ اتفقنا مع الكونغو برازافيل ، نديله قرض ٣ مليون جنيه حنبنى لهم لوكاندة وحنكمل لهم بعض ملاعب موجودة هناك ٠

معنى هذا ان احنا بنجدالميدان للعمل لأول مرة وفى الحقيقة ان احنا لابد ان نطارد اسرائيل فى افريقيا ٠

اسرائيل الدولة اللى عايشة على اعانة واللى بتاخد اعانة فى اليوم مليون دولار أو مليون ونصف مليون دولار ، بتاخد أموال من الدول الاستعمارية علشان تروح تديها قروض فى افريقيا عشان تجمع حولها أكبر عدد من

الدول في هيئة الأمم المتحدة وعشان في نفس الوقت تكون وسيلة من وسائل الاستعمار الجديد في افريقيا ..

احنا مش نقعد هنا وأمامنا هذا التحدى ونسكت وبعدين برضه بدى أؤكد وأقول مرة تانية اذا أخذنا قروض ٢٠٠ مليون جنيه أو ٣٠٠ مليون جنيه أو ٤٠٠ مليون جنيه مافيش ما يمنع ابدا ان احنا ندى قروض ٢٠ مليون جنيه أو ٣٠ مليون جنيه أو ٤٠ مليون جنيه.

احنا مابنديش أموال أبدا عملة صعبة .. بندى هذه القروض على أساس خدمات وعلى أساس سلع بمعنى ان أنا لما بطلع ابنى لوكاندة بره ببعت من هنا الحاجات اللى بتطلبها هذه اللوكاندة زائد الأثاث زائد كذا ، وبهذا بفتح فعلا أسواق فى الخارج لبضايعى اللى لم تدخل افريقيا طوال حكم الاستعمار فى افريقيا .. فى علاقتنا مع العالم ، احنا بنبنى علاقتنا على أساس مواقفنا المستقلة .

ولكنها ليست خارجة على الدين

ولا نعطى أحدا إعانات وهبات

علاقتنا مع امريكا وبريطانيا

معروف ان احنا سياستنا هى سياسة عدم الانحياز ومعروف ان احنا فى تعاملنا مع العالم ، بنقول رأينا ليس هناك مشاكل بيننا مباشرة وبين الولايات المتحدة الامريكية مثلا ولكن قد نختلف عن مسائل اخرى.. بنختلف على تأييد أمريكا لاسرائيل .

ونختلف على موقف امريكا فى الكونغو ونختلف على سياسة القوة اللى اتبعت فى بعض الأماكن ولكنا بكل الوسائل نحاول أن تكون علاقاتنا مع أمريكا علاقات سليمة .

فى نفس الوقت احنا مع بريطانيا أيضا ، بريطانيا اعتدت سنة ٥٦ ولكن هددنا من قبرص وهددنا من ليبيا ، أولا هنا احنا موقفنا ضد الاستعمار ضد القواعد العسكرية ولا يمكن حد يساومنا على هذا باى شىء لو قال حنديلك ألف مليون جنيه علشان تقف وتسكت وما تقولش هذا الكلام لا نستطيع لأن اذا سكتنا نبقى حنعرض نفسنا للتهديد كما تعرضنا فى سنة ٥٦ .

سياستنا ضد الاستعمار وضد القواعد

سياستنا ضد القواعد وأيضا ضد الاستعمار ، ضد الاستعمار البريطانى فى عدن وفى الجنوب المحتل وفى الخليج العربى وفى المناطق المعروفة من شبه الجزيرة العربية ، ولكن هذا لا يمنع أن احنا بكل الوسائل على استعداد لأن نقيم علاقات سليمة ، وعلاقات طيبة مع بريطانيا لأن احنا مش شغلتنا ان احنا نقف نخانق الانجليز ونتشاكل مع الانجليز .

لن نقبل الاستعمار فى الجنوب العربى .

لما كانوا هنا الانجليز كان لابد تكون سياستنا مستمرة هى اعتبار الانجليز أعداءنا لغاية ما يطلعوا .

طلعوا من بلدنا ، فالنهاردة بنقول الاختلاف بينا وبين بريطانيا القواعد البريطانية فى ليبيا والقواعد البريطانية فى قبرص نعتبرها تهديدا لينا وقلنا أيضا القواعد الامريكية ، فيه ناس قالوا ليه قلنا القواعد البريطانية وليه ما قلناش القواعد الامريكية .. فى ٢٣ ديسمبر أنا لما اتكلمت اتكلمت على البريطانية واتكلمت على الامريكية بنقول ان احنا لا يمكن أن نقبل الاستعمار فى عدن وفى الجنوب العربى وفى أى جزء من الوطن العربى وان هذه البلاد كلها لازم تتمتع بالاستقلال ، ويكون لها حق تقرير المصير فى باقى النقط . لسنا أبدا نتبع سياسة معاداة بريطانيا حبا فى معاداة بريطانيا .

علاقتنا مع روسيا

بالنسبة للاتحاد السوفيتى أيضا قبل سنة ١٩٥٥ مكانش فيه علاقات بيننا وبين الاتحاد السوفيتى كانت العلاقات تقريبا واهية .. بعد سنة ١٩٥٥ بدأت هذه العلاقات مبنية على الاحترام المتبادل وأخذنا الأسلحة فى سنة .. وكسرنا احتكار السلاح وقوى التعاون بيننا ، وبين الاتحاد السوفيتى فى سنة

٥٦ ، ٥٧ وفى سنة ٥٨ عاونتنا الاتحاد السوفيتى فى الوقت اللى كنا معندناش قمح ومنع عنا القمح بعد ٥٦ ، وبعد أن حاول الاستعمار بالوسائل السلمية وبالتجويع ، أن يخلق الهدف اللى كان مطلوب تحقيقه سنة ٥٦ بالسلاح ، وساعدنا الاتحاد السوفيتى واحنا كنا باستمرار بنشيد بهذه المساعدة •

ولكن طبعا كون الاتحاد السوفيتى كدولة شيوعية واحنا دولة غير شيوعية يكون دا ليه أثر •• ليه له أثر وانما ده بينفذ مبدأنا •• التعامل بين الدول ذات المذاهب الاجتماعية والسياسية المختلفة ، لم تطلب منا روسيا أننا نبقى شيوعيين واحنا ما طلبناش من الروس انهم يغيروا الشيوعية ويبقوا زينا ويمشوا « السياسة اللى احنا ماشيين بيها •• أبدا لم يتدخلوا فى أمورنا واحنا لم نتدخل فى أمورهم •

فى سنة ٥٨ أو فى سنة ٥٩ طبعا حصل اختلاف مع الاتحاد السوفيتى فى وقت عبد الكريم قاسم فى العراق ، وبتعرفوا أما حصل هذا الخلاف وهاجمونا وهاجمناهم وبعدين اصطلحنا سنة ٦٠ ورجعت العلاقات طبيعية ثم قويت الى مدى كبير ، حصل تغيير اخير فى الاتحاد السوفيتى وفيه طبعا الجرايد الأجنبية رددت أن يمكن التغيير ده سببه مصر ، قال ان الأسباب هو القرض اللى أخذته مصر ، بقى مصر هى اللى بتغير فى كل الدنيا•

اللى اتقال أن النياشين أو الأوسمة اللى خدها جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر هى اللى السبب فى التغيير •• طبعا الاخ عبد الحكيم كان فى موسكو ووصل النهاردة الفجر •• شفته النهاردة الصبح ••

الكلام اللى قالوه هناك • ان كل هذا الكلام كلام فارغ والغرض منه الوقيعة بين الاتحاد السوفيتى والجمهورية العربية المتحدة • وأن هذا التغيير داخلى ، وأن العلاقة والسياسة اللى كانت تربط الاتحاد السوفيتى بالجمهورية العربية المتحدة هى سياسة مقررة •• قررتها القيادة السوفيتية والحكومة السوفيتية ، والالتزامات اللى اتفقنا عليها فى الماضى قائمة

•• بل أكثر من هذا نتمنى أن التعاون يكثر، •• وأكثر من هذا أن المشير عبد الحكيم عامر عمل اتفاقيات أثناء وجوده فى الاتحاد السوفيتى •

اذن طبعا الكلام اللى روجته المصادر الاستعمارية الغرض منه أنها تيئس أو تدفع روح اليأس الى الشعب العربى • لأن كان لينا أصدقاء•• وبيعتبروا أن هذا التغيير معناه أن هذه الصداقة انتهت •

القرض اللى وقعناه اللى هوه خاص بالصناعة اللى هو أكثر من ١٠٠ مليون جنيه مستمر ، ولم يكن سبب زى ما قالوا فى الدوائر الاستعمارية القرض اللى وقعناه علشان اصلاح الـ ٢٠٠ ألف فدان مستمر ولم يكن أبدا سبب •• فالتعاون بيننا وبين الاتحاد السوفيتى •• مستمر •• وليس هناك أى سبب لأن يتأثر هذا التعاون ••

وانا الحقيقة حبيت أقول هذا الكلام بوضوح وأقول هذا الكلام بصراحة لأنى لاحظت أن وكالات الأنباء والصحف الغربية ركزت كثيرا جدا على تأثير التغيير فى الاتحاد السوفيتى على مشاريعنا •• على السد العالى •• على مشاريعنا الصناعية •• الى آخر هذا الكلام •

لازم يكون لنا تاثير فى العالم

طبعا لما بيسافر عبد الحكيم عامر موسكو بيروح هناك ويقعد فترة وبيتكلم وبيسافر مثلا زكريا محيى الدين الى العربية السعودية •• بيسافر كمال رفعت الى الجزائر ، كل ده يعتبر تدعيم لسياستنا الخارجية اللى هى الغرض منها أن نقوى فى المجال الدولى وأن ندعم داخليا واللى بيقولوا ان احنا بنشتغل خارجيا ، ويجب أن نقلل من الاهتمام بالمسائل الخارجية بالعمل بالمسائل الداخلية دول ناس يا اما مش فاهمين يا اما بيحاولوا يقولوا حاجة علشان يعزلونا ، واحنا اذا اتعزلنا حنبقى دولة زى ايران ماهى معزولة وموجودة بالوضع اللى هيه فيه ، وليست لها اية قيمة دولية الا انها متحالفة مع أمريكا وموجودة كانت فى حلف بغداد وفى حلف

• صمام الأمان لحل مشاكلنا هو تحقيق الديموقراطية السليمة

• أى عمل تعاونى يقوم لمصلحة الفلاح وليس لمصلحة الدولة

يالتو واحنا طبعا لا يمكن ان نرضى لانفسنا أن نكون فى الموقف اللى فيه النهاردة دولة كايران •

ولكن لازم يكون لينا موقف يؤثر فى السياسة العالمية وفى نفس الوقت يخدم سياستنا الوطنية •

الكلام اللى أنا باقوله لغاية دلوقت لسه فى المقدمة فعلا ميزة الكلام اللى غير مكتوب أن الواحد بيقدر يتوسع فى الشرح والتفسير فى النقط المعينة وده طبعا ان احنا مانجبش خطبة ونقف ونقرأ هذه الخطبة •• الحقيقة الواحد يعنى أنا ما استريحش وأنا واقف اقرأ خطبة زى ما أنا باتكلم دلوقت الطريقة اللى أنا باتكلم بها لأن الواحد لما يقعد يتكلم دلوقت سيركز فكره واذا وجد نقط عايزة تقال تتقال وعايزه تتوضح تتوضح والحديث ميكونش حديث جامد •

سياستنا الداخلية

نتكلم بقى فى الموضوع الاخير اللى هو موضوع سياستنا الداخلية ، الحقيقة احنا بندى ٩٠ ٪ من وقتنا للسياسة الداخلية • واحنا قدامنا تحديات كبيرة جدا ، وخطيرة وان احنا اذاما اتحركناش بسرعة كافية وبالمقدرة الكافية ، لا نستطيع أن نواجه هذه التحديات فى خطاب افتتاح هذا المجلس قلت لكم ان احنا خلصنا مرحلة تحول ضخمة ووقفنا على بداية مرحلة انطلاق ضخمة مرحلة التحول فى الواقع كانت الى الميثاق ومابعد الميثاق •• فى الميثاق وصلنا فى تجربتنا وحددنا أممنا وحاولنا فى أن نستكشف معالم الطريق •• فى الكلام قدامكم وقدام مجلس الأمة فى مارس الماضى قلنا وأكدنا ان احنا بدأنا نواجه مرحلة الانطلاق •

وبدون شك أن من حقنا ان احنا نواجه مرحلة الانطلاق بثقة كبيرة وأن احنا فى المرحلة اللى سبقت مرحلة الانطلاق مرحلة التحول حققنا نتائج كبيرة وباهرة ، فى جميع المجالات سنة ١٩٥٢ لغاية سنة ١٩٦٤ حققنا الجلاء وحققنا استقلال كامل وأنا باقدر أقول انه استقلال كامل ١٠٠٪ وممكن يعتبر أكمل استقلال فى الوجود •

ليست هناك أى ارتباطات مش مستعدين نقبل أىضغط ، كسرنا احتكارالسلاح وأممنا قناة السويس وحددنا شخصية دولية مستقلة •

وواجهنا حربا نفسية وانتصرنا وحرب اذاعات وانتصرنا وحصار وانتصرنا وواجهنا عدوان أيضا وانتصرنا ، وواجهنا وقت مكانش عندنا قمح أكثر من عشر أيام وقدرنا نتغلب على هذا وماكنش عندنا أدوية فى بعض الاوقات وقدرنا نتغلب على هذا وكنا فعلا يعنى دمنا سايح من المعارك اللى كنا داخلينها باستمرار وكان يا اما نخضع واما نقبل ان احنا ندخل هذه المعارك نجحنا بعون الله •

ودخلنا كل هذه المعارك ونجحنا فيها بعون الله نجاح كبير جدا فى كل ناحية وطنية وتحققت حاجات يمكن الواحد كان بيعتقد انها مستحيلة فى الناحية القومية استطعنا ان احنا

نرفع راية القومية العربية وننادى بالقومية العربية ، ونحول التيار المجال اللى كان موجود فى بلدنا الى تيار عربى وتحركنا بالآمال آمال العرب فى الوحدة من جامعة عربية كانت فاقدة الثقة الى أوضاع أكبر يمكن أسقطنا الأحلاف التى كانت تريد أن تغير المنطقة وتضعها داخل مناطق النفوذ ، وسقطت النظم الرجعية والنظم الانتهازية • والوضع فى ٤٨ كان فيه التخاذل العربى كامل وكان فيه يأس عربى كامل بعد مأساة فلسطين كان فيه يأس عربى كامل •

توحيد العمل العربى

النهاردة الوضع اختلف كلية والدول العربية والناحية القومية العربية الكل بيشعر بالثقة طبعا باستمرار كان فيه مشاكل كان فيه تصادمات ولكن بعدالكلام فى٢٣ ديسمبر فى العام الماضى الدعوة لمؤتمر رؤساء الدول العربية واستطعنا أن نوحد العمل العربى فى مواجهة اسرائيل واستطعنا أن نقضى على كثير من المشاكل اللى كانت تواجه الأمة العربية واللى كانت اسرائيل وأعدائنا دائما بيغذوه •• طبعا وأصبح فيه جبهة تقدمية عربية وفيه عمل تضامن عربى وعمل وحدوى واتجاهات وحدوية ••

الوحدة مع سوريا

وطبعا حدثت تجارب هائلة منها الوحدة مع سوريا •• وبصرف النظر عن الانفصال •• ان الوحدة مع سوريا أكدت امكانية الوحدة وأكدت سلامة الحتمية التاريخية للوحدة وضرورتها •• وأكدت أن الأمة العربية أمة واحدة وأن الوحدة ليست كلام انشائى ، مش كلام انشاء يقال ، وتفاعلات الوحدة ممكن أن تحقق •

ولكن يجب أن نعلم أن الوحدة هى عمل كبير جدا يجب أن يواجه تحديات كبيرة جدا منه لا يمكن للاستعمار أن يقبل الوحدة ولايمكن للصهيونية أن تقبل الوحدة ولايمكن للرجعية ولا الاقطاع ولا الانتهازية أن تقبل الوحدة ، لأن الوحدة أصبح محتواها قوى وفى نفس الوقت محتوى اجتماعى • وحصلت أيضا فى الناحية القومية تغيرات عميقة •

تطور كبير فى اليمن

فى اليمن حصل تطور كبير وانطلاق اليمن الـ ٥ مليون يمنى من العصور الوسطى الى القرن العشرين •• هو مكسب لنا وكانت ثورة اليمن فى الوقت اللى كان فيه نكسة رجعية واصلة الى حد كبير فى العالم العربى وحصل هذا التطور فى اليمن وبعدين وصلنا الى اتفاقيات حصل تطورات فى العراق ووصلنا الى اتفاقيات مع العراق اتفاقية القيادة الموحدة مع العراقالتى ستعرض عليكم فىأقرب وقت هنا للتصديق عليها ، فى المجال القومى العربى استطعنا أن نرى وتساعد على وجود هذا التقدم •

استقلت الجزائر واصبحت الجزائر المستقلة عامل تقدمى يؤثر فى القومية العربية وفى الأمة العربية •

العمل الاجتماعى الوطنى من أول الثورة برضه فى ١٩٥٢ لغاية النهاردة خرجنا بتجارب كبيرة ، تجارب حافلة وأعطتنا ذخيرة عظيمة وقوى دافعة هائلة ، كشفت الواقع الوطنى وقامت بتحليل تاريخى للواقع الوطنى على الطبيعة وعلى الواقع •

تحالف قوى الشعب

الثورة ثارت وحددت الطبقات صاحبة المصلحة منها •• وصلنا مع التجربة والخطأ الى تحالف قوى الشعب العاملة صاحبة المصلحة الحقيقية فى الثورة والى الاتحاد الاشتراكى وربط نظرية الحرية السياسية بالحرية الاجتماعية ـ التجربة اللى فاتت نقلت معظم وسائل الانتاج الى ملكية الشعب ووضعت معظم وسائل الانتاج تحت سيطرة الشعب •• التجربة اللى فاتت جعلت الطبقات العاملة فى موضع القيادة سواء فى التنظيم الشعبى أو فى وحدات الانتاج وطبعا انتخابات أعضاء مجالس الادارة•• رغم الكلام اللى بيتقال والأخطاء اللى بتقع من الأفراد تمثيل العمال فى مجالس الادارة أنا أعتقد أنه

ناجح يمكن واحد يكون رذل يمكن واحد يكون دمه ثقيل ويتراذل على الناس اللى بيشتغلوا معاه لا يمكن أن نأخذ هذا الشخص اللى قد يكون منحرف ان هو نحكم به على أن الفكرة غلط لا .. نقول أن هذا الشخص هو المخطىء، لأن طبعا عندنا آلاف . عندنا عدد كبير من المصانع وفيه ٤ منتخبين فى كل مصنع .. طبعا ممكن يكون فيه نظام خاطىء يعنى ممكن يكون وجود الأربعة المنتخبين فى المصنع بوجود النقابة المنتخبة وبوجود لجنة الاتحاد الاشتراكى فى المصنع بيوجد تناقضات ويوجد خلافات واحنا واجبنا أن احنا نبحث هذه التناقضات ونبحث هذه الخلافات ونحلها ولكن منقولش أبدا ان العملية مش ناجحة .. أبدا العملية ناجحة والعملية نافعة ولازم تنجح ولازم تتدعم اكثر واكثر لأن ده هو الحل الأساسى فى الديمقراطية الاشتراكية اللى احنا بنتجه اليها .

وطبعا مش معنى ده ان احنا يجى مثلا رئيس مجلس الادارة أو المدير ويقول أنا مش قادر أشتغل من العمال الموجودين ونشوف المخطىء والمخطىء يجب أن يأخذ جزاءه بحيث أن الأمور تمشى فى مجراها الطبيعى ، ولكن المسئول طبعا هو رئيس مجلس الادارة ومعاه مجلس الادارة لكى يرشده ويفهمه عن الحلول السليمة ، لأن مجلس الادارة هو المتصل الاتصال الوثيق بالمصنع وبالانتاج الى آخر هذه الأمور . فالطبقات العاملة أخذت محل القيادة ، والأجور زادت والحد الأدنى للأجور تحدد واتعملت تأمينات كانت حلم فى الماضى . اتعمل التأمينات الاجتماعية وتأمينات ضد البطالة وضد العجزوضد المرض وتأمينات صحية وبعدين ممكن يحصل غلط فى الممارسة والتطبيق لأى شىء من هذا الموضوع .. واحنا بنقرأ النهاردة كلام كثير على التأمين الصحى اللى موجود فى اسكندرية وسمعنا كلام كثير هل التأمين الصحى ونظريته غلط ؟ لا ! ولكن قد يكون التطبيق هو اللى غلط . وفى الحال أمكن للحكومة انها تصلح الأخطاء اللى وجدت فى التطبيق .

فيه ساعات ناس متحمسين طبعا أكثر من اللازم وبيندفعوا فى العمل بهذا الحماس بدون الدراسة الكافية ، وأنا باعتبر أن الدراسة عملية لازمة .. ولكن لابد ان احنا نفتخر ان احنا عندنا تأمين صحى ، أو بدأنا نطبق هذا التأمين الصحى ومانقولش ان شوف التأمين الصحى طبعا فشل وفى اسكندرية حصلت مشاكل .. وأى حاجة جديدة هانعملها هاتحصل مشاكل لأن احنا اللى بيولد واللى بيطلع خلق جديد ، لازم العمل الوليد والعمل اللى هيكون جديد لازم بتكون له مشاكل وبتكون له متاعب وولادة الانسان نفسها فيها مشاكل وفيها متاعب .

التسويق فى الجنوب العربى

النهاردة اتغير المجتمع بحاله من مجتمع استغلالى مجتمع رجعى مجتمع رأسمالى مجتمع اقطاعى الى مجتمع اشتراكى مكانش فيه اى أنواع من التأمينات .. عايز تعمل تأمينات بتجد مشاكل .. لما تيجى تقول عايزين نعمل التسويق التعاونى طلعت مشاكل .. الحقيقة بس ايه لما يطلع مشاكل قدامنا لازم نحرص بعد كده ان احنا لما نعمل حاجة لازم نعملها وندرس من غير متحصل مشاكل وندرس كل الامكانيات .. التسويق التعاونى فى السنة الأولى ، حصلت مشاكل وفيه ناس راحت باتت عند المحالج وفيه فلاحين كل فلاح قعد بقطنه ٤ أيام علشان يسلمه وفيه ناس اتاخد منهاالقطن برتب أقل من الرتب الموجودة ، وحصل هذا الكلام . . السنة دى السؤال لغاية دلوقت قدامى أن العملية أحسن بكثير من السنة اللى فاتت .. وانتم المحتكين بالفلاحين أكثر منى وأكثر من الحكومة وتقدروا تعرفوا هل فعلا التسويق التعاونى صح والا فيه غلط ؟.. هل ممكن نصلح أو تسهل الأمور للفلاحين وهل الفلاح بيتعب من عمليات التسويق التعاونى ؟ هل الميزات اللى أخدها من التسويق التعاونى أحسن من الميزات اللى كان بياخدها أيام ماكان بيتعامل مع التاجر الوسيط . انتم باعتباركم السلطة الشعبية تستطيعوا انكم تفتحوا هذه

المواضيع وتتكلموا فى هــذه المواضيع بحيث ان احنا نصل الى الكمال لان طبعا هانجد ان فيه وزير الزراعة ووزير الاصــلاح الزراعى وبعدين وكيل الوزارة وبعــدين المدير العام وبعدين الباشكاتب وبعدين امين المخزن وأمين الجمعية التعاونية ٠٠ انت بتــروح وتحتك بالفلاح وبنعرف هذا الكلام ٠٠ وبهذا عليكم واجب كبير ان تتولوا فعلا مسئولية التوجيه فى هذه النواحى ٠٠ مش معنى ان احنا نجد مشاكل فى التسويق التعاونى ، أن التسويق التعاونى غلط ٠٠ لان ماهو الهــــدف من التسويق التعاونى ؟ ٠٠ الهدف ان أنا أمنع عن الفلاح الاستغلال ٠٠ الهدف ان أنا آخذ منه بضاعته وانتاجه بأعلى سعر ٠٠ الهــدف تحسين حالة المنتج وتحسين حالة الفــلاح ، اذن التسويق التعاونى على هذا الأساس حاجة سليمة ٠ اذا حصل خطأ فى التطبيق مسئولين كلنا ان احنا نقوم هذا الخطأ ٠

فى السنين الى فاتت بنينا وحدات صحية وبنينا مدارس وبنينا جامعات ومراكز خدمة عامة ٠٠ اذن حققنا فى مرحلة التحول حاجات كثيرة ٠

عملنا اكثر من ٨٥٠ مصنع

فى مجال الانتاج حققنا فى الصناعة بالذات تقدم كبير ٠٠ ووزير الصــناعة اتكــلم أول امبارح واعطى بيانات عملنا أكثر من ٨٥٠ مصنع ٠٠ استثمارات أكثر من ٦٠٠ مليون جنيه عمل هائل ٠٠ عمل ضخم ٠٠ أنا بدى أقول حاجة يعنى فيه حمــلات على الصــناعة بالذات وعلى القطاع العــام ٠٠ وعايز أتكلم فى هــذا الموضوع قدامنا حل من اثنين ٠٠

يا اما نشتغل بكل سرعة وبكل قدرة وبأكثر من قدرتنا ٠٠ ونوجد شغل لكل واحــد فى هذه البلد ونوجد أكل لكل واحد فى هــذه البلد ٠

يا اما نشــتغل بالسرعة العــادية وهيبقى عندى كل سنة عدد من العاطلين ومش حاقدر اوجد لهذه البلــد الأكــل ولا اللبس ولا أى حاجة ٠٠ احنا بنزيد فى الســنة ٧٠٠ الف الــ ٦ مليون فدان هم ٦ مليــون فدان من سنة ١٩٥٢ ٠٠ كانوا أيام محمد على ٤ مليون فدان وكنا حوالى ٥ مليون أو ٦ مليون ٠٠ وسنة ١٩٥٢ كانوا ٦ مليون فدان وكنا ٢٢ مليون ٠٠ النهاردة سنة ١٩٦٤ الـ ٦ مليون فدان واحنا وصلنا لــ ٣٠ مليون وكل سنة حاتزيد ٧٠٠ ألف وليس لنا الكفاية فى ذاتها ٠٠ طبعا علشان كــده كان السد العالى كان بالنسبة لنا مسألة حياة أو موت ٠ علشان كده كان لازم نبنى السد العالى والا نتقلب الى دولة من الشحاذين ٠٠ شوية باخدوا خير البلد وياكلوا ويلبسوا ٠٠ والباقى يدوا ناس لا عمل لهم ولا فرص للعمل ولا أكل ٠

لازم نتحول الى دولة صناعية

اذن السد العالى كمان مش كفاية هايروى لنا مليون فدان هانزودهم لــكى يكونوا مليون ونصف مليون فدان ٠٠ نحول رى الحياض الى رى مستديم ٠٠ وبعدين ٠٠ هل ممكن هذه الثروة المحدودة هاتكفيــنا ٠٠ مع زيادة السكان ٠٠ لا ٠٠ لايمكن ! يبقى ليس أمامنا من سبيل الا ان احنا نتحول الى دولة صناعية بأسرع وقت ممكن ٠٠ وبعدين احنا فى سنة ١٩٥٩ لما قلنا عايزين نضاعف الدخل القومى ٠٠ الدخل القومى فى سنة ١٩٥٢ كان ٧٩٠ مليون جنيه فى سنة ١٩٥٩ كان ١٢٨٥ مليون جنيه ، وقلنا عايزين نضاعف هذا الدخل مع وضع زيادة السكان فى الاعتبار ٠٠ الفنيين وفى التخطيط قالوا ممكن نضاعف الدخــل القومى ٢٠ سنة ٠ وتناقشنا فى مجلس الوزراء فى هذا الوقت جلسات عديدة وقلنا لايمكن ٠ لأن بعد عشرين سنة احنا هانزيد حوالى ١٥ مليون ٠٠ اذا ضاعفنا الدخل بعد عشرين سنة يبقى كأننا معملناش حاجة ٠٠ يدوبــك زودنا أو عملنا مايكفى لى هايتولد جديد ٠٠ اما نرفع مستوى الى موجود حاليا مش ممكن ٠٠ وفى نفس الوقت مش هانوجد أعمال للموجودين العاطلين ولا لللى هايتولدوا بعد كده ٠ فاذن لازم نضــاعف الدخــل القومى فى عشر سنوات ٠

حصلت مناقشات فى مجلس الوزراء أيام متعددة وفى التخطيط قالــوا مش ممكن ٠٠

ممكن ١٨ . قلنا عشرة .. قالوا ١٥ سنة.. قلنا ١٠ قالوا ١٢ سنة .. قلنا عشرة والا اذا ما عملناش على هذا الاساس وواجهنا هذه المشاكل بهذا الشكل .. والله ما فى فايدة .. زى ما بقول حيبقى نص البلد عاطل ونص البلد مش لاقى ياكل ونص شحاتين..

لابد أن نعمل

ليس أمامنا الا ان احنا ندخل ونشتغل ونغلط .. مقولشى مابنغلطش .. بنتحول الى دولة صناعية .. اذا ما حولناش العمال الى الصناعة .. وفتحنا أسواق جديدة للتصدير .. وعملنا الكلام ده .. يبقى حنعيش ازاى .. طيب بعد المليون فدان أو المليون ونص بتوع السد العالى حنعمل ايه.. طبعا .. كان فيه سؤال حنجيب الفلوس دى منين . علشان نضاعف الدخل القومى فى عشر سنوات .. فاذن لازم تتوفر استثمارات معينة .. احنا كدولة غير قادرين عليها لأن امكانياتنا محدودة .. اذن قدامنا القروض.. فيه قروض بشروط سهلة .. وفيه قروض بشروط صعبة .. وفيه تسهيلات ائتمانية.. وهذه القروض هى مش فايدة لينا بس .. هى فايدة لى بيديها لأن اللى بيدينا القروض بيبيع بضاعة من عنده .

وسرنا فى عمليات التصنيع .. طبعا حصل حملة على نقطتين .. ومهاجمة فى نقطتين.. القروض .. وبيقولوا وآخرة القروض دى .. ده أيام اسماعيل .. ماضاعت البلد عشان القروض ، أنا سمعت هذا الكلام فى يوم ما.. وتردد فى بعض المجالات .. طيب اسماعيل جاب القروض وبنى بيها قصر أو معرفش قصر رأس التين .. أو قصر كذا .. وعمل حفلات ليوجينى.. ومش فاهم لمين.. والكلام ده..

القروض للمصانع

احنا بنجيب القروض النهاردة .. بنعمل بيها ايه .. بنعمل بيها مصانع .. أنا بجيب قرض بعمل بيه مصنع .. حتى مايجبش قرض بعمل بيه طريق بجيب قرض أعمل بيه مصنع والمصنع بيزود لى الثروة لأن بيدينى انتاج .. بعد كده يسدد هذا القرض ياما بالفايدة الصغيرة اللى نجدها من الشرق ..أو الفايدة الكبيرة اللى نجدها من الغرب .. وطبعا اللى بيدينى بفايدة أقل باخد منه .. واللى بيدينى شروط أحسن باخد منه.. مهياش عملية مفاصلة بين الشرق والغرب .. اللى بيدينى بشروط أحسن باخد منه .. واللى يدينى بفايدة أقل آخد منه .

طبعا نتيجة لهذا ان قطاع العمال حيكبر فى البلد .. فيه طبقات معينة يهمها ان قطاع العمال ميكبرش . لأن يهمها ان العمال تبقى باستمرار كطبقة ضعيفة .. بيقلك الصناعة فيها كذا وفيها كذا.. وحتكلم عنها ، فى هذه المواضيع كل مايقال بالتفصيل اذن لابد ان احنا نضاعف الدخل القومى فى عشر سنوات .. والا نقابل مشاكل .. واحنا عملنا هذا الكلام فى السنين اللى فاتت .

فى سنة ١٩٥٢ الاقتصاد كان متخلف وزيادة الدخل ضئيلة وتوزيع الدخل كان يقوم على التفاوت الكبير .. وكان الاقتصاد كله تابع للخارج .. كان عندنا البنوك أجنبية والشركات أجنبية ، الى آخر الظروف اللى احنا عارفينها .. فى سنة ١٩٥٩ بحثنا الخطة الخمسية الاولى..والهدف فى الخطة الخمسية الأولى من ناحية الانتاج كان ان احنا نوصل الى ٣٦٠٠ مليون جنيه .. كان سنة ١٩٥٢ ، ١٨٢٠ مليون جنيه..الدخل القومى ..الهدف ان احنا نوصل فى الخطة الخمسية الاولى .. يعنى السنة دى فين هى السنة دى .. الى ١٧٩٥ مليون جنيه كان سنة ١٩٥٢ ، ٩٧٠ مليون جنيه .

٧ ملايين عامل

العمالة .. الهدف فى العمالة ان احنا نوصل فى نهاية الخطة .. السنة دى وصلنا الى ٧ مليون عامل كنا سنة ١٩٥٢ «اربعة مليون و ٣٠٠ ألف عامل .. الهدف فى الاجور .. أجور اللى بياخدوها كل الناس اللى بيشتغلوا فى البلد .. الخطة الخمسية الأولى كان يوصل الى ٧٢٥ مليون جنيه .. كانت الاجور فى سنة ١٩٥٢ ، ٣٤٩ مليون جنيه .

سارت الخطة تقرر العمل على مضاعفة الدخل القومي فى عشر سنوات .. الخمس سنوات الأولى ٤٠٪ الخمس سنوات الثانية ٦٠٪ اللى حصل .. قيمة الانتاج .. الاجمالى سنة ١٩٥٢ كان ١٨٠٠ مليون جنيه .. السنة الرابعة فى الخطة وهى السنة اللى فاتت ٦٣ـ١٩٦٤ وصل الى ٣٣٠٠ مليون جنيه الصناعة والكهرباء سنة ١٩٥٢ ، ٦٩٥ مليون جنيه .. السنة الرابعة ١٥٠٠ مليون جنيه.. طبعا سنة ١٩٥٢ قد يختلف الرقم اللى أنا قلته دلوقتى عن الرقم اللى قاله امبارح الدكتور عزيز صدقى .. الدكتور عزيز صدقى ماكنش جايب الصناعة اجمالا . ولكن كان شايل منها المحالج وبعض حاجات بالنسبة لانتاج ١٩٥٢ هو قال ان انتاج ١٩٥٢ كان أظن ٣١٣ أو ٣٢٣ مليون جنيه لكن الانتاج للصناعة كله سنة ١٩٥٢ كان ٦٩٥ مليون جنيه .. السنة الرابعة ١٥٠٠ مليون جنيه .

١٦٤٨ مليون جنيه

الدخل القومي الاجمالى فى سنة ١٩٥٢ كان ٧٩٠ مليون جنيه .. فى سنة ٦٣ـ١٩٦٤ اللى هى السنة الرابعة للخطة ١٦٤٨ مليون جنيه.. بالنسبة للصناعة والكهرباء وبرده أنا بدى أأكد على الصناعة والكهرباء.. فى سنة ١٩٥٢ كان ١٢٧ مليون جنيه فى سنة ٦٣ـ١٩٦٤ ، ٧١١ مليون جنيه .. اذن تضاعف أكثر .. الانتاج الصناعى أكثر من الضعف .

طبعا ده أثر على الأجور . يعنى الأجور اللى كانت فى سنة ١٩٥٢ ، ٣٤٩ مليون جنيه وصلت فى السنة الرابعة للخطة الى ٧٧٠ مليون جنيه .. وكان المقرر فى الخطة الخمسية أن تصل الاجور الى ٧٦٠ مليون .. ومن ذلك يتضح أن ما تحقق للاجور فى السنة الرابعة من الخطة قد تجاوز المستهدف فى الأجور فى الخطة الخمسية بنحو عشرة ملايين جنيه .. يعنى احنا فى السنة الرابعة نتيجة التعديلات اللى حصلت فى ١٩٦١ والتعديلات فى أجور العمال وفى ساعات العمل زادت طبعا الاجور عن اللى كان مستهدف فى الخطة.

العمالة .. حنتكلم أيضا عن العمالة .. عدد العاملين سنة ٥١ ـ ١٩٥٢ كان ٤٦٠٠ ألف عامل سنة ٥٩ ـ ٦٠ ستة مليون عامل ٦٣ ـ ١٩٦٤ ، ٧٠٨٥٠٠٠ عامل .. ماتم تحقيقه فى زيادة عمالة السنوات الاربع من الخطة اللى هو ١٠٨٥٠٠٠ بحيث ان احنا وصلنا الى ٧٠٨٥٠٠٠ ، المستهدف للخطة يعنى بعد السنة الخامسة والسابعة ١٠١٥٠٠٠ .. اذن العمالة زادت فى السنة الرابعة عما كان مستهدف فى السنة الخامسة .. تحقق من العمالة حتى السنة الرابعة .. قد يتجاوز المستهدف من الخطة الخمسية بنحو ٧٠ ألف عامل ..

استصلاح ٥٠٠ ألف فدان

اصلاح الاراضى برده السنة الأولى من الخطة ٢٨ ألف فدان السنة الثانية ٨٧ ألف فدان السنة الثالثة ١٢٠ ألف فدان السنة الرابعة ١٣٢ ألف فدان .. ومن المقرر فى السنة الخامسة ١٥٠ ألف فدان .. فيكون الاجمالى ٥٠٠ ألف فدان .. اللى الاستصلاح الجديد فى الاراضى .

طبعا .. فى حملة على الصناعة .. فيه ناس ان احنا سنوقف شوية فى الصناعة وطيب وبعدين .. فيه عندنا فعلا مشاكل فى الصناعة .. مثلا .. احنا بدينا الصناعة بأن احنا ننتج اللوازم الاستهلاكية بتاعتنا عشان منستوردش من بره .. وأصبحنا بدل ما نستورد المواد الاستهلاكية واللوازم الاستهلاكية .. سنستورد مواد وسيطة .. بنستورد المواد الوسيطة من بره .

اذن اذا تأخرت المواد الوسيطة من بره ومدفعناش فلوس وجبناها.. تتأثر الصناعة .. حصل فى السنة الاخرانية دى .. بعض التأخير فى بعض الحاجات .

قيل ان الصناعة فى المصانع كلها وقفت.. ويمكن انتوا سمعتوا هذا الكلام .. هل هذا الكلام حقيقى .. حصل خطأ .. حصل نقص فى بعض الحاجات .. ولكن الزيادة فى الصناعة فى السنة الأخرانية ١٧ر٦ ٪ حصل نقص .. ده من قيمة الانتاج الكلى .. حصل نقص نتيجة التعطل فى المواد الخام .. أو التعطيل فى قطع الغيار بنسبة ١ر٣ ٪ من قيمة الانتاج الكلى .

لابد أن تكشفوا الحقيقة

اللى أنا بدى أقوله ان فيه ناس حيقولوا لكم بكره ٠٠ ياجماعة والله الكلام ده أرقام ٠٠ حد عارف الارقام دى صحيحة ولا غلط ٠٠ طبعا اللى عايز يشكك ٠٠ حيشـــكك فى كل حاجة ٠٠ قدامنا طبعا ٠٠ السبيل الوحيد٠٠ قدامكم انتو السبيل ٠ انكوا تتحققوا من هذا الكلام ٠٠ شوف بنعمل المصنع الفلانى مثلا ٠٠لجنة من مجلس الامة بتروح المصنع الفلانى بتشوف٠٠ هل هذا الكلام صحيح ٠٠ المصنع الفلانى زود أرباحه لأنه نقص وزن الصوف٠٠ الكلام ده سمعتوه هنا ٠٠ وقلتوا وعمل كذا وكذا لجنة من مجلس الأمة بتروحهذا المصنع وبتشوف ٠٠ وبتشوف الـدفاتر وبتشوف الفلوس وبتشوف الأرباح٠ الكلام اللى بيتقال انالارباح خيالية وانالكلام ده كله كلام هجص وان العملية٠٠الكلام بتسمعوه وأنا بسمعه ٠٠ أنا فيه ناس فى البـلد ٠٠ بتبعتلى جوابات بكل كلمة بتتقال ٠٠ لا هى عمليـة مخابرات ولا وزير الداخلية ٠٠ أبدا عمليـة الجوابات اللى بتجيلى هى أكثر حاجة بتقول المشاكل٠٠ بتقول على المصانع كذا ٠٠ يعنى واحد بيبعت يقول لى ان فيه ٠٠ حقيقى المصانع واقفة ٠٠ وحقيقى ان احنـا حطينا الفلوس واخدنا القروض٠٠ بقول له أبدا الكلام ده مش حقيقى ٠٠ وأرد عليه دلوقتى وأقول له ان الكلام ده مش حقيقـى ٠٠ فيــه بعض بضـائع حصل فيها توقف جزئى ٠٠ زى مثلا مصانع الصلب ٠٠ لأن احنا مجبناش المادة الخـام المطلوبة لمصانع الصلب ٠٠ قد تكون بعض مصانع حصل فيها توقف جزئى ٠٠ لان قطع الغيار سببت خلل فى العملية ٠٠ ولم تجابه العمل ٠٠

بالجـدية اللى يجب ان نجابه بيهـا ٠٠ والحقيقة برده ، أنا بدى أقـول ان بنقـوم بتنفيذ خطة أكبر من قدرتنا ٠ وأنا بعتبر ان واجب علينا ان ننفذ خطة أكبر من قدرتنا ، لأن احنا لما نضاعف الدخل القومى فى عشر سنوات ٠

ستعرفون كل شىء بالتفصيل

واذا حققنا فعلا هذا الهدف ٠٠ نستطيع ان نثق فى أنفسنا ٠٠ داحنا ماشيين ٠٠احنا بنحقق ٠٠ يعنى الانتاج حقق طبعا سـنة ١٩٦١ قابلتنا مشاكل وقابلتنا كارثة القطن، يمكن السنة الأولى كانت أول تجـربة لينا السنة الثانية جت لنا مشكلة القطن وخسرنا فيها حوالى ٧٠ مليـون جنيه السنة الثالثة ماشيين ٠٠ السنة الرابعة ماشيين ٠٠ السنة الخامسة ماشيين٠٠ منزلشى بالنسبة للانتاج ٠٠ حنحقق مايقـرب من هذا الرقم ٠٠ وأما السيد رئيس الوزراء بيتـكلم معاكوا فى هذا الموضوع حيقول لكو كل هذه الامور بالتفصيل ٠٠ نفسى أو بدى أقول حاجة بالنسبة لشغل مجلس الأمة ٠٠ شغلكم مش بس هو الأسئلة واللوم ٠٠ أبدا الاتحـــاد الاشتراكى لسه ماقامشى بدوره اللى واجب انـــه يقـوم بيه حتكلم فى هذه النقطة ٠

هذا هو عمل مجلس الأمة

مجلس الأمة بيستطيع انه بيخدم البلد خدمة كبيرة جدا ٠٠ زى ما بقول بالنسبة لموضوع الصناعة ٠٠شــوفوا الكلام اللى بيتقال كله ، تطلع عشر لجان من مجلس الامة٠٠ لجنة بتروح اسكندريه لجنة بتطلع فى القاهرة ٠٠ وتروحوا تشوفوا الكلام وتشوفوا الدفاتر ٠٠ وتشوفوا الارباح ٠٠ وتشوفوا الاسراف ٠٠ أنا باسمع بيقولك كل مصنع بيعملوا فيه « ديكوريشن » فى مكتب المدير بـ ٢٠ ألف جنيــه أنا والله ما بقدر أروح ألف على المصالح وأدخل لمدير كل مصنع ولا أطلع البوليس الحربى ٠٠ لا اطلعوا فيه لجنة من ثلاثة من مجلس الأمة وتطلع ٠٠ وبتشوف٠٠ لغاية لما نكون الاتحاد الاشتراكى ٠٠ ونقدر فعلا تكون السلطة الشـعبية قادرة انها أن تكون فوق السلطة التنفيـذية لازم تعمل ٠

الديمقراطية الضمان الوحيد لنا

وأنا بقول ان احنا فى نظامنـا الاشتراكى ٠٠ وفى كل العمل اللى احنا بنعمله ده لازم ٠٠ الضمان الوحيد لينا هو التطور فى الديمقراطية

٠٠وعايزين مزيد من الديمقراطية ٠٠ وعايزين كلام فى المواضيع دى ٠٠ يعنى مش معقول توضعوا الأسئلة ٠٠ يعنى ايه ٠٠ يعنى مش معقول توضعوا أى أسئلة بغرض اللوم٠٠وتبقى الحقيقة العملية انكو غرضكو تلوموا الحكومة والحكومة تناور ٠٠ تبقى العملية مهياش أبدا العملية اللى طبعا ٠٠ هذا لا يمنع من اللوم ٠٠ يعنى اللى حتلاقوا عليه غلط بيقع عليه اللوم من هذا المجلس ومن البلد ٠٠ بس العملية مش ان احنا نقدم نقول ماهو أسباب كذا٠٠ واللوم كده ٠٠ أبدا ٠٠ ندرس ونشوف ٠٠ ونعمل ٠٠ أنا بقول ان الصناعة لازم نزيد فى الصناعة ٠٠ ولازم نوفر فى حاجات تانية ٠٠ والا حنجد حيبقى عندنا عمال عاطلين زى ما بنزود فى الزراعة • ليس أمامنا الا الانتاج ٠٠ نزود فى الزراعة ونزود فى الصناعة ٠٠ والا يبقى عندنا على طول عمال عاطلين ٠٠ ويبقى الكلام اللى بنقوله على الاشتراكية وعلى التطوير وعلى مجتمعنا ٠٠ كلام لن يتحقق ٠٠ لازم نشتغل شغل جامد وحزمى •

وياما مصنع الحديد طلع عليه كلام فى الأول ٠٠ بيقولوا كلام كثير ولما عملنا مصنع الحديد وطلعت مشاكل قدرنا نتغلب عليها• لكن هل معنى ده ان قيام صناعة الحديد غلط ٠٠ قالوا ان احنا مش محتاجين للحديد النهاردة عندنا أزمة حديد مبانى وعندنا ٠٠ بنستورد حديد تعاقدنا على مصنع حديد لمليون طن حديد وبيقولوا برده بعض الناس ان مليون طن حتعمل بيهم ايه ٠٠ وأنا بقول لكو لما نخلص من هذا المصنع حتلاقونا فى الاندفاع والانطلاق اللى احنا ماشيين فيه عايزين حديد برده أكثر من المليون طن اللى اللى حنعملهم اناحنا بنبنى وطالما ان احنا بنشتغل ٠٠ بنينا فى المرحلة اللى فاتت السد العالى •

مشكلة زيادة الأجور

برده من المشاكل اللى قدامنا النهاردة زيادة الاجور ٠٠ وبنينا حاجات ٠٠ مثلا بنينا للسد العالى ٠٠ استثمارات السد العالى ٠٠ والمشروعات المترتبة عليه ٤١٥ مليون جنيه٠٠ تكاليف السد وحده ١٢٨ مليون جنيه ٠٠ فى السنين الأربعة الأولى صرفنا ١٤٦ مليونجنيه على السد العالى ٠٠ وماخدناش عائد ٠٠ اذن ممكن نقول ان فيه طبعا فلوس فى البلد يمكن أكثر من الانتاج اللى موجود فى البلد • لأن فيه مصانع بندفع فيهاأموال واستثمارات لسه ما أنتجتش الأرض اللى بنصلحها ماطلعتش السد العالى بنبنيه مداش لسه العائد ٠٠ ولكن هل عشان كده منشتغلش٠٠ السد العالى بيخلص ٠٠ السنة دى ادانا ٥ مليار متر مكعب من المياه السنة الجاية يدينا سبعة٠٠وهكذا بحيث انه يدينا المياه المطلوبة ٠٠ نستطيع فى هذا ان احنا نحول الحياض ٠٠ نستيطع ان احنا نستخدم مياه فى أرض جديدة٠٠ نستطيع ان احنا نزود زراعة الأرز فى سنة ٦٩ حيدينا عشرة مليار كيلوات ساعة من الكهرباء فى العام ٠٠ سنة ١٩٥٢ كان عندنا مليار كيلوات ساعة من الكهرباء سنة ١٩٦٤ عندنا خمسة وربع مليار سنة ١٩٦٩ حيدينا زيادة عن ده وعن المحطات اللى حتتبنى عشرة مليار من السد العالى٠٠كل دى حاجات بتحصل وحاجات اتعملت واستطعنا ان احنا ننجح فيها ٠٠ طبعا ٠٠ نجحنا فى مرحلة التحول ٠٠ ومنقدرش نقف ونقول عملنا كذا فى الاربع سنين وعملنا كذا فى سنين الخطة أو سنين ماقبل الخطة٠٠ونقول حنبنى السد العالى وان احنا أممنا القنال وان احنا دخلنا فى حرب السويس ونقدر نعيش فى هذا الكلام •

مشكلة العاطلين

يعنى نجحنا ولابد أن نعمل على ألا يكون النجاح يلهينا أو يسرقنا عن المشاكل اللى بتقابلنا ٠٠ النجاح ليه مشاكل من الحاجات اللى أنا قلتها دلوقتى مسألة العمالة من ٤٦٠٠٠٠ الى ٧ مليون عامل ٠٠ لوكانش عملنا مصانع ولو ما كناش بنصلح ارض لو ماكناش بنبنى السد العالى كان زمنا عندنا النهاردة منهم مليون أو أكثرعاطل مع العاطلين وكانت تبقى المشكلة مشكلة العاطلين ٠٠ النهاردة عاوزين نوجد عمل لكل واحد طبعا النجاح من المشاكل التى نتجت عنها ٠٠ ان

بقى فيه فلوس كثيرة فى البلد وان الاستهلاك بيزيد .. لأن طبعا اما بتزيد العمالة وبنحدد الحد الأدنى للأجور .. وبيبقى فيه طلب على العمال وبترتفع الأجور .. على طول بيرتفع الأجور زى ماقلتلكو من ٣٤٩ مليون جنيه سنة ١٩٥٢ الى ٧٧٠ مليون جنيه .. وبنتعدى فيها الخطة .. لازم ناخد درس من مرحلة التحول الى مرحلة الانطلاق .. مرحلة التحول كانت دايما دفعتنا حية ومتلاحقة .. وأخطر شىء يقابلنا النهاردة ان احنا نتصور ان مرحلة الانطلاق هى نتيجة تلقائية لمرحلة التحول. أبدا الاتحاد الاشتراكى لسه ماقامش بدوره الواجب اللى يقوم بيه وحتكلم فى هذا الموضوع .. مجلس الأمة بيستطيع يخدم البلد وبندوس زراير تشتغل الناس ندوس زراير بنوفر المواد الاستهلاكية المطلوبة .. عملية عايزة شغل عايزين لحمة لازم نعمل تربية لحمة وبعدين مافيش لبن وبعدين مفيش لحمة وبعدين ما فيش لبن وبعدين مفيش جبنة .

لاحظوا ان الناس النهاردة اللى بالأجور دى بياكلوا ضعف اللى كان بيتاكل سنة ١٩٥٢ احنا النهاردة بنستورد لحمة من أستراليا ومن الصين ومن أورجواى ومن السودان ومن الصومال ومن تنجانيقا ومن أمريكا مش ممكن .. ولكن اذا كنا عاوزين نشترى لحمة ونستورد لحمة يبقى لازم يكون عندنا الفلوس اللى نقدر نستورد بيها اذن لازم نزيد انتاجنا ونصدر قصد اللى بينشرى ، ولكن فيه ناس يقول لك وقف بقى المصانع ووقف الصناعة واشترى لحمة ، يعنى نوقف بقى كل حاجة ونشترى لحمة واللى عمره ما داق اللحمة عمره ماحيدوق والعامل العاطل عمره ماحياكل لحمة .

مش معنى هذا ان أنا بقول ان مشكلة اللحمة ملهاش حل حتكلم بعد كده عن مشكلة اللحمة والحل بتاع مشكلة اللحمة .

لا طبقية فى الأكل

بقول ان احنا حتقابلنا مشاكل .. بنشغل عمال من ٤ مليون و ٦٠٠ ألف الى ٧ مليون و ٨٥ ألف يبقى اذا اللى ماكنش بياكل لحمة حياكل لحمة واللى ماكنش بياكل بيض حياكل بيض .. هل نقلبها طبقية ونقول نخلى جزء من البلد بس ياكل لحمة وبيض ويفضل الجزء الباقى ياكل عيش وبصل وجبنة زى اللى شفناه سنة ١٩٥٢ أما رحنا مصانع السكر واللى قاعدين بيتغدوا الظهر كل واحد يتغدى بالبتاو والبصل .

قلت أنا هذا الكلام فى خطبة من الخطب ولا زال عمال التراحيل طبعا لغاية النهاردة لا بيدوقوا اللحمة ولا بيسمعوا عن اللحمة مش معقول طبعا المقاول بيجيب ليهم لحمة .. كل واحد جى من بلده ومعاه الكيس فيه البتاو والبصل والجبنة القديمة .. اذن كل ما حنشغل ناس كل ماحيبقى عندنا مشاكل .. هل منشغلش ناس ونوفر ونقول ان احنا بنوفر .. هذه السلع لطبقة معينة .. لا .. لكن طبعا لازم نعمل على ان تتوازن الأمور فى جميع النواحى .

لازم نشتغل

مرحلة الانطلاق فيها مشاكل زى ما بقول فيه ناس حتشتغل .. ناس حتاخد أجور حتطلع فى السوق تشترى، حتطلع فى السوق تستهلك .. زى ما بقول مش حدوس على زراير أطلع عجول وأدوس على زراير نطلع جبنة ونطلع لبن .. لازم نشتغل ولازم ننتج .

طبعا معنى هذا ان احنا النهاردة الدولة لازم تاخد مسئولية ، وأيضا الناس لازم تاخد مسئولية ويجب ان احنا نواجه العملية بصراحة .. اذا كانت الناس مابتربيش لأن التسعيرة موجودة طب نلغى التسعيرة بتاعت اللحمة البلدى تقوم الناس تربى ومانضحكش على نفسنا ونقول ان فيه تسعيرة والتسعيرة مش مطبقة واللى ما بيربيش يقولك أنا مابربيش لأن اذا ربيت حاضطر أبيع بالتسعيرة وأخسر ونستورد لحمة من الصومال ومن أستراليا ومن أمريكا ومن أرجواى ونبيعها دى بالتسعيرة ونشجع الناس على أنها تربى لأن احنا محتاجين للتربية علشان اللبن واذا

مكنتش فيه لبن مش حيبقى فيه جبنة وحيبقى باستمرار فيه أزمات مختلفة ٠٠ وفى نفس الوقت الحكومة بتقوم او الاصلاح الزراعى بيقوم بالتربية وأنا برضه بقول اما يقوم بالتربية مايروحش يشترى من اللى فى البلد علشان يربى لازم يستورد من بره علشان يزود الثروة الحيوانية فى البلد ونواجه هذه الأمور بصراحة ، لكن اذا جه الاصلاح الزراعى وراح اشترى من الفلاحين يبقى كل اللى حيعمله انه حيرفع سعر الماشية فى البلد وحيعقد العملية أكثر من أنه حيحل العملية ٠٠ طبعا الآمال أكبر قدامنا ٠٠ آمال كبيرة ولازم بالرغم من المشاكل اللى بتقابلنا نحل ، وبالرغم من المشاكل اللى بتقابلنا نحقق الآمال ٠

ثورة بدون أحكام عرفية

مرحلة التحول احتاجت ثورة واحتاجت حرب واحتاجت صبر واحتاجت تعبئة واحتاجت مواجهة أهوال ومصاعب لا حصر لها ٠٠ مرحلة الانطلاق تحتاج الى نفس الشىء وأكثر ٠٠ ولازم تكون عندنا ثورة تجدد قوى الثورة التى تحملت مرحلة التحول ٠٠ طبعا فيه ناس فاهمين ان انشالت الأحكام العرفية وجه مجلس أمة معناه ان الثورة انتهت ، واذا كان هذا الكلام حقيقى يبقى مجلس الامة غير ثورى أنا باعتبر ان مجلس الأمة ثورى وان مجلس الأمة بيجدد الثورة ٠٠ فليس معنى الثورة ان مايكونش فيه مجلس أمة ٠٠ ليس معنى الثورة ان تكون هناك أحكام عرفية ٠ أبدا ٠٠ بدون أحكام عرفية وبمجلس أمة بنستطيع ان احنا نعمل ثورة ونجدد الثورة ونسير فى طريق الانطلاق ، ونحدد كل الأهداف ونحقق كل الأهداف والآمال المطلوبة منا فاللى بيفتكر غير كده باعتقد أنه واهم ٠٠ فى نفس الوقت بنحتاج أن نحارب أنفسنا وهى مسئوليتنا والحرب مع النفس أصعب من العدو الخارجى ٠

ثورة ٢٣ يوليو مقدمة للثورة

الموضوع مش بسيط منقلش ان احنا تحولنا الى الاشتراكية والانطلاق العظيم ونسكت ٠٠ أبدا ٠٠ التحول ماتمش بمجرد قيام ثورة ٢٣ يوليو ٠٠ ثورة ٢٣ يوليو كانت مقدمة للثورة ، انما بعد مقدمة الثورة حصلت أعمال بطولية وهائلة وهى احتشاد وتعبئة ووعى وعمل وخطر من غير حدود ٠٠ يعنى أسهل عملية يمكن قابلناها هى ٢٣ يوليو ٠٠ ومرحلة الانطلاق قد تجابهنا فيها أخطار كبيرة اذا لم نواجهها مواجهة ثورية ٠

طبعا أمامنا مشاكل زى ما قلت دلوقت ٠٠ زيادة الاستهلاك نتيجة لزيادة العمالة ٠٠ نتيجة للحقوق الاجتماعية ٠ ٠ بقول الاستهلاك سنة ١٩٥٢ والاسعار دى موحدة بالاسعار الجارية كان ٦٣١ مليون جنيه كانت ٦٣ـ١٩٦٤ اللى هى السنة الرابعة من الخطة وصل الى ١٤٦٥ مليون جنيه ٠٠ الاستهلاك يعنى الفلوس اللى بتتصرف والاستهلاك الداخلى ٠٠ طبعا زيادة الاستهلاك لازم تقابلها زيادة انتاج والا على طول يحصل تضخم وترتفع الأسعار زيادة ٠٠ الانتاج معناه ان احنا لازم نعمل مصانع ، ونوسع المصانع الموجودة ، ونعمل مؤسسات الدواجن ، ومؤسسات الثروة الحيوانية ونزود انتاجنا الزراعى ، ونحل كل هذه المشاكل ٠٠ طبعا زيادة التطلعات ٠٠ يعنى احنا ماكنش عندنا مصانع بطاريات جافة ٠٠ دلوقت مصنعين ، وطبعا مايبكفوش ، وحانضطر نستورد واستوردنا بطاريات جافة ٠ الدكتور كمال رمزى ستينو يقول عايز ١٠ مليون بطارية جافة فى رمضان ٠ فيه ناس ماكنتشى عمرها بتملك راديو وعايزاله بطاريات عشان تسمع ٠٠ اذا ملكناه راديو يبقى لازم نجيب له بطاريات ٠٠ طبعا حصلت زيادة فى الاستهلاك تفوق كل تصور

السكر والأسمنت

فى السكر يعنى كنا بنصدر سكر وعملنا مصانع وبعدين النهاردة بنستورد سكر ووزير التموين عايز ٤٠ ألف طن سكر استيراد علشان رمضان كنا بنصدر سكر، كنا بنصدر أسمنت ، كنا بنطلع الأول ٨٠٠ الف طن أسمنت ولا ٩٠٠ الف طن أسمنت وبنصدر النهاردة مطلعين ٢ مليون و٧٠٠ الف طن والا

٨٠٠ ألف طن أسمنت ‥ مستوردين السنة دى نصف مليون طن أسمنت ‥ من العراق ١٥٠ ألف طن ومن رومانيا حوالى ٣٠٠ ألف طن ‥ فيه شـغل يعنى والا بيروح فين الأسمنت ده ؟ حتكله الناس ؟ مش معقول — فيه بناء وفيه شغل موجود فى البلد ‥

العلاج وزيادة السكان

طبعا النقطة اللى قلتها زيادة عدد السكان من ٢٢ مليون الى ٣٠ مليون ‥ طبعا مستوى العلاج الصحى بيتقدم فى الريف بنعمل وحدات صحية والأدوية خفضنا أسعارها مستوى الوفيات بيتناقص ‥ كلام حقيقى برضه ‥ خصوصا فى الاطفال ودى طبعا حاجة من أول الحاجات اللى الواحد كان بيطالب بها وبيكون سعيد بيها أن الأدوية بتكون رخيصة ٠

ميزانية الجيش

وأمامنا ايضا مشكلة زيادة الانفاق من غير عوائد زى ماقلت بالنسبة للعائد المتاخر وفى انفاق بدون عائد زى الحاجات اللى هيه مفروضة علينا ماوصلناش الى غيرها ‥ ميزانية الجيش مثلا‥ هى ميزانية بدون عائد هل حنقعد نبنى مصانع ومفيش عندنا جيش وبعدين فى الآخر اسرائيل اللى بتقول بتحد من النيل الى الفرات وتيجى تحتلنا وتحولنا الى أمة من اللاجئين ‥ هل بنقبل هذا لازم نصرف على الجيش ‥ الميزانية رغم هذا السنة دى ١٣٠ مليون جنيه ١٢٪ من الميزانية العامة كلها ٠ أمريكا ميزانيتها العسكرية ٥٠ ٪ ميزانيتهم ١٠٠ الف بليون دولار أكثر من نصفهم للدفاع طبعا ماحناش زى أمريكا واحنا عندنا ميزانيتنا الف مليون جنيه سبعهم للدفاع ٠

طبعا ميزانيتنا الاشتراكية هى ميزانية مش مبنية بس على الضرائب‥مبنية على الضرائب وعلى قروض وعلى استثمارات وعلى أرباح شركات ٠

اسرائيل بتصرف ٢٨ ٪ من الميزانية طبعا بتاخد ممن هم وراء اسرائيل ومن أقاموا اسرائيل ‥ طبعا فيه حاجات مفروض علينا ان احنا نصرفها بدون عائد ولكن بنحاول طبعا ان الجيش بيكون مدرسة بنعلم فيها حرف، بنعلم سواقين وبنعلم حرف مختلفة فى الجيش بيطلعوا ينفعوا فى المجال المدنى بنحسن صحة الجنود بنرفع مستواهم وفى نفس الوقت بيكون الجيش مركز متقدم للتيكنولجى الحديثة والحاجات الفنية الحديثة ‥ طبعا أخذنا التزامات فى السنين اللى فاتت بسبب ضرورات الدفاع زى اليمن مثلا ٠

حديث اليمن

وبعدين اتقال عن اليمن كلام كثير جدا وماجتش الفرصة ان يتقال لكوا الكلام بوضوح ‥ اتقال ان احنا صرفنا على اليمن ١٠٠٠ مليون دولار ، واتقال ان احنا عندنا خسائر ١٠ آلاف قتيل ، ومش فاهم ايه ، وأنا شايف برضه ان أنا ماقلتش وماريحهمش ومقلتش الأرقام فى جلسة علنية والأخ عبدالحكيم عامر بيجتمع معاكم فى جلسة سرية ويتكلم معاكم فى كل المواضيع ويجاوب على كل الأسئلة اللى انتوا عايزين تعرفوها بالنسبة لليمن ‥ بالنسبة للخسائر ‥ وبالنسبة للمصاريف، وبالنسبة للقوات ، وبهذا نقضى على كل الكلام اللى يقال ، وأنا باعتبر ان من حقكم كمجلس امة انكوا تعرفوا كل مايتعلق بهذا الموضوع ٠

طبعا احنا فى نفس الوقت بنواجه عيوب ‥ عيوب ادارية وعيوب أخلاقية وعيوب سياسية ٠

وأنا بدى أقول حاجة ٠ دولة اتغيرت فى سنة ١٩٥٢ بعد الثورة وأنا اشتركت فى الحكم فى سنة ١٩٥٢ واشتركت فى أول ميزانية ١٩٥٣ كانت حوالى ١٩٤ مليون جنيه والدولة كانت عبارة عن مجموعة من الباش كتبه بس يعنى الدولة ايه ‥ الدولة ايه سنة ١٩٥٢، قرشين بنصرفهم على الجيش وقرشين على البوليس وشغلة الدولة انها بتحفظ الأمن وبتدى الجوازات جوازات السفر وبتدى شوية رخص وشوية حاجات بهذا الشكل ٠

النهارده الدولة بتربى فراخ وحتربى عجول مابقتش عملية انها دولة من الباش كتبة بقى فيه تخطيط وفيه خطة وعايزين نشغل كذا عامل ٠ مش عاوزين عمال عاطلين ‥عايزين

نعمل تأمينات دولة بقت نشاطها كبير وبتاخد على نفسها المسئولية الشاملة للتخطيط وللانتاج وللخدمات .. هل جهاز الدولة اتغير جهاز الدولة فى معظم الأحيان فضل زى ماكان ومحصلشى الا تغيير قليل .

ثورة على القوانين واللوائح

فى نفس الوقت طبعا فيه أخطاء فى المشاغل اللى مشينا فيها.. فيه لوائح موجودة يمكن من أيام محمد على مغيرنهاش وأنا باعتبر ان احنا بالنسبة للتشريع واللوائح وبالنسبة للقوانين ماعملناش الثورة المطلوبة، ويجب ان احنا نعمل ثورة فى هذا الميدان ، وده من ضمن الأسباب والمشاكل اللى بتعقد لنا الأمور وان احنا شايف ان احنا الحكومة أيضا مع مجلس الأمة ومع اللجان نمسك القوانين المالية والقوانين التجارية واللوائح وكل العمليات ونعدل كل شىء ونعمل حاجات جديدة من أول وجديد بما يتمشى مع الوقت اللى احنا فيه والتحول الاجتماعى اللى احنا فيه ويقول ان احنا يمكن زيادة اللوائح عقدت الأمور وبرده التعقيدات المكتبية اتكلم عليها السيد رئيس الوزارة فى الدورة الماضية

الحكومة تعمل على إعادة الأسعار إلى ماكانت عليه حتى عام ١٩٦١

وحصل كلام عليها يمكن أنا اتكلمت عليها برده لا زالت موجودة . طبعا العنصر الأخلاقى مش حنغيروا بين يوم وليلة .

وحتى الآن لم نستطع أن نحقق نموذج العلاقات الجديدة وأنا بدى اقول حاجة ونوضح شىء احنا مبقيناش دولة اشتراكية ، ولايمكن ان احنا نقول ان احنا دولة اشتراكية احنا فى مرحلة انتقال من الرأسمالية الى الاشترا كيه لأن الاشتراكية مش معناها أبدا ان احنا نأمم شوية مصانع وبس لا الاشتراكية أن نقيم مجتمع الكفاية والعدل أممنا وأقمنا العدل بنصنع ونعمل ونخلق لكل واحد الحياة السعيدة اللى بيجد فيها مطالبه واحتياجاته .. القيم اللى كانت موجودة لا زالت موجودة متغيرتش القيم لم تستقر مش معدودة طبيعى العلاقات القديمة الموجودة لا زالت رواسب العلاقات القديمة الاقطاعية والرأسمالية موجودة .. طبعا الأمثلة القديمة اللى أخذناها وسمعناها ونقول تذويب الفوارق بين الطبقات يقولك ازاى ده العين ماتعلاش عن الحاجب طب ايه دخل ده فى ده مفيش علاقة بين الموضوعين أبدا ده حاجات احنا ورثناها من الماضى وآلاف السنين ومئات السنين بيتناقلها ابن عن أبوه ورغم التحول الاشتراكى ورغم العمل الاشتراكى ما زالت صورة الرأسمالى القديم موجودة وصاحب العمل القديم موجودة متحركتش..والعلاقات الاجتماعيه ماتغيرتش اذن بدى أقول ان احنا النهاردة بنمر بمرحلة انتقالية من الرأسمالية المستغلة الى الاشتراكية ولا يستطيع المجتمع الاشتراكى أن يصفى فى هذه المرحلة سائر بقايا الرأسمالية والاقطاع قلنا قضينا على الاقطاع معلمناش زى غيرنا قضينا على الاقطاع والاقطاعيين .. فيه ناس فى مجتمعات طلعت قضت على الاقطاع ودبحوا الاقطاعيين .. احنا قضينا على الاقطاع لكن الاقطاعيين قاعدين وهل هما يعنى مبسوطين طبعا مش مبسوطين اللى أخذت منه فدان أو عشرة فدادين يعنى لا يمكن الا أنه يكون معادى للثورة الاشتراكية .. اذن لما نقول قضينا على الاقطاع لازم نفتكر ان الاقطاعيين موجودين هم أصحاب ويعرفوا

بعض وقضـــــينا عـــلى الرأســــمالية المستغله ولكن الرأسماليين موجودين وقضينا على الرجعيـة والرجعيين موجودين مش فى المتاحف أبدا ولا فى المعتقلات احنا يعنى طلعنا من المعتقلات عند اجتماع مجلس الأمة طلعنـا كل الناس وادينا عفو حتى عن المساجين اللى كانوا بتهمة الشيوعيين واللى كانوا من الاخوان المسلمين وبندى لكل واحد فرصة كبيره انه يمشى فى المجتمـع الجديد لكن الاقطاعيين موجودين الرأســماليين موجودين الرجعيين موجودين ومستنيين أى علطـة يتلقفـوها وعندهم السـلاح الأساسى سـلاح الهمس والكلام ٠

المجتمع الاشتراكى فى مرحلة الانتقـال من الرأسماليه المستغلة الى الاشتراكية لن يتوصل الى التخلص من آثار الاقطـاع والرأسماليه والبيروقراطيـة ٠ احنـا بنشـتكى من البيروقراطية بس البيروقراطيه برضه ورثناها من العهد القديم ٠٠ ولسـه نحتاج الى تطور طبيعى ٠

ليس هذا طريقنا

وعلى هـذا ٠٠ الحل لهـذا ايه طيب ٠٠ هانمسـك الاقطاعيين ندبحهم والرأسماليين والرجعيين ندبحهم ونقول نخلص من شرهم هانقول ان ده مش طريقنا ولاسبيلنا ٠٠ الحل لهذا هو أن كل القـوى الاشـتراكية تتجمع وتعارض وتنـظم لتتصدى لكل قوه لمحاولات القوى الرجعيـة التى تنتهز كل فرصة وأى خطأ لمهاجمة الاشـتراكيـة ٠٠ احنا بنبنى الاشتراكية هانغلط لكن اذا غلطنا مش معنى هذا ان الاشتراكية هى الغلط لا ٠٠ معناه ان احنا غلطنا فى التطبيق أو غلطنا فى التنفيذ ٠٠ مهمة القوى الاشتراكية الواعية لا تقوم فى اثارة الضوضـاء ضد البيروقراطيـة أو اللجوء الى انتقادات لدور الدولة الاشتراكية كما لا تقوم على اخفـاء الوجـود الفعـلى للبيروقراطية وأخطائها ٠٠ ومتسكتش ولكن واجبهـا أن تناضـل بكل قـوة كى تخلص المجتمع بصورة تدريجية من المخلفات الموروثة من المجتمع الطبقى الـذى ساد فيه الاقطاع والرأسمالية ومن سائر العناصر البيروقراطية

وسلاحنا الرئيسى فى هذا هو النضـال وتطوير الديمقراطيه الاشتراكية ٠٠ وأنا باعتقد أن الاشتراكية نجاحها مرهـون فى تطوير وتدعيم الديمقراطيـــة ولكن الديمقراطيـة الاشتراكية ، الديمقراطيـة لقوى الشعب العاملة ، ومابقولش أبدا الديمقراطية للرجعية ولا الديمقراطية للاقطاعيين أو للرأسماليين ٠٠ الديمقراطيه لقـوى الشعب العاملة زى الكلام اللى قلنـاه فى الميثـاق ٠ قوى الشعب العاملة ٠٠ اللى هى القـوى الاجتماعيـة والسياسـية فى مصر تحـالف قوى الشعب العاملة ٠٠ العمال والفلاحين والمثقفين والجنود والرأسمالية الوطنية الاخرى حصلت على مكان فى المجتمع نفضل عملها ٠

مصـر تطورت

مصر تطورت تطور عظيم اجتماعى وسياسى وليس هذا فى القضاء على الطبقـة المستغلة باعتبارها قوى سياسيةواجتماعية واقتصادية ولكن فى التبديل فى وضع الطبقة العاملة ٠٠ وضع العمال ووضع الفلاحين ووضع الفئات الاجتماعية الاخرى من الشعب العامل ٠ الطبقة العاملة كانت مستغلة وكانت قليلة العدد قبل الثورة نمت بصورة متزايدة نتيجة للتغيرات السياسـية والاقتصادية والاجتماعيـة التى حدثت فى البلاد ٠ وهذه الطبقة العاملة تمثل فى البلاد النظام الاشـتراكى المركـز القيادى والدليل على هذا أن نص الأعضاء فى جميع المجالس المنتخبة من العمال والفلاحين نصـف مجلس الأمة من العمال والفـلاحين بعد أن حرموا من هذه الحقوق فى العهود الرجعية فى عهد الاستقلال والرأسمالية المستغلة والاقطاع ٠٠ الشعب فى مصر يختار الاشتراكية وعشان يوصل للاشتراكية كان لابد من الثورة وكذلك تطورات أخـرى سـلمية والوصـول الى الاشتراكية يمر بفترات تمر بمراحل وتحولات واصطدامات وتناقضات طبعا بتتلاشى سيطرة الاقطاع أو يتلاشى الاقطاع ويتلاشى سيطرة رأس المال المستغل ويتلاشى النفـوذ واحنـا عارفين ان النفوذ وخصوصا فى الريف وفى الفلاحين زى الاقطاع تمام وتولد أشكال جديدة وتتطور هذه الأشكال الجديدة باستمرار ٠

ازالة الفوارق بين الطبقات تكافؤ الفرص الكفاية والعدل .. اذن الانتقال من مجتمع الاستغلال مجتمع سيطرة الاقطاع ورأس المال الى المجتمع الاشتراكى مجتمع الكفاية والعدل مجتمع ديمقراطية الشعب العامل .. مجتمع تكافؤ الفرص .. هذا الانتقال لا يمكن أن ينجح ولا يتحقق ولا يتم الا عن طريق نمو القوى الاشتراكية وصلابة القوى الاشتراكية نحو القوى المنتجة فى المجتمع وتعزيز الوعى السياسى وتنظيم قوى الشعب العامل .. ونضال الشعب العامل .. وفى نفس الوقت يجب أن نناضل ضد الاستعمار ونناضل ضد الاستعمار الجديد ونناصر حركات التحرر فى العالم وفى نفس الوقت يجب أن نسرع بالتطور الاجتماعى بوسائل فورية .

الامر ليس سهلا

اللى بدى اقوله من هذا احنا علشان نحقق الاشتراكية فى بلدنا ونحقق الانطلاق الاشتراكى فى بلدنا لا يمكن أن نتصور ان الامر عمليه سهلة. أبدا العملية لسه هانحتاج الى سنين وعمليات تطوير مستمرة .. تؤثر عليها الطاقات الاقتصادية والثقافية .. طبعا احنا عندنا مشكلة فى سنة ١٩٥٢ بدانا بطاقة اقتصاديه ضعيفة علشان نبنى اشتراكية لازم تحول الطاقة الاقتصادية الضعيفة الى طاقة اقتصادية قوية .. وطبعا السلطة كانت فى يد الرجعية لازم السلطة تنتقل الى تحالف قوى الشعب العامل .. الميثاق حدد المهام الأساسية للقوى الاشتراكية فى مصر من أجل البناء الاجتماعى للمجتمع ومن أجل تطوير العلاقات الاشتراكية ومن أجل اقامة الديمقراطية السليمة طبعا فى مرحلة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية بتختلف وجهات النظر .. تحدث تناقضات فى المجتمع .. بعدين بتوجد شروط معينة وظروف نواجهها تقابل المجتمع الاشتراكى . الحل الوحيد لهذا ايه . القوى الاشتراكية فى مصر تفتح أوسع الآفاق للفكر الاشتراكى والبناء الاشتراكى ويجب أن تساهم فى تحطيم بقايا الأفكار الرجعية القديمة .. وبعدين مانخبيش المشاكل يجب أن تبرز المشاكل الراهنة للبناء الاشتراكى .. وبعدين مانخبيش الأخطاء .. يجب أن نستفيد من الأخطاء بعدين اذا كانت الدراسات غير كاملة يجب ان تكون الدراسات كاملة .. وفى نفس الوقت تدعيم وتطوير الديمقراطيه الاشتراكية الرجعية والرأسمالية المستغلة تحالف مع الاستعمار وكانت الديمقراطية السياسية الزائفة وخلصنا احنا من هذا الموضوع وعرفنا هذا الموضوع .. كانت الديمقراطية الزائفة تخدم الطبقة ومن هنا نقدر ننتقل أوتوماتيكيا من المجتمع الرأسمالى او من الرأسمالية المستغلة والاقطاع والرجعية الى الاشتراكية .

الاشتراكية هى سيطرة الشعب على وسائل الانتاج الاشتراكية تعنى وضع وسائل الانتاج فى خدمة الشعب العامل كله وفى خدمة الفرد .. الانتقال من الرأسمالية المستغلة والاقطاع الى الاشتراكية لا يمكن أن يتم الا عن طريق العمل السياسى للشعب العامل ونضال الطبقة العاملة والفلاحين لاستخلاص السلطة من يد الرجعية ثم الاستفادة من السلطة لتغيير العلاقات الاجتماعية الرجعية تعديلا كاملا .. ان انتصار ثورة ٢٣ يوليو بعد نضال شعبى طويل أدى الى قيام حكم الشعب العامل .. ادى الى تحالف قوى الشعب العامل .. أدى الى انهيار حكم الاستعمار أدى الى انهيار الرجعية .. وبذلك استطعنا ان احنا ننتقل الى مرحلة بناء المجتمع الاشتراكى

الاشتراكية هى الكفاية والعدل

فى بناء المجتمع الاشتراكى . الوعى الاشتراكى يشكل أثناء تحرر المجتمع من الأشكال الاجتماعية الرجعية قوة كبيرة قادرة على ممارسة تأثير كبير على تحويل وتوجيه التطور الاجتماعى ..

بدات الاشتراكية فى بلدنا ببناء القاعدة الاقتصادية وستزداد .. كل ما حانمشى فى الاشتراكية اللى هى الكفاية والعدل سيزداد التعقيد وستزداد الصعوبة .. لأن احنا كنا بلد متأخر وعايزين نكون بلد متقدم . وبعدين الاشتراكية ليست القضاء على نظام

رجعى قديم مانقولشى نقضى على الاقطاع ونقضى على راس المال المستغل والاشتراكية بمفهومها أبعد من ذلك • الاشتراكية تعنى أن الارادة الحرة لايمكن أن تكون لغير الشعب ٠٠ الكلام ده اتقال فى الميثاق ٠٠ تعنى الفرصة المتكافئة لكل مواطن ٠٠ تعنى الحرية الاجتماعية • الحرية السياسية • القضاء على التخلف الاجتماعى والقضاء على التخلف الاقتصادى وتجميع المدخرات الوطنية ٠٠ تعنى استثمار هذه المدخرات • تعنى وضع تخطيط شامل لعملية الانتاج وتعنى زيادة الانتاج وتعنى عدالة التوزيع وتعنى زيادة الثروة الوطنيه وباستخدام جميع الموارد الوطنية بطريقة علمية وانسانية تعنى اعادة توزيع فائض العمل الوطنى على أساس من العدل ٠٠ تعنى سيطرة الشعب على وسائل الانتاج بخلق قطاع عام قادر يقود التقدم فى جميع المجالات ويتحمل المسئولية الرئيسية فى خطة التنمية ٠٠ وزى ماقال الميثاق أن الحل الاشتراكى والمخرج الوحيد الى التقدم الاقتصادى والاجتماعى وهو طريق الديمقراطية كأشكالها السياسية والاجتماعية •

فيه نقطة بقى أنا بدى أتعرض لها اللى هى نقطة التعرض للقطاع العام والهمس ضد القطاع العام ٠٠ طبعا بعمل قطاع عام بيحصل كلام وبيحصل همس ٠٠ فيه ناس ليست لها مصلحة فى خلق القطاع العام ٠٠ الكلام اللى قاله وزير الصناعة أول امبارح عن الانتاج زيادة الانتاج فى المصانع اللى أممت ٠٠ وفى الشركات اللى أممت ٠٠ كلام حقيقى وتقدروا تتأكدوا منه بنفسكم ٠٠ بلغت قيمة الانتاج فى شركات القطاع العام التابعة لقطاع الصناعة والثروة المعدنية لعام ٦٠ ـ ٦١ التى سبقت التأميم مباشرة ٣٩٩مليون و٥٧٥ ألف جنيه ٠٠ زادت فى عام ٦١ ـ ٦٢ الى ٤٤٧ مليون و٨٥٤ ألف جنيه بزيادة قدرها ٤٨ مليون جنيه ، و ٢٧٩ ألف جنيه ، بنسبة ١٠ر٧ ٪ واطردت الزيادة فى الانتاج فى عام ٦٢ ـ ٦٣ حيث بلغت قيمته فى تلك السنة مبلغ ٥٣٠ مليون جنيه و ١٠٠ ألف جنيه بزيادة قدرها ٨٢ مليون جنيه و ٢٤٦ ألف جنيه ٠٠ بنسبة ١٨ر٣ ٪ عن السنة السابقة وبزيادة قدرها ١٣٠ مليون جنيه ونصف بنسبة ٣٢ر٧ ٪ عن سنة ٦٠ ـ ٦١ التى سبقت التأميم مباشرة ٠٠ الحاجات دى حصلت وأنتم القطاع العام بتروحوا تشوفوا القطاع العام ٠٠ بتشوفوا شركات القطاع العام ٠٠ بتشوفوا هل هذا الكلام حقيقى والا مش حقيقى؟ سلطة الرقابة ونتأكد واذا شفنا غلط فى القطاع العام بنقول ان فيه غلط ٠٠ وأنا مابقولش ان مفيش غلط ٠٠ أنا بقول ان الشركة التى اممت يمكن كان فيها ١٠٠ خطأ مخلصناش الميه لكن يمكن فاضل ٢٠ او ٢٥ ٠٠ طبعا بيحصل تركيز على هذه الاخطاء ٠٠ والناس اللى لا مصلحة لها فى التأميم ولا مصلحة لها فى القطاع العام واللى لها تطلعات رأسمالية الى آخر هذا الكلام هى اللى بتحاول انها تعمل دوشة حول القطاعات بيتقال طبعا ان فيه بيروقراطية وفيه تعقيدات وفيه حاجات بهذا الشكل ٠٠ فيه مشاكل ولكن القطاع العام ماشى أحسن مما كانت الشركات ماشية فى وقت القطاع الخاص أيام تهريب الفلوس وأيام استغلال العمال الى آخر هذه الأمور اللى احنا بنعرفها طبعا أساس الاشتراكية القطاع العام جميع أعداء الاشتراكية مش هايقعد يتكلم على القطاع العام •

الاشتراكية العلمية

وبعدين فيه نقطة طبعا من الاساس اللى احنا بنتكلم عليها الاشتراكية مفهومها أبعد من ذلك طبعا والميثاق قال ان الاشتراكية العلمية هى الصفة الملائمة لايجاد المنهج الصحيح للتقدم وأنا عايز أؤكد هذا الموضوع هنا برضه علشان أتكلم فيه ٠٠ قيل ان كلمة الاشتراكية العلمية دى يعنى أنها الكفر وانها ماركسية وسمعت أنا هذا الكلام وأظن منكم ناس كثير سمعوا هذا الكلام •

ايه معنى الاشتراكية العلميه واحنا اشتراكية عربية ما احناش اشتراكية علمية • هذا الكلام طبعا ان دل على شىء فيدل على مغالطة •

يعنى لما بنفتح الجرائد الصبح بنقول ان بتوع الكورة بيخسروا علشان يكسبوا لازم

يتدربوا ويلعبوا بطريقة علمية . كل واحد علشان ينجح لازم يمشى بطريقة علمية اذا كنا عايزين اشتراكية صحيحة واشتراكية سليمة ناجحة لازم تقوم بطريقة علمية . العكس للطريقة العلمية هى الطريقة الفوضى .

فاحنا اشتراكيتنا هنا اشتراكية علمية قائمة على العلم وليست قائمة على الفوضى . مهياش أبدا اشتراكية مادية .. ماقلناش ان احنا اشتراكيتنا اشتراكية مادية .. وماقلناش ان احنا اشتراكيتنا ماركسية ومقلناش ان احنا خرجنا على الدين بل قلنا ان الدين بتاعنا هو دين اشتراكى وان الاسلام فى القرون الوسطى حقق أول تجربة اشتراكية فى العالم .

لازم نجتمع فى الاتحاد الاشتراكى

أنا بقول هذا الكلام بوضوح وبجاوب على كل هذه الأمور بوضوح ولازم نكون على بينة وطبعا أنا بعرف ايه التساؤلات وأنا ماعندى مانع أبدا ان احنا نجتمع مرة فى الاتحاد الاشتراكى كهيئة برلمانية فى الاتحاد الاشتراكى وأنا مستعد ان أنا أجاوب على كل سؤال منكم فى هذه المواضيع بتكون الأمور عندنا واضحة وضوح كامل مافى حاجة نخبيها كل حاجة بنوضحها وضوح كامل . وفى كل سكة نبقى كويسين .. هو المهم نبدأ الاجتماع وحسب جدية الاجتماع وحسب عملية الاجتماع طبعا عايزين نتكلم .. طيب ما أنا بقول المهم هو أنا بقول اللى مش مهم .. وأمال أنا نقول ايه .. طبعا احناكنا ماشيين فى تطوير الاتحاد الاشتراكى وبنبتدى نعمل اجتماع قريب .. اللى أنا بدى أقوله يعنى نتيجة لهذا ايه ان احنا مفيش حاجة نخبيها .. كل سؤال له جواب مفيش سؤال ملوش جواب .. بالنسبة للاشتراكية كل سؤال له جواب .. بالنسبة للكلام اللى بيتقال مفيش حاجة من هذا .. لأن احنا يهمنا انكم تكونوا عارفين الاجابة الصحيحة ونعرف منكم ان الناس بتقول ايه .

لكن ماهى القيادة ؟ هى معرفة مشاكل الجماهير وحلها .. أنتم بتعرفوا مشاكل الجماهير وبتقولوا لنا على مشاكل الجماهير ثم نتعاون جميعا على حلها .. اذا ما عرفناش مشاكل ..

الجماهير بتبقى قيادة فاشلة واذا عرفنا المشاكل ولا حلنهاش نبقى قيادة فاشلة . طبعا نرجع تانى للمعادلة الصعبة - كيف يمكن ان نزيد الانتاج وفى نفس الوقت نزيد الاستهلاك - ده كلام قلته لكم فى الاجتماع اللى فات - فى السلع والخدمات هذا مع الاستمرار المتزايد فى المدخرات من أجل الاستثمارات الجديدة

الحل الوحيد طبعا هو الادخار ولكن طبعا فيه مشكلة .. الناس مابتدخرش وعلما ان انشالت عنها أعباء .. انشالت أعباء التعليم وانشالت أعباء علاجية وأعباء كثيرة .. انشالت ولكن مفيش ادخار .. طبعا مفيش ادخار يبقى لازم يكون فيه زيادة فى الأسعار .. طبعا العالم كله فيه زيادة فى الأسعار واحنا رغم زيادة الأسعار اللى حصلت عندنا فى السنة أو السنتين الأخيرة نعتبر من أرخص بلاد العالم ولكن اذا وفرنا فى المشتريات وأنا بقول هذا الكلام للشعب .. للناس .. اذا كل عامل وفر كل شهر فى دفتر التوفير نصف جنيه اذا اللى بيجيب بدلتين يجيب بدلة واحدة .. اذا وفرنا فى الاستهلاك نستطيع أن نزيد من قوتنا فى الاستثمار ونعمل مصانع جديدة ونشغل ناس أكثر وننتج أكثر ونشبع كل الرغبات المطلوبة ، لكن طبعا يقال طيب وانا هادخر ليه طيب ماهيجى يؤمموا المدخرات .. الميثاق ماقالش أبدا ان احنا هانؤمم المدخرات .. احنا عملنا الميثاق ليه علشان نحدد كل هذه .. واحنا ما أممناش المدخرات بل بالعكس احنا عايزين مدخرات بحيث ان الاستثمارات تكتر والقدرة على العمل تكتر وياريت نقدر زى ما قلت دايما ان احنا ننفذ الخطة فى ٩ سنوات بدل ١٠ سنوات نستطيع اذا وفرنا واذا زودنا المدخرات ..

قروض ... من الداخل

وأنا باقول ان كل واحد اللى بيوفر ، اللى بيحط فى دفتر البوستة عشرين قرش واللى بيحط ٣٠ قرش واللى بيحط نصف جنيه فى الشهر .. بيساعد على تنمية البلد .. لأن احنا بننمى البلد منين .. احنا بنمى البلد من

المدخرات .. هذه المدخرات هي التي بنعمل منها الانتاج والمصانع لأن احنا ما بتبنيش ده بقروض من الخارج ، احنا بناخد قروض من الخارج وبناخد قروض من الداخل .. اذا كنا بنستطيع ان احنا نوجد قروض من الخارج يبقى لازم نوجد أيضا مدخرات في الداخل ، وفي نفس الوقت مفيش داعي للشراء اللي لا أول له ولا آخر ، لأن ده طبعا نتيجته الوحيدة ارتفاع الأسعار . وفي نفس الوقت كل واحد من أبناء الشعب عليه مسئولية في حل المعادلة الصعبة ازاي نزود الانتاج دون أن نزود الاستهلاك .. والا بندخل في مشاكل لا أول لها ولا آخر ..

طبعا لما بندخل في مشاكل زي مشاكل زيادة الاستهلاك اللي اتكلمت عليها أعداء الاشتراكية بيفرحوا واللي بيلسنوا ويغذوا هذه الاضطرابات .. واللي انا بدي أقوله ان الصعوبات اللي بتقابلنا من هذا النوع لا يمكن أن ترجع بعجلة التاريخ الى الوراء ..

القوى الاشتراكية بهذا تجد ما يحثها على أن تتغلب على الصعوبات وان تجد طريق أفضل والطريق الصحيح للتقدم .. وطبعا زي مثلا المشاكل اللي قابلتنا في الآخر مشاكل التموين مشاكل النقص في كذا مشاكل الأسعار ... حصل طبعا كلام كتير بالنسبة لهذه العمليات وجت لي أنا جوابات وجالي جواب من الناس مثلا واحد بيقول ان العملية مثلا مش عملية اللحمة انها ناقصة .. مهياش مشكلة .. احنا نقدر نقعد بدون لحمة .. ليه ما نحددش ما احنا حددنا في الماضي ٣ أيام بدون لحمة .. ما هي المشكلة ان فيه ناس بتروح تاخد احتياجاتها مثلا من الجمعيات التعاونية أكثر من حقها .. فيه ناس بتقف في الطابور فيه ناس بتروح طبعا تحصل مشاكل وبتحصل أخطاء في هذا .. سألت قالوا الناس اللي بياخدوا ١ ٪ ولكن اتصلت برئيس الوزارة وطلبت منه انه يمنع هذا الكلام .. هذه الحالات طبعا بتحصل مشاكل بتقابلنا وأخطاء بتقابلنا يمكن فيه مشاكل بتحصل من غير احنا ما نحس بيها .. ده مش معناه ابدا ان الطريقة غلط ولكن معناه ان التطبيق غلط أو التنفيذ غلط .. وبعدين منعنا هذا الكلام وادينا أوامر للمباحث الجنائية وللبوليس الحربي في الجيش انه يمنع هذا الكلام ويراقب الجمعيات الاستهلاكية وأي عملية تحصل وأي تلاعب بيحصل .. ومسكوا ناس وفيه تحقيق وناس راحت النيابة واتمسكوا بالسرقة .. طبعا المشاكل اللي بتقابلنا بتحثنا على ان نحلها ..

الميول البيروقراطية في مرحلة الانتقال من الاقطاع والرأسمالية الى الاشتراكية تمثل قوة اجتماعية خطيرة طبعا هذه البيروقراطية موجودة وستحاول بكل الوسائل ان تكون لها مكاسب .. البيروقراطية في مرحلة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية حاتعمل بكل الوسائل على أن تحصل على أكبر قدر من السلطة حتى تستطيع أن تقوم بدورحاسم في الانتاج وفي العلاقات الاجتماعية وتحتكر هذه الدور وبفضل هذا الاحتكار تستطيع البيروقراطية أن تأخذ مكان الرأسماليين في المجتمع الرأسمالي .. الكلام واضح .. وزي ما قلت اناحنا البيروقراطية ورثناها طبعا ده من شأنه ان يؤثر على التحويل الاشتراكي وفيه حاجة احنا مضطرين لها .. فيه زي ما قلت في التحويل الاشتراكي اضطرت جميع الشئون الاجتماعية وجميع الشئون الاقتصادية بتدار بواسطة جهاز الدولة وده بيؤدي الى مركزية في الادارة ويؤدي الى الانفصال في بعض الأحيان عن المجتمع .. طبعا الثورة يجب أن تعمل بكل ما في وسعها لانتزاع جذور هذه الظواهر البيروقراطية .. والسلاح الرئيسي اللي نستطيع به أن نقضي على البيروقراطية وعلى الانحراف هو تطوير الديمقراطية الاشتراكية والتوسع في الديمقراطية الاشتراكية .

أيضا لابد لنا أننا نبني علاقات اجتماعية جديدة لأن أيضا بقايا الرأسمالية والاقطاع وتأثيرها بقايا نفوذها .. العلاقات الاجتماعية لم تتلاش .. الاقطاع والرأسمالية تعمل بكل ما في وسعها أنها تستخدم المتناقضات الموجودة .. لا بد للقوى الاشتراكية أن تناضل بقوة ضد كل محاولات الاقطاع والرأسمالية المستغلة، وكل محاولة لتثبيت مخلفات الرجعية السياسية أو الاجتماعية .. طبعا الحل لهذا هو التنظيم

السياسى .. طبعا علشان نحل المتناقضات الخاصة بمرحلة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية يعنى ان احنا لازم نعرف كل المشاكل ونجمع هذه المشاكل وننظمها بهذا نستطيع ان نبنى البناء الاشتراكى .. اللى انا باقصده من هذا ان احنا فى مرحلة تحول من الرأسمالية الى الاشتراكية تأثيرات العهود القديمة لا زالت موجودة .. علشان نبنى نظام جديد فى سنين قليلة على نظام قديم قعد آلاف السنين تحتاج من قوى الشعب العاملة وجميع القوى الاشتراكية أن تتكاتف وان تتكتل .. طبعا لا يثنينا عن هذا انه بيحصل انحراف .. فيه فرص للانحراف ولكن يجب أن نقاوم هذا الانحراف .. بقولك فيه رشوة فيه رشوة كان فيه رشوة على مستوى كبير ، وانا متأكد انه مفيش رشوة على مستوى كبير واللى بنشك فيه أى شك بنوديه على طول على النيابة أو على المحكمة مهما كبر .. لكن مقدرش أقولك مفيش رشوة فى بنك التسليف فى المنيا ولا فى مغاغة .. وما بقصدش المنيا ولا مغاغة بالذات يعنى .. لكن اذا جه الباشكاتب اللى هناك وخد أربعة جنيه أو سهل له كذا .. طبعا ليه .. انتم بقى وقوى الشعب العاملة هى المسئولة الحقيقة انها تراقب هذا .. احنا بنعقد الدنيا بايه بالأجهزة .. بنعمل اجهزة رقابة وأجهزة الرقابة دى أنا رأيى انها هاتقعد الدنيا أكتر وتخلى الناس ماتشتغلش وتقف عن العمل .. الطريق الوحيد ان احنا نمنع هذا الانحراف ونمنع الرشوة والحاجات اللى بهذا الشكل ان القوى الشعبية تكون لها سلطات فوق السلطة التنفيذية .. أما خطر الانحراف لم نستطع أن نقضى عليه فيه انحراف بس لازم نمسك المنحرف هايحصل رشاوى سواء فى جمعية تعاونية أو فى شونة بنك التسليف أو فى واحد يستلم حاجة أو واحد عاوز بذرة او ده هانمنع هذا ازاى .. الا اذا كانت السلطات الشعبية .. وبعدين يجب أن تكون سلطات شعبية صالحة .. فان جاءت سلطات شعبية مستغلة .. ناس من الرجعيين أو اللى بيساعدوا او اللى هايحابى أقاربه أو شىء من هذا القبيل يبقى مفيش فايدة . لازم السلطات الشعبية الحقيقية هى اللى تتولى دورها الطبيعى .

المجالس الشعبية

وأما نعمل مجالس شعبية يبقى المجلس الشعبى اللى موجود فى المنيا أو المجلس الشعبى اللى موجود فى أسيوط يقدر أنه يعرف فعلا مشاكل الناس ومين بينحرف ومين بياخد رشوة ومين بيعمل كذا ويقضى على هذا قضاء كامل لأن السلطة الشعبية اذا أصبحت فى وضعها الطبيعى زى ما قال الميثاق فوق السلطة التنفيذية تستطيع أنها تقضى على المخلفات القديمة اللى كانت موجودة فى المجتمع ، تقضى على الانحراف .. وتبنى القيم الجديدة ..

طبعا فيه توفير مثلا فى الميزانية وفيه تغييرات فى الميزانية .. فيه اسراف فى المبانى لكن اذا لم تكن السلطات الشعبية فعلا موجوده وبتقول ان فيه اسراف فى المبانى يبقى كل واحد بياخد الميزانية وبيعتبر نفسه مطلق .. طبعا اما بنوقف من المبانى وبنعيد ميزانية المبانى بنواجه مشاكل أخرى بنحل .. لكن بنحل على قد اللى فى ايدينا .. ولكن اللى فى ايدينا .. أو امكانياتنا للحل ممكن تكون أكتر من كده بكتير .. طبعا أنا أقصد بهذا أن أنا أعمم .. التعميم المطلق خطأ .. فيه ناس بتنحرف فى كل مجتمع منذ بدأت الخليقة وفى كل مجتمع فيه ناس بتنحرف ومنذ بدأت الخليقة اخذنا المثال على أول الخليقة ازاى الأخ قتل أخوه .. لغاية دلوقت حتكون فيه ناس تنحرف والخير موجود والشر موجود .. ولكن احنا لكى نقضى على الشر لا نجامل أى حد فيه أعمال طيبه طبعا اكثر من الانحرافات .. بنسمع على الانحرافات وبتسمع على كذا .. فيه ناس طبعا بتشتغل وفيه ناس بتقوم بأعمال طيبة .. أيضا فى بنك التسليف لحسن يفتكروا ان انا بقصد أن بنك التسليف كله اللى بيرتشوا فيه ناس كويسين بيعملوا فى بنك التسليف وبيشتغلوا وفيه ناس بيسهروا .. وانتم طبعا بتتصلوا بالناس وبتتصلوا ببنك التسليف وبتتصلوا بالجمعيات التعاونية .. قصدى زى ما يكون فيه المنحرف بيكون

قصاده عشرات الطيبين ٠٠ بيكون فيه الحرامى ويبكون قصاده عشرات الأمناء ٠٠ واجبنا ان احنا نقضى على المنحرف ونقضى على اللص ونقضى على المرتشى بان احنا نعطى السلطات الشعبية الحقيقية القدرة والقوة زى ما قال الميثاق ٠ واحنا ماشيين فى هذا بالتدريج ٠٠ وطبعا فيه ناس كثير اعتقدوا ان العمل العام مدين لهم وان الانتاج مدين لهم والتقدم مدين لهم لأن احنا تقدمنا وقمنا حققنا ده وده وده ٠٠ طيب عملناه بايه ؟ ٠٠ ما احنا عملناه بناس ٠٠ ناس كانت بتشتغل وناس كانت بتنتج ٠٠ مهما اتكلمنا عن الأخطاء واتكلمنا عن الانحرافات فى الاجهزة وفى القطاع العام لكن لابد أن احنا نذكر عدة حقائق ٠٠

ان حصيلة العمل تمكنت فى مواجهة كل الظروف والتحديات اللى قابلتنا فى المرحلة اللى فاتت تمكنت من انها تعمل وتنجح ٠ وحصيلة عملها تحملت أكبر انتقال للثروة ٠٠ حصل فى تاريخ مصر ان الثروة كانت فى يد الأجانب وربما حصل فى تاريخ أى دولة فى الدول النامية الجديدة المنتمية الى حركة الثورة الوطنية ٠٠ معظم ثروتنا كانت للأجانب وأممت ٠٠ فيه ناس قامت بأمانة فى هذه الأمور ٠٠ قد يخطىء الانسان لكن الناس اشتغلوا والا مكناش وصلنا الى ما وصلنا اليه وعملنا هذا الموضوع بدون هزات حصيلة عمل الناس اللى فى القطاع العام تقدمت بعد الانتقال الى هدف زيادة الانتاج وتمكنت بالفعل من زيادة الانتاج ٠٠ يعنى زاد الانتاج ٠٠ طبعا كل واحد فينا عايز الكمال ٠٠ كلنا عايزين الكمال ٠٠ ولكن اذا ذكرنا الأخطاء يجب ألا ننسى الحسنات ٠

طبعا فى المرحلة الجاية عندنا مشاكل أكثر أن حاتزيد الصناعة أكثر وحايزيد العمل أكثر وحايزيد الانتاج أكثر ٠ قدامنا مشاكل لازم نحلها أولاً حاجة كيف يمكن أن نعطى العاملين مسئولية واسعة ٠٠ وفى نفس الوقت نشدد عقوبة الانحراف ٠٠ الثانية ٠٠ كيف يمكن ان نشجع الحافز الفردى الانسانى على الانتاج فى القطاع العام ٠٠ احنا وضعنا اللائحة للعاملين وهذه اللائحة حددت كل شىء بالأقدمية طبعا ٠ ليه ؟ برضه خايفين من الوساطة ومن المحسوبية والأقارب فعملناها بالأقدمية ٠٠ فقفلنا الطريق على المجتهد ٠٠٠ ازاى نحل هذه العملية بحيث ان المجتهد والمنتج واللى بيخترع بنقدر نديله فرصة ٠٠ وفى نفس الوقت نمنع اذا فتحنا هذه الفرصة المحسوبيات ومشاكل الأقارب ٠٠

التجارة الداخلية

النقطة الثالثة ٠٠ اللى قدامنا برضه بعض قطاعات الدولة بتعتبر انها صاحبة الحق الوحيد فى العمل الوطنى ٠ احنا عندنا الميثاق زى الميثاق بنمشى ٠ قلنا ان التجارة الداخلية فى الميثاق ٢٥ ٪ للجمعيات التعاونية أو للقطاع العام و ٧٥ ٪ للقطاع الخاص ٠٠ يبقى لازم نلتزم بالميثاق التزام كامل ٠٠ خروجنا عن هذا الالتزام يسبب لنا مشاكل ٠٠ وبدى مثل فى التموين ٠٠ التموين فاهم ان البقالين كلهم حرامية وكلهم تجار سوق سوداء ٠٠ مش معقول ، قد يكون فيه بقال حرامى وبقال بيتاجر فى السوق السوداء ٠٠ لكن فيه عشرات البقالين ناس عندهم ذمة ومستعدين يوزعوا بالتسعيرة بنشوف الناس اللى ما عندهمش ذمة ومعندهمش ولكن زى ما قلنا بتيجى السلع ، ويجب أن السلع تيجى بكمية وافرة وتوزع على الجمعيات التعاونية وعلى الأهالى ٠٠ احنا عملنا الجمعيات التعاونية علشان نمنع ارتفاع الأسعار لكن اذا احتكرت الجمعيات التعاونية على طول بيحصل فساد فى الجمعيات التعاونية ويحصل انحراف والبقالين بيقولوا بتوع التموين حرامية ٠٠٠ نفس الشىء بتوع التموين هايقولوا البقالين حرامية والنهاردة البقالين بيقولوا بتوع التموين حرامية والجمعيات التعاونية حرامية ٠٠ انا باعتبر ان الطريقة هى اللى غلط ٠٠ بندى ده وبندى ده ٠٠ اذا كانوا بتوع التموين حرامية وحد فى التموين حرامى بنقبض عليه ٠٠ وباعتبر ان المباحث الجنائية بتاعت القوات المسلحة قبضت على عدد فى الأيام اللى فاتت ٠٠ اذا كان فيه ناس حرامية فى الجمعيات التعاونية حنقبض عليهم ٠٠ اذا كان فيه بقالين طلعوا بره التسعيرة برضه حنقبض عليهم ٠٠

ولكن نتمسك بالميثاق ونمشى حسب الميثاق بحيث ان احنا نكون واضحين وبحيث بقى ان البقالين مثلا ما يعتبروش ان احنا فعلا بنقول كده فى الميثاق وبنضحك عليهم واحنا قاصدين وصادقين .. أبدا العملية مهياش كده .. العملية محناش بنضحك على حد بنقول الكلام بصراحة وبنقول الكلام بوضوح .. بنقول ٢٥ ٪ قطاع عام و ٧٥ ٪ قطاع خاص فى الميثاق .. هايمش هذا الكلام لغاية ما نغير هذا التطبيق فى مؤتمر الاتحاد الاشتراكى ونقول لا عايزين نعمل كذا وكذا .. ولكن العملية مهياش أبدا ان احنا عايزين نصفى حد بطريق مباشر أو بطريق غير مباشر .. فيه بعض البقالين تجار سوق سوداء ولكن دول بنحرمهم ، والى تاجر فى السوق السوداء بنحرمه .. وفيه برضه بعض ناس فى التموين ممكن انهم ينحرفوا ودول برضه مابنسيبهمش وبنمسكهم .. فيه ناس فى الجمعيات التعاونية بتنحرف ودول أيضا ممكن نمسكهم ..

بالنسبة أيضا لتجارة الداخل ، بالنسبة للفلاحين .. بنتصرف حسب الميثاق ويعنى مانكفرش الناس .. الأساس اللى احنا لازم نمشى عليه وانتم واجبكم انكم أيضا بتنبهوا لهذه النقط .. احنا عايزين نفيد الناس ماحناش عايزين أبدا نكفر الناس .. عايزين لما نعمل زى ما قلنا عايزين نعمل أى شىء تعاونى هو لمصلحة الفلاح .. مش فى مصلحة الدولة .. مش علشان الدولة تكسب ولا علشان ولا علشان نزود الميزانية .. عايزين يعنى لازم لما ناخد المحاصيل من الفلاح ناخدها بالشروط التى تريح الفلاح وبنديله حقوقه كاملة .. لكن اذا حد راح علشان فرض شروطه وما يديش فرصة لحد انه يناقش هذه الشروط يبقى طبعا على طول فيه انحراف وبنحاول ان احنا نحتكر وبهذا نسبب لنفسنا مشاكل احنا فى غنى عنها وأنا باعتقد ان الميثاق ميثاق واضح وان واجب كل واحد فينا انه يطبق الميثاق انه اذا حصل شىء خارج الميثاق لازم يثار هنا فى المجلس وانتم أقدر على الاحتكاك بالناس ومعرفة المشاكل ..

اتكلمنا على العيوب الادارية وعلى العيوب الأخلاقية .. فاضل النقطة اللى عايز اتكلم عليها وهى العيوب السياسية .. وأبرز هذه العيوب أن الاتحاد الاشتراكى لم يستكمل دوره ليكون تعبير أصيل وكامل عن الديمقراطية الاشتراكية ..

الاتحاد الاشتراكى قطع مرحلة كبيرة ولكن لغاية النهاردة ما وقفش واستكمل قوامه علشان يكون فعلا عامل مؤثر ومكانش فيه نشاط ، وواجبنا ان احنا بننطلق من دلوقت علشان نعمل فى الاتحاد الاشتراكى وعن طريقه نحقق فعلا الديمقراطية الاشتراكية ، الديمقراطية السليمة .. فيه ديمقراطية مزيفة فى العالم .. ومضحكة .. ديمقراطية الرجعية .. فطبعا احنا قلنا انه لا يمكن أن تكون هناك ديمقراطية سياسية الا على أساس ديمقراطية اجتماعية .. ديمقراطية اجتماعية معناها سيطرة الشعب على وسائل الانتاج ولا يمكن أن تقوم ديمقراطية على سيطرة قلة تملك المال . الكلام ده اتكلمنا فيه كثير وقاله الميثاق .. وتحكم بقوة المال وبقوة ما يشتريه المال من الدمار .. لا يمكن أن تقوم ديمقراطية اجتماعية على هذا الأساس .. ديمقراطية سياسية سليمة معناها ديمقراطية اجتماعية سليمة .. حققنا حاجتين .. حققنا الديمقراطية الاجتماعية التى حققتها عمليات التحويل الاشتراكى الواسعة ومبادىء تكافؤ الفرص بين الناس وتذويب الفوارق بين الطبقات .. حققنا بفكرة الاتحاد الاشتراكى الذى يضم تحالف قوى الشعب العاملة ... صاحبة الحق فى الثورة والمصلحة .. صيغة سليمة لاطار الديمقراطية السياسية اللى هى الديمقراطية الاشتراكية .. ولكن فاضل شىء ثالث .. ما زال ينقصنا وهو ضرورى .. تنقصنا الممارسة الكاملة وفى ايدنا الأدوات .. ينقصنا الحوار العميق فى داخل الاتحاد الاشتراكى ..

مؤتمرات الاتحاد الاشتراكى

وأنا تابعت مؤتمرات الاتحاد الاشتراكى فى الوحدات الأساسية .. المؤتمرات التى عقدت أخيرا وكان فيها حياة وفيها حيوية وفيها نبض .. يجب أن نجد الوسيلة التى تجعل هذا النبض يرتفع كصوت .. وأهم من مجرد

ارتفاعه أنه يؤثر فى الحوادث ٠٠ ليست الديمقراطية السياسية الحقيقية والمعبرة عن الديمقراطية الاجتماعية الحقيقية أن نجعل الناس ينفسون عن شكواهم، ولكن الديمقراطية السياسية الحقيقية هى أن نجعل الناس يغيرون بارادتهم ما يريدون تغييره ٠٠ يغيروا ٠٠

هل وصلنا الى هذا لغاية دلوقت ٠٠ لسه ما وصلناش ٠٠ ولا زالت مسألة الديمقراطية مسألة علينا أن نضع لها أساس ونضع لها تقاليد ٠٠

احنا قبل ٢٣ يوليو كان فيه برلمان ، ولكن هذه الديمقراطية كانت ديمقراطية زائفة لأنها كانت ديمقراطية الدكتاتورية ٠٠ دكتاتورية الرجعية ، وديمقراطية تمثل دكتاتورية تحالف الاقطاع مع رأس المال ٠٠

عايزين نقيم الحياة الديمقراطية السليمة وفعلا مش هانقدر نقومها أوتوماتيكيا ٠٠ هاتعوز مننا جهد وبناء علشان فعلا الشعب يستطيع ويتمكن من أن يغير بارادته ما يريد أن يغيره ٠٠ وموضوع لازم توجد له حل فى مؤتمرات هانعقدها ٠٠ مؤتمرات الاتحاد الاشتراكى وفى داخل الاتحاد الاشتراكى ٠٠ وفى المؤتمر القادم للاتحاد الاشتراكى قدامنا حاجتين ٠٠ ندرس ظروف الانتاج ثم ندرس كفالة الممارسة الديمقراطية على أوسع الحدود وأكثرها تأثيرا ٠٠

طبعا فيه فرص قدامنا النهاردة لغاية ما نعمل مؤتمر الاتحاد الاشتراكى نستطيع ان احنا بنعمل مؤتمرات للفلاحين ومؤتمرات للتعاونيين ٠٠ وكنا بنعمل مؤتمرات للتعاونيين وكنا بنعمل مؤتمرات للفلاحين وكانت بتكون مؤتمرات مفيدة ونستطيع ان احنا نعمل مؤتمرات للعمال ومؤتمرات للمنتجين ورؤساء مجالس الادارة ٠٠ وأعضاء مجالس الادارات ٠٠ كل ده نستطيع ان احنا نتعرف فيه عن المشاكل ونشخصها وفى نفس الوقت بنبحث كيف تمارس الديمقراطية السليمة ٠٠ وأنا باعتبر ان ده أهم عمل لنا فى المستقبل ٠٠ لأن احنا واجبنا كلنا قبل أى شىء فى السنوات القادمة كفالة الديمقراطية الصحيحة فى هذا القطاع الاشتراكى ٠٠

طبعا لست أخشى من أى مشاكل ٠٠ أى مشاكل قدامنا مانخافش منها ٠٠ مشكلة اللحمة بندخل فنشترى لحمة ٠٠ حاجة بسيطة يعنى ٠٠ مشاكل التموين بتتحل ٠٠ مشاكل الأسعار بتتحل ٠٠ طبعا فيه آلاف المشاكل لا بد ان احنا نواجهها بصراحة ٠٠ مشكلة الذرة فى الريف لازم نحلها ٠٠ بنستورد ذرة وبنحاول نزود الانتاج ٠٠ مشاكل الانحرافات بتتحل ٠٠ مشاكل التعقيدات المكتبية بتتحل ٠٠ وكل الحاجات دى من السهل حلها ٠٠ ولكن صمام الأمان الدائم لكل هذه المشاكل ان نحقق الديمقراطية السليمة زى ما قال عليها الميثاق ٠٠

واحنا حققنا كتير ٠٠ حققنا الاستقلال ٠٠ وحققنا مكانة دولية ٠٠ أصبحنا طليعة لأمتنا العربية ٠٠ نقلنا الثروة الوطنية الى الشعب ووضعنا وسائل الانتاج تحت سيطرة الشعب ٠٠ وضعنا ضمانات الديمقراطية الاجتماعية ٠٠ حددنا أهداف الانتاج ٠٠ صممنا على مضاعفة الدخل فى عشر سنوات ٠٠ الشعب قام بجهود جبارة ٠٠ يبقى لم نستطع أن نعجز عن أن نضع أسس الديمقراطية السليمة ٠٠ لأن أساس الديمقراطية السليمة ان تتأكد سلطة الشعب السياسية بالتنظيم السياسى ٠٠ فوق كل الأجهزة أو كل جهة ادارية ٠٠ فوق الحكومة وفوق أى فرد ٠٠

ده ضمان استمرار النظام الاشتراكى ٠٠ ده ضمان استمرار تحالف قوى الشعب العاملة ٠٠ المسألة ليست أن نحقق الحرية الاجتماعية ولا يكون لها التعبير السياسى عن سلطتها ٠٠ معنى ذلك أن الحرية الاجتماعية حتكون باستمرار تحت رحمة الظروف أو تحت رحمة الحاكم وهذا خطير ٠٠ الشعب أمل استطاع أنه يحقق الحرية الاجتماعية لا بد ان يستكمل الطريق الى نهايته ٠٠ وانا أعتقد ان ده قد يكون شغلنا الشاغل ٠٠ وشغلنا الأساسى فى الاتحاد الاشتراكى العربى اللى يجب ان يتحرك ويقوم بنشاط كبير كجهاز سياسى ٠٠

الديمقراطية السياسية حوار جاد ومسئولية

ومواجهة لمشاكل من الداخل ·· » طبعا طولت عليكم شوية » ·· يعنى احنا بنتكلم هايقولوا طبعا ان أنا باتكلم ·· هايقولوا ان احنا معندناش ديمقراطية وان ده عبد الناصر ·· اعداءنا وبكره نسمع اذاعة اسرائيل وهوواقف بيقول لهم اعملوا ديمقراطية سياسية وده كلام ·· أنا باعتبر ان احنا مايهمناش أبدا هذا ·· اللى عايز يقول ·· يقول ·· بقالهم ١٢ سنة بيقولوا واخدنا على هذا الكلام ولم نتأثر به ·· ولكن اللى هايفضل اللى احنا هانعمله حقيقى ·· التقاليد اللى احنا بنوضعها والأسس اللى احنا بنوضعها ·· اذا عملنا فعلا نظام اشتراكى وحطينا فيه الديمقراطية السليمة ووضعنا أسس لهذه الديمقراطية السليمة ·· وحلينا مشاكل الديمقراطية الاجتماعية والديمقراطية السياسية يبقى عملنا عمل كبير جدا ·· طبعا أهداف الاشتراكية والديمقراطية السليمة التى يهدف اليها المجتمع الاشتراكى مش ممكن ان احنا نحقق ده بأسرع ما يمكن ·· طبعا لا اذا اصبح أعداء الاشتراكية فى حالة عجز عن خلق العقبات والمتناقضات فى الحياة الاجتماعية الداخلية ·· وفى نفس الوقت تدعيم السلاح الرئيسى لنضال الشعب العامل وهو تطوير الديمقراطية الاشتراكية ·· وفى نفس الوقت هذا التطوير يجب أن يكون متصل لأنه هو أساس بناء الاشتراكية ·· الديمقراطية الاشتراكية يجب أن تكون هى الاطار السياسى للعلاقات الاجتماعية التى تنشأ وتتطور على أساس فى نصيب عادل من الثروة الوطنية هذا من الميثاق ·· ويتخلص من كل قلق يبدو أمامه أو أمام مستقبله ·

طبعا نقطة أساسية الديمقراطية لا يمكن ان تتحقق فى ظل سيطرة طبقة من الطبقات · هى سلطة مجموع الشعب وسيادته ·· الديمقراطية الاشتراكية معناها ان سلطة المجالس الشعبية المدخرة يجب أن تتأكد باستمرار وفوق سلطة أجهزة الدولة التنفيذية ·

الديمقراطية الاشتراكية

الديمقراطية الاشتراكية معناها تقل سلطة الدولة تدريجيا الى أيدى السلطات الشعبية فانها أكثر على الاحساس لمشاكل الشعب واقدر على حسمها ·· هذا الكلام موجود فى الميثاق كله وانا كاتبه من الميثاق ·· ولكن عايزين ننفذه سيطرة الشعب على وسائل الانتاج الديمقراطية الاشتراكية معناها مشاركة الجماهير فى القضايا السياسية الديمقراطية الاشتراكية تعتمد أساسا على اللامركزية والادارة اللامركزية والادارة الذاتية ··

كل طبعا ماهنعمل مركزية كل ماهنعمل فى البيروقراطية ·· وكل مانعمل لامركزية وادارة ذاتية كل ما نتحول الى الديمقراطية الاشتراكية هى أن يصبح كل فرد فى الشعب العامل سيد مصيره ·· الديمقراطية الاشتراكية هى توكيد سياسة الشعب العامل ووضع السلطة فى يده ·· الديمقراطية الاشتراكية أن يتحرر المواطن من الاستقلال فى جميع صوره وأن تكون له الفرصة المتكافئة وعايزين فعلا نمكن تحالف قوى الشعب العامل تحالف فعال ·· وعايزين نخلق تجربة اشتراكية ديمقراطية فعلا فريدة فيها الديمقراطية الاجتماعية وفيها الديمقراطية السياسية ·

طبعا بالنسبة للمشاكل الحالية الحكومة بتعمل جهدها على أنها تعيد الأسعار الى ما كانت عليه فى سنة ١٩٦١ ··

قطعا ·· ده حيحتاج ان احنا نضحى ··· خنسقط بعض حاجات علشان نشترى بعض حاجات ·· بس مش حنشطب من الانتاج · لأن اذا شطبنا الانتاج يبقى بالتالى عندنا ناس عاطلين نبص نلاقى قاعدتنا من ناحية الثروة الوطنية قاعدة ضعيفة ·· واحنا زى ما قلنا فى سنة ١٩٦١ قابلتنا مشكلة القطن ·· وحصل عندنا عجز وفيه اضافات ·· أعباء فى الدفاع أيضا اتحطت علينا ·· ولا بد ان احنا نتحملها ·· طبعا بالنسبة أيضا للمشاكل الموجودة اللى هى الاستيراد ·· طبعا فيه مشاكل موجودة خاصة بالاستيراد وخاصة بالعملة الصعبة ·· كل هذا بيحل النهاردة كل مسألة على حدة ·· مفيش داعى ان احنا نخفى راسنا فى الرمل وبنواجه الأمور وبنحل هذه المشاكل ·· السلع طبعا أسعارها ما ارتفعش وطبعا مش عيب ان احنا نخفض بعض البنود علشا نوفر بعض البنود وعشان نسهل المعيشة

رغم ان احنا أرخص بلد برضه فى العالم فيه بلاد كتيرة خفضت٠٠فيه بلاد كبيرة بتستلف ٠٠ يعنى انجلترا مستلفة ألف مليـــون دولار لسه الاسبوع اللى فات من صـــندوق النقـــد الدولى علشان توازن ميـــزان المدفوعات ٠٠ وتحافظ على قيمة الجنيه الاسترلينى ٠٠

ومرينا احنا بمشاكل كثيرة ٠٠ مرينـــا بمشاكل معقدة ٠٠ وحليناها ٠٠ المشاكل اللى احنا بنمر بيها النهاردة هى مشاكل التنمية فيه ناس بتسميها أمراض التنمية ٠٠ لازم نكون منتظرين ان احنـــا تقابلنا باســـتمرار مشـــاكل ولكن لا بد ان احنا نعرف هذه المشاكل ونحل هذه المشاكل ٠

فى ظروف سنة ١٩٥٦ وسنة ١٩٥٧ مرينا بظروف أصعب بكتير جدا من الظروف اللى مرينا بيها ٠٠ لكن تحملنا ٠٠ شعبنا مستعد ان يتحمل ٠٠ ولكن لا بد له ان يفهم ٠٠ يعنى بنفهم وبنتصل بيه ٠٠ وطبعا قدامنا تحديات كبيرة ٠٠ لازم نقابل هذه التحديات ٠٠ تحقيق كفاية أكثر وعلاقات أدق للانتاج وظروفه سواء بالنسبة للقطاع العام أو الخـــاص ســـواء للمؤســـســـات أو للأفرد ٠٠ ثم تحريك عملية الممارسة الديمقراطية الى الحد الذى يجعـــل سلطة الشعب وهى سلطةنرى من واجبنا لازم نعملها ٠٠ اذا استطعنا فى السنين القـــادمة وأظن ان احنا نستطيع أن نجـــابه هـــذه التحديات نكون فعـــلا اجتازنا مرحلة التعرض للخطر ٠

أما المشاكل الطارئة ٠٠ والكلام فده ســـهل وبسيط جدا ٠٠ بعشرة مليون جنيه تتحـــل خمسين مشكلة ٠٠ بدل ما احنا مقرطين فى الاستيراد بنستورد اكثر ٠٠ تنفض فى بعض البنود وتزود فى بعض البنود ٠٠ أما اذا حلينا هذه التحديات وحلينا هذه المشاكل فعلا حنكون قدرنا على ان احنا سنبنى بلـــد صلب قوى وقاعدة قوية لجدار الأمة العربية والأمم المتحررة والعمل فى المجال العالمى من أجـــل الحـــرية والتقدم ومن أجل السلام ٠٠

قد يكون كلامنا طويل ٠٠ ولكن زى ماقلتلكم احنا معاكم فى الاتحاد الاشتراكى على اساس انكم الهيئة البرلمانية للاتحاد الاشتراكى ٠٠٠ ومستعد نتناقش ٠٠ ونتكلم فى أى مواضيع ٠٠ وكل واحد فيكم بيجهز هذه المواضيع ٠٠ اللى عنده مواضيع عايز يتكلم فيها يمكن يديها للاخ أنور مســـتعدين نسمع منـــكم المشاكل لأنكم جايين عن الناس ومتصلين بها ٠٠ ونعمل كل مافى جهـــدنا لحل هـــذه المشاكل وفى نفس الوقت بنعرف موقفنا فين وحنقف فين ٠٠

والنهاردة طبعا هذه الكلمة اللى انا قلتهـــا أقصد منها ان مرحلة الانطلاق تقتضى مننا أكثر من مرحلة التحول ٠٠ وحتقابلنا مشـــاكل وحتقابلنـــا تعقيـــدات ما نتخضش ٠٠ أو مانرتبكش ٠٠ ومانخافش ٠٠ كل المشـــاكل حنحلها ٠٠ المهم ان احنا نبنى بلدنا ومنخليش فيه عاطلين وكل واحد يعمل ويزود انتاجنا ٠٠ ومش قادرين نزود فى الزراعة الا حاجـــة محددة ٠٠ لازم نزود فى الصـــناعة ٠٠ لازم نعرف ان مرحلة الانطلاق ليست تكملة تلقائية لمرحلة التحول ٠٠ لازم نعرف ان فيه أمراض لمراحل التنمية وبتظهر ٠٠ لازم نعرف ان احنا لا بد ان نضاعف الدخل القومى فى عشر سنوات والا حنتعب بعد كده ٠٠ وحيبقى بلدنا فيها عدد كبير من الناس مالهمش موارد رزق ٠٠ وحيبقى فيه انخفاض مستمر فى مســـتوى المعيشة ٠٠ مفيش ارتفاع فى مستوى المعيشة ٠٠ فى كلامى معاكم أنا انتقـــدت حاجات بـالنسبة للحكومة وبالنسبة للدولة فى نفس الوقت مش عيب ان احنا نمارس النقد ونمارس النقد الذاتى ٠٠ لأن احنا باستمرار بنتعـــود نرى ما قال الميثاق على النقد والنقد الذاتى ٠٠ واذا كان فيه غلط بنقول أيوه ٠٠ وبنصلح هذا الخطأ ٠٠ اذا كان فيه مشاكل بنقول اه ٠٠ فيه مشاكل وحنحلها ٠٠ واحنا مش شغلتنا ولا شغلة الحكومة ان انتم تيجوا هنا وتقولوا لها فيه مشاكل تقول لا مفيش مشاكل ٠٠ فيـــه مشاكل ٠٠ اه ٠٠ لازم نعترف بوجود هـــذه المشاكل وحل هذه المشاكل ٠٠

وبهذا نستطيع ان احنا نعمل عمل مثالى ٠٠ طبعا حنحارب مع طبيعتنا ٠٠ بنحارب مواردنا ٠٠ بنحارب مع أنفسنا عشان نطوع كل الدنيا اللى أمامنا وفى المستقبل ٠٠

وأشكركم ٠٠ وأتمنى لكم التوفيق وشكرا٠ والسلام عليكم ٠٠

باب
الرياضة

اندونيسيا

فى عالم الرياضة

عندما قرر الاستاذ محمد توفيق عويضة السكرتير العام للمجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، بعث حركة رياضية فى مدينة البعوث الاسلامية . بعد تولى المجلس الاعلى الاشراف عليها ، رايت أن أعرض هنا سلسلة عن الرياضة فى الدول الاسلامية تفيد طلبة البعوث الاسلامية من ناحية اخبارهم بما جد واستحدث فى بلادهم التى هجرها فى سبيل العلم معظمهم ، وتوقفهم على المناورات الاستعمارية التى تقوم بشن هجمات مضادة ضد تقدم هذه الدول من الناحية الرياضية ايضا .

ومن جهة أخرى يعرف شبابنا العربى مدى التقدم الذى أحرزه الاخوة الاشقاء فى بلادهم، بعد أن أصبح للدول الاسيوية والافريقية كيان فى مجال الرياضة الدولى ، وفى الاولمبياد الحديث .

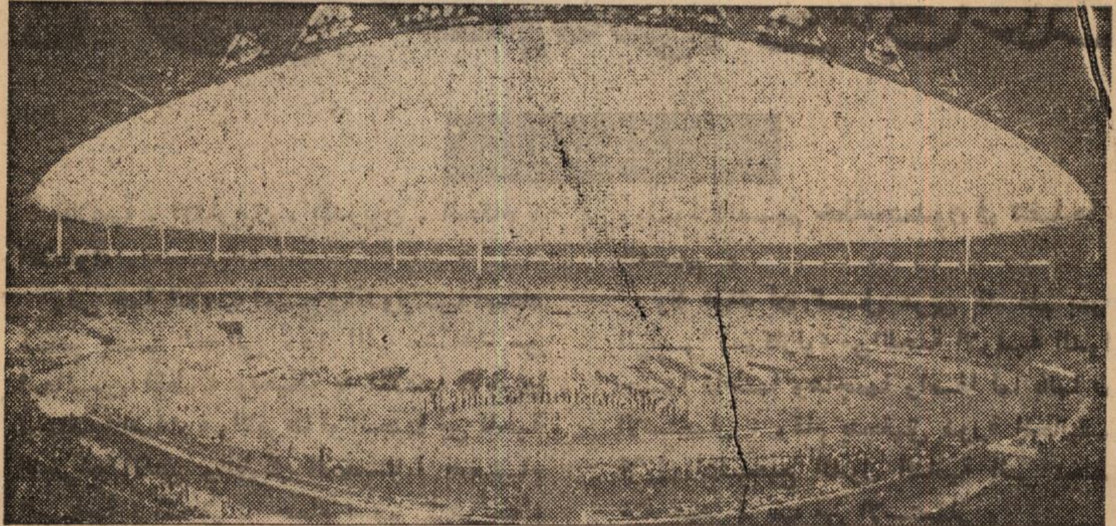

استاد جاكارتا الذى افتتحه الرئيس سوكارنو عام ١٩٦٢ ، يعتبر من احدث الاستادات الرياضية فى العالم .. انه مغطى من جميع جهاته عن ارض الملعب فقط ..

الرياضة قوة وشجاعة

الأستاذ ناصف سليم

وسأبدأ اليوم هذه السلسلة بالحديث عن الرياضة فى أندونيسيا ، وهى كبرى الدول الاسيوية التى تناوىء الاستعمار ، وتوقف نشاطه فى ميدان الرياضة .

كنت هناك

لقد عشت فى اندونيسيا شهرا ، قضيت معظمه فى جاكارتا ، حيث أقيمت دورة الجانيفو (الدول النامية) وشهدت هناك مع اخوانى الصحفيين نهضة وثابة لم نلمسها فى بلد اسيوى قبل ذلك .. نهضة تضارع ما قامت به اليابان فى سبيل الاعداد لدورة طوكيو الأولمبية ، ورأينا هناك أن رياضة الكرة الطائرة تحتل شعبية كبيرة بين جميع الافراد ، وكذلك رياضة السباحة التى تأتى فى المقام الاول . وأصبحت كرة القدم هناك الآن لا تقل شعبية عما نجده هنا فى بلادنا .

وقد اشتركت اندونيسيا فى هذه الدورة بجميع اللعبات الرياضية ، ونافست فى كل البطولات ، وخرجت بنتائج تتفق وتعدادها الكبير الذى يبلغ ١٠٠ مليون نسمة تقريبا .

على ان الذى يلفت النظر ان اندونيسيا قد استكملت عناصر نجاح النهضة الرياضية وهى :

الملاعب . الاداريون . المدربون . الحكام . اللاعبون .

ومن جهة الملاعب أصبح فى أندونيسيا استاد ضخم يتسع لحوالى ١٥٠ الف مشاهد من الجالسين فقط ، ويحيط به الملاعب الاخرى لمختلف اللعبات ، واظهرها او اعجبها من ناحية الاخراج الفنى والطراز الحديث : حمام السباحة ، الملحق به حمام صغير للتدريب ، اذا كان الحمام الكبير مشغولا بالمسابقات . وصالة الجمنازيوم ، وقد جهزت بأحدث الاجهزة . وعدد من ملاعب كرة السلة والكرة الطائرة .

ويبعد عن الاستاد الكبير وملحقاته بناءات القرية الاولمبية التى أقام فيها أثناء الدورة وفود ٥٢ دولة ، وهى مجهزة بالأثاث البسيط فى صنعه ، وكل بناء منها مستقل عن الآخر ، وقد علمت ان الرئيس سوكارنو قد أمر باستغلال هذه القرية النموذجية لصالح الشعب بعد انتهاء الدورة .

ومن ناحية الادارة ، شاهد الجميع هناك أطفالا تقل أعمار كل منهم عن اللاعبين يقومون بالتنظيم ، وقد دربوا على النواحى الادارية المختلفة ، بحيث كنت تشاهد الاستاد الكبير يملأ ويفرغ دون حدوث أى شغب أو خلل بالنظام .

كما رأينا أندونيسيا تعد حكاما للمستقبل، شاركوا جميعا فى دورة الجانيفو الأول .

وأما اللاعبون ، فهناك عدد وفير يمارس الرياضة فى سن مبكرة مناسبة ، يبشر بمستقبل حافل بالبطولات فى هذه الدولة الكبيرة .

كل هذا فى اندونيسيا اليوم سيأتى ثماره فى القريب العاجل ، لأن رجال اندونيسيا رسموا لانفسهم خطة يعتمدون فى تنفيذها على انفسهم .

ولا شك أن كل عربى قد علم بموقف الرئيس سوكارنو، من اللجنة الاولمبية الدولية، حينما قاطعها وهاجمها واصفا لها بانها تمثل الاستعمار ، وقام بتحقيق دورة الجانيفو الأول لتشجيع الدول النامية التى تخلصت منذ عهد قريب من الاستعمار .

وكانت الجمهورية العربية المتحدة مناصرة مؤازرة لاندونيسيا وشعبها فى كل مواقفه ،

واخذت على عاتقها تنظيم دورة الجانيفو الثانى عام ١٩٦٧ بالقاهرة بالرغم من انه سيتكلف أكثر من مليون جنيه ، وسيكون عدد الدول التى ستشترك فيه عندنا أكثر مما اشترك فى الجانيفو الاول ، لأن الوضع الجغرافى لبلادنا يساعد الدول على السعى الى دورتنا .

الرياضة : قوة .. وشجاعة ..

عندما كان المعارضون للدعوة الاسلامية يتفننون فى أنواع الايذاء للمجاهدين الصابرين بدأ الرسول وأصحابه يقاومون عنف المتكبرين بالاقناع والقوة .. كانوا على أتم الاستعداد من الناحية النفسية والناحية البدنية .. لأنهم داعون الى الحق ، ومن الناحية البدنية لأنهم تحلوا بالقوة الجسمية والصلابة التى لا يتحلى بهـا المترفون المنعمون « وذرنى والمكذبين أولى النعمة ومهلهم قليلا » فقد عرف أن أولى النعمة تلين قناتهم عندما يهاجمون ، ويفزعون من كل شىء .

« واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم كانهم خشب مسندة ، يحسبون كل صيحة عليهم هم العـدو ، فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون »

لذلك لم تكن قوة الجسم وحدها كافية للنضال والعراك ، ولكنها تتطلب الشجاعة وقوة البأس ، واذا كانت الرياضة فى العصر الحديث قد اعتمدت فى كل فنونهـا على الشجاعة . فان الاسلام كان سباقا فى تعاليمه التى بينت لنا واوضحت ان الشجاعة لا بد منها فى كل ميدان يشتد فيه البأس .

وقد كان سلوك رسول الله صلى الله عليه وسلم نماذج عليا لأتباعه واصحابه ، فقد كان يهتم بالناحية الجسمية وتقويتها ، ويحث على الرياضة البدنية كى يمارسها المسلمون . وفى مسند احمد وسنن أبى داود من حديث لعائشة :

سابقنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقته ، فلبثنا ، حتى اذا ارهقنى اللحم سابقنى فسبقنى ، فقال : هذه بتلك .

وهذا السباق فى الأرض الفضاء ، يسمى الآن سباق العدو ، وهو احد فروع مسابقات العاب القوى ، التى توعها قانون الرياضة حاليا ، فجعلها مقسمة الى مسافات ، فهناك سباق الـ ١٠٠ متر والـ ٢٠٠ متر والـ ٤٠٠ متر والـ ١٠٠٠ متر و ٥ آلاف متر و ١٠ آلاف متر ، ثم سباق الماراثون لمسافة ٤٢ كيلو مترا .

هذا عدا سباقات الحواجز والتتابع فى هذا المضمار .. والرمى بانواعه . وفى الدورات الاولمبية والاقليمية تخصص لكل سباق ثلاث ميداليات للفائز الاول ميدالية ذهبية ، وللثانى ميدالية فضية ، وللثالث ميدالية برونزية .

لكن الرسول صلى الله عليه وسلم هدانا الى هذا اللون من الرياضة الذى يطلق عليه الرياضيون الآن : أصل الالعاب .

فكل رياضة فى الدنيا قديمة أو حديثة تعتمد على الجرى والسرعة وخفة الجسم . ولذلك نجد السيدة عائشة رضى الله عنها تقول : **حتى اذا أرهقنى اللحم سابقنى فسبقنى وهذا يفيد أن ثقل وزن الجسم ليس فى صالح الانسـان بصفة عامة ، والرياضى بصفة خاصة .**

وكان صحابه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتسابقون بغير رهان ، وشاعت هذه السباقات بين الناس ، وكان يعرف من هو الرجل الذى لا يسبق ، اى من هو بطل المدينة او القبيلة أو الجهة .

وفى صحيح مسلم عن سلمة بن الاكوع قال :

بينما نحن نسير ، وكان رجل الانصار لا يسبق أبدا ، فجعل يقول : ألا من مسابق .. هل من مسابق » فقلت : اما تكرم كريمـا وتهاب شريفا » قال : لا ، الا أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : قلت : يا رسول الله ، بابى انت وأمى ، ذرنى أسابق الرجل ، فقال : ان شئت ، فسبقته الى المدينة .

كانت هذه السباقات كلها على الاقدام بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهى فى عصرنا الاسـاس الاول لكل رياضى يريد النبوغ ، وانتم تطالعـون دائما فى أبواب الرياضة بالصحف تعليق النقاد الرياضيين والفنيين على المباريات بمختلف انواعهـا

فيقولون مثلا فى أسباب هزيمة فريق من آخر :

كان لاعبو هذا الفريق أقل سرعة من الفريق الآخر ، لذلك حقت عليهم الهزيمة .. وكان هذا اللاعب بطيئا ، فلم يستطع ان يعدو خلف الكرة التى وصلته من فلان .

وهكذا كانت السرعة عاملا أساسيا فى كل لعبة ، فى كرة القدم .. وكرة السلة ، وفى الكرة الطائرة ، وكرة اليد ، وتنس الطاولة وغيرها من اللعبات المستحدثة ، ولا تعجب اذا قلت لك أن السرعة مطلوبة أيضا فى رياضتى رفع الاثقال والمصارعة وهما فى ظاهرهما بعيدان عن ذلك ، لكن الواقع يقول :

ان المصارع السريع يستطيع ان ينفذ فكرة عاجلة ليصرع خصمه بحركة سريعة خاطفة ، ورافع الثقل لا بد أن يكون سريع الحركة ليخطف الحديد من فوق الارض بسرعة عندما يثنى وسطه ليصبح « الحديد » مرتكزا على أذرعه المستقيمة الى أعلى ، فيسهل حمله، أما اذا كان بطيئا ، فان الحديد يأخذ ذراعيه ويهبط الى الأرض .

كل هذه الفوائد نأخذها من السرعة فى الحركة ، والسرعة فى الجرى ، وقد ارشدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى العدو الذى يحقق للانسان سرعة فى الجرى والحركة .. خاصة اذا حافظ على وزن جسمه فلم يترهل ، وذلك يكون بالتخفيف من وجبات الطعام ومزاولة رياضة العدو ، فاذا لم تكن هناك قدرة على الجرى بحكم كبر السن ، فالمشى يؤدى الفائدة الصحية للجسم، وان كان لا يؤدى الى البطولة .

بقى بعد ذلك الشق الثانى من صفات الرياضى ، وهو : الشجاعة ، وهى صفة ضرورية لكل لاعب تعتمد عليه أمته فى تمثيلها، وكثيرا ما يتوقف النصر عليها ، لأن اللاعب الذى يجبن فى المعركة لا يمكن ان يحقق هدفه .

فهناك — مثلا — من يقفز بالزانة من ارتفاع مخيف يريد أن يتخطى حاجزا ، فلو تصور ان الزانة قد تكسر ، أو ربما سقط على أرض صلبة ، لا يمكن أن يحقق الفوز ، وهناك فى ميدان الكرة من يرى الكرة قريبة من قدم منافسه المندفعة اليها ، فلو دخل فى روعه ان قدم منافسه قد تصطدم برأسه ، لما نال مأربه وسجل هدفا ، ورافع الثقل لو تخيل أن عمود الحديد الذى يحمل من جهته حوالى ٢٠٠ كيلو جراما قد ينكسر وهوفى أعلى ارتفاع لخارت قواه وعجز عن تحقيق الغرض المطلوب وترك لمنافسه الشجاع فرصة الفوز .

وفى كل ضرب من ضروب الرياضة تجد الشجاعة صفة مطلوبة تماما كما تطلب القوة الجسمية ، واذا رجعنا الى سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام لوجدناه أشجع الناس، فهو لم يكن قوى الجسم فحسب ، بل كان فارسا شجاعا . يتقدم أصحابه فى المعارك ، وقد روى فى الصحيحين من حديث ثابت عن انس قال :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس ، وأجود الناس ، وأشجع الناس ، ولقد فزع أهل المدينة ليلا فركب فرسا لأبى طلحة عريا ، فخرج الناس فاذا هم برسول الله قد سبقهم الى الصوت قد استبرأ الخبر ، وهو يقول : لن تراعوا .

وقال ابن عمر : ما رأيت أشجع، ولا أنجد، ولا أجود ، ولا أرضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال على بن ابى طالب : انا كنا اذا اشتد بنا البأس ، واحمرت الحدق اتقينا برسول الله ، فما يكون احد اقرب الى العدو منه ، ولقد رأيتنى يوم بدر ، ونحن نلوذ بالنبى عليه السلام وهو اقربنا الى العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأسا » .

وللرسول مواقف كثيرة أخرى فى ميدان الجهاد تثبت قوته وشجاعته ، وحسب شبابنا اليوم أن يقتدى به ، ويقف على هذه النماذج البطولية الرائعة ليكون سباقا فى كل ميادين البطولة والجهاد .

ب المرأة

مع أول مصرية تعتنق الإسلام

أضواء على سيرة السيدة مارية القبطية

إعداد
عائشة حسنى

أرسل الله محمدا هدى ورحمة للعالمين وكان من الطبيعى أن يبدا بقومه اذ يدعو الى اسلام الناس جميعا ، وخاصة اننا نعلم أن المجتمع العربى قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم كان يقوم على النظام القبلى ، فكانت كل قبيلة تبعا لشيخها ورئيسها تأتمر بأمره وتسلم برأيه وتطمئن لحكمه ، اذ كان الاختيار دائما يتجه الى احكم واكرم واعقل وافضل رجل فى القبيلة ليكون على راسها يتولى أمرها ، ويحافظ على كيانها .

والمجتمع العربى وان قام على النظام القبلى ، وهذا النظام ــ وان كان من بعض سماته النعرة القبلية والتعصب لما هو فى صالح القبيلة ، الا أن الغالب الأعم انه كان مجتمعا يقدس الحرية ويفتدى هذه الحرية بكل ما فى الوجود بل بوجوده كله .

وحينما بدأ النبى يدعو العرب الى الاسلام بادر بالايمان به وباتباعه نفر مستقل متحرر من متابعة قبيلته فى الحق والباطل ليطمئن لما يهديه اليه عقله السليم يستثمره وينتفع به فيهتدى به الى صراط مستقيم .

ونفر آخر كان فى عداد الرقيق الذى كان نظامه يسود العالم ويعتبر شيئا غير ذى نقد حتى مبعث محمد صلى الله عليه وسلم ، فوجد هؤلاء فى دعوة محمد المساواة بين أفراد الأسرة الانسانية ، وتحقيق التكافؤ التام بين الناس جميعا ، وجعل التفاضل على اساس الايمان والعلم والعمل الصالح ، فالناس سواسية كأسنان المشط ولا فضل لعربى على عجمى ، ولا لأبيض على أسود الا بالتقوى .

ومن الطبيعى اذ تصل دعوة الاسلام لكل قبيلة ، أن تتداول فى أمر هذه الدعوة الجديدة . ومن الطبيعى أن يتجه الراى فيها الى اليمين أو الى اليسار ، والحاسم على كل حال هو رأى رئيس القبيلة فلو آمن ، تبعته قبيلته ، وكانوا جميعا على قلب رجل واحد ، ذلك لأن الرجل العربى سليم الفطرة اذا هدته فطرته واطمأن قلبه الى الحق ، انشرح به صدره ، واندفع منطلقا لا يقف فى سبيله شىء ، أما اذا كان فى قومه رؤوس لا تريد هذا الذى يطمئن قلبه به ، طواه فى نفسه حتى حين حفاظا على وحدة قبيلته أو لعل شيخها يؤمن أو لعل اجله المحتوم يذهب به من طريقها . وهذا هو الذى شاهدناه حين طوى الموت صناديد الكفر فى مكة من امثال أبى لهب وأبى جهل والوليد ، رأينا امثال خالد وعمرو بن العاص يدخلون فى دين الله أفواجا .

ولقد اذن للرسول بصفة خاصة ، ومن أجل مصلحة عامة ، ان يتزوج وان يجمع بين اكثر من اربع ، اذ ان أزواجه كن العدسات الموجهة من جميع الجوانب والزوايا

والاتجاهات الى شخصيته ، تنقل الصورة الحية المتحركة المتكاملة فى كل وقت وفى كل أحيانه لشتى المجتمعات عربية وغير عربية ، فاذا ما وجدته مثال دعوته وعنوان رسالته ومصداق مقالته ، ووجدت فيه المثل الأعلى والانسان الكامل ، اتبعته على هدى ، وآمنت بعين بصيرة .

وشأن المرأة انها تنوء بكتمان السر ، وان فضولها يجعلها تتبع ما وراء الاستار تسترق الأخبار وتستشف الأسرار ، حتى ما يكون من خاصة شأنها مع زوجها فانها قد لا تصبر طويلا على كتمانه ، ولنا على ذلك شواهد كثيرة ، منها ما كان من بعض ازواج النبى « واذ أسر النبى الى بعض ازواجه حديثا فلما نبأت به واظهره الله عليه عرف بعضه واعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من انبأك هذا قال نبأنى العليم الخبير » ومنها النسوة اللائى اجتمعن مع أم زرع ، وقد تعاهدن جميعا على التكلم بصراحة عن زوجها وخصائصه ، وما يريحها من معاملته وما يضايقها .

كما أن أمورا هى أخص بالمرأة وأولى بها ان يرجع اليها فى مثلها ، لم يكن حياء النبى مع عفته ونزاهته واستقامته ليجعله يفضى فيها الى النساء مباشرة وفى صراحة ووضوح يسر فهمها على النساء فكان من الطبيعى وليس بين الرجل وزوجته الحياء الذى يكون بينه وبين غيرها من الاجنبيات عنه أو حتى القريبات منه ، كان من الطبيعى أن تتلقى زوجات النبى عنه كل ما يخص المرأة من تعاليم الاسلام وان يتناقشن معه فى صراحة تامة تنتهى بالفهم والاقناع والانطلاق الى تعليم بقية النساء دون ما حرج .

والى ما تقدم يمكن اضافة الاعتبارات القبلية والقومية والسياسية فى جمع الكلمة العامة لهذا المجتمع العربى ، ليكون فى ظل الإسلام خير امة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله .

على ضوء هذه المقدمات ، يمكن أن نفهم لماذا تزوج الرسول من امرأة يهودية وهى السيدة العظيمة صفية أم المؤمنين رضى الله عنها ، ولم يمنعها اسلامها ولا زواجها من رسول الله من صلة رحمها بشتى الوسائل المشروعة ، لقد كان هذا الزواج العدسة التى يمكن اليهود من خلالها رؤية محمد صلى الله عليه وسلم على حقيقته ، فهى اما مبقية على يهوديتها وعقيدتها متسترة بالاسلام حاقدة على نبى الاسلام بسبب القتل التى وقع فى قومها وأهلها فتنقل الى عشيرتها أى عيب أو الى مآخذ يمكن أن تكون سلاحا فى أيدى اليهود يشهرون به وينالون من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا ما لم يقع ، لأن ما ورد الينا من سيرة صفية رضى الله عنها ينزهها من أى شك فى عقيدتها أو يقينها وايمانها بالاسلام . وهى بحكم حبها واخلاصها لقومها لابد ناصحة لهم على ضوء ما وجدته من حقيقة النبى ، باذلة لهم الرأى سديدا رشيدا على ضوء ما رأت .

ومثل الذى فهمناه من صفية يمكن ان نفهمه عن **السيدة مارية القبطية** ، رضى الله عنها ، فلقد كان من السهل أن يهبها الرسول الى أحد أصحابه كما فعل باختها سيرين التى وهبها لحسان بن ثابت شاعر الرسول العظيم ، ومارية هذه ، اما ان تكون لعظيم القبط فى مصر عينا على رسول الله ، واما أن تكون انسانة راغبة فى حياة كريمة مستقرة ولا شك ان اخبار هذا النبى وما يتحلى به من **خلق جعلتها تشعر بالسعادة أو الراحة على** الأقل فى البداية اذ أهداها عظيم قومها الى النبى ، وعلى أى الحالين فان هذه العدسة هى الاخرى سوف لا تنقل الا ما هو واقع ، وما كان النبى يحذر نساءه من التحدث عنه ذلك لأنه ملك للبشرية كافة ومن حق البشرية أن تعرف كل شىء عنه حتى يكون ايمانها به لا يخالطه غش أو شك أو ريب . وحتى يكون مثلها الأعلى من العصمة والقداسة والنزاهة ويكون فوق مستوى الظنون والنقد والجدل .

بعد الذى سلف يمكن أن نتعرف على شخصية السيدة المصرية التى أسعدها الله بمعاشرة النبى ورزقه الله منها بابراهيم ، ونرى كيف آمنت هذه السيدة القبطية بالنبى ولم تجد فى تعاليمه أى شىء يخالف ما جاء به السيد المسيح ، ولقد كان المصريون كما هو معروف عنهم أشد شعوب الأرض تدينا واعمقهم ايمانا بالله ، يشهد بذلك تاريخهم المجيد ، وحضارتهم الشامخة .

اسمها ونسبها :

هى مارية بنت شمعون التى اهداها عظيم القبط صاحب الاسكندرية الى رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة سبع من الهجرة مع أختها سيرين ومعهما ألف مثقال ذهبا وعشرون ثوبا لينا وبغلة وحمار وخصى يقال له مابور شيخ كبير كان أخا لمارية .

ولا بد أن المقوقس كان يريد أن يتعرف النبى على شعب مصر فى شخص هذه الفتاة المصرية الصميمة التى كانت من صعيد مصر.

ولقد وجد الرسول فى خصال هذه المصرية ما حببه فيها وفى قومها اهل مصر ، فقد ورد انه صلى الله عليه وسلم قال : « الله الله فى اهل المدرة - التراب - السوداء ، السحم - السمر - الجعاد ، فان لهم نسبا وصهرا » . قال الراوى - نسبهم ان أم اسماعيل منهم ، وصهرهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تسرر فيهم أى من اجل مارية القبطية ام ابراهيم .. ومن هنا يمكن الاطمئنان الى عادات وتقاليد شعب مصر من خلال السيدة مارية ، والاطمئنان الى ايمانه واقترابه من الاسلام ، ولقد وجد الاسلام فى أهل مصر خير اجناد الأرض ، وكانت مصر للاسلام منارته وحصنه الحصين .

ولقد كان حاطب بن ابى بلتعة رسول النبى الى المقوقس عظيم القبط ، وهو الذى حمل هداياه الى النبى ، ونجد حاطب بن ابى بلتعة فى طريق العودة يعرض على مارية الاسلام ويرغبها فيه ويشرحه لها ، فيطمئن قلبها به ، فاسلمت ، وكذلك أسلمت أختها ، **ونستطيع ان نقول من هنا ، ان مارية لها شرف كونها أول مسلمة وأول من آمن من أهل مصر قبل دخول عمرو بن العاص رضى الله عنه .**

مكانة أم المؤمنين مارية القبطية عند النبى :

ولقد كانت مارية للنبى صلى الله عليه وسلم بملك اليمين ، وقد كان هذا النوع من الزواج سائدا ومعترفا به حينذاك ، والاسلام يعترف بحقوق المرأة المترتبة على هذا النوع من الزواج ، ويعترف بنسب ولد الامة الى أبيه ، وتتحرر بولادتها من سيدها.

ولقد كان النبى حفيا بمارية فكان عامة الليل والنهار عندها حتى عز ذلك على عائشة وقد كانت جارة لها ، ثم أسكنها جهة العالية من ضواحى المدينة وكان يذهب اليها هناك ، الأمر الذى زاد من غيرة عائشة ومن ازواج النبى ، وازداد حب النبى لمارية حين ولدت له ابراهيم ، الذى كان شديد الفرح بمولده وشبهه له حتى سماه بالاسم الحبيب لديه باسم جده ابراهيم عليه السلام ..

ولقد كان مولد ابراهيم بعد وفاة ولديه القاسم وعبد الله وهما لا يزالان طفلين فى حجر أمهما خديجة ، وكان النبى قد فقد بناته بعد خديجة واحدة بعد الاخرى بعد أن كبرن وصرن أزواجا وامهات فلم تبق له منهن غير فاطمة . وكما يقول الدكتور هيكل فى كتابه حياة محمد صلى الله عليه وسلم : « هؤلاء الابناء والبنات الذين تساقطوا من حوله فدفنهم بيده تحت صفائح الثرى تركوا فى نفسه قرحة الم اندملت بمولد ابراهيم وائمرت مكانها رجاء وأملا ، وكان حلا لهأن يمتلىء بهذا الأمل غبطة واستبشارا » .. لكن هذا الوليد الذى قرت به عينا أبيه اختطفه الأجل المحتوم بعد ستة عشر شهرا او ثمانية عشر شهرا .. فبكاه الرسول وسالت الدموع منه وهو يقول : « يا ابراهيم لولا انه أمر حق ووعد صدق وان آخرنا سيلحق باولنا لحزنا عليك أشد من هذا .. تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول الا مايرضى الرب وانا يا ابراهيم عليك لمحزونون » .. ويواسى النبى الزوج والاب الام الحزينة

البقية ص ٢٣٣

دور المرأة الفلسطينية

فى المعركة وما قامت به فى سبيل

القضية العادلة وما تقوم به الآن

إعداد : نجاة الزنيرى

قبل الحرب العالمية الأولى وفى أثنائها كانت فلسطين لاتختلف فى شىء عن أى بلد عربى .. كان سكانها سبعمائة الف نسمة ليس فيهم الا ٥٦ الفا من اليهود .. وكان هؤلاء اليهود يملكون حوالى ٢٪ من المساحة الكلية لفلسطين .. والآن .. تبلغ نسبة الأراضى التى اغتصبها واحتلها الصهيونيون المغيرون على فلسطين ٧٧٪ من مجموع الاراض .. ولم يعد عدد اليهود ٥٦ ألفا بل أصبح زهاء مليونين من اليهود المجلوبين الى فلسطين المحتلة من كل بقاع العالم .. اما العرب الذين كانوا يؤلفون ٦٧٪ من مجموع سكان فلسطين حتى عام ١٩٤٨ فقد اصبحوا الآن فى ظل الارهاب الصهيونى الغاشم ١٠٪ فقط ١٠٠ اما الباقون فقد طردتهم وحشية اسرائيل من ديارهم وجردتهم من أملاكهم وأصبح نحو مليون منهم نزلاء مخيمات اللاجئين ، يعيشون على هبات الامم المتحدة .. اما محاولة اسرائيل تنفيذ مؤامرة تحويل مجرى نهر الاردن فتهدف الى انشاء العديد من المستعمرات والمدن داخل النقب وتنفيذ البرنامج الصهيونى لاسكان مليونى مهاجر جدد فى هذه المنطقة .

واصبحت الامة العربية كلها تقف أمام عدوان استعمارى يتجسد فى اسرائيل .. لذلك وحدت الأمة العربية جهودها وكان شعب فلسطين فى طليعة الكفاح لتحرير فلسطين .

دور الاتحاد النسائى :

انشىء أول ناد للسيدات بالقدس ويقوم بجمع التبرعات للوفود المسافرة للدفاع عن قضية فلسطين منذ عام ١٩٢٩ حتى النكبة فى عام ١٩٤٨ ، ثم انشئت أول جمعية للاسعاف .

نظم أول مؤتمر نسائى للدفاع عن قضية فلسطين اشتركت فيه ممثلات لجميع المدن الفلسطينية ، ولأول مرة كشفت المرأة الفلسطينية عن وجهها عندما ذهب أعضاء هذا المؤتمر الى المندوب السامى البريطانى للاحتجاج على أعمال الجيش البريطانى وضغط القوات البريطانية على العرب لبيع أملاكهم لليهود ..

ان (مجزرة دير ياسين) وحدها فى معركة فلسطين قتل فيها فى ليلة واحدة (٢٥٠سيدة) وقد سجل هذا المؤرخ البريطانى (توينبى) فيما كتبه عن الاعمال الفظيعه التى اقترفها اليهود ضد العرب ٠

وحول الاتحاد النسائى كافة جهوده الى نواحى الاسعاف أثناء المعركة ومساعدة الجرحى والمصابين من المجاهدين وقسم الاتحاد أعضاءه الى أربع لجان أخذت كل لجنة تقوم بالاعمال والنشاط الموكل اليها وهى لجنة الاسعاف ولجنة تحضير الملابس للجرحى ولجنة لاعداد الطعام للمناضلين واللجنة الرابعة لخدمة الجرحى والسهر على راحتهم والانفاق عليهم وكان اعضاء الاتحاد النسائى يتنقلن بين مراكز الاسعاف بواسطة الدبابات المدرعة وسط أزيز الرصاص وأصوات المدافع ٠٠ ثم تنوعت أعمال الاتحاد النسائى وتشعب نشاطه واتجه لرعاية الاطفال المشردين والايتام وانشأ المراكز الطبية والثقافية والغذائية ٠

لكن ما تتعرض له المرأة الفلسطينية بوجه عام من شقاء وتعاسة فى مجتمع مشتت ضائع أدى الى انشاء رابطة للمرأة الفلسطينية فى الجمهورية العربية المتحدة ٠

رابطة المرأة الفلسطينية

فى ٢٤ مارس ١٩٦٣ أسست فى القاهرة رابطة المرأة الفلسطينية ـ برئاسة السيدة (سميرة ابو غزالة) وتتألف الرابطة من أعضاء عاملات من الفلسطينيات ومؤازرات من غير الفلسطينيات وتتلخص أغراض الرابطة فيما يلى :

١ ـ جمع شمل وتوثيق روابط التعاون والتضامن بين الفلسطينيات ٠

٢ ـ تجنيد القوى النسائية الفلسطينية بجمع قواها وامكانياتها لخدمة القضية الفلسطينية من أجل العودة ٠

٣ ـ التوعية الاجتماعية والثقافية للمرأة الفلسطينية بجميع الوسائل المشروعة ٠

وأصدرت الرابطة بيانا يحدد اهدافها وتنظيمها فى لجان ثلاثة ٠٠ وهذا هو نص بيان الرابطة :

البيان :

« ٠٠ رابطة المرأة الفلسطينية لابد من تجسيدها لتكون قوة داعيه مفكرة تخطط وتعمل من أجل الاعداد للمعركة الفاصلة مع اسرائيل والصهيونية ٠٠ ٠ ودور المرأة الفلسطينية لابد أن يأخذ مجراه الفعال فى كل مكان وميدان تطؤه قدمها ثورة مشتعلة لا تعرف الهزيمة ولا يتطرق الى قلبها اليأس لأن قوة الايمان بحقها وبارضها وببلدها لن تهزمها قوة فى الوجود مهما طال الزمن وبعد ٠٠ وايمان المرأة الفلسطينية بدورها الحاضر والمستقبل ايمان لايتزعزع يحارب الانقسام فى صفوفه ويدعو الى الوحدة والتضامن ولا يؤمن الا بالتكتل الجماعى المتحرر من الاستغلال والرجعية وعملائهم ممن كانوا سببا فى نكبتنا وتشردنا ٠

ومن أجل ذلك ستحاول المرأة الفلسطينية فى أولى معارك اثبات وجودها ان تخطط لعملها وان تهىء وتستعد له لتشترك فى شرف الأخذ بثأرها من العدو المشترك ـ بكل ما يعنيه ذلك من ثأر لكرامتها وعزتها وعروبتها ـ ولتؤمن لأجيالها الصاعدة حياة أفضل من حياة التشرد والضياع

وقد بدأت الرابطة تنظيمها للعمل بلجان ثلاث ٠ سنحاول هنا أن نعرض لكل لجنة بشرح موجز لتكون كل سيدة وآنسة على وعى تام وادراك عميق بما ستقوم به الرابطة من عمل ولتشارك كل سيدة وآنسة فى التوجيه وتقديم الرأى واقتراح ما تراه مناسبا من أجل تحقيق وجودنا واثباته فى أجل صورة وأقواها ٠

١ ـ لجنة التوعية والتعبئة القومية :

تملك المرأة من التأثير والتوجيه فى بيتها وفى مجتمعها مالا تملكه قوة الشرائع والقوانين فكل تأخر وكل تجمد فى عملية البناء انما يرجع اليها بطريق مباشر او غير مباشر فعليها تقع معظم أعباء وواجبات التوعية والتعبئة القومية ٠٠ كما يقع على المرأة الفلسطينية العبء الأكبر من مسئوليات وواجبات

حاضرها ومستقبلها ببث الوعى بقضيتها بين ابنائها وايقاد نور الامل فى النفوس والقضاء على السلبية واللامبالاة والانهزامية التى تملك النفوس الضعيفة ووأد الفردية من أجل العمل الجماعى المنظم وتصفية الرجعية والانتهازية من بين المجتمع والتهيئة لاستعادة الأرض السليبة والوعى على كل ما يحيط بنا من مؤامرات تستهدف القضاء علينا وتصفية قضيتنا .. فالمرأة والحالة هذه يجب ان تكون ثورة بناءة لاتعرف الهدوء ولا الاستسلام ووسائل ذلك كثيرة منها :

١ ـ احياء ذكرى شهدائنا . ومواقع انتصاراتنا الماضية والحاضرة .

٢ ـ اقامة ندوات ومؤتمرات ومهرجانات تناقش أسباب هزيمتنا وتخطط لطريق عودتنا .

٣ ـ اعداد برنامج لجيلنا الناشىء الذى لم ير ارضه وبلده ، ونحيى فى نفسه صور ماضيه ونعبىء مشاعره بذكراها ونصقل وعيه ونعمقه كيمايعد اعدادا صحيحاللمعركة الفاصلة .

٤ ـ تدريب فتياتنا عسكريا وتجنيدهن اسوة باخواتنا فى الجزائر العربية اللواتى قدمن أروع الامثال فى التضحية والفداء وعلى قدرة المرأة على النضال المسلح والمشاركة فى حرب التحرير . وكذلك تدريبهن على كافة أنواع التمريض .

٥ ـ اقامة مسابقات أدبية وتاريخية لتخليد ذكرى فلسطين ولتقوية الارتباط بها.

٦ ـ اعداد الافلام والاشرطه السينمائية للدعاية الخارجية وشرح دور الاستعمار فى نكبتنا .

٢ ـ لجنة الدعاية والعلاقات الخارجية :

الدعاية شريان الأمة ووريدها تعتمد عليها فى ابراز نشاطها والدعوة لمبادئها وتثبيت كيانها وكسب مشاعر ودعم الرأى العام العالمى . والنقص فى الدعاية كان سببا من الأسباب القوية التى خسرنا من أجلها قضيتنا . كما كانت عاملا اساسيا لتجميد قضيتنا عند شعوب العالم وفى أروقة الأمم المتحدة وفى المجالات الدوليه الأخرى الأمر الذى أفسح المجال للعدوان يملأ هذا الفراغ باكاذيبه وافتراءاته وقد آن لنا ان نقدر هذه الأداة حق قدرها وان نسعى الى تقويتها لتعمل جنبا الى جنب مع التخطيط الشامل للرابطة .

وليس هناك غير المرأة من يمتلك القدرة على تقوية هذا الجهاز ليعمل اذا امتلكت الشخصية القوية الواعية والثقافة والايمان بالعقيدة والمبدأ لشرح قضيتها والدفاع عنها والمطالبة بحقها فى الثأر لكرامتها والعمل لبناء مستقبلها ووسائل الدعاية التى يمكن ان تقوم بها الرابطة متعددة منها .

١ ـ ارسال فتياتنا ونسائنا الفلسطينيات المثقفات الواعيات الى المؤتمرات الدولية والداخلية لشرح القضية الفلسطينية .

٢ ـ اصدار النشرات الدورية والبيانات فى المناسبات المختلفة التى تتصل بنكبتنا تشرح فيها القضية الفلسطينية وطريقة التخطيط لمعركتنا القادمة والاعداد لها والاستعانة بأجهزة الاعلام فى الدول العربية وفى الخارج من أجل هذا الهدف

٣ ـ الاتصال بالجمعيات والتنظيمات الفلسطينية لتوحيد الجهود معها للعمل بشكل جماعى مشترك لقضيتنا وقيادة شعبنا معها الى النصر .

٤ ـ الاتصال بجمعيات المرأة العربية فى الجزائر للاطلاع على تنظيماتها الثورية والاسترشاد بها .

٥ ـ انشاء بيت للوافدات الفلسطينيات يساعد على تقوية الترابط والتماسك بينهن .

٦ ـ اقامة مؤتمرات سنوية للمرأة الفلسطينية للتوعية بقضيتها .

٣ ـ لجنة التجمع النسائى الفلسطينى :

لايمكن لأى عمل ان يكون ذا تأثير وقوة توجيه مالم تنسق جميع الهيئات أعمالها وتوحد جهودها ، وحرى بالمرأة ان تبدأ هذه الخطوة لتكون داعية وحدة وبناء وعمل ، لهذا فالرابطة ستقدم كل جهودها لتتصل بالهيئات النسائية فى البلاد العربية وخصوصا فى الدول المتحررة لتنسيق العمل وتخطيط معالم الطريق . قوة موحدة لاتعرف الفرقة والانقسام

٤ لجنة الخدمات الاجتماعية :

والعمل فى هذا الميدان واسع لايمكن للرابطة أن تحقق الا جزءا منه مما يتصل وأهداف الرابطة فى بث الوعى وربط الاسر الفلسطينية بعضها ببعض وتعبئتها شعوريا ويتحقق ذلك بزيارة الأسر الفلسطينية وحصرها ومعرفة مشاكلها ومساعدة الأسر الفقيرة منها والعمل على تهيئة وسائل العمل والتعليم لابنائها ما امكن ذلك .

٥ ــ لجنة الشئون المالية :

وهذه اللجنة هى شريان الرابطة ووريدها ويمكن أن تهىء دخلها بالطرق الآتية :

١ ــ رسوم الانتساب والاشتراكات ــ ٢ ــ التبرعات ــ ٣ ــ المهرجانات والحفلات الخاصة ..

وبعد ان تثبت الرابطة أقدامها ستخصص صندوقا باسم فلسطين يفرض على كل عائلة الاشتراك فيه ولا يفتح الا عند معركة العودة المقبلة .

هذه بعض الخطوط التى يمكن للرابطة أن تسير فى طريق تحقيقها على ان تتسع هذه الخطوط وتتعمق كلما كان تقدمنا أسرع وطريق نجاحنا أضمن .. وكل ذلك يتوقف عليك أنت لتثبتى للعالم أجمع أنك أردت . فنظمت . فعملت .. ووصلت ..»

وفى كلمة للسيدة سميرة أبو غزالة رئيسة رابطة المرأة الفلسطينية توضح فيها الظروف التى أدت الى انشاء هذه الرابطة .. تقول فيها : « .. انبثقت رابطة المرأة الفلسطينية من واقع مجتمعنا الفلسطينى فى الجمهورية العربية المتحدة أولا وفى الوطن العربى عامة .. وانبثقت أهدافها من حاجاته وآماله وأحلامه فى الحياة الكريمة العزيزة بأرضه ووطنه كغيره من الشعوب التى تسعى الى التقدم والسلام .

فواقع مجتمعنا الفلسطينى يئن من التشتت ويشكو من الضياع ومن الغد المجهول لجيله المقبل الذى حرم معنى الاستقرار والطمأنينة . وواقع مجتمعنا الفلسطينى ينادى بالقوة . القوة النفسية أولا التى تهزم الاستسلام نتيجة لمؤامرات الدول المستعمرة على حياته وأرضه وينادى بنبذ الانانية والفردية والانهزامية لتدخل معركة تقرير مصيرنا من أجل عودتنا الكريمة لارضنا وواقع مجتمعنا الفلسطينى من أجل ذلك كله يحتاج الى التجمع والتنظيم . التجمع الذى يلتئم به الصدع الكبير الذى اصابنا فوزعنا فى كل مكان والتنظيم الذى يلزمنا بالعمل الجدى البناء من أجل شعب وأرض وتاريخ وليس الى حفنات من الدقيق واعانات صورية وملابس باليه ممزقة نلهو بها عن الغرض الأسمى والعمل الاصلى ، فقضيتنا ليست قضية لاجئين بل هى قضية سياسية فى جوهرها وحقيقتها تآمرت على ولادتها الدول المستعمرة لتثبيت تجزئة البلاد العربية وايجاد ثغرة بين صفوفها تمنع التقاء حدودها المتقاربة المتلاحمة .

ومن خلال هذا الواقع ومن احتياجاته استمدت رابطة المرأة الفلسطينية القوة على ضرورة ابراز وجودها وتكوينها قوة تبدأ عملية التجمع والتنظيم داخل الجمهورية العربية المتحدة أولا وفى البلاد العربية ثانيا تمهيدا لقيام وحدة نسائية يضمها أطار تنظيمى واحد وتخطيط واحد يضع أمامه العمل من اجل العودة بكل السبل والامكانيات وفى مدة لاتتجاوز الا بضعة شهور منذ ٢٤ مارس ١٩٦٣ وقت اعلان الجمعية تجاوز عدد اعضائها المائة ومعظمهن من الطلائع المثقفة الواعية من فتياتنا وسيداتنا من القاهرة ... الخ »

ما أنجزته الرابطة منذ نشأتها :

حضرت الرابطة المؤتمرات التالية

١ ــ مؤتمر بيروت التحضيرى فى صيف عام ١٩٦٣ .

٢ ــ مؤتمر اتحاد عام طلبة فلسطين فى غزة فى مارس ١٩٦٤

٣ ــ مؤتمر الكيان الفلسطينى فى القدس فى مايو ــ يونيو ١٩٦٤ .

ــ واستقبلت الرابطة الكاتبة المعروفة « ايثل مانين » مؤلفة « الطريق الى بئر سبع » القصة التى صورت فيها ارهاب اليهود

ــ اقامت الرابطة سوقا خيرية فى نادى القوات المسلحة بالزمالك فى ١٧ ابريل ؟ افتتحته الدكتورة حكمت ابو زيد

نظمت الرابطة حلقة محاضرات توعية عن القضية الفلسطينية - فالقيت بعض المحاضرات فى نقابة الصحفيين ومحاضرة فى جامعة عين شمس القاها الدكتور سيد نوفل.

- نظمت الرابطة مسابقة للشبيبة الفلسطينية وكان موضوعها « فلسطين» أرضك التى اغتصبها اليهود . كيف تستطيع أو تستطيعن ارجاعها وما الدور الذى ستقوم به أو ستقومين به لارجاعها . »

- تعقد الرابطة اجتماعات شهرية لعضواتها العاملات يناقشن خلالها نشاط الرابطة .

- أسست الرابطة بيتا للطالبات الفلسطينيات المغتربات وهو يحتوى على ٩٣ فتاة .

- قامت الرابطة بتصميم وطبع مفكرات لعام ١٩٦٤ تحمل فيها كل تواريخ حرب فلسطين المهمة وبعض صور للرسام الفلسطينى اسماعيل شموط - وهى الآن تعد مفكرة عام ١٩٦٥.

وبعد : فان دعوة رائد القومية العربية الرئيس جمال عبد الناصر يوم ٢٢-١٢-١٩٦٣ - الى مؤتمر القمة وما لقيته هذه الدعوة الكريمة من استجابة سريعة من ملوك ورؤساء الدول العرب وما أسفر عنه اجتماعهم المبارك من نتائج قد ألقى على الفلسطينيين كشعب « اقترن وجوده بارضه الطيبة وارتبط بمشاعر القلق بالمنبت » على حد تعبير السيد الرئيس - تبعات جساما نحو وطنهم السليب الذى تمتد فيه جذور تاريخهم منذ آلاف السنين

بقية مقال ((أضواء على سيرة السيدة مارية القبطية))

وينظر اليها والى أختها خالة الطفل السيدة سيرين ويقول : « ان له لمرضعا فى الجنة » .

ولقد حدث أن حفصة زوج النبى ذهبت الى بيت أبيها عمر بن الخطاب رضى الله عنه وغابت وقتا وفى هذه الاثناء تصادف أن جاءت مارية قاصدة النبى فوجدته فى بيت حفصة فمكث النبى معها ، حتى اذا عادت حفصة وجدتها معه فغارت ، فقالت له حفصة ما صنعت بى هذا من بين نسائك الا من هوانى عليك ، فحرم النبى على نفسه مارية ترضية لحفصة ، فعوتب النبى فى ذلك : « يأيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك تبتغى مرضاة ازواجك » ، وعلى حسب هذه الرواية التى تقول بأن الآية نزلت فى مارية ، تتضح لنا مدى غيرة أوزاج النبى من مارية ، **وما كانت هذه الغيرة الا لما كانت تتمتع به المصرية الرقيقة من مكانة ومحبة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تلك الغيرة التى تضاعفت حين أنجبت مارية وليدها ابراهيم وكان تعلق الرسول بوليده وحبه له مما زاد من حدة هذه الغيرة ، فهو قد أكرم سلمى زوج أبى رافع قابلة مارية أيما اكرام ، وهو قد تصدق يوم ولد بوزن شعرة ورقا على كل واحد من المساكين . وهو قد دفعه لترضعه أم سيف ، وجعل فى حيازتها سبعا من الماعز ترضعه لبنها . وهو قد كان يمر كل يوم بدار مارية ليراه ، وليزداد انسا بابتسامة الطفل البريئة الطاهرة ، ومسرة بنموه وجماله .. ولقد حدث أن حمل النبى ابراهيم بين ذراعيه فرحا به وبشبهه العظيم له فما كان من غيرة عائشة الا ان قالت : « انها لا ترى بينهما شبها » .**

وفاتها :

وكانت مارية من بين نساء النبى اللائى توفى عنهن ، ولقد كانت مارية موضع رعاية من أبى بكر حتى مات وكذلك استمر على ذلك عمر حتى توفيت رضى الله عنها فى خلافته .. قال الواقدى ماتت فى المحرم سنة ست عشرة فكان عمر يحشر الناس لشهودها وصلى عليها ودفنها بالبقيع .

المرأة واعظة

... استطاعت المرأة العربية والمسلمة أن تقتحم ميادين كثيرة وتجد لها مكانا فى المتجر والمصنع ، كما عملت على الوصول الى المناصب الكبرى فتربعت على كراسى الوزارة واشتركت فى السياسة العامة فدخلت مجلس الأمة ولكنا لم نجدها قد احتلت بعد مكان الوعظ .. والوعظ الدينى الذى احتله الرجال .. مع أن كثيرات منهن يدرسن الدين وفروعه .. ومع أن ثورة ٢٣ يوليو الخالدة بقيادة الرئيس جمال عبد الناصر أعطت المرأة فى الجمهورية العربية المتحدة حقها فى صنع حياتها.. ثم أكد الميثاق لها كل الحقوق حيث قال :

« ان المرأة لا بد أن تتساوى بالرجل ولا بد أن تسقط بقايا الأغلال التى تعوق حركتها الحرة حتى تستطيع أن تشارك بعمق وايجابية فى صنع الحياة » .

وقد رأت مجلة منبر الاسلام أن تتقدم الى كبار رجال الدين تستفتيهم فى شأن الوعظ والارشاد الذى قد يكون للمرأة المتعلمة مجال مؤثر فيه ، ولعلنا نجد لديهم ما يجلو الشبهة لدى بعض الناس الذين لم يروا المرأة فى مقام الوعظ فحسبوا أن ذلك ليس من حقها ولا من قدرها ..

فرأينا من الواجب علينا أن نعرض وجهات نظر السادة المتخصصين فى هذا المجال :

إعداد : عبد العظيم ملوك

ومن ثم تقدمنا الى فضيلة الامام الأكبر شيخ الجامع الأزهر وعرضنا على فضيلته هذه القضية وسألناه : ما رأى فضيلتكم فى أن تكون المرأة واعظة وتدرس الفقه والحديث والتفسير ؟ وما موقف الدين الاسلامى من هذه القضية فى العصر الحاضر ؟ وهل يجوز الدين أن تعظ المرأة والرجل على السواء ؟

فأجابنا سيادته بقوله :

من مفاخر الدين الاسلامى أنه أنصف المرأة من ظلم الأجيال ورد لها اعتبارها كانسانة تقف بجانب الرجل لا فرق بينها وبينه فى كثير من الحقوق والواجبات قال تعالى :

« ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة » .

والاسلام كعقيدة وشريعة تكاليفه عامة وشاملة للرجل والمرأة على السواء اللهم الا فى أمور معدودة لم يلزم المرأة بها أو يمنعها من مزاولتها لأنها قد تتنافى مع طبيعة المرأة وواجباتها الخاصة التى خلقت من أجلها كرعاية الزوج والقيام بشئون الأسرة .

ومهمة الوعظ والارشاد وتدريس الفقه والحديث والتفسير وغير ذلك من علوم الشريعة لن يمارسها الانسان الا بعد أن يتعلم العلوم الاسلامية ويدرسها — والدين الاسلامى يطلب من المسلمين أن يتعلموا وأن يتفقهوا فى الدين وهو حين يطلب منهم ذلك لا يفرق بين الرجل والمرأة قال تعالى :

« وما كان المؤمنون لينفروا كافة . فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون » .

ان الاسلام يجعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة — ولذا كلف المرأة كما كلف الرجل فهى مطالبة بأركان الاسلام وتعاليمه شأنها فى ذلك شأن الرجل ، وهى تصلى كما يصلى الرجل ، وتصوم كما يصوم ، وتزكى وتحج — وكما أن الرجل لا يعذر بالجهالة فى دار الاسلام كذلك المرأة لا يقبل منها العذر — **فاذا ما تعلمت المرأة الفقه والحديث والتفسير فهل لها أن تعلم الناس ما تعلمته ؟**

- إنصاف المرأة من ظلم الأجيال من مفاخر الدين الإسلامي ..
- الإسلام يجعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة
- تاريخنا حافل بالصور المشرفة للمرأة المسلمة في ميدان الوعظ
- رابعة القيسية العدوية مثل أعلى للمرأة الواعظة
- ليس للعلم حدود ولا موطن .

فلننظر ما هى حقيقة مهمة الوعظ والارشاد أليست أمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر ؟ فما حكم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى الاسلام ؟

انه واجب المسلم والمسلمة على السواء قال تعالى :

« كنتم خير أمة أخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .

وقال سبحانه : **« ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون »**

وامتدح القرآن الكريم بعض أهل الكتاب بذلك فقال « ليسوا سواء . من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون . يؤمنون بالله واليوم الآخر ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات وأولئك من الصالحين » « آل عمران »

.. وذم القرآن الكفرة من بنى اسرائيل لأنهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه قال تعالى : **« لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » .**

فاذا كان الوعظ أمرا بمعروف ونهيا عن منكر وكان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أمرا يطلبه الاسلام من كل مسلم ومسلمة عرفنا أن الدين لا يمنع من تولى المرأة مهمة الوعظ وتدريس الفقه والحديث شأنها فى ذلك شأن الرجل - ولكن من التى يسمح لها بأن تتولى هذه المهمة ولمن تتولاها ؟ اننا لا يجوز أن نسمح بها الا لمن توفرت على هذا اللون من الدراسة الاسلامية وأوتيت قسطا وافرا من التربية الدينية والاجتماعية والنفسية حتى تستطيع أن تقوم بواجبها على الوجه الأكمل - وما أحوجنا الى هذا اللون من النساء فى عصرنا الحاضر الذى تسوده تيارات الاباحة المطلقة التى تجتاح الخلق والفضيلة .

وان كلية البنات الاسلامية لهى النواة الأولى التى اذا أثمرت ثمارها المرجوة فانها ستمد بلادنا الاسلامية كلها بالمرأة الصالحة المتدينة المثقفة ثقافة كاملة شاملة تؤهلها لأن تقوم بمهمة وعظ بنات جنسها وتوجيههن الوجهة الدينية المستقيمة التى تجعل منها زوجة صالحة وأما مثالية وفتاة متحصنة بالدين والفضيلة لا تؤثر فيها ما تراه أو تسمعه من وسائل التدمير الخلقى .

والخلاصة أن وعظ المرأة لا يمنعه الدين ونحن فى أشد الحاجة اليه فى هذا العصر على أن يكون لبنات جنسها فقط حتى لا يصيبنا الشر من حيث نريد الخير لأمتنا ومجتمعنا .

ثم تقدمنا الى فضيلة الشيخ أحمد حسن الباقورى مدير جامعة الأزهر لنسأله فى هذا الأمر أيضا ، ذلك لأن سيادته يتولى الآن توجيه

الفتاة فى الجامعة ويشرف على تعليمها الدينى ، وهو اذا أبدى رأيه فانما هو الرأى الذى يسير معه الاعداد والتنفيذ :

قلنا لسيادته :

أشرتم سيادتكم فى خطابكم الذى ألقيتموه فى افتتاح العام الدراسى الحالى للجامعة الأزهرية « ان الأزهر حينما أوصد أبواب العلم الدينى أمام الفتاة انصرفت عنه الى تعليم آخر وأبواب أخرى » ..

فهل من الممكن اذا انصرفت الى التعليم الدينى أن تكون واعظة ؟

فقال سيادته :

لقد كان رأيى دائما أننا قصرنا فى اعداد المرأة المسلمة اعدادا نافعا ، فحين أوصدنا فى وجهها أبواب العلم الدينى الذى هو أولى بها وهى أولى به لمكان الأم فى التأثير والتربية والأبناء ، وبعد أن نسى الأزهر تاريخه المجيد حيث كانت تعقد للنساء فيه مجالس الحكمة حتى فى عصور متأخرة ــ لم يعد للمرأة مكان فى هذا التعليم ، وفى اعتقادى أنها حين زالت عن هذا المكان زالت عن كل مكان فى المجتمع كله ولكنها ــ شأن كل أمر فى الكون ــ أرادت أن تعوض هذا النقص ، فحين انفتحت لها أبواب الحرية وحتى قبل أن تنفتح هذه الأبواب انصرفت مسرعة الى أبواب أخرى من العلم وغيره لتدرك لها مكانا فى المجتمع الذى تعيش فيه ..

وقد فطن الآن الى هذا الذى حدث ففتح الأزهر لتعليم البنت أبوابه ــ مع الحرص على التقاليد النافعة والآداب التى لا تتنافى مع الحرية التى نادى بها الميثاق ــ وأنا أرجو أن يكون من وراء ذلك الخير الكثير للمرأة ذاتها ولأبنائها وأهلها وللأمة الاسلامية جمعاء .

وحيث تبلغ المرأة المسلمة مرحلة علمية عالية تصل فيها الى مثيلاتها فى التاريخ الاسلامى ، وينبغ منهن نابغات فانها ستحتل مكانها ــ لا محالة ــ فى الوعظ والارشاد اعتمادا على تفقهها فى الدين والمامها الواسع بعلومه وتهيئتها لأن تكون قدوة ، وهذا شرط هام لأن أى انسان يتولى أمرا ولا يكون قدوة فيه لا يؤثر كلامه ولا يكون لوعظه صدى فى النفوس .

فقلنا لسيادته :

ذكرتم سيادتكم ما يشير الى أنه كان للمرأة مكان فى التعليم الدينى بل ومكان فى الأزهر أيضا ، فهل من صور تاريخية تذكرونها للمرأة فى هذا الشأن ؟

وأجاب سيادته :

ان تاريخنا حافل بالصور المشرفة للمرأة المسلمة فى هذا الميدان ، وانه ليندر أن تكون صحابية أو تابعيه ذات وعى لم ترو للرجال حتى من لم تعرف منهن الا بعض أحاديث الرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ وكان لدى الكثيرات منهن الوعظ والفقة والقدوة الحسنة ، ولم تكن رابعة القيسية وحدها التى وعظت رجلا من أعلام التابعين هو الحسن البصرى بل ان غيرها كثيرات فى كل أقاليم العالم الاسلامى .

وقد تتابع مثل هؤلاء فى كل العصور ، وأذكر فى العصور المتأخرة أن شمس الدين محمد ابن الجزرى الذى ألف كتاب الحصن الحصين فى سيرة سيد المرسلين وفرغ من تأليفه سنة احدى وتسعين وسبعمائة من الهجرة أجاز أولاده روايته عنه ، وكان له أربعة من الذكور وأربع من الاناث هن فاطمة وعائشة وسلمى وخديجة ، ولا بد أنهن روين كتابه عنه كما رواه الذكور .

وحينئذ قلنا لسيادته :

وهل يجوز للمرأة المسلمة أن تقف موقف الوعظ من الرجال كما تقف من النساء ؟

فتفضل سيادته بالاجابة قائلا :

ولم لا يجوز ؟ لقد وعظت عائشة الصديقة وأم سلمة وكثيرات من أمهات المؤمنين ، ووعظت النساء محارمهن وغير المحارم ، واذا كنت قد قلت أن رابعة القيسية العدوية قد وعظت الحسن البصرى ــ وهو من هو فى الوعظ والفقه ــ وعد ذلك فضلا لها وسبقا فان وعظ المرأة لجماعات النساء والرجال يكون أبعد من العبث وأولى بالفضل والقبول .

ولكنى أنبهك الى ما قلته أولا من أن تكون المرأة قد بلغت مكان القدوة والتأثير ، كما لا يخفى عنك أن المرأة المسلمة عامة تتخذ من آداب الاسلام ما يعصمها ويرفع شأنها عن الخطأ ، فاذا تفقهت فى الدين كان لها من طبعها

وكسبها ومن دينها وعلمها ما ينتقل بهخيرها الى غيرها

ودعنى أخيرا أسالك أنت هذا السؤال : متى استغنى الرجال عن الأم التى تهدى أولادها سواء السبيل ؟

وكان هذا السؤال يحمل جوابه اذ معظم الرجال فى هذا العالم يؤكدون انه كان للمرأة أثر فيهم سواء أكانت أما أم أختا أم زوجة وقد قرأنا فى ذلك الكثير .

وحينئذ شكرنا للأستاذ الجليل اجابته التى تشفى الصدور وتسدد الخطأ ، ولعل الفتيات المسلمات يجدن فيها حافزا لهن على الاقبال على دراسة الدين والتوسع فى فروعه وعلومه بما يسد النقص الذى أشار اليه السيد مدير جامعة الأزهر ويرجع للمرأة المسلمة مجدها العظيم .

***

وتقدمنا من الاستاذة مفيدة عبد الرحمن المحامية وعضو مجلس الأمة لنسألها عن رأيها ...

فقالت :

انى أرحب بأن تكون المرأة واعظة ولا أرى مانعا فى ذلك من الناحية الدينية ولا العلمية ولا الاجتماعية .. فهناك شركة بين الرجل والمرأة بالتعاون تقدم ما لديها من علم وخدمات ويقدم ما لديه من علم وخدمات ، ولا مانع من ان يستمد الرجل العلم من المرأة كما أنه لامانع أيضا من أن تستمد هى العلم والمعرفة منه فليس للعلم حدود ولا موطن ، وخصوصا وقد اجتازت المرأة أبواب الجامعة الأزهرية حيث يدرس الفقه والحديث والتفسير وقدتخصصت فى هذه العلوم فلا مانع من تدريسها للرجل والمرأة على السواء وكذلك بالتالى لا مانع من أن تجلس لتعظ الرجال والسيدات على السواء ولنا أسوة فى ذلك فقد كانت فى أزهى عصور الاسلام السيدة سكينة - رضى الله عنها - تجلس بين الرجال تقدم لهم الفتوى فى أمور الدين والدنيا ... والآن وقد أصبحت المرأة تقوم بالتدريس فى الجامعة للطلبة والطالبات على السواء فهذا أيضا صورة من صور مشاركة المرأة الرجل فى التعليم بعد أن شاركته فى التعلم كما أنى أرى فى حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - القائل « **خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء** » ويعنى بها السيدة عائشة - رضى الله عنها - ... معناه أن عائشة - وهى سيدة - كانت تقوم بارشاد الرجال والنساء فى أمور الدين والارشاد هو نوع من الوعظ .. هو نوع من التوجيه للتمسك بأهداب الدين وتعاليمه والذى أراه وأعتقده ، وأرجو أن يكون صوابا أتقرب به الى الله تعالى أن قيام المرأة بالوعظ لا غبار عليه وجائز شرعا وقانونا اذ كانت تجلس بين الرجال للفتوى كما أشرت سابقا .. فلا مانع دينا من أن تجلس وتعظ الرجال والنساء على السواء فالفتوى هى نوع من الوعظ معوجوب ملاحظة الوقار والاحتشام الذى تتحلى به المرأة الواعظة وأعتقد أنها لا تستطيع أن تملى على الغير التعاليم الدينية السمحة الا اذا كانت هى تدين وتعمل بها .

وأعتقد أن مظهر اشتغال المرأة بالوعظ هو دليل قوى على تقدمها ورقيها وعلى مدى ما يحس به الرجل من مسئولية نحو المرأة فقد أخذ بيدها حتى تعلمت وعلمت وتقدمت وأسهمت فى بناء وطنها حتى صارت علما من الأعلام تستطيع أن تسهم فى بناء الأمة وحتى شاركت وتشارك فى الوعظ .

وسألنا الدكتورة سهير القلماوى هل تصلح المرأة واعظة ؟.

- سؤال مكرر فى كل عمل جديد أو قديم مسى يؤكد للأسف ان المجتمع لم يتحرر بعد فى فكره وايمانه بحيث يسلم تسليماطبيعيا بان الفروق بين المرأة والرجل لادخل لها فى وقف اعمال عامة بعينها على الرجال وأخرى على النساء . ان العمل ، مايكون العمل يمكن أن اسأل فيه السؤال أيصلح هذا الرجل بالذات أو اتصلح هذه المرأة بالذات لأن تكون واعظة ؟ ان لكل عمل شروطا ولكل نوع من العمل فروعا كثيرة تتطلب الوانا من الدراية والمران فاذا كسبنا الدراية والمران وساند ذلك موهبة طبيعية كان كل هذا جديرابتفوق العامل من يكون رجلا أو امرأة فى عمله .

عمل واحد خص الله به جنسا دون جنس هو انجاب الأطفال ورعايتهم . والسؤال يمكن أن يوجه : هل انجاب الأطفال ووجوب رعايتهم يحول دون قيام المرأة بعمل الواعظ . لو ادير السؤال على هذه النحو لكان بالنسبة الى مبشرا بالمرحلة التى ارجو ان اعيش لاصل اليها : مرحلة النظر الى العمل ثم الى كفاءة المتقدم والحكم فى ضوء هذا على الصلاحية .

وقد يتدخل حساب أن هذه المرأة بالذات **فى هذا الوقت بالذات لاتصلح لانها مشغولة كما يجب أن تشغل بانجاب طفل أو رعايته اولا .**

اما صلاحيه المرأة ، كجنس ، للوعظ فقد حفظ لنا التاريخ اسماء عشرات من النساء كن مرجعا فى الدين وحافظات للحديث ولهن حلقات تدريس للدين وتتلمذ عليهن كثير من الرجال .

وهل أذكر السيدة عائشة وقد قال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ نفسه « خذوا نصف دينكم من هذه الحميراء . كانت كما يقال أفقه نساء المسلمين وأعلمهن بالدين والأدب وقد روت ما يزيد على الألفين ومائتى حديث .

ولقد روى الترمذى وابن ماجه . عن « هجيمة بنت حيى » من التابعين . وتستمر سلسلة من المحدثات راويات الحديث ومفسرات له ممن تتلمذ عليهن كثيرون وهؤلاء تراهن فى الشام وفى اليمن وفى مصر وفى العراق .

ومنهن من كانت لها مشيخه يخرجها لها الوالى مثل زينب بنت عبد الله أم اسعد الملقبة بام المساكين والتى توفيت سنة ١٤٤٢م خرج لها نجم الدين فهد مشيخة تحدث بها المسلمون وتروى الأحاديث وتفسيرها وتدرسها وليس هنا مجال ذكر بنات الصحابة والتابعين ومن لقبت لنبوغها تدريس الدين القاب الشريف مثل ست الملك (اخت الحاكم بأمر الله وقد حكمت وست الملوك ولا داعى لأن أوطد ان اكثر المذاهب الاسلامية تشددا اعترفت بالمرأة التى قرأ عليها العلماء كتب الحديث واجازتهم فست الملوك فاطمة بنت على بن الحسين بن حمزة (سنة ١٣١٠ م) كانت فقيهة جنبلية أجازت بعض علماء عصرها فى قراءة مسند الدرامى وبعض مصنفات البغوى .

ولكنى أريد بدورى ان اتساءل اذا كان المسلمون قد اجازوا خلافة المرأة الدينية أو زعامتها فى بعض المذاهب فهل تستكثر عليها ان تكون واعظة .

لقد حكمت اروى زوجه الملك الاكرم بعد وفاته اربعين سنة فى دولة دينية هى دولة الصليحيين باليمن وكانت الحرة الصليحية كما لقبت يدعى لها على منابر اليمن « اللهم آدم أيام الحرة الكاملة السيدة كافلة المؤمنين الخ .. »

وحكمت الشريفة فاطمة (سنة ١٤٥٦ م) وقامت بدعوة الزيدية وملكت صنعاء واستولت على صعده ونجران بعد انتصارها فى نشر الدعوة . وكذلك حكمت فى دولة الفاطميين بمصر ست الملك اخت الحاكم كما اسلفنا . والقائمة تطول وليس هذا فى نظرى تفردا أو غير تفرد شاذا أو غير شاذ وانما المبدا نفسه فى زمان ما ومكان ما من بلاد المسلمين وزمانهم كان مسلما به زعامة الدولة الدينية تتولاها امرأة .

رفقا ياسائلى بالاسلام فليس فى الاديان جميعها حتى غير السماوية منها ما يتسع للحياة ويحتضن التطور ويبشر بالتقدم ويحمى العاملين المخلصين فى كل ميدان مثلما يتسع الاسلام ويحتضن ويبشر ويحس انه دين ، الحياة والتطور دين العمل والايمان الصادق فهل تحرم سيدة تقية مؤمنة من عمل هيأها له الله بما وهبها من مواهب واتاح لها من علم ومران ان تؤدى اشرف عمل وهو بث الدعوة ووعظ المؤمنين بحجة انها امرأة فى ظل الاسلام أفى القرن العشرين

وبعد فهذه هى وجهات النظر المختلفة فى هذه المسألة الحساسة سألنا فيها المختصين فى الدين والرأى .

ولعلنى قد وفقت فى عمل هذا البحث الذى يهم كل مسلمة ومسلم

والله ولى التوفيق .

أنت تسأل ...؟

والمفتى يجيب ...

فضيلة الامام الاكبر الشيخ حسن مأمون

س١ : من حسن السيد حسن جبر احمد .
يسأل عن ميراث تركة محمد جبر احمد الذى توفى ولم يترك زوجة ولا أولادا وترك أخا شقيقا هو حسن جبر أحمد وترك أيضا ابن أخ شقيق متوفى والده قبل جده ويطلب معرفة الوارث وغير الوارث ونصيب كل وارث .

ج : ان تركة المتوفى محمد جبر احمد يستحقها أخوه الشقيق السائل وحده تعصيبا لعدم وجود عاصب أقرب ولا شىء من الارث لابن أخ المتوفى الشقيق لأنه محجوب بالأخ الشقيق .

س ٢ : من عبد الله عبد الفتاح عمار من شبرا اوسيم :
يسأل عن ميراث لعدة أشخاص مختلفين ولم يوضح كل مورث وورثته على حدة ـ ونطلب منه توضيح سؤاله ببيان اسم المتوفى وأقاربه الذين يظن انهم يرثونه حتى يمكننا اجابته ببيان الوارث وغير الوارث وبيان نصيب الوارث فى تركة كل متوفى .

س ٣ : من سيد عبد الله عن اهالى سيدى سالم محافظة كفر الشيخ
يقول السائل ان سيدى سالم بلدة حديثة الوجود يسكنها مسلمون ومسيحيون قد اتفقوا فيما بينهم على ان تكون لهم جبانة واحدة يدفن فيها موتى الطرفين . وقد دفن فيها منذ عشر سنوات فعلا أو أكثر ولم ينكر أحد من المسلمين لجهلهم ولم يرشد أحد من العلماء لخلوها منهم ـ والآن يرى بعض العلماء أن الدفن المختلط حرام ويجب أن يكون للمسيحيين مقبرة خاصة بهم فى مكان يرتضونه وأن يكون للمسلمين مقبرة خاصة بموتى المسلمين ـ ما هو الحكم الشرعى وماذا يجب فى حق من دفنوا فى هذه المقبرة المشتركة وهل يقول أحد من علماء المسلمين بجواز الدفن فى المقبرة المشتركة أو يحرم ذلك باجماع المسلمين .

ج : يجب الا ينقل أحد ممن دفنوا بهذه المقبرة لأن كثيرا من الفقهاء ذهبوا الى تحريم نبش القبور الا لضرورة . ونرى أن مجرد جمع موتى المسلمين والمسيحيين فى جبانة واحدة لايعتبر ضرورة تدعو الى نبش القبور ونقل عظام الموتى ... واما ما ينبغى أن يتبعه المسلمون فى دفن موتاهم مستقبلا فاننا نشير عليهم

بان يتخذوا لأنفسهم جبانة خاصة بهم يدفنون فيها موتاهم على ان يقوم المسيحيون أيضا بمثل ذلك بالنسبة لموتاهم • ولا داعى لاثارة الفتنة بين الطائفتين بسبب مسألة جرى عليها العمل منذ عشر سنوات أو أكثر، — وخير من هذا وذلك أن يكون الجميع متآلفين متحابين بعيدين عن الفتنة اذ أنهم جميعا مواطنون والاختلاف بينهم فى الدين والعقيدة لاينبغى أن يوجد بينهم شيئا من الشقاق والشحناء •

س ٤ : من محمد زكى محمود ، الطالب بمدرسة أمير البحر بالسنة الثالثة الاعدادية ، محرم بك

يسأل عن معنى بعض الاصطلاحات التى توجد فى المصاحف مثل (صلى) و(قلى) وحرف (ج)و(ص) — وعبارة (ربع الحزب ، نصف الحزب ، ثلاثة أرباع الحزب) ويقول انه متفقه وكثير من زملائه يسألونه فى ذلك •

ج) يسرنى يا ابنى العزيز أن تكون مثلا أعلى للطالب المسلم الذى يقرأ القرآن ويفهم مافى المصحف من اصطلاحات ويزداد به ايمانا وتفقها فى دينه •

وهذه الكلمات هى توجيه للقارىء ليعرف الوقف المناسب ومتى يجب ومتى يجوز فحرف (م) علامة الوقف اللازم نحو « انما يستجيب الذين يسمعون م والموتى يبعثهم الله » فوضع الميم فوق كلمة يسمعون علامة أن الوقف لازم فى هذه الحالة ويستأنف القارىء بعده جملة والموتى يبعثهم الله — وحرف (لا) علامة الوقف الممنوع نحو « الذين تتوفاهم الملائكة لا طيبين لا يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة » فلا يجوز الوقف على طيبين ولا على كلمة عليكم — وحرف (ج) علامة الوقف الجائز جواز مستوى الطرفين مثل :

« نحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم فتية آمنوا بربهم » فيجوز الوقف وعدمه على كلمة « الحق » وحرف « صلى » علامة الوقف الجائز مع كون الوصل أولى مثل « وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو صلى وان يمسسك بخير فهو على كل شىء قدير » والحرف « قلى » علامة الوقف الجائز مع كون الوقف أولى مثل قوله تعالى « قل ربى أعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل قلى فلا تمار فيهم » فالوقف على قليل جائز وهو أولى من عدم الوقف عليها• والقرآن الكريم مقسم الى ثلاثين جزءا كل جزء ينقسم الى حزبين ، ففى القرآن ستون حزبا والحزب الواحد مقسم الى أربعة أجزاء ربع الحزب ونصف الحزب وثلاثة أرباع الحزب •• والله أعلم •

س ٥ : من مصطفى ابراهيم احمد من اسكندرية

يقول فى سؤاله انه تزوج ثم نطق بالطلاق فى أثناء مشادة حامية عنيفة بينه وبين زوجته وانه كان فى حالة ثورة غضب وهياج أى فى غير أحواله العادية ،وانه يفقد أعصابه فى ثورة الغضب وما يدرى ما يصدر منه من فعل ، أو قول فى ذلك الوقت وانه استشار بعض العلماء فقالوا له : ان الطلاق فى هذه الحالة لايعتبر طلاقا استنادا الى الحديث الشريف أن (لاطلاق فى اغلاق) ، والى مذهب الامام الشافعى والى ما ذهب اليه ابن تيمية — وقالوا ان ذلك بشرط عدم توافر النية — ويطلب بيان الحكم فى هذا الطلاق •

ج ٥ : ان الطلاق لايقع حالة الغضب الا فى حالتين :

الحالة الأولى — أن يفقد وعيه بسبب الغضب فلا يدرى ماذا صدر من أقوال ، واذا طلب منه معرفة ما صدر منه لا يتذكره وفى هذه الحالة لايقع طلاقه •

الحالة الثانية — من حالات الغضب :هى ما اذا لم يفقد وعيه كاملا ولكنه يجعله فى حالة يخلط فيها الجد بالهزل وفى هذه الحالة لايقع الطلاق أيضا لانه يأخذ حكم المعتوه الذى لم يفقد عقله كاملا ولكن قواه العقلية فيها شىء من الضعف والنقص •

فاذا تكلم الزوج : فى احدى هاتين الحالتين بكلمة الطلاق لا يقع طلاقه والحالة الثالثة — وهى حالة الغضب العادية الغالبة بين الناس وهى الحالة التى لايفقد فيها الانسان وعيه ولا يختلط عليه الامر وانما تثور ثورته ويغضب لامر لم يعجبه من زوجته أو من غيرها ويصدر منه الطلاق فى هذه الحالة ويعلم ما صدر منه ويقصده ويقع طلاقه فى هذه الحالة ولو كان فى حالة غضب شأنه فى هذا شأن من صدر منه الطلاق فى غير حالة الغضب •

س ٦ : من الاستاذ حامد المنشاوى ، شركة مصر للغزل بالمحلة الكبرى

تعرض فى سؤاله لكتاب يباع فى السوق ويقرؤه الشعب العربى فى الجمهورية العربية المتحدة أثار الشعور وأحدث ضجة وكاد أن يفرق شمل المسلمين — ويرجو الرد على صفحات منبر الاسلام ردا شافيا على ماجاء فى الكتاب من مسائل

ج ٦ : اننا لانستطيع الرد على ماجاء بالكتاب الذى أشار اليه السائل الا بعد الاطلاع عليه وفحصه وبحث ماجاء به وقراءته قراءة مستفيضة — ولم يذكر السائل اسم أو عنوان الكتاب بالضبط حتى يمكن الحصول عليه ولذلك نرجو من السائل أن يرسل لنا نسخة من الكتاب أو يذكر لنا اسمه واسم مؤلفه والمكتبة أو المكتبات التى يباع فيها لنشتريه ونقرأه ونرد عليه •

س ٧ : من نبيل عبد المالك محمد وصلاح عبد اللطيف خميس طالبين بمدرسة ملوى الثانوية التجارية :

أولا — يسألان عن المقصود من الآية الكريمة « **ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين** •

ج ٧ : ان هذه الآية من سورة آل عمران المدنية وقد نزلت هذه الآية فيمن كفروا بعيسى عليه السلام وقد سبقتها آية أخرى وهى قوله تعالى « **فلما احس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله وأشهد بأنا مسلمون ، ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين** »

والمعنى ومكر الذين كفروا من بنى اسرائيل وهم الذين أحس عيسى منهم الكفر فى الآية السابقة وكان مكرهم اتفاقهم مع بعضهم على الفتك بعيسى وقتله ولكن الله سبحانه وتعالى رد عليهم كيدهم ومكرهم ونجا منهم — وقد أرشدت الآية التالية الى ما فعل الله سبحانه وتعالى بعيسى عليه السلام وهى قوله تعالى « **اذ قال الله ياعيسى انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا** » وقد سمى القرآن هذا الخير الذى ساقه الله لأحد أنبيائه مكرا من باب المشاكلة لما فعله لفيف من بنى اسرائيل احس عيسى منهم الكفر وتواطئوا خفية بينهم على الحاق الشر بعيسى عليه السلام — ولأن الله سبحانه وتعالى بفعله هذا قد دبر أمرا فيه خير لعيسى عليه السلام ويطلق المكر فى اللغة على التدبير تدبير شر ، وهو ما دبره كفار بنى اسرائيل• وتدبير خير ، وهو ما فعله الله سبحانه وتعالى والى هذا المعنى تشير الآية الكريمة « **ولايحيق المكر السيء الا بأهله** » **والله أعلم** •

س ٨ : من المذكورين :

يسألان عن المقصود من الآية الكريمة « **انما يخشى الله من عباده العلماء** » وفيم يخشاهم الله تعالى ؟

ج ٨ : قوله تعالى « **انما يخشى الله من عباده العلماء** » جزء من الآية الكريمة الثامنة والعشرين من سورة فاطر احدى السور المكية — وهى قوله « **ومن الناس والدواب والأنعام مختلف الوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور** » وقد نزلت هذه الآية كسابقتها لبيان نعم

الله على الناس وعظيم قدرته فى خلقه فهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرج به ثمرات مختلفا ألوانها ، وهو الذى خلق من الناس والدواب والانعام أصنافا متعددة تختلف ألوانها ، ثم بين أن العلماء هم الذين يخشون الله وأنهم أقدر من غيرهم على أدراك أسرار الله فى خلقه ودقة صنعه ، ولايمكن بحال أن يفهم أن الله يخشى العلماء لأن العلماء هم الذين يخشون الله ولعل الأمر قد انجلى للسائلين ولم يبق بعد ذلك محل لسوء الفهم الذى فهماه .

س ٩ : من المذكورين أيضا :

يسألان ما المقصود من قوله تعالى ((وقلنا من بعده لبنى اسرائيل اسكنوا الأرض فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا)) ويريدان شرحا موجزا لهذه الآية ؟

ج ٩ : ان هذه الآية من سورة الاسراء المكية وقد بينت هذه الآية ما حدث لبنى اسرائيل بعد اغراق فرعون — والمعنى وقلنا على لسان موسى عليه السلام من بعده أى من بعد فرعون واغراقه هو ومن معه لبنى اسرائيل الذين اراد فرعون استفزازهم : اسكنوا الأرض التى اراد أن يستفزكم فرعون منها قبل هلاكه وهى أرض مصر التى كانوا يسكنونها مع فرعون قبل خروجهم منها ، أو أن الأمر لذريتهم بأن يسكنوا الأرض التى كان يقيم فيها بنو اسرائيل قبل هلاك فرعون — وسكن بنى اسرائيل مصر كمواطنين لايسيئون الى البلد الذى يقيمون فيه أمر تبيحه الشرائع السماوية ولا يتعارض مع احكام الشريعة الاسلامية فقد فعله الرسول صلى الله عليه وسلم بعد هجرته الى المدينة ، فقد عاهد يهود المدينة على أن يعيشوا معا فى سلام مع المسلمين ويدافعوا جميعا عن المدينة وعلى أن النصر يكون بينهم على من حاربهم وقد عاش اليهود فى ظل هذه الحرية . فى سلام وأمن على انفسهم وأموالهم وحرية عقائدهم ولما نقضوا هذا العهد أجلاهم الرسول صلى الله عليه وسلم من المدينة جزاء لهم على خيانتهم فلا يعارض الاسلام فى أن يسكن بنو اسرائيل مع مواطنيهم من المسلمين فى أى بلد اسلامى ، وأن يكونوا كذميين لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين ماداموا يسالمون المسلمين ولا يلقون بينهم الفتنة ولا يحالفون عليهم عدوهم — وليس فى الآية وعد من الله سبحانه وتعالى لبنى اسرائيل باسكانهم ارض فلسطين كما جاء فى السؤال وارض فلسطين أرض عربية كان يسكنها أهلها العرب المسلمون ويشاركهم اليهود مستمتعين بكامل حريتهم وامتلاك ما يحتاجون اليه من الأرض ومزاولة أعمالهم ولكن الاستعمار أراد ان يستخدم أرض فلسطين لتكون جسرا لأطماعه ومآربه فشجع جماعة من بنى اسرائيل سموا أنفسهم بالصهيونيين ولجأوا الى انجلترا واستصدروا منها وعد بلفور سنة ١٩١٧ ليتخذوا فلسطين وطنا قوميا لهم مغتصبين بذلك حقوق العرب المسلمين أصحاب الحق الشرعى فى أرض فلسطين واستمروا كذلك الى أن يحين الوقت الذى تعود فيه أرض فلسطين لأهلها ويخرج كل صهيونى من أرضها — وبهذا تستقر الأمور فى الشرق الأوسط ويعود السلام الى أرض السلام

والله اعلم

لماذا أسلمت ..

الفنان العالمى روبرت آرثر ولاسلى الذى أصبح عبد الرشيد الأنصارى

ليس احب الى قلبى ولا أطيب الى نفسى من أكتب عن الذين هداهم الله الى الاسلام ومع أول كل شهر عربى التقى معكم فى قصة جديدة .. قصة انسان دخل نور الاسلام قلبه فأناره .. وهداه .. فأسرع يطوى صفحة الماضى ليفتح صفحة جديدة فى حياة كلها نور .. وكلها صفاء وحق . ومع هؤلاء الذين تركوا الضلالة والكفر .. نلتقى على صفحات مجلتنا الغراء ليقصوا علينا مرحلة من مراحل تحولهم من الكفر الى الايمان .. من الظلام الى النور .. من الضلال الى الحق .

وضيف قصتنا اليوم هو الاخ عبد الرشيد الانصارى الذى اشهر اسلامه فى القاهرة منذ مدة . والتقت به مجلة « منبر الاسلام »
فى حديث عن قصة اسلامه قال :

منذ ان أسلمت سالنى الكثيرون ، كما سالت نفسى هذا السؤال ، لماذا أصبحت مسلما ؟. وقد تكرر فى أكثر من دولة زرتها ومن عدة أشخاص هذا السؤال .. لذلك لم أكن مندهشا حين وصولى الى القاهرة عندما سئلت هذا السؤال . وانى لأشكر مجلة « منبر الاسلام » لاتاحة هذه الفرصة لى للاجابة عمن يسال هذا السؤال لماذا .. لماذا أسلمت ؟..

وفى الواقع كلمة « لماذا » . هى مفتاح الفرصة .. لأنها الشىء الذى كنت أساله لنفسى دائما منذ صغرى ؛ وأحيانا كنت أتلقى اجابات خادعة .. وليس أقلها الاجابة التى وجدتها فى بحثى عن السبيل الحق الى الله .. وفى هذا البحث تجولت بين أديان العالم المعاصرة ولكن لم أجد فيها جميعا سوى لمحة مما كنت أبحث عنه ، وكانت بعض هذه الأديان جميلة جدا ومنحتنى هدوءا نفسيا لو لم أستسلم لذلك السؤال الملح .. ولم استسلم وظللت صادقا مع نفسى . ففى بعض الأمور يستحيل الاقتناع بالبديل .

وعلى أى حال ، لا بديل للاسلام . أو فى بساطة الاسلام وصفائه . لقد وجدت فى الاسلام السبيل الذى كنت أبحث عنه سنوات عديدة والذى أجاب عن أسئلتى التى كنت القيها على كثير من مختلف الاديان لعدة سنوات دون الاقتناع بالاجابات التى وجدت صدى فى قلبى .

الاسلام دين كامل ، فيه تشريع كامل .. وهو السبيل السليم الحقيقى للحياة ..

وقد اصبحت - فى الحقيقة - ان كان الاسلام اعمدة لحياتى أومن بها بكل قلبى فهى سليمة وفيها تكمن القوة النابعة من كونى مسلما .

وجدت فى الاسلام أمورا كثيرة تجعله حقيقة الدين الحق .. الدين القوى الدين الصحيح فانك حينما تلقى نظرة على كتاب الله سبحانه وتعالى . تجده كتابا لايمكن ان يكون من تأليف انسان عادى . فلابد أنه من عند قوة كبرى فقد عجز البشر جميعا عن محاكاته أو الاتيان بمثله .

« قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا»

وبعد ذلك تجد القرآن قد حوى أمورا عديدة ، هو دستور سماوى للبشرية جميعا . فتجد فيه العبادة .. العلوم .. الطب .. المعاملات .. الفلك .. الاقتصاد .. الاحوال الشخصية .

فقد حوى كل شىء . وقد قال الله سبحانه وتعالى « ما فرطنا فى الكتاب من شىء »

ثم تجد بعد ذلك بساطة الاسلام وعدم تعقيده للامور ثم تجد سماحة الاسلام وسهولته ... كل هذه الأمور حببتنى فى الاسلام فاعتنقته .

ثم وجدت قبل ذلك ان الاسلام يقرر ان لا اله الا الله . ويجب أن ننحنى فى خضوع امام الله . وهذا هو المنطق

ومن المنطق ايضا أن تؤمن بان الله . هو الخالق الناصر لا يمكن أن يتركنا دون عون ولكن ينزل علينا الهداية عن طريق الانبياء . وقد اختار منهم محمدا عليه الصلاة والسلام أول وآخر الانبياء الذى شهدت له بالرسالة .. وحمدت الله على ان استقر بحثى اخيرا واهتديت الى ماكنت ابغيه . فقد اهتديت واعلنت ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله .

لعل هذا يكون ردا على كل من سالنى لماذا أسلمت فلقد اسلمت لانى وجدت ان الاسلام هو دين الحق . ودين العزة .. ودين المحبة والسلام

انى أسلمت لاننى وجدت فى الاسلام الكمال .. والوضوح والحقيقة التى يجهلها الناس . حقيقة الله سبحانه وتعالى فهو الله .. الرحمن الرحيم .

وبعد أن فرغ الأخ الانصارى من قصته شكرته وتمنيت له اقامة سعيدة فى القاهرة .. وحمدت الله على أن الاسلام لازال ينشر فى بقاع الارض ويأبى الله الا أن يتم يتم نوره ولو كره الكافرون .

مع القراء

اعداد : فؤاد هيبة

عزيزى القارىء :

ان القيم الأخلاقية والعاطفة الانسانية هى عماد الرسالات والبطولات والقيادات وان تفاوتت منازلها فى درجات السمو والرفعة بقدر ما تقدمه للبشرية من مبادىء ومثل وانتصارات واكتشافات تسهم فى دفع عجلة التطور والتقدم والرخاء ، مع ضرورة اعتبار أهمية العامل الزمنى فى اكتمال الرسالات ونضجها حتى تصبح عقيدة وعمل ، وممارسة القيم الأخلاقية حتى تصير منهاج وسلوك .

« منبر الاسلام » •• وميزان الكمال :

السيد / حبيشى حسن شعبان ـ مدرس بطنابنى مالو ـ بنى سويف

المجلة تشكر لك هذا التقريظ الفياض وتلك المشاعر الصادقة والاقتراحات الهادفة على أنه لاخلاف فى أن أمام المسجد يجد فى مجلة منبر الاسلام مجالا خصبا للخطابة خاصة بعد أن قرظتها بقولك « **ان مجلة منبر الاسلام**

اصبحت موسوعة اسلامية لاغنى عنها فى التفسير والحديث والمقالات الفياضة فى الأدب والتاريخ والاجتماع فضلا عن الأبواب الثابتة والقصائد الشعرية الهادفة والتحقيقات الصحفية المتنوعة ، كما ان المجلة تحرص على التعريف بأعلام الاسلام والعرض التحليلى للكتب الاسلامية ، أما الحكم المأثورة فالمجلة تزخر بها فى أكثر من موضوع مثل « الزار خرافة » ، « الشعر الدينى » لانها ترى أن الاستشهاد الموضوعى بالحكم المأثورة أعم نفعا وأشد وقعا من سردها مجردة مفردة »

« لماذا أسلمت ؟ » •• والكلمة الحرة :

السيد فائز بن مراد ـ الجمهورية التونسية ، نهج فيكتور هيفو :

ان المجلة لاتدخر جهدا فى سبيل تقديم كل عزيز ونفيس من فنون المعرفة الانسانية بأقلام حرة نظيفة وفى أبواب هادفة مشرقة •• **ايمانا منها بأن الكلمة الحرة وحرية الكلمة هى الضوء الكاشف والمقدمة الأولى لازالة الشبهات وتمهيد الطريق الى العقيدة الحقة لذلك حرصت المجلة أن تقدم للانسانية جمعاء •• باب لماذا أسلمت كدليل مادى قاطع وبرهان عملى ساطع لايدع مجالا للشك فى أن الاسلام هو دين الفطرة •• دين الحياة •• دين الحضارة والتقدم •••** وتحقيقا لرغبتك السامية ، اليك عنوان **أحد هؤلاء الذين أنعم الله عليهم بنعمة الايمان** وعزة الاسلام **وهو السيد / سمير محمد الجندى** ـ القاهرة ـ الدراسة ٥٠ ش المنصورية مصانع شتا للنسيج قسم الفحص العام

شكر وتقدير :

السيد / يوسف أحمد على ـ موظف بالمنطقة الجنوبية لهيئة السكك الحديدية باسيوط .

رسالتك الأدبية الرقيقة المعبرة عن جزيل الشكر للسيد رئيس التحرير ، والتقدير للشاعر موسى جلال أحمد لابداعه الفنى فى مدح الرسول الكريم قد حازت ترحابا وقبولا حسنا ، والمجلة تحمد لك هذه النزعة الاسلامية والعاطفة السامية •• وشكرا

بريد التعارف

الاسم : رجب مصطفى السيد
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ١٧ سنة
المهنة : طالب
الهواية : الاطلاع وجمع الطوابع والمناظر والمراسلة
العنوان : كفر احمد عبده القديم ـ ش عابد بالسويس

الاسم : محمد ابراهيم زاهر
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ٢٠ سنة
المهنة : طالب بكلية الحقوق جامعة عين شمس
الهواية : قراءة كتب الادب ـ الرحلات
العنوان : القاهرة ـ كلية الحقوق ـ جامعة عين شمس

الاسم : عمر صالح محمد جبارى
البلد : عدن « الجنوب المحتل »
السن : ١٦ سنة
المهنة : طالب بكلية عدن
الهواية : القراءة والاطلاع والرياضة
العنوان : ص ٠ ب ٤٢٧٨ كويتر عدن

الاسم : محمود عبد الله عطاالله حسن
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ٢٤ سنة
المهنة : كاتب بتفتيش الزقازيق
العنوان : شترل الكافي مركز الزقازيق

الاسم : مصطفى محمد مصطفى عرجاوى
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ١٧ سنة
المهنة : طالب بمعهددسوق الثانوى
الهواية : قراءة الصحف والمجلات والمراسلة
العنوان : دسوق شارع الغفران منزل رقم ٤

الاسم : جعفر مصطفى عمر
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ٢٩ سنة
المهنة : فنى بشركة كيما ـ قسم الامونيا
الهواية : البحوث الاسلامية ـ الرسم ـ المراسلة
العنوان : اسوان ـ شركة ـ قسم الامونيا

الاســم : عبد الجبار الحاج محمود
البلـد : الجمهورية العربيا المتحدة
السن : ٢٢ سنة
المهنـة : طـالب بكليـة الشريعة جامعـة الازهر
الهـواية : قـراءة الـكتب الدينية - الدعوة للقومية العربيـة
العنـوان : القاهرة - ١٣ ش الانتكخانة شقة٢١

الاســم : على سعيد الكوارى
البلـد : قطر
السن : ١٥ سنة
المهنـة : طالب بمدرسه ابى بكر الصديق
الهـواية : مراسـلة الشباب المسلم - جمـع الطوابع
العنـوان : قطـر الدوحة - وزارة المعـارف - مدرسة ابى بـكر الصديق ص ٠ ب ٨٠

الاســم : رجب عبد الوهاب عبد الظاهر
البلـد : الجمهورية العربيه المتحدة
السن : ١٨ طالب
المهنـة : طالب
الهـواية : تاليف القصص - الاغـانى - الشعر والزجل
العنـوان : شارع المطـار - أمام سـينما بدر بأسوان منزل ٣٧

الاســم : محمد عصام الدين نصار
البلـد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ١٨ سنة
المهنـة : طـالب بكليـة التجارة وموظف
الهـواية : قـراءة الـكتب الدينية والادب
العنـوان : جديلة قسم ثانى المنصورة

الاســم : حسين على الخراز
البلـد : ليبيا
السن : ٣٠ سنة
الهـواية : موظـف بمكتبـه الوحدة العربيـة
المهنـه : قـراءة الـكتب الادبيـة وقـرض الشعر
العنـوان . مكتبة الوحـدة العربية - شارع عمـرو بن العاص بنغازى - ليبيـا

الاســم : حسن على حسـن العطرونى
البلـد : الجمهوريه العربية المتحدة
السن : ٢٥ سنة
الهـواية : رئيس مكتب تموين نجع حمادى
المهنـة : دراسـه القانون والاطلاع على كتب الحديث والتفسير
العنـوان : نجع حمادى وجه قبلى

الاســم : مصباح محمد احمد الخباز
البلـد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ٢٤ سنه
المهنـة : كهربائى
الهـواية : السباحة والرحلات وجمع الطوابع
العنـوان : فوه ش بورسعيد

الاســم : على محمد احمـد
البلـد : اسماعيل فلسطين
السن : ١٨ سنة
المهنـة : مقرىء قرآن كريم
الهـواية : تـلاوة القـرآن والتعرف بالشباب المسلم
العنـوان : رفح فلسـطين معسكر العائديـن برقة بلوك B

فى هذا العدد

معالم الطريق	... ...	٣
زعماء العالم الاسلامى فى القاهرة	... ...	٦
حول علاقة الأجهزة الشعبية بالأجهزة الحكومية	السيد حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية	٨
حديث مع سفير اليمن بالقاهرة	... ...	١٠
الرمزية فى عالم الرؤى والأحلام	فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى	١٤
باب الحديث	فضيلة الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد	٢١
من حضارة الاسلام	الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل ..	٢٦
اول عبرة فى الأرض	فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى	٣٢
الاسلام والقومية العربية	الدكتور احمد الحوفى	٣٧
الوحدانية فى بعض الديانات القديمة	الأستاذ محمود كمال	٣٩
مالايجوز الخلاف فيه بين المسلمين	فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى	٤١
تعقيبات	... ...	٤٤
الاه اليهود بحسب ماتصوره أسفار توراتهم وتلمودهم	الدكتور على عبد الواحد وافى ...	٤٩
خواطر مستشار	المستشار على على منصور	٥٢
العلم ومشكلة السكان فى الوطن العربى	الدكتور عبد الحليم منتصر	٥٦
الطريقة الحديثة فى النطق بالاعلام	فضيلة الشيخ محمد على النجار	٥٩
الغيب	الأستاذ البهى الخولى	٦٢
من هدى القرآن ـ دعاء	الدكتورة نعمات احمد فؤاد	٦٧
قضايانا ومؤتمرات القاهرة	الأستاذ شفيق ارشيدات	٧١
أثر الاسلام فى الفكر الانسانى الحديث	الأستاذ أنور الجندى	٧٢
الاسلام والعصبية	الأستاذ عبد المنعم النمر	٧٤
عناصر الحيوية فى الدين الاسلامى	الأستاذ عبد الله المشد	٧٧
توحيد أعياد المسلمين ومواسمهم الدينية ...	الأستاذ عبد الحميد السائح	٨٠
دعوة الميثاق الوطنى	الأستاذ حسنى عبد المجيد	٨٢
حول مكان المرأة فى المجتمع	الأستاذ عبد الحميد بلبع	٨٧
الاسلام والتقاليد الافريقية	الدكتور محمود سلام زناتى	٩٢
اهمية مؤتمرات القاهرة	الدكتور محمود البسيونى	٩٦
الاسلام ومبدأ سيادة القانون	الدكتور ثروت بدوى	٩٩
كم مرة يولد الانسان	الدكتور عبد الباسط الجميعى ...	١٠١

المال فى نظر الدين	الأستاذ احمد محمد غنيم	١٠٤
الاسلام بين اعدائه وانصاره	الدكتور عبد اللطيف حمزة	١٠٧
دراسات فى مقارنة الاديان	الدكتور احمد شلبى	١١٠
الآداب السلطانية والملكية	فضيلة الشيخ أبو الوفا المراغى	١١٢
من اعجاز القرآن	الدكتور حفنى شرف	١١٤
الاسلام ينادى بالديمقراطية	الاستاذ محمد عطية الابراشى	١١٧
الزار خرافة	الأستاذ على الجندى	١١٩
نور الله	الأستاذ محمد صبيح	١٢٢
الحياد الايجابى	الدكتور محمد كامل ليله	١٢٥
مكانة الدعوة	الدكتور محمد كامل الفقى	١٢٧
رحلتى الى تونس	فضيلة الشيخ منصور رجب	١٢٩
ايمان الاسلام	الاستاذ ابراهيم عوضين	١٣٥
صوت من ليبيا	الأستاذ محمد امين هلال	١٤٠
سياسة المال فى الاسلام	الأستاذ وليد فهمى القدومى	١٤٣
الاسلام بين العقل والنقل	الأستاذ محمود أبو الفيض المنوفى	١٤٦
شهر شعبان	الأستاذ محمود لطفى عبد الكريم	١٤٨
حول مولد السيد البدوى	الأستاذ حسن الشيخه	١٥٠
طاووس اليمانى	الأستاذ محمد سيد جاد الحق	١٥١
جهاز المخابرات فى حروب الرسول	الأستاذ عبد المنعم حسن الادفوى	١٥٢
مقومات الدولة الاسلامية	الاستاذ عبد العال السيد شعيب	١٥٥
حياة المقر الشهابى	الأستاذ محمد عبد الجواد الأصمعى	١٥٧
باب الفن	الأستاذ احمد سعيد الدمرداش	١٦٢
ندوة الشهر	الأستاذ عبد الرحمن الشربينى	١٦٧
باب العلم	الدكتور محمد جمال الدين الفندى	١٦٨
الشعر الدينى	الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل	١٧٣
أنشودة للضياء	الشاعر عبد الله شمس الدين	١٧٧
خمس رسائل شعرية	الشاعر محمد السيد الجبالى	١٧٩
من خمر التوحيد	الشاعر حسن جاد	١٨٤
فلسطين ياحماة العرب	الشاعر نجاتى عبد الرحمن	١٨٦
لقاء ذات ليلة « قصة »	بقلم حسين الطوخى	١٨٨
باب الرياضة	الأستاذ ناصف سليم	٢٢٠
أضواء على سيرة السيدة مارية القبطية	اعداد : عائشه حسنى	٢٢٦
دور المراة الفلسطينية فى المعركة	اعداد : نجاة الزنيرى	٢٢٩
المراة واعظة	اعداد : عبد العظيم ملوك	٢٣٤
انت تسال والمفتى يجيب	فضيلة الامام الاكبر الشيخ حسن مأمون	٢٣٩
لماذا اسلمت		٢٤٢
مع القراء	اعداد : فؤاد هيبه	٢٤٤
بريد التعارف		٢٤٥

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

مجموعة اسطوانات
الصلاة
وتحتوى على ٧ إسطوانات شاملة
الأذان . الوضوء
الصلوات الخمس

اسطوانات
المصحف المرتل
فى ٤٤ اسطوانة

ترقبوا

فى منتصف كل شهر عربى
سلسلتى :
كتب اسلامية
دراسات فى الإسلام

تضمن الحصول على
مكتبة اسلامية جامعة
بأقلام أساتذة متخصصين

مطابع شركة الاعلانات الشرقية